بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القاهرة

كليـــه الآثـــــار

قسم الآثـــار الاسلاميـــة

((المجاعات وتاثيرها على النواحى الماليـة والحضارية زمـــن الفاطمييـــــن))

" دراسة أثرية حضارية "

رسالة لنيل درجة الماجستير فـــى الآثـــار الاســـلاميـة

اعداد الطالب /

احمـــد الســـيد الصـــاوى

تحت أشراف الأستاذ الدكتور/

حســـن الباشـــا

١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

الفهرس	الصفحة
شكر وتقدير	
تمهيد	أ ـ هـ
مقدمة	١ ـ ٢٠
الفصل الاول: المجاعات فى العصر الفاطمى واسبابها	٢١ ـ ١١٦
الفصل الثانى : النتائج السياسية والاجتماعية للمجاعات	١١٧ ـ ٢٢٥
الفصل الثالث : النتائج المالية والنقدية للمجاعات	٢٢٦ ـ ٣٤٨
الفصل الرابع : تأثير المجاعات على العمارة والفن	٣٤٩ ـ ٤١٣
خاتمة	٤١٤ ـ ٤١٩
الملاحق	٤٢٠ ـ ٤٤٠
بيان اللوحات	٤٤١ ـ ٤٥٦
قائمة بأهم المصادر والمراجع العربية والاجنبية	٤٥٧ ـ ٤٨٥

شكر وتقدير

أجد لزاما على أن أصدر هذا البحث بكلمات شكر وتقدير قد تعجز حروفها عن الوفاء بالمرام لأستاذى وأستاذ جيلى الأستاذ الدكتور حسن الباشا الذى يرجع اليه النصيب الأوفى من فضل إخراج هذا البحث على هذا النحو، فقد كان لإرشاداته القيمة وكتاباته العلمية ، اسهام لا ينكر فى تجنبى الكثير من الزلات والهنات ، فقد أولانى من رعايته وتشجيعه طوال فترة البحث ما أعاننى على انهائه.

فاليه اتقدم شاكراً ممتناً داعياً الله أن يجزيه عنى وعن تلاميذه خير الثواب.

تمهيـــــــــــد

ارتبط تاريخ مصر منذ فجر التاريخ بنهر النيل الذى لعب دورا رئيسيا فى تحديد قسمات أول حكومة مركزيـة فى العالم ، ولم يتوقف النيل عـــن ممارسة دوره الفاعل خلال العصر الاسلامى ، ذلك أن مصر كانت بلــدا زراعيا ، تتوقف فيه كل مظاهر الحياة على طبيعة النهر الفيضية الموسمية .

وكان التغير فى مستوى الفيضان سواء بالنقص او الارتفاع الجامــح يعيد إلى ذاكرة المسلمين قصة السبع سنوات العجاف التى وردت فـــى سورة يوســف.

ونظرا لأهمية هذا النهر، فان كتابات المؤرخين والجغرافيـــين التى أشارت إلى مصر من قريب أو بعيد لم تخل من ذكر النيل وفيضانــه ومنابعه ، وقد جمع د . محمد حمدى المناوى كتابات العصر الاسلامى عـــن النيل فى كتابـه " نهر النيل فى المكتبة العربية " القاهرة ١٩٦٦ ، أمـا كتابات المحدثين فأهمها كتاب نهر النيل لمحمد عوض الذى نشر بالقاهـرة عام ١٩٥٦ ومؤلفات د . جمال حمدان التى أجملها فى مؤلفـه الضخــم " شخصية مصر " الذى صدر فى جزئين ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ .

وقد حظيت المجاعات والأوبئة التى حدثت فى العصر الاسلامـــى باهتمام المؤرخين المسلمين حتى أن المقريزى أفرد " رسالة " لهـــذه المجاعات أسماها "إغاثة الأمة بكشف الغمة " .

لفت فيهـا الأنظار إلى وفاء النيل فى بعض هذه المجاعات.

وكان نصيب العصر الفاطمى هو الأوفى من هذه المجاعات ، التى أفرد لهـا الأستاذ الدكتور / عبد المنعم ماجد فصلا خاصا فى كتابة " ظهور خلافـة الفاطميين وسقوطها فى مصر " (الاسكندرية ١٩٦٨) وقد درجت المؤلفات التى تعرضت بالبحث لتاريخ الدولة الفاطمية فى مصر على التميز بين فترتيـن مختلفتين فى تاريخ هذه الدولة تفصل بينهما أحداث المجاعة التى استمرت سبع سنوات فى عهد الخليفة المستنصر باللـه من عام ٤٥٧ هـ ـ ٤٦٤هـ ، ، عرفت أولهما بعصر الخلفاء الأقوياء . والثانية بعصر الوزراء العظام الـذى تناولـه بتفصيل كبير كتاب د . محمد حمدى المناوى الوزارة والوزراء فى العصـر الفاطمى ـ القاهرة ١٩٧٠م. ولفت النظر الى تغير وظائف الوزراء والقابهم بعد هذه المجاعة ، ما أورده الأستاذ الدكتور / حسن الباشا فى مؤلفيـه " الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والاثار" القاهره ١٩٧٨ ، " والفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية " ٣ أجزاء القاهره ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦.

ولما كانت الآثار ، وهى علم من علوم التاريخ ، هى السجل المـادى الباقى لحوادث التاريخ فقد رأيت أن أدرس أثر هذه المجاعات التـى تكررت فى العصر الفاطمى بشكل خاص ، على الانتاج الفنى لهذا العصـر من خلال علاقة هذا الانتاج بالتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة التى نجمت عن المجاعات.

وقد استرعى انتباهي ما نشره هربرت ليتي عن امكانات استخدام الإحصاء في اعطاء تعبير كمي عن حوادث التاريخ (التاريخ والاحصاء الاقتصادي - مجلة فكروفن العدد ٢٠ ص ٢٠) فسعيت الى استغلال الأرقام الوارده في مصادر هذا البحث ومراجعة وتسخيرها في سبيل ذلك.

ولم يخل الطريق إلى ذلك البحث من مصاعب ومخاطره جاءت من قلة المصادر التاريخية الأصيلة المعاصرة لحوادث هذه المجاعات ، وميل المؤرخين المسلمين من السنة أو أهل الذمة إلى إبراز الخلافة الفاطمية الشيعية في صورة مشوهه شديدة السواد . اضافة إلى المبالغات التي ملأت هذه المصادر بشأن أسعار السلع وحوادث أكل الميتات ولحوم البشر.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وملحقين وكتالوج. فتناولت في المقدمة أهمية نهر النيل وأشرت بايجاز إلى تاريخ المجاعات في العصر الاسلامي قبل العصر الفاطمي .

واقتصرت في الفصل الأول على دراسة تطور منسوب الفيضان وعلاقته بالمجاعات والأسباب التي وقفت خلف المجاعات العديدة التي وقعت في العصر الفاطمي ، وفي طليعتها العوامل السياسية والاحتكار التجاري.

وحوى الفصل الثاني دراسة تفصيلية للنتائج السياسية والاجتماعية التي ترتبت على أحداث هذه المجاعات . والتي من أهمها تزايد نفوذ الوزراء والعسكريين على حساب سلطات الخلفاء ، وانهيار سيطرة الخلافة على أملاكها خارج مصر ، واضمحلال مركز الزراعة بالنسبة لمجمل الاقتصاد

المصرى وتغيير شكل الملكية الزراعية التى تركزت فى أيدى العسكريين وأثـر هذه المجاعات على التركيب الاجتماعى وحركة العمران فى المجتمع المصرى.

وشمل الفصل الثالث دراسة لأثر المجاعات على انخفاض ايرادات الدولة التى كانت تأتى من خراج الأرض ، والتى أضطرت بسببها الدولـة إلى زيادة الضرائب التجارية (المكوس) ، كما اشرت إلى أثر العوامـل السياسية على نفقات الدولة الفاطمية وأختتمت هذا الفصل بدراسة أسعـار السلع الغذائية وعلاقة هذه الأسعار بالرواتب والأجور ومستوى المعيشـة فى فترات المجاعات وأثر المجاعات على المسكوكات الفاطمية وتحول مصر مـن التعامل على قاعدة المعدن الواحد (الذهب) إلى قاعدة المعدنيـن (الذهب والفضه).

أما الفصل الرابع ، فقد خصصته لدراسة أثر نتائج المجاعات علـى حركة التشييد والبناء فى العصر الفاطمى ، التى حمل لواءها الوزراء بعـد الشدة العظمى وأثر ذلك على أحجام المبانى ووظائفها ونصوصها التأسيسية واختتمت هذا الفصل بدراسة أثر تغيير التركيب الاجتماعى وتطور القـوى الشرائية للسكان وظهور الاتجاهات الترفية بعد الشدة المستنصرية علـى منتجات الفنون التطبيقية وخاصة منتجات الخزف والفخار والنسيج وبالتحديـد نسيج الطراز الذى كان مرآه صادقة فى كتاباته لتطور نفوذ الوزراء . وكذلـك تعرضت بالدراسة لأثر المجاعات على منتجات البللور الصخرى والصناعـات المعدنية والحلى .

واجملت فى الخاتمة أهم النتائج التى توصلت اليها فى هذه الدراسة .

أما الملاحق ، فأولها ملحق عن تطور منسوب الفيضان كما أورده أمين سامى فى كتاب تقويم النيل وأضفت اليه ما عثرت عليه بين ثنايا سطور المصادر التاريخية الاخرى. والملحق الثانى ، يحتوى قوائم تفصيلية لأسعار السلع التى وردت فى المصادر التاريخية وما يقابله أوزانها بالنظام المترى وهى التى اعتمدت عليها فى الرسوم البيانية المتعلقة بهذه الأسعار أثناء المجاعات

وضم الكتالوج نشر قطع المسكوكات التى أصدرها الفاطميون فى أوقات المجاعات أو بعدها مباشرة ، والمحفوظة بدار الكتب المصرية ، وإذا كانت مجموعة العمل التابعة لمركز الأبحاث الأمريكى قد قامت بنشر مجموعة دار الكتب فان عزائى اننى أنشر صورا لـ ٦٦ قطعة لأول مرة فى هذا البحث ، إضافة إلى بعض الأمثلة من الفنون التطبيقية التى ترجع إلى العصر الفاطمى .

المقدمـــــــــه

لم يتعد المؤرخ الاغريقى هيرودوت الحقيقة كثيرا عندما أطلق مقولته الشهيره "مصر هبة النيل " إذ لولا هذا النهر الذى يشق البلاد طوليا لما عرف العالم الحضارة المصرية ، التى هى بالأصل وليدة البيئة الفيضية للنيل .

بيد أن ذلك لايعنى أن نشأة الحضارة المصرية يقف خلفها النيل (الجغرافيا) إذ أنه من الواضح كما يقول أرنولد توينبى Arnold Toynbey ان بدء الحضارات لم يكن نتيجة البيئة الجغرافية أو حتى العوامل البيولوجية ، كل تعمل بمفردها ، ولا ريب أنه نتيجة نوع ما من التفاعل بينها جميعا وبعبارة أخرى ." ليس عامل نشأة الحضارة الذى نسعى للتعرف عليه شيئا مفردا ، لكنه متعدد وهو ليس وحدة ولكنه علاقة"(١) فقد تفاعل العامل البشرى بكل ما يمثله من جهد وتنظيم مع جغرافية النهر لتخرج هذه الحضارة إلى الوجود .

والواقع ان نهر النيل يسبق نشأة الحضارة المصرية بأمد طويل فقصته تبدأ فى عصر " الميوسين " بنهر مصرى بحت ، أو نسوى على الأكثر

---

(١) أرنولد توينبى : مختصر دراسة التاريخ ـ ترجمة فؤاد محمد شبل ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهره ـ الطبعة الثانية ١٩٦٦ ـ ج ١ ص١٠١ .

لم يكن له اتصال بالحبشة الا العطبرة في مرحلة متأخرة ، ونجح هـذا النهر فى أن يأسر الأنظمة النهرية الواقعة فى جنوبة ليمتد إلى هضبة البحيرات منذ بداية عصر" البلايستوسين " ويأخذ تقريبا شكله الحالى[1] وصادف اكتمال نظام النهر الانتهاء التدريجى لعصر" البلايستوسين" والذى كانت مصر خلاله غزيره الامطار نسبيا[2] فساد الجفاف المراعى المشرفة على وادى النيل ، وأصبح على سكان هذه المراعى ، الذين كانوا يعيشون على الصيد والتقاط الثمار ، أن يختاروا أحد أمور ثلاثة ، وهى التحرك نحو الشمال أوالجنوب مع صيدهم متتبعين المنطقة المناخية التى ألفوها أو البقاء فى موقعهم والحياة حياة تعسة مكتفين بما يصيدونه من الحيوانات التى قد تقاوم الجفاف ، أو يستطيعون من غير أن يهجروا مواطنهم تحرير أنفسهم من سطوة البيئة باستئناس الحيوانات وفلاحة الأرض[3] وهكذا اندفع سكان الصحراء الشرقية والغربية ـ الذين اختاروا ثالث الخيارات ـ نحو الوادى بوحى الجرأة أو اليأس منذ أواخر الدهر القديم الأعلى[4]، واستطاعوا بجهد جماعى خارق ومنظم أن يحيلوا مستنقعات الغاب فى الوادى والدلتا إلى أرض زراعية ، احتضنت أقدم حضارة فى العالم.

---

(١) د. جمال حمدان : شخصية مصر ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٨٠ ج١ ص ١٤٢ ـ ١٤٣

(٢) محمد عوض محمد : نهر النيل ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ـ القاهرة ط ٤ ـ ١٩٥٦ ـ ص ٢١ ـ ٢٢.

(٣) أرنولد توينبى : مختصر دراسة التاريخ ج ١ ص ١١٥ ـ ١١٦.

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة ط ٢ ـ ١٩٧٣ ـ ج ١ ص ٢١ ـ ٢٢.

الا أن ارتباط النيل بالحياة فى مصر لم يتوقف عند لحظة النشـأة التاريخية للحضارة ، إذ أثار النيل مجموعة من المشاكل والتحديـات كونت استجابات السكان نحوها نمطا خاصا للحضارة المصرية ، لازال لصيقا بها للآن ، ونعنى به" المركزية الشديدة " فالنهر يجرى من منابعـه الاستوائية فى هضبة الحبشة جنوبا ، متجها نحو الشمال حتى يلقى بمائـه فى البحر المتوسط ، ويلتزم فى جريانه هذا الاتجاه الشمالى باستمـرار واطراد لا نظير لهما فى أى نهر آخر فى العالم [1]. وهذا أصبـح فى مكنة القاطنين فى جنوب الوادى حجب المياه عن سكان الشمال مما دفع الانسان إلى تسليم مقاليد حياته إلى هيئة أو سلطة مركزية تشرف علـى توزيع مياه النهر بما يكفل زراعة الأراضى ، وضمان الحياة حتى مصب النهر بالاضافة إلى قيامها بتنظيم حفر الترع والقنوات وتطهيرها ، ومشروعـات الصرف التى تحتاج لقوة عمالة كبيرة جيدة التنظيم ، وبناء السدود التى تدرء أخطار الفيضانات العالية ، هذا فضلا عن وظيفتها فى حماية الموضـع الجغرافى [2] من اعتداءات البدو ، الذين تجتذبهم ثروة الوادى إلى الاغـارة علية من آن لآخر ، أى أن الطبيعية الفيضية لنهر النيل هى التى فرضـت وجود الدولة المركزية ، حيث أزكت احساس المصريين المتصل بضرورة الانصياع لحكم مركزى مستقر ، يشرف على الجهد وينسقه وينظم الانتفاع به ، طالمـا كان انخفاض فيضان النيل يؤدى إلى القحط الشديد ، وكذلك ارتفـاع

---

(١) محمد عوض محمد : نهر النيل - ص٢٤ .

(٢) يعنى بالموضع الجغرافى Site قيمة الموارد الداخلية للدولة من حيث الأرض والناس كما وكيفا . أنظر .
د . جمال حمدان : دراسات فى العالم العربى - مكتبة النهضة المصريـة القاهرة ١٩٥٨ - ص٦٧ .

الفيضان يؤدى إلى اغراق القرى بالماء (١) أوعلى حد تعبير أحد الكتاب " فان القنطره التى تفصل بين الحياة الرغدة وبين الموت الذريع لم تكن الاقنطره ضيقة ... ولم يكن فى استطاعة أحد أن يظل ساهرا لحماية البلاد كلها ،اللهم الاحكومة منظمة وهذا بدوره أحد الواجبات التى فرضتها هدية هذا النهر على المصريين (٢).

ومنذ نشأة الدولة المركزية فى مصر القديمة ،أصبحت الحياة فى وادى النيل إلى حد بعيد تفاعلا خلاقا بين " الادارة" (الانسان) " والنهر" (الجغرافيا) ، فحينما تصاب الادارة المركزية بالاضطراب تضعف سيطرة الانسان على النهر ، وتقل المقدرة على تلافى أخطار الفيضانات المنخفضة والعالية ، وكذلك كانت حالة النهر الفيضية تؤثر فى السلطة المركزية بدورها ، مما يعرض البلاد لتغيرات عميقة على كافة المستويات الحياتية فالنهر والدولة المركزية إذن هما ضمان الحياة للمصريين .

وبتقادم الزمن وتطور قدرات الانسان وتعقد الوظائف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للدولة ، أصبح بالامكان تلافى العديد من تحديات

---

(١) د . سليمان أحمد حزين وآخرون : المجمل فى التاريخ المصرى ـ القاهرة ١٩٥١ ص١٣ ـ ١٤ .

(٢) جون ويلسون : الحضارة المصرية ـ ترجمة د . أحمد فخرى القاهرة ١٩٥٥ ـ ص٣٩ .

البيئة الفيضية وأخطارها سواء لتطور بناء الجسور ، وهندسة الري ـ إذا جاز لنا استعمال هذا التعبير ـ أو لتقدم عمليات خزن الغلال ، واحتلت الدولة المركزية بذلك ـ وإن لم يكن دائما ـ مكان الصدارة من حيث التأثير في تطور تاريخ مصر ، فالانتصارات الفنية والمعمارية الضخمة في الدولة القديمة مثلا لم تكن لتتم لولا وجود " ادارة قوية منظمة تنظيما دقيقا "(1).

واذا كان سبب المجاعات في غالب الأحوال هو نقص فيضان النيل فان الدولة المركزية بتوالي العصور أصبحت تلعب دورا بارزا في الحد من اضرار المجاعة وتحجيمها أو على العكس تكون سببا مباشرا في تفاقم الوضع وتجاوزه نتائجه الطبيعية المعتادة إلى حد الكارثة كما سنلحظ خلال هذا البحث وفيضان نهر النيل الموسمي خلال فصل الصيف هو ولا شك أهم ملامح النهر المميزة ، وهو الذي أوجد لنا على الأقل جزءا كبيرا من هذا الوطن ، فالغرين الذي يحمله في فيضانه كان سلاحه القوي في صراع الابدى مع البحر والذي مكنه من أن يكسب لمصر رقعة كبيرة من الأرض هي الدلتا ، ومن الثابت أن ٨٢٪ من رصيد مياه النهر يأتي وقت الفيضان و ١٨٪ فقط لوقت التحاريق ، وذلك يعني عمليا أن النيل ليس الا الفيضان أو يكاد ، ويذهب د . جمال حمدان إلى حد القول بأن مصر هي هبة الفيضان ، وأنه لولا الفيضان لكانت مصر مجرد بلد به

---

(1) آلن جاردنر : مصر الفراعنه ـ ترجمة د . نجيب ميخائيل ابراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ ـ ص ١٢١ .

نهر فصلى هزيل يولد ويموت كل سنة دون أن يضمن حتى الوصول إلى البحر دائما ، إلى حد يعنى أن النيل هو الآخر هبة الفيضان[١] هذا كان عن الجغرافيا .

أما تاريخيا ، فان أشهر حوادث انخفاض الفيضان ما جاء ذكره فى القرآن الكريم من تفسير يوسف عليه السلام للحلم الذى رآه فرعون مصر حينما رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات " قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلاً مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون"[٢] وتشير نصوص التوراه إلى أن سنين القحط هذه أدت إلى جعل كل الأراضى ملكا لفرعون مصر بناء على ما اتخذه يوسف عليه السلام من تدابير لمواجهة السنين العجاف " فاشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون إذ باع المصريون كل واحد حقله لان الجوع اشتد عليهم فصارت الأرض لفرعون (سفر التكوين - الاصحاح ٤٧ - عدد ٢٠) الا أن د . أحمد عزت عبد الكريم يرى أن ملكية الفرعون لأراضى مصر سابقة على عهد يوسف . (٣)

---

(١) د . جمال حمدان : شخصية مصر - ج ١ ص ١٦٥ .
(٢) سورة يوسف آيات ٤٧ - ٤٩ .
(٣) د . احمد عزت عبد الكريم : الأرض والفلاح فى مصر - مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٧٤ ص ٧ .

وأقدم النصوص التاريخية التى تشير إلى قصة السنين السبع العجاف يرجع إلى عصر الأسرة الثالثة (القرن ٢٨ ق ٠ م) وفيه يتحدث الملك زوسر عن أن النيل قد تخلف فى عصره سبع سنوات تباعا فشحت الغلة وجفت الفاكهة وقل الطعام (١).

وقد نتج عن انهيار الدولة المركزية فى أعقاب نهاية حكم الأسرة السادسة وتفرق جهات الحكم خلال عصر الانتقال الأول الذى استمر حتى نهاية الأسرة العاشرة فى أواسط القرن الحادى والعشرين ق٠م ، أن انهارات مشاريع الرى الكبيرة ، وانتشرت المجاعات ٠ ويلاحظ على النصوص التى تعود إلى هذه الفترة كثرة تفاخر حكام الأقاليم - أن صدقا أو ادعاء - بالعمل على علاج المشكلات المتعلقة بأهل الريف ، مثل توتر الأمن وبوار الأرض التى ينبغى أن تستصلح ويعاد توزيعها وتطهير الترع المهملة ومقاومة المجاعات التى كانت تعاودهم من حين لآخر (٢) فيذكر أحد حكام الأقاليم فى القرن ٢١ ق ٠ م ، أن اقليمه تعرض لسنوات قحط شديد قام خلالها بصرف معونات من الغلال من الشون الرسمية وتجاوز عن متأخرات الضرائب فى سجلات أبيه ، ونفس الشىء تقريبا يرد على لسان حاكم آخر فى بداية القرن ٢٠ ق ٠ م عندما تعاقبت سنوات قحط

---

(١) د ٠ مصطفى العبادى : الأرض والفلاح فى مصر الرومانية - مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح فى مصر - ١١٣ - ١١٤٠

(٢) د ٠ عبد العزيز صالح : الأرض والفلاح فى مصر الفرعونية - مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح فى مصر - ص٣٢٠

على بلده ، إذ أشرف بنفسه على كفالة كرامة الحياة لأهله ، وعندما عادت الفيضانات العالية وتوافرت المحاصيل تجاوز عن تحصيل متأخرات ضـــرائب الزراع [(١)].

ويبدو أن هذه المجاعات كانت من الكثرة وخطورة النتائج إلى حـــد أن المصرى القديم صور على جدران المقابر بعض مناظر الجوع ، حيث نرى فى أحد هذه النقوش رسما لانسان قد برزت عظامه وخارت قواه من شـــدة الجوع [(٢)].

ولم تنقطع ظاهره نقص فيضان النيل خلال العصر البطلمى ، فسجـل مجمع الكهنة المصريين فى البيان المعروف ببيان كانوب (القرن ٣ ق.م) أنه قد "تخلف النيل عن أن يرتفع بالقدر الكافى وشل اليأس الجميع بسبب مـا حدث ، وتذكروا الكوارث التى وقعت فى عصور بعض الملوك السابقين حينما قاسى الأهالى بسبب عجز الفيضان" [(٣)].

أما فى العصر الرومانى فيلاحظ أن انخفاض النيل وتوالى المجاعـات قد أثر على الملكيات الصغيرة والمتوسطة أيضا ، لأن الحكومة كانت تصر علـى على تحصيل الضريبة كاملة رغم انخفاض الفيضان ، وارتفاع الأسعار وقلـــة

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الأرض والفلاح فى مصر - ص٥٩ - ٦٠.
(٢) جون ويلســــون : الحضارة المصرية - شكل ٢ (ب).
(٣) د. مصطفى العبادى : المرجع السابق ص١١٤.

المحصول ، مما أصحاب أصحاب الدخول المحدوده والصغيره مباشـــرة ، فاضطروا إلى الاستدانة سواء نقدا بفائدة ١٢٪ أو عينا بفائدة ٥٪ قـــد أضطر صغار المزارعين كما تشير إلى ذلك احدى البرديات إلى رهـــن الأرض نظير الدين ثم بيعها فى النهاية(١) .

ومنذ الفتح العربى لمصر والخلفاء والولاة المسلمون يهتمون بأمـــر فيضان النيل ، الذى أضفت عليه بعض الكتابات شيئا من القدسية(٢).

وتفيد المصادر التاريخية أن أول محاولة تمت فى مصر الاسلاميـــة لتفادى مخاطر الفيضان كانت على خلافه عمر بن الخطاب ، الذى أهمـــه ما علمه من معاناة أهل مصر من الغلاء عند وقوف النيل عن حده فى مقياس

---

(١) د . مصطفى العبادى : المرجع السابق ص١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) نظرا لأهمية النيل الحيوية ، نجد أن بعض الكتاب أخذ يضفى طابعا مـــن القدسية على النهر ، فيذكر ان نهر النيل هو المعنى فى قولة تعالـــى "مرج البحرين يلتقيان"(راجع الآية الكريمة فى سورة الرحمن ـ آية ١٩) أى النيل والبحر المتوسط ، "إن الله أنزل فى الأرض خمسة أنهار من عين فى سدرة المنتهى أحدها نهر النيل ـ انظر .

محمد بن زين العابدين البكرى الصديقى : شفاء العليل فيما ورد من أخبـار النيل . مخطوط ـ نسخه كتبت فى رجب ١١٠٣ هـ بخط أحمد بن الحـاج عبد الرازق ـ النسخه مصوره بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الـدول العربية بالقاهره (٣٣ جغرافيا) عن النسخه الموجودة بمكتبة سوهـاج (٣٠ جغرافيا) ٣٢ ورقة (١٣ × ٢٢ سم) ـ ورقة ٤أ ، ٤ب .

لهم ، فضلا عن تقاصره ، وإن مجرد شعورهم بذلك يدفع إلى الاحتكار ورفع الأسعار بدون قحط ، فأرسل إلى عمرو بن العاص والى مصر وقتها ليسأله عن جلية الأمر [١] . وكان مفاد ما أجاب به عمرو بن العاص ، أنه وجد ما تروى مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعا ، والحد الذى يروى منه سائرها حتى يفضل حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا ، وإن النهايتين المخوفتين وهما الظمأ والاستبحار اثنا عشر ذراعا وثمانية عشر ذراعا [٢] فما كان من الخليفة العادل عمر بن الخطاب الا أن أمر ببناء مقياس جديد على أن ينقص ذراعين من اثنى عشر ذراعا وان يقر ما بعدها على الأصل وان ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا أصبعين ، فبنى عمرو بن العاص مقياسا بحلوان بهذه المواصفات [٣] .

---

(١) تقى الدين أحمد بن على المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار طبعه مصورة بالاوفست عن طبعة بولاق ـ مطبعة البابى الحلبى بالقاهرة بدون تاريخ ج ١ ص٥٨ .

(٢) جمال الدين ، أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهره ـ طبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٣٣ ـ ج ٢ ص٣١٣ .

(٣) المقريزى : الخطط : ج ١ ص٥٨ ـ ٥٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص٣١٢ ـ ٣١٣ .

ويدل ذلك ولا ريب على وعى الخليفة بخطورة الدور الذى يلعبه الاحتكار التجارى فى حدوث الأزمات الاقتصادية ، إذ أن المقصود بهذا التعديل أنه عند بلوغ النيل الذراع السادسة عشر حسب المقياس الجديد ، يظن العامة أن النيل قد وفى تماما وأن الأرض ستزرع جميعها فلا ترتفع الأسعار ، وحقيقة الأمر أن النيل لم يبلغ سوى الأربعة عشر ذراعا ، وهكذا حتى نهاية المقياس ،ولا شك أن فعالية هذا التعديل تستند أساسا الى سرية اجراء هذا التعديل ، الأمر الذى يشك معه فى أن يكون هذا التغيير قد آتى ثماره ، لصعوبة المحافظة على سرية هذا العمل الذى يستوجب معرفة أشخاص عديدين سيقومون به.

والمقاييس على النيل سابقة على الفتح العربى ، فقد عرفها قدماء المصريين منذ أقدم العصور ، حتى أن بعض المصادر العربية ترجع أول مقياس إلى يوسف عليه السلام وتذكر موقعه بمدينة منف (١).

كذلك بنى الرومان مقياسا عند حصن بابليون بقيسارية الأكسية ، وقد ظل العرب يستعملون هذه المقاييس حتى أواخر القرن ٢ هـ / ٨م. (٢)

---

(١) ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المطبعة البهية ـ القاهره ـ ١٣٤٦هـ ج ١ ص٢١٣ ، ابو سعيد عبد الرحمن بن ابوبكر السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة المطبعة الشرفية ـ القاهره ١٣٢٧ هـ ـ ج ٢ ص١٩٧ . ويذكر القلقشندى ان أول من وضع مقياسا على النيل هو خصليم السابع من ملوك مصر بعد الفيضان انظر : القلقشندى ، ابو العباس أحمد : صبح الاعشى فى صناعة الانشا : المطبعة الاميرية ـ القاهره ـ ١٩١٤ ـ ج ٣ ص٢٩٧.

(٢) د . محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية ـ الدار القومية للطباعة ١٩٦٦ ـ ص١٤٧.

أما أقدم مقياس عمل فى الاسلام ، فهو الذى أقامة عمرو بن العاص بحلوان حسب رواية تعديل المقياس ، الا أن الشك يحيط ببناء هـذا المقياس ، ويرجح ان ماتم كان اصلاحا للمقاييس القديمة فقط ، وأن أول مقياس اسلامى لاشك فيه هو الذى أنشأه عبد العزيز بن مروان بحلوان عندما كان والياً على مصر (٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٥ ـ ٧٠٥ م) وتلى ذلك إنشاء مقياس اسامه بن زيد التنوخى عامل الخراج بجزيرة الروضه ، والذى بُنى مرتين أولاهما عام ٩٢هـ/ ٧١١م ، والثانية عام ٩٧هـ/ ٧١٥م (١) ومنى بعد ذلك مقياس الخليفة العباسى المتوكل على الله بجزيرة الروضة سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م وهو أشهر المقاييس الاسلامية على الاطلاق ويعرف بالهاشمى.

ويذكر المقريزى أن الذراع المستخدمه فى قياسة هى الذراع السوداء التى وضعها هارون الرشيد وذلك نسبة إلى عبد أسود كان يملكه وضع المقياس على أساس طول ذراعه . (٢)

ويجدر التنوية إلى أن حدود الوفاء والظمأ كانت تتغير بتقادم الزمن بسبب ترسب الطمى أو أهمال حفر الترع وتعميقها ، ففى ولاية الأمير محفوظ

---

(١) د . محمد حمدى المناوى : نهر النيل ص١٤٨ ، القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص٢٩٨ .

(٢) المقريزى : الخطط ج ١ص ٥٩ .

تولى أمر المقياس عند انشائه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد الذى انتقل من البصرة إلى مصر ، وظل عليه حتى توفى فتوارثت اسرته هذه الوظيفة إلى عهد قريب انظر:
أحمد تيمور : المهندسون فى العصر الاسلامى : نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٠ ـ ٢١ .

بن سليمان أيام الخليفة العباسى المتوكل على الله (منتصف ٣ هـ / ٩ م) كان تمام خراج مصر إذا بلغ النيل الذراع السادسة عشر وإن زاد الماء بعد ذلك ذراعاً واحداً نقص الخراج مائة الف دينار (١) .

وبعد نحو قرن تغير حد الوفاء وأصبح خصب البلاد ورخائها فى الذراع السابعة عشر (٢) .

ولأهمية زيادة النيل فقد حاول كثير من الكتاب والجغرافيين العرب أن يعرضوا لأسباب زيادة الفيضان ومحاولة التنبوء بها بواسطة الظواهر الفلكية المختلفه (٣) .

---

(١) محمد بن أحمد (ابن إياس) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ـ القاهرة ١٣١١هـ ـ ج ١ ص٣٦ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب : ج ١ ص ٢١١ ـ ٢١٢ ـ توفى المسعودى سنة ٣٤٦هـ .

(٣) د . محمد حمدى المناوى : نهر النيل ـ ص١٤٢ ـ ١٤٣ ، يذكر البكرى فى شفاء العليل ورقة ٨ - سطر ٥ ، ٦ ان النيل يتأثر فى زيادته بضوء القمر وظلمته .

تلك كانت اشارة لابد منها لتطور مستوى فيضان النيل وحدود القحط والاستبحار فيها حتى يتسنى لنا التعرف على الأسباب التى وقفت خلف المجاعات سواء أكان الفيضان أحدها أو غيره .

أما المجاعات التى وقعت فى مصر الاسلامية فتبدأ بالغلاء الذى وقع عام ٨٧هـ / ٧٠٦م ، ووالى مصر وقتها هو عبد الله بن عبد الملك بن مروان فتشاءم به الناس لأن ذلك كان أول غلاء وشدة رآها المسلمون بمصر (١) وزادها سوءاً أن الوالى الأموى كان قد زاد الخراج على المصريين ، حتى لم يجد الأقباط مخرجا لهم سوى هجرة الأرض فتشددت الحكومة فى مقاومة حركة الهجرة ، وأمر الوالى بوشم الغرباء على أيديهم وجباههم وارسالهم الى أماكن مختلفه (٢) .

كما حدث قحط وانخفاض فى فيضان النيل عام ١٢٤هـ/ ٧٤١ـ ٧٤٢م فى ولاية حفص بن الوليد الثانية ، فصلى صلاة الاستسقاء حتى يغيث الله الناس (٣) .

وكانت آخر أزمات العصر الاموى ما وقع من الغلاء لنقص الفيضان الشديد (١٢ ذراعا و ١٦ أصبعاً) فى ولاية يزيد بن حاتم المهلبى

---

(١) المقريزى : اغاثة الامة بكشف الغمه : دار ابن الوليد ـ حمص ـ سوريا ١٩٥٩ ـ ص ١٠ .

(٢) د . سيده الكاشف : الأرض والفلاح فى مصر الاسلامية ـ مقال ضمن كتاب الارض والفلاح ـ ص ١٩٦ .

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ـ ج ١ ص ٢٩١ .

سنة ٧٤٧هـ / ٧٦٤ـ ٧٦٥م فماجت الفسطاط بأهلها (١) ٠

اما فى العصر العباسى فقد وقعت مجاعة عام ١٩٠هـ / ٨٠٥ ـ ٨٠٦ م فى ولاية ابن الخصيب ، فثار الناس لارتفاع الأسعار وتجمعوا بالمسجد الجامع بالفسطاط ، وتصادف وقتها زيارة الشاعر العباسى أبى نواس لمصر فصعد إلى منبر الجامع وأنشد الثائرين :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتى ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

ولا تثبوا وثب السفاه فتركبوا ... على حد حامى الظهر غير ركوب

فان يك باق افك فرعون فيكم ... فان عصا موسى بكف خصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات البلاد شروب (٢)

ونقص الفيضان على عهد خمارويه بن أحمد بن طولون فارتفعت الأسعار بمصر وقراها ، (٣) ٠

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ ص ٣١٠

(٢) د ٠ محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٩ ـ ص ١٣٣٠

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٧٧ ـ ٧٨٠

الا أنه منذ تولى الاخشيديون حكم مصر ، لم تعد المجاعات ظاهرة متباعدة الحدوث ، مثلما كانت منذ الفتح الاسلامى وذلك بسبب اضطراب الاداة الادارية فتسارعت خطى الأزمات الاقتصادية وزاد عددها ، فعم البلاد عام ٣٢٩ هـ / ٤٠ - ٩٤١م غلاء عظيم واختفت السلع الغذائية من الأسواق ، وعز وجود الحبوب وخاصة القمح وتبع ذلك وباء شديد(١) .

ثم وقع الغلاء أيضا عام ٣٣٨هـ / ٩٤٩م، وأمير مصر يومها أبو القاسم انوجور بن الاخشيد ، فثارت الناس ، ومنعوه من صلاة العتمة فى جامع عمرو بن العاص (٢) .

ولأول مرة منذ الفتح العربى ،تورد المصادر التاريخية قصة مكررة للسنوات السبع العجاف ، وان زادت هذه المرة إلى تسع سنوات ، بدأت فى عام ٣٤١هـ / ٥٢ - ٩٥٣ م ،وكان سببها كثرة الفئران ، التى أكلت المحاصيل وأتلفت الكروم ، وتواكب ذلك مع انخفاض الفيضان فارتفعت الأسعار منذ شهر رمضان (٣) .

---

(١) د . سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين - دار النهضة العربية القاهرة ط ٢ - ١٩٧٠ ص ٣٦٢ .

(٢) المقريزى : اغاثة الامة . ص ١٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ١١ .

وظلت زيادة النيل طيلة هذه السنوات تقف عند الذراع الخامسة عشر ، وأربعة عشر أصبعا وحتى عام ٣٤٩هـ / ٦٠ - ٩٦١م ، واستمر بالتالى ارتفاع الأسعار(١) .

وبلغت هذه الأزمة أوجها فى سنة ٣٤٣هـ / ٥٤ - ٩٥٥م ، حتى أن القمح بلغ سعره كل ويبتين ونصف (٤٢ر٣٠ كجم) بدينار ، ثم اختفى القمح من الأسواق فثارت الناس وكسروا منبر جامع الفسطاط (٢) .

ولم تمض ثلاث سنوات على انتهاء هذه الازمة حتى تجددت الأزمة السابقة ولنفس المدة منذ عام ٣٥٢هـ / ٩٦٣م ، وسقطت الدولة الأخشيدية خلال هذه المجاعة وكان انخفاض فيضان النيل وراء بداية هذه الأزمة حيث لم يتعد خمسة عشر ذراعاً وأربع أصابع ، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار إلى ثلاثة أضعاف ، واختفى الخبز وبلغ سعر القمح دينارا للويبتين ومع تفاقم الأوضاع السيئة إقتحم الناس فى العام التالى الجامع العتيق بالفسطاط فى يوم جمعة وازدحموا عند المحراب حتى مات رجل وامرأه من شدة الزحام ولم تصل الجمعة يومئذ .(٣)

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور - ج١ - ص٤٣ .

(٢) المقريزى : اغاثة الامة ص١١ .

(٣) نفسه .

وازدادت حدة الغلاء عام ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م بسبب النقص الشديد للفضيان الذى لم يتجاوز ١٢ ذراعاً و ١٩ أصبعا . (١)

ولم يكن فيضان النيل هو العامل الأوحد الذى أدى إلى هذه المجاعة ، إذ ساعد على ذلك اضطراب أمور البلاد بسبب تهديدات الفاطميين والمغاربة بغزو مصر ، ثم قدوم القرمطى (٢) إلى الشام عام ٣٥٢هـ / ٩٦٣م ، وعجز المصريين عن دفعه عنها ، ثم غزو ملك النوبة الأسواق ووصوله إلى أخميم بالصعيد ، وإعماله السلب والنهب والاحراق فعظم اضطراب البلاد (٣) .

وزاد الطين بلة موت كافور الاخشيدى ، فاختلف الجند والامراء من بعده ، وحدثت من جراء ذلك فتن داخلية قتل فيها الكثير من الناس ونهبت الأسواق وارتفعت الأسعار حتى بيعت ويبة القمح بدينار

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور - ج ١ ص٤٤.

(٢) هو الحسن بن أحمد بن أبى سعيد القرمطى المعروف بالاعصم ، وهو من اتباع المذهب القاطعى بالبحرين الذين عرفوا بالقرامطة ، وكان قد قلب ظهر المجن للفاطميين بمساعدة بقايا الاخشيديين والحمدانيين وهاجم مصر. انظر
د. ماجد : ظهور خلافة الفاطميين - ص١١٥.

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص٣٢٦.

وبات الناس على تخوف وترقب لدخول الفاطميين إلى مصر (١). ونتيجة لاضطراب الأحوال لم يحج أحد من مصر عام ٣٥٧هـ سوى الامام واثنين معه (٢). ودفعت حالة الاضطراب هذه ببعض القواد إلى مراسلة المعز فى المغرب يستدعونه للقدوم إلى مصر (٣).

ولقد عجلت هذه السلسلة المتتابعة من المجاعات بسقوط الدولة الاخشيدية (٤). كما تركت آثارها على حركة العمران، ويكفى للدلالة على ذلك أن عدد القرى أصبح فى عام ٣٤٥هـ/٥٦ _ ٩٥٧م إبان ولاية أنوجور بن الاخشيد ٢٣٩٥ قرية بعد أن كان عددها فى العصر الأموى أكثر من عشرة آلاف قرية (٥).

---

(١) المقريزى : إغاثة الامة ص ١٢ _ ١٣.

(٢) ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم _ حيدر اباد الدكن ١٣٥٨هـ _ ج ٧ ص ٤٣.

(٣) مجهول : شرح اللمعة من أخبار المعز لدين الله وتسيير عساكره إلى مصر نسخه مصوره بالفوتستات من مخطوط بمكتبة الاسكوريال _ تاريخ نسخه ٩٣٠هـ _ مكتبة جامعة القاهره برقم ٤٠٢٢ _ ورقة ٢ (ب).

(٤) د. سيده الكاشف : الأرض والفلاح فى مصر الاسلامية ص ١٧٣، مصر فى عصر الاخشيديين ص ٣٦٢.

(٥) د. محمد حمدى المناوى : نهر النيل _ ص ١٧١.

الفصل الاول

المجاعات في العصر الفاطمي وأسبابها

لما كان من المتعارف عليه لدى المؤرخين أن حالة فيضان النيل نقصا أو زيادة ، تؤثر على حياة المصريين إن رخاء أو قحطا ، فانه من البديهى أن نحاول أولاً التعرف على حدود الفيضان النافعة والضارة إبان فترة الدراسة ، وقبل التعرض لأحداث المجاعات وتحليل أسبابها .

ورغم وجود المقاييس على النيل ، والمناداة اليومية على مقدار زيادة النيل ، مما يتيح لعامة الناس معرفة حد الوفاء ، الا أن الباحث يدهش أمام حجم التناقض الملحوظ فى كتابات المؤرخين بهذا الشأن .

فاذا كان من المتفق عليه بين معظم المؤرخين أن حد الوفاء عند الفتح الاسلامى كان هو الستة عشر ذراعا ، والتى كانت تكفى لزراعة أرض مصر ، ويفيض من الغلات ما يكفى لسنتين كما يذكر المقريزى نقلا عن القضاعى [(١)] (ت٠ ٤٥٤هـ) ، فانه ومنذ منتصف القرن الرابع الهجرى تقريبا ، نجد اختلافاً واضحاً فيما ذكر عن حدود الوفاء ، وما يتطرق اليه الحديث عند سرد أحداث المجاعات ومستوى الفيضان وقتها .

فعلى حين يذكر المسعودى أن ١٦ ذراعا تكفى لزراعة ثلاثة أرباع أرض مصر ، وان ١٧ ذراعا فيها كامل النفع ، وأن ١٨ ذراعا تؤدى إلى الاستبحار وتلف مراعى الماشية [(٢)] ، نجد أن المقريزى عند تعرضه

---

(١) المقريزى : الخطط ـ ج ١ ص٥٩ ، القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص٢١١ ـ ٢١٢ .

للمجاعة التى حدثت عام ٣٥٤هـ/٩٦٥ م بسبب نقص الفيضان ، يشير الى أن مبلغ الزيادة كان ستة عشر ذراعا وأصابع [(١)]. وفى هذا الصدد فان د. المناوى رجح ما ذكره المسعودى بحكم قربه من هذا التاريخ إذ انتهى من وضع كتابه حوالى عام ٣٣٢هـ / ٤٣ ـ ٩٤٤م [(٢)]. غير أن الأمـــر فى حاجة إلى أكثر من ترجيح رأى على آخر استنادا إلى عامل الزمـــن فقط ، ونود أن نلفت النظر ها هنا إلى أمور هامة :ـ

١ـ ان حد الوفاء كان يتغير بتقادم الزمن بسبب ترسبات الطمى الـــذى يجلبه الفيضان ، مما يؤدى إلى ارتفاع منسوب التربة ، وان كـــان هذا التغير الطبيعى يتسم بالبطء ، نظرا لوجود ترسبات طينيـــة أيضا فى مجرى النهر ، الأمر الذى يعنى ارتفاع منسوب النهر بالتالى.

٢ـ أن هذا الحد كان شديد التأثر بحالة الجسور والترع ، ومدى أهتمام الحكومات بمشروعات الرى ، فاذا ما وضعنا فى الحسبان حالة الاضطراب التى سادت مصر منذ سقوط الدولة الطولونية سنة ٢٩٢ هـ/٤ ـ٩٠٥م ودوام نزاعات الجند ، وتوالى الأزمات الاقتصادية ، فى مدة حكـــم الاخشيديين ، لأمكننا القول بأن تدهورا قد طرأ على حد الوفـــاء نتيجة لأهمال مشروعات الرى ، الا أن هذا التدهور لم يكن ليعنـــى أن ١٦ ذراعا هو حد المجاعة والقحط خاصة وان النيل كان يصـــل

---

(١) المقريزى : اغاثة الامـة ص١٢.

(٢) د. محمد حمدى المناوى : المرجع السابق ص١٦٨ هاش (٤).

إلى هذا الحد فى سنوات لاحقه ولم تحدث مجاعات .

٣- ان ثمه ملاحظة جديرة بالالتفات ، أبداها المقريزى فى معرض حديثه عن المجاعة التى روعت البلاد عام ٧٩٦هـ / ٩٣ - ١٣٩٤م إذ ذكر أن عادة بلاد مصر منذ الزمن القديم ، إذا تأخر جرى النيل بها أن يمتد الغلاء سنتين"(١) . وفسر ذلك بأن السنة الأولى تقل الغلال فيها ، ويزداد الطلب عليها ، فإذا ما وفى النيل فى العام التالى ، كانت الحاجة ماسة إلى الحبوب لبذرها ، فيزداد ارتفاع أسعارها . وعلى ضوء ذلك يمكن فهم سبب هذه المجاعة التى وقعت عام ٣٥٤هـ / ٩٦٥م - رغم بلوغ النيل ١٦ ذراعا حسب المقريزى و ١٦ ذراعا و ١٥ أصبعا حسب "أبو المحاسن" - على أنها استمرار للمجاعة التى شملت البلاد منذ ٣٥٢ هـ / ٩٦٣م ، حيث بلغت الزيادة فى سنة ٣٥٣هـ خمسة عشر ذراعا وأربع أصابع (٢) . أما إذا صح ما ذكره ابن ايبك الدوادارى عن ارتفاع الفيضان (١٦ ذراعا و ١٥ أصبعا عام ٣٥٣هـ و ١٤ ذراعا و ١٩ أصبعا عام ٣٥٤هـ) فان مجاعة عام ٣٥٤هـ يكون سببها هو نقص الفيضان ، بينما ينطبق التفسير الذى أورده المقريزى على مجاعة سنة ٣٥٣هـ / ٩٦٤م .

---

(١) المقريزى : اغاثة الامة ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١١ .

ومهما يكن من أمر ، فقد أصبح واضحا ان ١٦ ذراعا لم تعد كافية لزراعة جميع أراضى مصر ، حسبما ذكر المسعودى وحسبما تؤكد الروايات التاريخية ، وذلك قبيل العصر الفاطمى وان كانت لا تعنى القحط .

أما فى العصر الفاطمى فان التوصل إلى معرفة يقينية لحد الوفاء يعد أمرا مشوبا بالمخاطر ، فعلى حين يؤكد المقريزى ان زيادة النيل النافعة هى ١٦ ذراعا إلى ما بعد سنة ٥٠٠هـ ، وان زيادة ١٧ ذراعا تزيد خراج مصر ١٠٠٫٠٠٠ دينار لما يروى من الأراضى العالية [1] ، يشير هو نفسه إلى استمرار الغلاء أعوام ٣٥٨هـ ، ٣٥٩ هـ ٣٦٠هـ ، والتى بلغ النيل خلالها ١٦ ذراعا و ٢٠ أصبعا ، ١٧ ذراعا ٢١ أصبعا ، ١٧ ذراعا ، و ٢١ أصبعا ، على التوالى ، وان الأسعار انخفضت وأخصبت الأرض وحصل الرخاء عام ٣٦١هـ / ٧١ ـ ٩٧٢م ، على الرغم من أن النيل بلغ ١٧ ذراعا وأربع أصابع [2] . واذا أمكن القول بأن سبب هذه المجاعات يعود إلى أضطراب البلاد عند الفتح الفاطمى ، فان المقريزى يقرر صراحة ان المجاعة التى وقعت عام ٣٨٧هـ / ٩٩٧م سببها نقص الفيضان الذى بلغ ١٦ ذراعا وأصابع [3] (٧ ، ١٦ حسب الجدول

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٦٠ ـ ٦١ .
(٢) المقريزى : اغاثه الامة ص ١٣ .
(٣) نفسه .

المرفق) . ثم يزيد ناصر خسرو، الذى زار مصر خلال أعوام ٤٣٩ ـ ٤٤٢هـ، الأمر تعقيدا ، فيذكر أن الزيادة المعهودة هى ١٨ ذراعا وأنه كلما قلت الزيادة عن ذلك قيل ان النيل ناقص [١] وعلى النقيض من ذلك تماما ، وقعت المجاعة عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ ـ ١١٣٨م بسبب توقف النيل [٢] الذى بلغ فى هذه السنة ١٨ ذراعا و ١٢ أصبعا [٣] ، او ١٧ ذراعا و ٣ أصابع طبقا لابن ايبك . كما أنه "حصل غرق نجم عنه تلف" عام ٥٥٩ هـ [٤]، وزيادة النيل ١٨ ذراعا و ١٠ أصابع (أو ٨ أصابع) وسنلحظ خلال هذا البحث أن بعض المجاعات ، وقعت والزيادة تخطت الذراع السادسة عشر ، بأصابع بل والذراع السابعة عشر ، فى حين أن زيادة النيل قلت عن ذلك فى سنوات كثيرة ولم تحدث المجاعة (انظر ملحق فيضان النيل) . ومن استقراء بيانات الفيضانات الوارده بالملحق يمكن الجزم بأن حد القحط خلال العصر الفاطمى كان مادون الذراع الخامسة عشر، وكان هذا الحد عند الفتح العربى ١٢ ذراعا . فزيادة النيل لم تصل الى مادون ١٥ ذراعا الاثلاث مرات ابان حكم الفاطميين لمصر ، فى

---

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ـ ترجمة وتعليق د . يحيى الخشاب ـ لجنة التأليف والترجمة ـ القاهره ـ ١٩٤٥ ـ ص٤٢ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمه الفاطميين الخلفا ـ تحقيق د . محمد حلمى محمد ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ . ج ٣ ص١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص٢٦٣ .

(٤) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ـ النهضة المصرية ـ القاهره ١٩٤٨ ـ ص٣٧٠ .

سنوات ٣٩٧هـ/ ٦ ـ ١٠٠٧م ، ٣٩٨هـ/ ٧ ـ ١٠٠٨م ، و ٤١٤ هـ / ٢٣-١٠٢٤ م ، وجميعها كانت سنوات مجاعة . وفيما عدا ذلك فان زيادة ما بعد ١٥ ذراعا ولو بأصبع واحد كافيه لعدم قحط البلاد (٥٥٤هـ) ، كما أنه من الوارد حدوث المجاعات حتى ولو وصلت الزيادة إلى قريب من ١٨ ذراعا . ومغزى ذلك أنه بعد ١٥ ذراعا لم يكن هناك حد قاطع ومحدد لفيضان النيل تحدث معه المجاعة ، وإن هذا الحد كان متذبذبا ، متأثرا في ذلك بحالة الدولة المركزية ، التي كان بامكانها -إن استطاعت ـ أن تعبر بالبلاد الأزمة رغم الانخفاض النسبي للفيضان ، أو تعجز عن منع الامور من الانحدار مع شمول الري لمعظم الأراضي .

الا ان ذلك لا يعفى من محاولة الوصول إلى حد موضوعي لوفاء النيل يمكن معه الفصل فيما اذا كان سبب المجاعة هو النيل أم عامل آخر . ويبدو أن الحد الذي اعتبرته الحكومة كافيا لتحصيل الخراج هو ١٦ ذراعا ، حيث كان يتم الاحتفال بوفاء النيل عنده حسبما نقل المقريزي (١) عن ابن الطوير .

الا انه من الملاحظ ان الاحتفال بوفاء النيل ظل يتم عند بلوغ الذراع السادسة عشر حتى العصر المملوكي ، رغم أن ذلك الحد لم يعد كافيا

---

(١) المقريزي : الخطط ـ ج ١ ص ٤٧٦ . وقد أورد القلقشندي سجلا من انشاء ابن الصيرفي يؤكد فيه أن ١٦ ذراعا هي حد الوفاء ـ القلقشندي : صبح الاعشى ـ ج ٨ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

لزراع الأرض وقتها ، وكان يحتفل بالوفاء ، فقط لكون ذلك " قانون الرى فى القديم "(١) ولذا فليس بالامكان الاعتداد بهذا الحد ،طالما أصبح الاحتفال بوفاء النيل عنده مسألة تراثية لاعلاقة لها بالواقع.

فى ضوء ملحق فيضان النيل ، وروايات المؤرخين يمكن ترتيب حدود الوفاء على النحو التالى : -

١- الستة عشر ذراعا كانت تكفى لزراعة بعض الأراضى ودرء خطر المجاعة عن البلاد ، وليس هناك خطر محقق إذ بلغت الزيادة ١٥ ذراعا .

٢- السبعة عشر ذراعا ، أصبحت كافية فقط لزراعة معظم الأراضى وليس كلها .

٣- ان حد الوفاء الذى يكفى لزراعة جميع الأراضى ويمكن معه الوفاء بالخراج دون عنت كان ١٨ ذراعا ، وذلك منذ منتصف القرن ٥هـ / ١١م على الأقل.

ومعنى ذلك أن حدود النيل عند الفتح العربى زادت بمقدار ذراعين تقريبا خلال العصر الفاطمى . وقبل الدخول فى سرد أحداث المجاعات التى مرت بمصر الفاطمية نشير إلى أنه برغم مرور البلاد بفترات من الفوضى والاضطراب وخاصة فى خلافة المستنصر بالله . فان مصر شهدت اهتماما لابأس به بمشروعات الرى والزراعة ، فتدل وثائق الجنيزة

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص٥٥ .

اليهودية Geniza على وجود ادارة خاصة تشرف على أمور الزراعة بالبلاد (١). كما وان الكتابات التاريخية تفيد بأن ثلث خراج البلاد كان يرصد لعمارة جسور أراضى مصر (٢). والجسور المعنية هنا هى الجسور السلطانية التى توجد فى شرق وغرب الدلتا ، أما الجسور البلدية وهى التى تنتفع بها جهات محلية دون أخرى ، فكان يتولى صيانتها الملاك والمتقبلون على أن تخصم تكاليف ذلك من الخراج الذى يؤدونه للدولة (٣). وشهدت عهود استقرار الحكم المركزى اهتماما بمشروعات الرى ، مثل تطهير خليج الاسكندرية بعد ان طم تقريبا وخاصة فى قسمه الأول عند خروجه من فرع رشيد وبلغت تكاليف ذلك فى سنة ٤٠٤هـ/١٣-١٠١٤م ، ١٥ ألف دينار ، واستفادت منه القرى الواقعه فى غرب الدلتا فضلا عن تسهيل الملاحه (٤). وحفر فى عهد الأفضل بن أمير الجيوش عام ٥٠٦هـ/ ١٢ - ١١١٣م الخليج المعروف بخليج أبى المنجا لضمان رى أراضى البلاد الشرقيه فى كل الأحوال . (٥).

---

(١) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصاديه - ص١٠٥.
(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص٦١.
(٣) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص٦٥.
(٤) المرجع نفسه ص١٠٣
(٥) المقريزى : الخطط ج١ ص٧١ - ٧٢ ، د . راشد البراوى : المرجع السابق ص١٠٤ وهامش (٤) ويبد و أن هذا الخليج كان قديما وطم ثم أعيد حفره إذ يرجع القلقشندى هذا الخليج إلى أحد ملوك مصر بعد الطوفان القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص٣٠٥.

مجاعات العصر الفاطمي :

قام الفاطميون منذ استقرارهم فى أفريقيه وتاسيس دولتهم بتوجيه خمس حملات للاستيلاء على مصر ، حققت أربع منها نجاحات محدودة فى فرض سيطرتهم على بعض النواحى الواقعة فى غرب مصر مثل الاسكندرية والفيوم والجيزه (١) . ولم يكتب النجاح الا للحملة الخامسة التى أرسلت عام ٣٥٨ هـ/ ٩٦٩م بقيادة جوهر الصقلى (٢) ، وكانت مصر وقتها تعانى من قحط ووباء بدأ عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢م مما أدى إلى وفاة الكثيرين حتى عجز الناس عن تكفين الموتى فألقوا بجثثهم فى النيل وترتب على ذلك اشتداد الغلاء وندرة القمح وانتشار أعمال السلب والنهب (٣) ، ولم يصبح فى البلاد قوة مادية أو معنوية من جانب شعبها الذى أنهكه الجوع والمرض (٤) ، وكان وصول أخبار هذه الاحداث المؤسفة -التى زادها سوءا موت كافور الإخشيدى وتفرق جنده - كافيا لشحذ همة المعز لدين

---

(١) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافه الفاطميين وسقوطها فى مصر - دار المعارف الاسكندرية ١٩٦٨ - ص ٩٦ - ١٠٠ .

(٢) أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - مكتبه القدس - القاهرة ١٣٥٠ هـ - ج ٣ - ص ٢٦ .

(٣) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية المطبعة الاميرية - القاهرة ١٩٣٢م - ص ٩٥ - ٩٦ ، وكان فى بغداد غلاء ذريع حتى بيع الكر من الدقيق بتسعين دينارا انظر:
ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ٤٧ .

(٤) د . أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى - مطبعه شباب الجامعة - الاسكندرية ١٩٨٢ - ص ٢٤٨ .

الله ليهتبل هذه الفرصة ويستولى على مصر (١)، خاصة بعد ان كاتبه أعيان مصر يدعونه لدخولها بسبب طمع الجند فى أهل القرى (٢). ويبدو أن المصريين وجدوا فى الفاطميين منقذهم من الحالة التى تردت اليها البلاد فدخل الجيش الفاطمى الذى بلغ مائة ألف مقاتل مصر "فى يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، فهرب أصحاب كافور وأخذ جوهر مصر بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة" (٣).

---

(١) ابو الفدا، اسماعيل بن عمر بن كثير : البداية والنهاية - مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٨ - ج ١١ - ص٢٢٦، ابن الاثير على بن ابى الكرم محمد بن محمد : الكامل فى التاريخ - تعليق عبد الوهاب النجار دار الطباعة المنيرية - مصر ١٣٥٣ هـ - ج ٧ ص ٣١، ابن سعيد الأندلسى المغرب فى حلى المغرب : تحقيق د. زكى حسن (وآخرون) : مطبعة جامعة فؤاد الأول - ١٩٣٥ - ج ١ ص ٢٠١.

(٢) عبد الله الشرقاوى : تحفه الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين مصر ١٩٢٢ ص٣٣.

(٣) السيوطى : حسن المحاضره - ج ٢ ص ١١، شمس الدين الذهبى : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام - مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ٤٢ تاريخ مجلد ١٦ ص ٩٩ حوادث عام ٣٥٨ هـ.

ومن الواضح الجلى ان انخفاض النيل لم يكن مبررا لحالة القحط التى سادت للبلاد فى عام الفتح الفاطمى ، فالفيضان كان قد وصل فى أقل التقديرات إلى ١٦ ذراعا و ٢٠ أصبعا ، وهو حد لا يعنى القحط كما أسلفنا ، ولذا فانه على وجه الترجيح ، يمكن ارجاع المجاعة والغلاء إلى اضطراب الأحوال ، ومنازعات فرق الجند ، مما أفضى إلى ارتفاع الاسعار حتى بلغ سعر القمح تسعة أقداح بدينار (١). بل ان ضعف الادارة المركزية ، أدى إلى سوء عيار السكة الاخشيدية وانتشار الغش فيها كما يتضح من خطاب الأمان الذى أعطاه جوهر الصقلى للمصريين عند دخوله مصر (٢)، والذى وعد فيه بارخاص الاسعار ، واقرار الأمن وتجويد عيار السكة . ولكن اقرار النظام ، وضمان زراعة الأرض ، واكمال استعادة الادارة المركزية لكافة صلاحياتها ، لم يكن ليتم بين ليلة وضحاها ، إذ استغرق ذلك ثلاث سنوات تقريبا حاول خلالها جوهر الضرب بشدة على أيدى التجار والطحانين الذين استغلوا حالة الفوضى فى محاولة الاثراء من ورائها . ففى ذى القعده

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا - تحقيق د . جمال الدين الشيال - القاهره ١٩٤٨ - ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر - ص ١٠٨ .

عام ٣٥٩هـ / ٩٧٠م قام سليمان بن عزه المغربى ، الذى تولى الحسبة (١) عوضاً عن أبى جعفر الذى توفى فى ربيع الآخر ، باتخاذ بعض الاجراءات لمواجهة ارتفاع الأسعار ، فضبط ساحل بولاق حيث ترد الغلة فى المراكب، وجمع تجار القمح وسماسرة الغلال فى موضع واحد ، وسد الطرق الا طريقا واحدا يتم منه خروج القمح تحت اشرافه وحضوره (٢) ، ثم قام بضرب احد عشر طحانا وشهرهم (٣) ، ويبدو انهم حاولوا تخزين بعض الدقيق لبيعه بثمن مرتفع ،ويمكن أن نضيف إلى جانب عامل الاحتكار الذى يتسبب فى ارتفاع الأسعار ، اختلال الأمن وانتشار السلب والنهب الذى كان متفشيا فى بدايه خلافه المعز بمصر (٤) .

---

(١) يقصد بالحسبة والاحتساب - شرعاً - الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهى عن المنكر إذا ظهر فعله ، أى محاولة جعل الحياة السائرة موافقة لاحكام الشريعه ، وفى مصطلح التاريخ يقصد بالحسبة الوظيفة التى تراقب تنفيذ احكام الشريعه فيما هو حادث فعلا فى المجتمع الاسلامى على اختلاف طبقاته - أنظر:
د . السيد الباز العرينى : الحسبة والمحتسبون فى مصر - مقال بالمجلة التاريخيه المصرية. القاهره ١٩٥٣ - مجلد ٣ العدد ٢ ص ١٥٧. والحسبة عند الشيعة تدخل فى عموم واجبات الامام بسبب كونها خدمة دينية وكان الامام يستخلف فيها من يراه اهلاً لها أنظر : د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر . الانجلو المصرية - القاهره - ١٩٧٣ - ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢. وقد كان للمحتسب منزلة رفيعة فى العصر الفاطمى فكان يقوم بتعيين نوابه بالقاهرة وجميع الاعمال ولايحال بينه وبين مصلحة إرادها وكانت تضاف الحسبة بمصر والقاهره الى صاحب الشرطة بهما أحيانا أنظر : القلقشندى صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٨٦ .

(٢) د . احمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا - ج ١ ص ٧٢ ، ٩٩ ، ١.

(٤) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة مصر - المطبعة المدرسية باكسفورد ١٨٩٥. ص ٨٤ .

وبلغت الضائقة الاقتصادية ذروتها عام ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ ـ ٩٧١م (١) ويرجع ذلك إلى استمرار تفشى الأمراض والأوبئة ، التى اشتدت بالقاهرة من المحرم ، مما دفع جوهرا إلى منع بيع الشواء مسموطا ، وأمر بان يسلخ من جلده كاجراء وقائى (٢) . ويلاحظ ارتباط المجاعات بانتشار الأوبئة وخاصة وباء الطاعون الذى يودى بحياة الكثيرين ، فيلحق ذلك الضرر بالأيدى العاملة فى الزراعة ، إما لموت البعض ، أو لهجرة آخرين لمواطن الداء ، فتصبح الأرض ولا تجد من يزرعها . (٣) . ومن العوامل التى تساعد على تفشى الأوبئة ازدحام البيوت بالسكان ، وخاصة فى الفسطاط ، التى تتكون بعض الدور فيها من سبع طبقات ، "وربما يسكن فى الدار المائتان من الناس" (٤) فإذا أضيف إلى ذلك العادات غير الصحية التى كان يتبعها السكان من أن يرموا بما يموت من القطط والكلاب فى الشوارع والنيل ومصادر مياه الشرب فيشربون هذه العفونة ، المختلطة بالماء ، فضلا عن تعذر دفن الموتى فى حالة

---

(١) المقريزى : اغاثه الامة ص١٣ .
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ـ ج ١ ص ١٧٩ .
(٣) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصاديه ـ ص ٨٠ ـ ٨٢ .
(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٤١ .

تفش الأوبئه والمجاعات مما يؤدى إلى انتشار الميكروب وبقائه لفترة طويله بالبلاد لتاخر وسائل الطب الوقائي [١]، لعرفنا مدى فداحة الخسائر التى كانت تقع بيبين صفوف السكان ، حتى أن المقريزى يذكر أنه لما سقطت الدولة الاخشيدية واختل حال مصر بتوالى الغلاء وتواتر الأوبئه والفناء " حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز " بسبب تدهور حالة الفسطاط وموت معظم سكانها. [٢]

ولا يمكن اغفال دور التهديد بالغزو الخارجى فى ارتفاع الأسعار إذ قام القرامطه بغزو الشام ونجحوا فى هزيمة الجيش الفاطمى بدمشق عام ٣٦٠ هـ / ٧٠ - ٩٧١م ، بل وحاصروا القاهرة وانهزموا عنها عام ٣٦١هـ/ ٧١ - ٩٧٢م. [٣]

ومهما يكن من أمر فقد وضعت هذه المجاعة أوزارها عام ٣٦١هـ ، التى انخفضت فيها الأسعار واخصبت الأرض وحصل الرخاء [٤]. وذلك كنتيجة طبيعية لاستقرار أمور الحكومة الجديدة ، ونجاحها فى القضاء على الأخطار الخارجية ، ونشر الأمن فى ربوع البلاد ، مما ضمن زراعة معظم الأراضى ، ولا يعتقد ان هناك ثمه علاقه بين هذا الرخاء وحالة الفيضان ، الذى كان فى هذا العام ١٧ ذراعا و٤ أصابع ، أى أقل

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ، د. راشد البراوى: المرجع السابق ص ٨٠.

(٢) المقريزى : المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٩.

(٣) د. عبد المنعم ماجد : ظهور خلافه الفاطميين ص ١١٥.

(٤) المقريزى : اغاثة الأمه ص ١٣.

من فيضان العام السابق بأصابع .

وبانتهاء هذه المجاعة كان الخليفة المعز لدين الله قد وعى وشكل على ، الدرس ،الذى عرفه من قبل عمرو بن العاص والخليفة عمر بن الخطاب ، الا وهو الارتباط بين الاحتكار التجارى واستشعار الناس انخفاض زيادة النيل ، من خلال المناداة اليوميه على مقدار الزيادة إبان موسم الفيضان ، فأمر الخليفة فى شوال سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م بمنع المناداة على زيادة النيل ، وبأن لا يكتب بذلك إلا إليه ، وإلى القائد جوهر، وأن يباح النداء عند بلوغ النيل حد الوفاء الرسمى - وهو الستة عشر ذراعا (١).

بيد أن ذلك الاجراء فيما يظهر ، لم يستمر طويلاً ، إذ يشير ناصر خسرو إلى استمرار نظام المناداة اليوميه على زيادة النيل خلال زيارته لمصر. (٢)

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ١ ص١٩١ ، الخطط ج ١ ص ٦١ ، ويذكر القلقشندى أنه كان يؤخذ المقياس وتكتب به رقعه للخليفة وللوزير ثم ينزل بديوان الرسائل فى مسير معدله فى الديوان ويستمر الحال على ذلك فى كل يوم ترفع رقعه إلى ديوان الانشاء بالزيادة لا يطلع عليها غير الخليفة والوزير وأمره مكتوم إلى أن يبقى من ذراع الوفاء (١٦ ذراعا) أصبع أو أصبعان - صبح الأعشى ج ٣ ص٥١٦ .

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص٤٢ .

شهدت خلافه الحاكم بأمر اللـه (٣٨٦ ـ ٤١١هـ / ٩٩٦ـ ١٠٢٠م) سلسلـة من المجاعات ،استغرقت نحو نصف سنى حكمه التى قاربت الربـع قـرن • ولا شك أن هذه الكوارث قد وضعته فى موقف لا يحسد عليـه اذ أصبح لزاما عليه أن يحارب فى أكثر من جبهة ، فقد اعتلى الحاكـم كرسى الخلافـة وهو فى الحاديـة عشر ،و ٥ أشهر وستة أيام [١] ، طفـلا تسعى أكثر من قوة للسيطرة عليه وعلى مقاليـد الأمور بالبلاد ، فنشبـت المنازعات بين البربر والاتراك [٢]• وقد نجح الحاكم بعد أربع سنـوا ت من وصايـة برجوان عليه أن يمتلك زمام الأمور فى البلاد كخليفـة قـوى. [٣] وبعد ذلك كان عليه أن يواجه غزوا خارجيا جاء من الغرب بقيادة الثائـر أبى ركوة [٤] وخطر الأوبئـه الفتاكـه والمجاعات ، وقبل ذلك وبعـــده المنازعات التى دارت داخل البيت الخليفى للحد من نفوذه المطلق ، تلـك

---

(١) Wustenfeld (J). Geschichte Fatimiden Choliben. Aus dem 26 und 27 Bande der Abhandlungen der Königlichen Geselschaft der Wisse enschaften Zu Göttingen - Göttingen 1881 - S. 165.

(٢) د • عبد المنعم ماجد : ظهور خلافـه الفاطميين ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ •

(٣) ستانلى لينبول : سيرة القاهرة ـ ترجمة د • حسن ابراهيم ، د • على ابراهيم حسن ـ النهضه المصرية القاهره ١٩٥٠ ـ ١٣٤.

(٤) الذهبـــــى : تاريخ الإســلام مجلد ١٦ص ١٣٢ ـ ١٣٣•

المنازعات والمؤامرات التى أودت فى النهاية بحياته بتدبير أخته ست الملك.[1] فضلا عن بعض المشاكل المتعلقة بالدعوة الفاطمية ، ومحاولات البعض إلصاق الألوهية به[2]. ورغم أن التاريخ حافل بشخصيات كثيرة أهضمها المؤرخون حقها وأساؤا فهمها - عمداً فى معظم الأحوال - إلا أن شخصية الحاكم فاقت كل هذه الشخصيات فى مقدار الظلم الفادح الذى وقع بحقها.

فكتابات المؤرخين السنة ، وكذا أهل الذمه رمته بالشذوذ والجنون إلى حد وصفه بأنه كان شر خليفة ، لم يل مصر فرعون شر منه[3] ، ولم يسلم الحاكم من كتابات كثيرة معاصرة ، حتى من قبل الكتاب الأجانب الذين دخلوا حلبة إدانته اعتماداً على المصادر التاريخية دون تمحيص أو نقد.[4]

---

(١) ابو الفدا : البدايه والنهايه ج ١٢ ص ١٠.

(٢) د. عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٩ - ص ١١٥.

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول - بيروت ١٨٩٠ - ص ٣١٣.

(٤) لينبول : سيرة القاهرة - ص ١٣٤ - ١٣٥ ،
Brocklmann (Carl): History of the Islamic Peoples. London and Henley - 1980 - P. 160.

ولما لم يكن مجالنا هنا تبرئة ساحة الحاكم[1]، فاننا سنقتصر على سرد مايخص موضوع المجاعات فى عهده ، حيث أثبت بتصرفاته واجراءاته مع كل ما واجهه من صعاب ، أنه كان أنضج وعيا ، واكثر عبقرية من غيره من الخلفاء الذين لم يتهموا بالجنون .

فعندما توقف النيل عن الزيادة فى عهده ، وقيل له ان هذا من فعل الأحباش الذين غيروا مجرى النيل ، أمر بطرك النصارى أن يتوجه إلى الحبشة ، فذهب وعرض على النجاشى ما وقع بالبلاد من ضرر ، "فأمر ملك الحبشه بفتح سد عندهم يجرى منه إلى مصر ماء النيل لأجل أن البطرك قدم عليه ، فزاد النيل فى تلك السنة زيادة قوية حتى أوفى"[2]،

لم يقنع الحاكم بهذا الحل ، الذى يضعه تحت رحمة ملك الحبشه المسيحى ، وأظنه لم يصدق ما ذكر عن وجود سد عندهم يحجب الماء عن مصر ، ولا يستبعد أن تكون هذه الرواية التى يكثر تكرارها فى سنوات مختلفه ، محاولة لتدعيم مركز القبط فى مصر ، خاصة مع ما عرف عن الحاكم من تشدد مع أهل الذمة ، وظلت ظاهرة انخفاض الفيضان تستحوذ على

---

(١) أنظر : د . عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله الخليفه المفترى عليه .

(٢) ايمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة من أخبار مصر للمسبحى - مستخرج من حوليات اسلامية - المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقيه - القاهرة ١٩٨١ - مجلد ١٧ - ص ٣٢ .

اهتمام الحاكم حتى سمع عن أبى على بن الحسين بن الهيثم [١]، الذى نبغ فى الهندسة ، وأنه قال لو كنت فى مصر لعملت فى نيلها عملا يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فأرسل فى طلبه من العراق ، وأكرم وفادته وسير معه جماعة من الصناع فى طول الاقليم المصرى حتى وصل إلى أسوان ، لكنه اعتذر عن عجزه القيام بشئ بسبب طبيعة أرض اسوان الجرانيتية ، فأبقاه الحاكم معززا مكرما . [٢]

وفى هذا الصدد ، يذكر ابن ابى أصيبعة أن همته انكسرت لما رأى اثار قدماء المصريين وعظمتها ، مع انهم لم يفعلوا شيئا للنيل، فأيقن عجزه ، وأنه خشى على نفسه من الحاكم فادعى الجنون حتى توفى الخليفه ، فعاد للحياة الطبيعية ، كناسخ لبعض الكتب الطبية ليقتات منها. [٣] وربما لو كان النجاح قد صادف ابن الهيثم والحاكم ، لتغيرت كثيرا معالم وجه تاريخ مصر الاسلامية ، بل والعالم الاسلامى بأسره .

---

(١) ابن ابى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ـ شرح وتحقيق د . رضا نزار رضا ـ مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٦٥ ـ ترجمة ابن الهيثم ص ٥٥٠ ـ ٥٦٠ وانظر أيضا : أحمد تيمور : المهندسون فى العصر الاسلامى القاهرة ١٩٧٩ ـ ص ٢٨ ـ ٣٠ .

(٢) د . ماجد : الحاكم بامر الله ، ص ٦٤ ـ ٦٥ ، أمرأة مصرية تتزعم مظاهرة فى عهد الخليفه المستنصر بالله ـ المجلة التاريخية المصرية ـ القاهرة ١٩٧٧ ـ المجلد ٢٤ ـ ص ٣٤ ـ ٣٥ .

(٣) ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء ـ ص ٥٥١ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ـ ص ٣١٦ ـ ٣١٨ .

لم يفت فى عضد الحاكم فشله ابن الهيثم فى معالجة أمر الفيضان ، فلجأ إلى الاجراءات الوقائيـة اعتمادا على قوة السلطة المركزية وهيبتـه كرأس لهذه السلطـه .

ولما كان احتكار التجار للغلال ، وتلاعبهم بالأسعار سببا رئيسيـا وراء المجاعات ، فقد عمد إلى اقامة سعر لكل شئ ، لاسيما الحبـوب والمبيعات ، واستخدام وسائلـه الخاصـه فى منع تخزين الأقوات ، فضـرب جماعة بالسوط ، وشهرهم ، وأمر الا يباع القمح الا للطحانين للقضـاء على الوسطاء ، كما كان يفاجئ مخازن الغلال والبيوت للبحث عن القمح ويفرقـه على الطحانين بالسعر الرسمى . (١).

ولأهمية الحسبة ومراقبـه الأسواق ، كان الحاكم يقوم بنفسه بمهـام المحتسب ، فيدور فى الأسواق ممتطيا حماره ، وتذكر المصادر السنيـة أن من وجده قد غش فى معيشـة ، أمر عبدا أسود معه يقال له مسعـود أن يفعل به الفاحشة العظمى(٢). ويرجع اهتمام الخليفه بالحسبة إلـى

---

(١) د . ماجد : الحاكم بأمر الله ص ٦٤ . وعقوبة التعزير عقوبة إسلاميـة تشمل حقوق الله على الناس ودائرة حقوق البشر بعضهم على بعـض شاخت وبوزورث : تراث الاسلام ـ ترجمة د . حسين مؤنس واحسان صدقـى أحمد ـ عالم المعرفـه الكويت ديسمبر ١٩٧٨ القسم الثالث ص ٢٢ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضره ج ٢ ص ٢١٣ أبو الفدا : البداية والنهايـة ج ١٢ ص ٩ .

أنـه اعتبرها فى عموم واجبات الإمام ، بناء على ما نقل عن على بن ابـى طالب من قول النبى صلى الله عليه وسلم له " ياعلى مر بالمعروف ، وانـه عن المنكر" (١) . ولذا نجده عندما ولى حسبة القاهره ومصر والجيزة لقائـد القواد ومتولى الشرطتين (القاهره ومصر) المعروف بغبن (٢) عام ٤٠٢هـ/١٠١٢م يشدد فى سجل التعيين على ضرورة مراعاة واجبات وظيفتـه . (٣) . ويبـدو ان الحاكم اعتبر غبنا مسئولا عن ارتفاع الأسعار وتكالب الناس على الخبـز عام ٤٠٣هـ / ١٠١٢م (٤) ، طالما كان ذلك يدخل ضمن واجبـات المحتسب فعزلـه من منصبه فى نفس العام وأمر بقطع احدى يديه ، وأعقبهـا بالأخرى ثم بلسانه حتى توفى . وعلل ذلك بأن غبن كان متورطا فى خصومـة الحاكم مع أخته ست الملك ، أو بانه أخفـى عن الحاكم بعض الشكاوى الموجهة بحق غبن (٥) . ويبدو الاحتمال الثانى أكثر ترجيحا ، حيث تم عزل غبـن

---

(١) د . ماجد : الحاكم بأمر الله ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) عرف غبن ايضا بلقب استاذ الاستاذين انظر : د . حسن الباشا : الفنـون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية - القاهره ١٩٦٥ ج ١ ص ٦٣ .

(٣) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهره - تاريخها . فنونها - آثارهـا مؤسسـه الاهرام - القاهره ١٩٧٠ ص ٥٢١ .

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمه الفاطميين الخلفا - تحقيـق د . محمد حلمى محمد احمد - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - القاهـرة ١٩٧٠ - ج ٢ ص ٩٣ ، الخطط ج ٢ ص ٨٧ .

(٥) د . حسن الباشا : المرجع السابق ص ٥٢٢ .

وعقابه اثناء ارتفاع الاسعار ، ويحتمل ان تكون الشكاوى قد مست واجباته كمحتسب .

ولم يخل سجل أعمال الحاكم بأمر الله من جهود حثيثة لتفادى اخطار الأوبئة ، التى كانت عادة ما تصحب المجاعات ، فلأجل الحفاظ على الثروة الحيوانية ، التى كانت تجتاحها الأوبئه أيضا ، أمر بمنع ذبح الأبقار السليمه من العاهه الا فى أيام الأعياد حتى لا تنقرض وهو اجراء لجا اليه أبنه الظاهر فيما بعد [١]. كما كان يصدر أوامره بمنع أكل أو بيع بعض الماكولات ، التى ربما يترتب على أكلها مضار صحية وأمراض فى عصره ، مثل الملوخيا والجرجير والقرع والمتوكلية ، وهى نبات للحساء والدلينس ، وهو نوع من الصدف يؤكل نيئا وملحا ، والترمس العفن ، وأمر كذلك بقتل الخنازير ومنع عجين الدقيق بالأقدام وكان يعزر المخالفين لذلك [٢] .

أما مجاعات عهد الحاكم ، فقد بدأت بمجاعة فى العام التالى لتوليه الخلافة عام ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م وكأنما كان على موعد مع الأقدار ، وكان الذى يتولى تدبير الدولة فى هذه السنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م) ، أمين الدولة ابى محمد الحسن بن عمار . وسبب هذه المجاعة قصور النيل ، حسب رأى المقريزى ، الذى بلغت زيادته ١٦ ذراعا واصابع ، فارتفعت الأسعار ، واختفى

---

(١) د . ماجد : الحاكم بأمر الله . ص٦٤ .

(٢) المرجع نفسه ص ٩١ .

القمح ، واضطرب حبل الأمن ، وخطفت النساء من الطرق ، ووصل سعر الخبز إلى أربعه أرطال بدرهم ، ثم انخفضت الأسعار بعد ذلك [١] ،

واذا ما وضعنا فى الاعتبار حدود وفاء النيل فى العصر الفاطمى فاننا نلحظ أن هذا الحد من الزيادة (١٦ ذراعا و٧ أصابع) لم يكن يعنى القحط ، وربما تكون زيادة النيل قد تأخرت بعض الوقت ، فأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار واحتكار الغلال ، خاصة وأن حالة من الفوضى والاضطراب كانت تعم البلاد لتصارع المشارقة والمغاربة على السلطة فى بداية خلافه الحاكم .

وفى عام ٣٩٥هـ / ٤ _ ١٠٠٥م ، انتشر الوباء فى البلاد ، وحتى بين الماشيه التى أمر الحاكم بمنع ذبح السليم منها الا فى عيد الأضحى كما حث على قتل جميع الكلاب حتى خلت منها الطرق [٢] ، ويبدو

---

(١) المقريزى : اغاثة الأمه _ ص ١٣ _ ويذكر ابن اياس (ج ١ ص ٥٥) ان الناس اجتمعوا تحت قصر الزمرد واستغاثوا بالحاكم فقال انه متوجه إلى جامع راشد وفى طريق عودته يريد أن تملأ الغلال الأرض والا ضرب عنق من يجد منها شيئا عنده .. الخ وهذه الحوادث يذكرها المقريزى فى عام ٣٩٩هـ ، وهذا أقرب للصحه حيث ان الحاكم فى عام ٣٨٧هـ كان فى الثانية عشر من العمر ، ولم يكن له شأن فى تسيير أمور الدولـه .

(٢) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر _ ص ٢٢٨ . ويبدو أنه كانت هناك حالة من الجفاف تعم منطقه حوض المتوسط فقد شهدت أفريقيه فى نفس هذه السنة غلاء شديدا ووباء أودى بحياه الكثيرين: أبو الفدا _ البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٣٥ ، ابن الاثير _ الكامل _ ج ٧ ص ٢٢٧ .

انها كانت تنقل العدوى . وفى اطار مقاومة الوباء منع أكل الدلينس ومنع السماكين من صيده وهدد من يخالف ذلك بالقتل .(١)

ويظهر ان الحاكم تخوف من حدوث مجاعة فى ظل انتشار الوباء، خاصة وأن النيل وصل فى زيادته فى هذا العام إلى ١٦ ذراعا و ٣ أصابع مما يعنى عدم زراعة بعض الأراضى ، فأشاع جوا من الرهبة بين الناس ، وخاصة بين الكتاب ، وأصحاب الدواوين ، عندما عمل شونة ملئت بالبوص والسنط والحلفا ، حتى قويت الشائعات بأن الحاكم أعدها للكتاب وأصحاب الدواوين ، فاجتمعوا متضرعين فأعطاهم أمانا ، وتلى ذلك أمانات لطوائف الجند والعبيد ، ثم التمس أهل الأسواق على طبقاتهم كتب أمان فكتبت لهم .(٢) ورغم ذلك فان الحاكم قتل جماعة من الأعيان (٣).

وينبغى أن يضاف إلى الحسبان ، ان ثورة أبى ركوه التى بدأت فى برقة ، بالاستيلاء على بعض أملاكها فى جمادى الآخر سنة

---

(١) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ٢٢١.
(٢) أيمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة من أخبار مصر ـ ص ٢٠ ـ ٢١
(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٢ ، الذهبى : تاريخ الاسلام مجلد ١٦ ص ١٣٠.

٣٩٥هـ / ١٠٠٥م[1] ، أى فى نفس الوقت الذى أعطيت فيه هذه الأمانات تقريبا ، فكان لابد من اتخاذ هذه الاجراءات حتى لا تسول لأحد نفسه أن يستغل هذه الملابسات مجتمعة ، ومع ذلك فقد ارتفعت الأسعار عندما تحرك أبو ركوة نحو مصر ، وهدد الاسكندرية ثم أعمل السلب والنهب فى ريف مصر ، متعاونا فى ذلك مع الأعراب الذين دأبوا على الإغارة على سكان الدلتا ، متمردين بذلك على السلطة المركزية التى أبوا أن ينضووا تحت لوائها بشكل مطلق . (٢)

وبغض النظر عن بعض الانتصارات الجزئية التى حققها أبو ركوة فقد نجح الحاكم فى نهاية الجولة فى أن يقبض على أبى ركوة ويأسره ويشهر به فى القاهرة ، وان كان قد اضطر خلال الاعداد للحرب إلى التخلى عن تشدده فى أعمال الحسبة ، فأقبل المصريون على الانضمام لجيشه خاصة بعد أن عاينوا التخريب الذى أحدثته جيوش أبى ركوه ، ووضعوا أموالهم كلها تحت تصرف الخليفة بل وتوقفت الأسعار عن الزيادة كدليل على صدق معاونه المصريين للحاكم . (٣)

بيد أن تصاريف القدر شاءت ان ينخفض النيل فى العام التالى ٣٩٧هـ / ٦ - ١٠٠٧م ، لتشهد البلاد مجاعة خطيرة ، وطويلة نسبيا .

---

(١) د . ماجد ظهور خلافة الفاطميين - ص ٢٤٧ ويذكر ابن الجوزى أن ثورة ابى ركوه كانت فى عام ٣٩٧ هـ - المنتظم ج ٧ ص ٢٣٣ وكذلك ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٨ .

(٢) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية - ص ٨٣ .

(٣) د . ماجد : الحاكم بأمر الله - ص ٦٠ .

واذا كانت المصادر التاريخية ترجع سبب هذه المجاعة إلى انخفاض الفيضان ، فان الاضطراب يسود تحديد مقدار هذا الانخفاض.

البدايه كانت بتوقف زيادة النيل فصلى الناس صلات الاستسقاء مرتين ، ويبدو ان ذلك كان والنيل عند الذراع الثالثة عشر وأصابع (١) ، ثم كسر الخليج بعد ذلك والنيل عند الذراع الخامسة عشر. (٢) وبعدها زاد النيل حتى وصل إلى ستة عشر أصبعا من ١٧ ذراعا ثم نقص بعد ذلك (٣). ليصل إلى ١٤ ذراعا و ١٦ أصبعا طبقا لأبى المحاسن وابن أيبك ، وهو حد فى زيادة النيل يعنى المجاعة ، كما سبق التنوية آنفا ، وقد صاحب هذه المجاعة وباء أودى بحياة الكثير من السكان (٤).

وكان من الطبيعى ان ترتفع الأسعار ، فأصدرت الأوامر لمسعود الصقلبى متولى الستر بالنظر فى أمر الأسعار ، فجمع خزنة الغلال والطحانين والخبازين ، وقبض على ما بالساحل من غلال وأمر أن لاتباع إلا للطحانين لمنع الوسطاء والسماسرة . وتم تسعير القمح ، كل تليس بدينار الاقيراط والشعير عشر ويبات بدينار ، وللحطب عشر حملات بدينار ، وسعر

---

(١) المقريزى : اغاثه الامه ص١٥.

(٢) المصدر نفسه ص١٦.

(٣) المقريزى : الخطط ـ ج ٢ ص٢٨٦.

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

سائر الحبوب والمبيعات وهاجم عدة مخازن وفرق مابها على الطحانين وضرب جماعة بالسوط وشهرهم ، فتوافر الخبز فى الأسواق وهدأت الناس .(١)

الا أن استمرار انخفاض النيل أدى إلى ارتفاع الأسعار مرة أخرى فبلغ القمح كل تليس أربعة دنانير ، والارز كل ويبه بدينار ، ولحم البقر رطل ونصف بدرهم ولحم الضأن رطل بدرهم ، والبصل عشرة أرطال بدرهم ، والجبن ثمانى أواقى بدرهم ، وزيت الأكل ثمانى أواق بدرهم ، وزيت الوقود رطل بدرهم وبيع الخبز كل ثلاثه أرطال بدرهم (٢) . فأعيد على أثر ذلك تسعير الكثير من السلع ، فسعر الخبز كل اثنى عشر رطلا بدرهم ، واللحم رطلين بدرهم ، وتمت معاقبة من يخالف ذلك بالجلد ، فسكنت الأحوال (٣) . حيث أن العقاب لم يكن ينزل فقط بمن يخالف الأسعار ، فقد ضرب عدة من الطحانين والخبازين وشهروا لأجل ازدحام الناس على الخبز ، مما يشير إلى شبهة التباطوء فى أداء العمل ، فأصبح الخبز لايباع الا مبلولا .(٤) .

وزاد فى الطنبور نغمة ، استمرار توقف الزيادة فى فيضان النيل عام ٣٩٨هـ / ٧ـ ١٠٠٨م حتى أن الناس استسقوا مرتين ، وفتح الخليج

---

(١) المقريزى : اغاثه الأمة ص١٥ ـ ١٦ .
(٢) المصدر نفسه ص١٦ .
(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٦٩ .
(٤) المقريزى : اغاثة الأمه ص١٥ ويلاحظ أنه فى هذه السنة نهى عن سب الصحابة ولعل ذلك لاستمالة رعاياه السنيين • أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ـ وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ النهضة المصرية القاهره ١٩٤٨ ج ٤ ص ٣٧٩ .

والماء على خمسة عشر ذراعا فاشتد الغلاء (١) . ثم بدأ نقص النيل بعد فتح الخليج بأيام ،فاشتدت المسغبة ، وبيع الخبز مبلولا ، وضرب جماعة من الخبازين وشهروا لتعذر وجود الخبز بالعشايا ، وبلغ الغلاء ذروته في ربيع الاخر. (٢) وعندما توقفت زيادة النيل عند ١٤ ذراعا وأصابع اشتدت الأزمة ولحق بالناس كل الضرر. (٣) وكشفت الكارثه عن ساق بانتشار الأوبئه ، فاختفت الأدوية ، وضمن اجراءات الوقاية الطبية ، "شهر جماعة من الناس وجد عندهم فقاع وملوخيه ودلينس وضربوا" . (٤) ولأجل مواجهة السيل المنهمر من ارتفاع الأسعار ، وزيادة الاحتكار ، أمر الحاكم بألا يخزن أحد من المؤن أكثر من حاجته ، وحدد أسعار القمح والمواد الغذائية ، وجعل عقوبة من يخالف ذلك القتل . (٥)

ولاعتقاد الحاكم ، وكذلك بقيه المسلمين ، أن سبب توقف النيل هو ما يقوم به العباد من إظهار المنكرات التى نهى الله عنها مثل السكر واللهو ، فقد منع الحاكم الناس من التظاهر بالغناء ، ومن ركوب

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص٢٨٦ - ٢٨٧.
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٧١.
(٣) المقريزى : اغاثه الامه ص١٦.
(٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص٢٨٧.
(٥) د. محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطميه في مصر - دار الفكر العربى - القاهره - ١٩٧٠ - ص٩٣.

النيل للتفرج ، ومنع بيع المسكرات ، وفرض ما يشبه حظر التجول من بعد العشاء وحتى الفجر.(١)

وحل موعد احتفال الأقباط بعيد الشعانين(٢) ، والغلاء على أشده ، فمنع النصارى من تزيين كنائسهم ، كما جرت عادتهم ، وقبض على جماعة منهم فى شهر رجب ويبدو أنهم حاولوا مخالفة نواهيه ، وأمر باحضار ماهو معلق على الكنائس واثباته فى ديوان الخليفه ، وكتب بذلك إلى كل الولاة ، وأحرقت صلبان كثيره على باب الجامع فى الشرطه(٣). (لعلها شرطة الفسطاط).

وقد آتت الاجراءات السابقة ثمارها فخفت حدة ارتفاع الأسعار بعض الشئ فى شهر رجب.(٤). ويبدو أن عدد الوفيات كان كبيرا خلال الأعوام ٣٩٥هـ-٣٩٨هـ ، سواء من مات منهم بالوباء . أو قتل لمخالفة أوامر الحاكم ، الأمر الذى دفعه إلى إستحداث ديوان جديد يقال له الديوان المفرد ، ومهمته "الاستحواذ على من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٨٧ ، د . حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ص ٢٢٨ ، الذهبى (شمس الدين) . تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام - مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٢ تاريخ مجلد ١٦ ص ١٤٧.

(٢) وهو عيد الزيتونة ويعرف بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ، ويكون فى سابع احد من صوم المسيحيين ، وجرت العادة بان يخرجوا سعف النخل من الكنيسه يومها ويرون أنه يوم ركوب المسيح الحمار فى القدس ودخوله الى صهيون وهو راكب والناس بين يديه ويسبحون وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر - المقريزى الخطط ج ١ ص ٢٦٤.

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ٧١.

(٤) المقريزى: الخطط ج ٢ ص ٢٨٧.

من المصادرين" . (١)

وعندما كسر الخليج في العام التالي وكان مقدار الماء فيه ، ١٥ ذراعا ، (٢) ، تخوف الناس من استمرار الحالة التي يكابدونها منذ عامين ، فتظاهروا في شارع بين القصرين ، واستغاثوا بالحاكم الايهمل أمرهم .

وكان الخليفه عند حسن ظن رعاياه به ، فركب حماره وخرج من باب البحر ووقف وقال " أنا ماض إلى جامع راشدة . فأقسم بالله أن عدت فوجدت في الطريق موضعا يطوءه حماري ، مكشوفا من الغلة لأضربن رقبة كل من يقال لي أن عنده شيئا منها ولأحرقن داره وانهبن ماله " وتوجه إلى الجهة التي حددها ، وتأخر حتى آخر النهار ، ليعطي فرصة كافية يحمل الناس خلالها غلالهم إلى الطريق . ولشدة حركة النقل بلغت أجره الحمار في حمل النقله الواحدة دينارا . فلما امتلأت الطرقات بالغلال ، امتلأت عيون الناس . وساعد ذلك الحاكم على أن يصدر أوامره بتقدير ما يحتاج اليه في كل يوم وفرضه على تجار الغلات بالنسيئة وخيرهم بين أن يبيعوا بالسعر الذي يقرره ، بما في ذلك من فائدة محتملة ، وبين ان يمتنعوا فيختم على غلاتهم ، ولا يمكنهم من بيع شيء منها

---

(١) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٢) ذكر المقريزي أنه أشيع بلوغ النيل الذراع السادسة عشر وخلع على ابن الرداد ثم نقص منذ ١٩ توت (اتعاظ ج ٢ ص٧٦) .

إلى دخول الغلة الجديدة ،فاستجابوا له وانخفضت الأسعار.(١)

من هذه الرواية يستفاد أنه رغم نقص النيل فى العام السابق ، إلا أن بعض الأراضى كانت قد زرعت وأنه لولا الاحتكار التجارى والتخوف من استمرار المجاعة ، لكانت الغلال تكفى حاجات السكان ، وتدل عبارة "الغلة الجديدة " على أن زيادة النيل قد سمحت برى بعض الأراضى ، والا لما كان هناك مجال للحديث عن" الغلة الجديدة ".

وقد وضعت هذه المجاعة أوزارها فى شهر شعبان ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩م حينما "تراخت الأسعار " على حد تعبير المقريزى .(٢)

وشهدت خلافه الحاكم بعد ذلك أحداثا شبيهة بما حدث وان كانت أقل شأنا وخطورة،ففى سنة ٤٠٢ هـ / ١١ـ ١٠١٢م ارتفعت الأسعار ، مما أضطر الحاكم فى رجب من هذه السنة إلى "قطع الرسم الجارى من الخبز والحلوى الذى كان يقام فى شهور رجب وشعبان ورمضان ، لمن يبيت بجامع القاهرة من ليلة النصف من رجب" (٣) ،ولعل سبب ذلك عدم زراعة بعض الأراضى حيث بلغ النيل ١٦ ذراعا و ١٠ أصابع (الملحق ١) وقد عاود الحاكم فى هذه السنة إتخاذ بعض الاجراءات التى تحول دون مخالفة تعاليم الدين الاسلامى فنهى عن بيع الزبيب وأحرقه ومنع وصوله إلى مصر وأراق ما كان فى المخازن من جرار العسل وأمر النصارى واليهود بلبس

---

(١) المقريزى : اغاثه الامه ص١٦ ـ ١٧.
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٧٨.
(٣) أيمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة ـ ص٥٢.

الغيار والتميز عن المسلمين وأفرد لهم اياما خاصة فى الحمامات (١).

وفى عام ٤٠٣ هـ / ١٢ ـ ١٠١٣م ،ارتفعت الأسعار وازدحم الناس على الخبز ففرق الحاكم مالا على الفقراء (٢) . وربما كان ذلك من جراء انخفاض النيل فى العام السابق لانه بلغ فى هذا العام ١٧ ذراعا و ١٢ أصبعا .

ويذكر المقريزى ان مجاعة قد وقعت عام ٤٠٦ هـ/ ١٥ ـ ١٠١٦م ، وان كانت قد جاءت بعكس سابقاتها إذ ارتفع الفيضان فى هذه السنة إلى ثلاثة أصابع من احدى وعشرين ذراعا ،"فغرق المقياس وامتلاكل مكان من المدينة وبلغ الماء إلى نصف النخل مما يلى بركة الحبش ، ولم يبق طريق يسلك إلى القاهره الامن الشارع والصحراء ،وادى ذلك إلى غرق الضياع والبساتين" . (٣)

الا أن قوائم النيل تخلومن ذكر لهذه الزيادة التى اتفقت المصادر التاريخيه على أنها كانت ١٦ ذراعا وأصابع فأن كان هناك ثمه مجاعة فى هذه السنة فيكون سببها القصور النسبى لماء الفيضان .

أما ختام هذه السلسلة من مجاعات عهد الحاكم بأمر الله فكان فى سنة ٤١٠ هـ/ ١٩ ـ ١٠٢٠م ، حيث أشتد ارتفاع الأسعار حتى وصل

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ـ ج ٤ ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ،الذهبى : تاريخ الاسلام ـ مجلد ١٦ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٩٣ ، الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٣) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١١٢ .

سعر رطل الدقيق درهما ، وبيع اللحم أربع أواق بدرهم ومات كثير من الناس بالجوع وبلغ عدد من مات فى شهور رمضان وشوال وذى القعدة "مائتى الف وسبعين الفا سوى الغرباء وهم أكثر من ذلك" . (١)

ومن خلال استقراء قوائم الفيضان يمكن القول بأن سبب هذه المجاعة الأخيرة ،هو ارتفاع فيضان النيل إلى حد اغراق الأراضى الزراعية (١٩ ذراعا و ٨ أصابع) ، ويكون ما أورده المقريزى بشأن المجاعة التى حدثت عام ٤٠٦ هـ/ منطبقا على هذه السنة ،ويرجح أن يكون المقريزى قد خلط بين أحداث السنتين ، ويؤكد ترجيحنا لهذا الاحتمال أن سنة ٤٠٦ هـ بلغ النيل فيها حسب أبى المحاسن ١٦ ذراعا وأصبعين وحسب ابن أيبك ١٦ ذراعا و ٩ أصابع ، وهو حد يعنى عدم زراعة بعض الأراضى ، وذلك فى ضوء أن المقريزى الذى انفرد بذكر مجاعة ٤١٠هـ، لم يوضح سببها .

---

(١) المقريزى : اتعاظ ٢ ص١١٥ .

أما الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم ، فعلى الرغم من قصر مدة خلافته (٤١١ ـ ٤٢٧ هـ / ١٠٢٠ ـ ١٠٣٥م) الا أن البلاد شهدت في عهده مجاعة مخيفة امتدت عامين (٤١٤ ـ ٤١٥ هـ / ١٠٢٣ ـ ١٠٢٥م) (١)

وجملة الأحداث والملابسات التى وقعت خلال هذين العامين تثبت بشكل قاطع أهميه الدور الذى تلعبه الادارة المركزية ، في الحد من مخاطر نقص الفيضان ، خاصة اذا ما قورنت بما وقع أيام الحاكم بأمر الله.

فلقد كان الظاهر ، خلافا لأبيه ، ضعيف الشخصية ، مسلوب الارادة مع رجال الدولة الذين تركزت في أيديهم سلطات ادارة البلاد حتى أصبح لا يدخل عليه سوى ثلاثة منهم (الشيخ نجيب الدولة الجرجرائي ، والشيخ العميد محسن بن بدوس ، والقائد معضاد) ويخرجون ليسيروا أمور الدولة بينما انهمك الظاهر في لذاته . (٢) فقد اشتهر بشغفه باللهو وحب الغناء ، وشراء المماليك ، كما اتخذ خزانه للبنود يعمل بها ثلاثة آلاف صانع ، واستكثر من شراء المجوهرات ، وأصبح الترف سمة لعصره ، إذ حاكاه كبار رجال الدوله ومياسير القوم ، الذين تأنقوا واتخذوا المغنيات والراقصات . (٣)

---

(١) Lewis (B.) and others: The Cambridge History of Islam . London- 1970 -Vol.I. P.1880

(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥٥ .

ويبدو الأمر كما لو كان الظاهر قد أتى ليجنى فقط ثمار جهاد أسلافه فى اقامه أول خلافه شيعيه ، غير مدفوع بهذه الروح الدينيه التى أشبع بها الخلفاء الاول ، والتى دفعتهم إلى الحدب والسهر على راحه رعاياهم .

وبدايه ، فانه يمكن إجمال أسباب هذه المجاعة فى :ـ

١ـ ضعف سلطة الخليفه ، رأس الدولة المركزية ، وبداية ظهور رجال الدولة الأقوياء كأنداد للخليفه ، يشاركونه سلطته الزمنيه .

كما أن الظاهر أهمل واجباته ، كممثل للسلطة المركزية ، فلم يهتم بتوفر الغذاء للناس ، بل فى أوج الأزمة قام بالاستيلاء على ما ورد إلى ساحل مصر من مراكب مملوءة قمحا ، ورسم بتسليمها لقصر الخلافه وأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار (١) . ومن المفارقات التاريخية أن الظاهر نزل إلى القاهره فى نصف ذى القعده ٤١٥ هـ / ١٠٢٥م ، والغلاء على أشده " وشق البلد بدلالين وخلفه الخدم المقودون والمصطنعه وبين يديه الرقاصون " (٢) ، فى حين أن الحاكم أبطل مظاهر اللهو والاحتفالات بواعز دينى كما أسلفنا . ولم يترك أفراد الشعب المصرى هذه المناسبة دون أن يندروا بسلوك الخليفه ، مذكرين اياه

---

(١) المسبحى ، الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن احمد : أخبار مصر ـ تحقيق أيمن فؤاد السيد ، وتيارى بيانكى ـ المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقيه ـ القاهره ١٩٧٧ ـ ج ٤ ص ٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٣ .

بما فعله أبوه ، فاعترضوا مسيرة الخليفه فى تظاهرة ضخمة وهم يهتفـــون " الجوع يا أمير المؤمنين . الجوع ، لم يصنع بنا هكذا أبوك ولا جدك فالله الله فى أمرنا ". (١)

٢ـ أدى ضعف الخليفه إلى تضخم دور رجال الدولة الذين مارســـوا تجارة الغلال بغيه الربح ، ثم تمادوا فى ذلك إلى حد احتكـــار الغلال والتحكم فى أسعار البيع . ويدل على ذلك نصان ، وردا لـدى المسبحى ، أولهما فى حوادث رجب ٤١٤ هـ / ١٠٢٣م ويتعلق " بفتح مخازن لجماعة من رجال الدولة " لتفرق غلاتها على الناس بسعـــر منخفض . (٢) والثانى فى حوادث ذى القعده ٤١٥ هـ / ١٠٢٥م ويشير إلى فتح مخزن لرجل يدعى مسعود ، غلام الشيخ نجيب الدولة أبى القاسم الجرجرائى ، وبيع القمح الذى فيه بثلاثه دنانير التليس فتزاحم النـاس عليه . (٣) رغم أن هذا السعر لا يبعد كثيرا عن سعر البيع فى ذى الحجة (أربعة دنانير وثلث للتليس) وهو سعر أصاب الناس بمسغبة على حد تعبير المسبحى نفسه . (٤) ولقد لعب الاحتكار دورا بارزا فى اشتداد هذه المجاعة وخاصه فى عام ٤١٥ هـ بعد أن بلغ النيل حدا يمكـــن

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤.

(٢) المسبحى : أخبار مصر ج ٤٠ ص ١٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٣٥

(٣) المسبحى : أخبار مصر ج ٤٠ ص ٧٤.

(٤) المصدر نفسه ص ٨٦.

معه زراعة بعض الأراضى ودرء خطر الجوع ، ولم تقتصر الممارسات الاحتكارية والتلاعب بالأسعار ، على رجال الدولة وغلمانهم ، فقد كان هناك أيضا مخالفات من جانب الخبازين والطحانين وتجار الغلال الذين عذروا من قبل المحتسب.

٣- خطر الغزو الخارجى ، الذى لاح على حدود مصر الشرقية من قبل حسان بن مفرج بن جراح الطائى عام ٤١٥ هـ / ٢٤-١٠٢٥م ، مما أدى إلى زيادة الأسعار بعد انخفاضها .

٤- نقص زيادة النيل عام ٤١٤هـ إلى ١٤ ذراعا و ١٤ أصبعا ، وهو حد يعنى المجاعة ، وإن كان النيل فى العام التالى قد وصل إلى ١٦ ذراعا و ٨ أصابع.

وتبدأ أحداث هذه المجاعة فى الثلاثه أيام الأخيره من جمادى الآخر عام ٤١٤ هـ / ١٠٢٣م بنقصان ماء النيل بعد أن أوفى ، فلم تروى لذلك الضياع ، وكثير من الأراضى ، "فكثر ضجيج الناس واستغاثتهم إلى الله ، وخرج أكثر السكان من الرجال والأطفال ومعهم المصاحف المنشورة إلى جبل المقطم يستغيثون بالله تعالى فلم يغاثوا"[1].

وكان أول رد فعل — عملى — هو احجام التجار عن بيع الغلال فوصل سعر تليس القمح إلى دينار ثم اختفى القمح كلية وأصبح يباع سرا بدينارين للتليس ، ووصل سعر حملة الدقيق إلى دينارين وربع ، والخبز

---

(١) المسبحى : أخبار مصر ج ٤٠ ص ١٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٣٤-١٣٥ .

أربعه أرطال بدرهم وثمن مع ندرة وجوده في الأسواق ، وبيع التبن بعشرين درهما الحمل . (١)

وفي محاولة للقضاء على ارتفاع الأسعار عُزل ابن عزه متولي الحسبة ، وعرضت الحسبة في رجب ٤١٤ هـ / ١٠٢٣م على العميدي الذي كان قد عزل من تولي الترتيب ، فأبى أن يصير محتسبا بعد أن كان جليس أمير المؤمنين وصاحب خريطه ، فتم تعيين دواس بن يعقوب الكتامي ، محتسبا على الأسواق والسواحل ، وخلع عليه بثوب مثقل وعمامة ، ونزل إلى القاهره في موكب عظيم ، حتى انتهى إلى مجلس الحسبة ، فأحضر هناك الخبازين وتجار الدقيق وضرب بعضهم وشهرهم فارتدع الناس ، وانخفضت الأسعار وظهرت الغلال في الأسواق . (٢)

---

(١) المسبحي : المصدر السابق ص١٢–١٣ – ذكر المقريزي في اتعاظ الحنفا (ج ٢ – ص١٣١) الأسعار نفسها عدا أنه ذكر أن "ثمن الحمل الدقيق بعشرين درهم" ، وهو ما اثار استغراب المحقق (هامش (١) نفس الصفحة) حيث أنه بذلك ، يكون تليس القمح – وهو ما يوازي نصف حملة الدقيق وزنا بدينارين وربع بينما تكون حملة الدقيق بدينارين وربع دينار حيث أن الرطل المصري يساوي مائة وأربعه وأربعين درهما والتليس مائه وخمسون رطلا مصريا حسب ابن مماتي . والواضح ان النسخة المحققة كان بها خطأ من الناسخ أو يكون المقريزي – وهو أمر مستبعد – قد أخطأ عند نقله عن المسبحي – الذي ورد فيه ان الحمل الذي بعشرين درهم كان من التبن ، وكلمة ثمن فهي تعني ثمن درهم في " الخبز اربعه ارطال بدرهم وثمن " ولا تعني الثمن اي السعر .

(٢) المسبحي : المصدر السابق ص١٣–١٤ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص١٣٥ .

ولان هذه الاجراءات لم تمس احتكارات وغلال رجال الدولة ،الذين مارسوا رفع الاسعار ولا شك ،فان الأمور ما لبثت أن عادت إلى سيرتها الأولى ، فبعد أيام قليلة أُفتقد الخبز ، وكثر الازدحام على دكاكين الخبز، وكان غاية ما فعله المحتسب أن أمر يبل الخبز فى الماء فى القصارى على أن يباع بسعر ثلاثه أرطال بدرهم . وبصرف النظر عن أن هذه أول مرة يرد فيها هذا الإجراء ، فان ذلك كان يعنى عمليا إقرار لسعر أكثر ارتفاعا من الذى كان يباع به الخبز جافا (أربعه أرطال بدرهم وثمن) طالما كان بل الخبز يعنى زيادة وزنه ،أى أنه نوع من الغش التجارى المستتر والمقنن .

وهو أيضا تحبيذ للتجار على بيع الخبز نظرا لارتفاع أرباحهم وبحماية المحتسب — فظهرت الأخباز فى الاسواق بعد ذلك.

ولضمان استمرار وجود الخبز ، فُتحت مخازن لجماعة من رجال الدولة ،وأُطلق للناس من السواحل غلة كثيرة ،وقام المحتسب بضرب جماعة من الخبازين وشهرهم بسبب رفعهم الأسعار ،وضيق على الطحانين ،الذين كانوا فيما يبدو ، يقومون ببيع الدقيق للناس بسعر مرتفع بدلا من بيعه للمخابز التى تشترى الدقيق وتبيع الخبز باسعار محددة ، حتى أنه الزمهم بترك عملهم فى طحين الغلال وختم على مخازنهم وفلست طواحينهم وجعلهم خبازين . (١)

(١) المسبحى : المصدر السابق ص١٥ـ١٦ ،المقريزى: اتعاظ الحنفا ج ٢ص ١٣٥

اهلت سنة ٤١٥ هـ والأزمة لا زالت قائمه ، وتضاربت الأقوال بشأن زيادة النيل فى هذه السنة . فالمقريزى يذكر أن زيادة النيل جاءت ناقصة ، "ولم ير النيل فيما تقدم من السنين أقل نقصانا منه فى هذه السنة" (١). ثم يعود فيذكر أن ماء النيل بلغ ١٦ ذراعا و ٨ أصابع (٢). ويورد ابن ايبك وأبو المحاسن أن الزيادة كانت ١٦ ذراعا . وهذه الحدود كما أسلفنا لا تعنى المجاعة ، الا أنها مع وجود مجاعة فى العام السابق والعوامل السابق الاشاره اليها ، من الممكن ان تزداد الأمور سوءا ، وهذا ما كان . فبدأ ارتفاع الأسعار من شهر ربيع الآخر ، وخاصة سعر القمح الذى بلغ التليس منه ثلاثة دنانير ، "والشعير بيع أربع ويبات بدينار ، وبيع الخبز رطلين ونصف بدرهم ، وبلغ سعر حمل تبن الدواب دينارا إن وجد ، وارتفعت أسعار كل ما يؤكل" . (٣).

وفى الشهر التالى ، واصلت الأسعار ارتفاعها ، لاستيلاء الدولة على ما ورد إلى المقس من غلال لصالح مخازن القصر الفاطمى . (٤)

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٤٢ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٧٢ ، ويذكر المسبحى أن النيل قد أوفى فى هذه السنة وهو الأصح . انظر المسبحى ـ المصدر السابق ج ٤٠ ص ٤٧ .

(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٣٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٤٢ .
(٤) المسبحى : المصدر السابق ص ٣٩ ، المقريزى : نفس المصدر ج ٢ ص ١٤٤ .

ويظهر ان الأحوال بلغت حدا لا يصح السكوت عليه ، تشكك معه الخليفة فى كفاءة وربما أمانة ، المحتسب ، دواس بن يعقوب ،فتم عزله فى ٤ رجب ٤١٥ هـ ، ليحل بقى الخادم الاسود غلام بدر الدوله نافذ مكانه ، إضافة إلى تولية الشرطتين (القاهره والفسطاط) .

وحاول المحتسب من أول يوم أن يضع حدا لتدهور الأحوال فنزل إلى الفسطاط ، ونظر فى الحسبة وأمر أن يباع الخبز الخشكار خمسه أرطال بدرهم والحوارى أربعه أرطال بدرهم . (١)

على أن أصحاب الطواحين وحوانيت الخبز ، الذين استساغوا تساهل ابن يعقوب ، لم يرتضوا هذه الأسعار ، وامتنعوا عن فتح الطواحين والحوانيت طوال اليوم التالى (٥ رجب) فلم يجد الناس خبزا ولا دقيقا . ومن ثم اضطر الخليفه إلى عزل بقى من الحسبة يوم ٦ رجب واعادة دواس اليها . فأمر المحتسب العائد بأن يباع الخبز الذى يباع فى الأفران خمسه أرطال بدرهم ، ولعله يقصد بذلك الخبز الخشكار وهو نفس السعر الذى قرره المحتسب المعزول ، على أن تباع بقية الأنواع الأخرى من الخبز بدون تسعير ، وهو كما نرى " حل وسط " يضمن توفر مايسد به

---

(١) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص٤٧ ـ ٤٨ . والخشكار هو الدقيق الذى لم يستقص طحنه ، ولا نخله والخبز الخشكار هو المصنوع بدقيق القمح والردة ، والحوارى هو الدقيق الأبيض والخبز الحوارى هو المصنوع من الدقيق الأبيض ـ (انظر ـ المسبحى هامش ٣ ، ٤ ص ٨٤) .

رمق الناس من الخبز الردئ ، وفى نفس الوقت يضمن زيادة مكاسب التجار فيما سواه من الأنواع الجيدة ، وبالفعل ظهر الخبز فى الأسواق وبيع الخبز السميذ رطلين ونصف بدرهم ، ومادون هذا النوع ثلاثة أرطال بدرهم .(١)

واذا ما أردنا ترتيب حوادث هذه الأيام الثلاثه من شهر رجب ، على نحو فيه بعض من الرؤيه التآمريه للتاريخ ، فانه يمكن القول بأن دواس بن يعقوب كان متفهما - إن لم يكن متواطئا - لموقف محتكرى وتجار الغلال من رجال الدولة ، الذين تعاونوا مع بقية تجار الغلال والطحانين والخبازين على احباط اجراءات المحتسب الذى عينه الخليفة (بقى الأسود) واظهاره بموقف العاجز ، ليعود دواس بايعاز من كبار رجال الدولة المسيطرين على الخليفة ، وكان لهم ما أرادوا ، ولا شك أن اجراءات هذا المحتسب والأسعار التى كان يقررها ، كانت كلها فى صالح التجار والمحتكرين قبل أى فئه اخرى .

ولذلك ، فقد كان من الطبيعى أن لا يدوم وجود الخبز فى الأسواق الا أياما معدودات ، إذ عادت الأسعار إلى الارتفاع وخاصه ثمن القمح

---

(١) المسبحى : أخبار مصر ج ٤٠ ص ٤٨ - ويذكر المحققان (هامش ٥) ان السميذ هو الحوارى وربما يكون السميذ نوع أفضل من الحوارى .

والدقيق والخبز، واضطربت الأحوال لذلك فى نفس هذا الشهر.[١] وساعد على ذلك أنه سرت فى البلاد شائعة مؤداها ان حسان بن جراح الذى خرج على الخلافة فى الشام بعث بخمسمائه فارس إلى العريش ، لم يعرف مقصدهم ، فخاف الناس أن يدخلوا عن طريق القرافة فانتقل سكانها إلى الفسطاط وكذلك فعل أهالى بلبيس ،وإزاء ارتفاع الأسعار واضطراب الأحوال اضطرت السلطات إلى إعادة أهل القرافة اليها حتى تسكن الحالة.[٢]

استمر ارتفاع الأسعار حتى شهر شوال فبلغ سعر تليس القمح دينارين ثم ثلاثة دنانير غير ثمن التليس (العبوة) ، وتليس الشعير دينارا واحدا ثم الست ويبات بدينار ، والخبز رطلين بدرهم ، والدقيق رطلين ونصف بدرهم واللحم الرطل بثلاثة دراهم مع تعذر وجود اللحوم سواء من الدواجن أو الحيوانات.[٣] ويظهر أن وباءا قد أصاب الحيوانات والدواجن مما أدى إلى ارتفاع أسعارها حتى وصل ثمن رأس البقر إلى خمسين دينارا[٤] ، الأمر الذى اضطر الظاهر إلى اصدار أوامره بعدم ذبح شىء من الأبقار السليمه وهدد من يفعل ذلك بالقتل

---

(١) المسبحى : المصدر السابق ص ٥٢ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٥٤.

(٣) المسبحى : أخبار مصر ج ٤٠ ص ٦٧ ، ٦٩ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦١ _ ١٦٢.

(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤.

وذلك بغرض الحفاظ على الحيوانات التى تساعد فى أعمال الزراعة من حرث ورى ونحو ذلك .(١)

وقد أثر تناقص أعداد الحيوانات على أسعار مياه الشرب التى كانت تقوم بنقلها ، فبلغت راويه الماء البغل درهمين والراوية الجمل ثلاثة دراهم .(٢)

ولم يكن الوباء متفشيا فقط بين الحيوانات ، بل انتشر بين الناس وازدادت حدته فى شهر شوال فيما يبدو ، وذلك ما يفسر ارتفاع أسعار ما يحتاج اليه المرضى ، حيث بلغ سعر الرمانة الواحده ثلاثة دراهم ، والبطيخه البرلس ثلاثين درهما ، والأوقيه الشراب درهما .(٣)

وكان انتشار الأوبئه من الكثافة ، حتى أن الناس تشاغلوا بها عن شراء ما كانوا اعتادوا عليه من الفواكه والحلوى فى ليلة ميلاد المسيح ، التى حلت يوم الخامس والعشرين من شوال ، "حتى أنه لم يخل منزل أحد من المرضى وأوجاع الدم والحلوق" .(٤)

وفيما عدا المأكولات والمشروبات على اختلاف أنواعها ، فقد انخفضت قيمة ما يملكه الناس من متاع ، فطرحت الثياب والأمتعه فى الأسواق ،

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٤٩ .
(٢) المسبحى : المصدر السابق ص ٦٩ ، ٧٣ . المقريزى: الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .
(٣) المسبحى : نفسه ص ٦٩ ـ المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٢ .
(٤) المسبحى : المصدر السابق ص ٦٩ .

ولم تجد من يشتريها بدرهم .(١) بل وانخفضت القوة الشرائيه للعملة "فيكون مع الرجل جملة من الدنانير فيطلب من يشبعه خبزا فلا يجده"(٢)

ووسط هذا الخضم من المآسى لم يجد الظاهر لاعزاز دين الله أى غضاضة فى أن يحتفل مع الناس بعيد الغطاس فى رابع ذى القعدة وكان منتهى أهتمامه ان أمر بعدم اختلاط النصارى بالمسلمين .(٣).

وخلال شهر ذى القعده ،ازداد تعقد الموقف ،بعد أن نما إلى علم الناس ارسال حسان بن جراح لألف فارس إلى الفرما ، ففز الناس منها إلى تنيس بالمراكب ، وأخذ الناس بمصر فى التحفظ على أموالهم "وفقد القمح والدقيق والخبز" .(٤) وقام المحتسب بمعاقبة جماعة من الخبازين لانه وجد موازينهم للأرطال ناقصة ،وصنجهم التى يزنون بها الدراهم زائدة .(٥).

واشتد الغلاء يوم الجمعه ١٣ ذى القعده فبيع الخبز السميذ رطلين بدرهم وبيع والخبز الخشكار رطلين بدرهم ، والحملة الدقيق بأربعة دنانير ونصف وقيراطين ، والتليس القمح بثلاثة دنانير ، وبيع اللحم

---

(١) المسبحى : المصدر السابق ص٦٩ ،المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٢ .
(٢) المقريزى : المصدر السابق ص ١٧١ ـ ١٧٢.
(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص٢٦٦.
(٤) المصدر نفسه ج ١ ص٣٥٤ ،اتعاظ الحنفا : ج ١ ص١٦٦.
(٥) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٧٢.

أربع أواق بدرهم . (١)

فازدادت مسغبة الناس الذين كثر الموت بينهم لتفشى الوباء وخاصه بين الفقراء والمساكين ، وبلغ الأمر بالناس ان جزارا طرح عظمة لكلب فراه رجل شاب مستور متعفف فطرد الكلب وأخذ العظم منه ولم يزل يمتصه نياً إلى أن نال من مصه بلغه فرماه من يده وذهب . ولم يجد الفقراء ما يأكلونه ، فأطعموا اولادهم قضبان شجر القنبيط (وهو أغلظ أنواع الكرنب) التى كان البقالون ينتزعونها من رؤوس الكرنب ويرمونها ، فيجمعها الفقراء ليقتاتوا بها وباليسير من كسب اللوز والسمسم، وارتفعت أيضا أسعار البقول . (٢)

وأخيرا ، شمر المحتسب دواس عن ساعد الجد ، فأحضر حمالى القمح وضربهم حتى أقروا بمخازن التجار وسماسرة الغلال ، التى يحملون اليها الغلال ، وكتبوا له ١٥٠ مخزنا للقمح ، فوضع الطوابع عليها وهدد بقطع يد من تسول له نفسه أخذ حبه قمح منها . (٣)

وتقتضى مجريات الامور أن يقوم المحتسب بالبيع من هذه المخازن فى اليوم التالى ــ السبت ١٤ ذى القعده ــ الا أن ذلك لم يحدث لسبب لم تذكره المصادر التاريخيه . ولعله ان المحتسب أراد أن يعطى

---

(١) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ص٧٢ ــ ٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ص٧٤ ــ المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص١٦٥ .

الفرصه كاملة لكبار رجال الدولة الذين يتجرون فى الغلال ، كى يبيعوا مخزونهم بأعلى سعر ممكن . وهذا ما حدث بالفعل ، فقد قام مسعود غلام الشيخ نجيب الدولة أبى القاسم الجرجرائى ، بفتح مخزن قمح له وباع منه بسعر ثلاثة دنانير التليس ، فتزاحم الناس عليه (١) .

المهم أن الخبز والدقيق لم يظهرا بالاسواق منذ يوم الجمعه وحتى يوم الاثنين ١٦ ذى القعده ، ووصل سعر الدقيق ، ان وجد ، رطلا ونصف بدرهم والخبز الاسود رطلين بدرهم وربع (٢) . فثارت الرعيه وخرجوا الى الشوارع فى مظاهرات ضخمه واعترضوا ركب الخليفه الذى تقدمه الرقاصون والخدم فى النصف من ذى القعده وهم يصيحون " الجوع ـ الجوع " ومطالبين الخليفه أن يهتم بأمرهم (٣) . بل وقام أحد المغاربه وهو أبو عبد الله محمد بن جيش بن الصمصامى الكتامى ويقال أنه كان مجنونا ، بالوقوف تحت القصر ، وأخذ يسب الخليفه على أقبح وجه وبالغ فى ذلك فضربه الرقاصون حتى سقط وجروه برجله وسحبوه الى السجن ، حيث ضربه متولى الشرطه ثلاثين درة واعتقله (٤)

ولم تنقطع مظاهرات الناس فى الشوارع ، وظل هتافهم "الجوع" يشق الهواء ولا وجود لخبز أو دقيق فى الاسواق ، فتم استدعاء المحتسب دواس بن يعقوب الى القصر فى سادس عشر ذى القعدة ، وعنف وهدد ، واتهم بأنه فتن البلاد على الخليفه ، وتم تذكيره بأنه كتب بخطه تعهدا بتوفير القمح والخبز حتى ادراك الغله الجديدة (وهذا

---

(١) المسبحى : المصدر السابق ص ١٧٤ .
(٢) نفسه ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٥ .
(٣) المسبحى : المصدر نفسه ص ٧٣ ، المقريزى: الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .
(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

دليل جديد على وفاء النيل) فتعهد المحتسب مجددا ، بتدارك الأمر وقام من فوره بتوزيع القمح على الطحانين وسعره عليهم بدينارين ونصف التليس ، وأمرهم بأن يباع الدقيق بأربعة دنانير الحملة ، والخبز رطلا ونصف بدرهم ، فسكن الناس لذلك قليلا (١) . وهذه الأسعار ليست بعيدة عن الارتفاع .

الا أن المحتسب كان له رأى آخر ، فقبيل انتهاء هذا اليوم نزل من القاهره ومعه سجل بالغاء جميع المكوس المقررة على الغلات الواردة إلى السواحل ، وهذا يعنى تخفيض أسعارها ، ثم أضاف أمرا غاية فى الغرابة حيث ألغى التسعير الذى قرره قبل ساعات . فظهر الخبز والدقيق فى الأسواق وبأسعار قريبة من تلك التى ضج الناس بالشكوى منها ، إذ وصل سعر تليس القمح إلى ثلاثة دنانير غير ربع (وكان ثلاثة دنانير) والخبز السميد رطلين بدرهم وربع ، والخبز الحوارى رطلين بدرهم . (٢)

وبعد هذه الحوادث يصبح احتمال تواطئ المحتسب مع تجار الغلال من كبار رجال الدولة ، أمر أبعد من مجرد التشكك ، إذ أنه كرس ارتفاع الأسعار ، رغم الغاء مكوس الغلة .

---

(١) المسبحى : المصدر السابق ص٧٤ ـ ٧٥ ، المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٥
ويلاحظ ان سعر التليس القمح يوم ختم على المخازن (١٣ ذى القعده) كان ثلاثة دنانير أى أن الفارق هو نصف دينار فقط .

(٢) المسبحى : المصدر نفسه ص٧٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٦ .

واطمعت سياسة المحتسب غير العادلة ، الجشعين من التجار والباعة ، الذين لم يقنعوا بأرباحهم العالية ، فلجأوا إلى رفع الأسعار والغش ، ففى ٢٤ من ذى القعده ، ضرب المحتسب بعض بائعى الدقيق وشهرهم على الجمال فى شوارع مصر وكانوا اثنين وعشرين رجلا وفيهم مقدمهم ويعرف بابن البورى ، وذلك لمغالاتهم فى الأسعار وسواد الأخباز وفساد الدقيق وخلطه بالطفل المسحوق ، وأعادهم إلى السجن بعد ذلك .(١)

ولم يكن الغش فقط فى الدقيق والخبز ، بل امتد إلى الموازين ففى ٧ ذى الحجه ضرب المحتسب بالفسطاط رجلا حلاويا يسكن على باب زقاق القناديل وشهره على جمل لأنه وجد أرطاله التى يبيع بها ينقص كل رطل منها أوقيتين وكل صنجة يزن بها الدراهم تزيد ثمن درهم .(٢)

ويعد هذا الحدث تأكيدا جديدا على دور الاحتكار التجارى وممارسات التجار الأنانية ، وما وصل اليه الحال من استخفاف بالسلطة المركزيه من قبل التجار.

---

(١) المسبحى : المصدر السابق ص٧٦ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص١٦٦
(٢) المسبحى : نفس المصدر ص٧٨.

وكان من المنطق الا تفلح محاولات الردع التى قام بها المحتسب ، فعاودت الأسعار ارتفاعها من جديد خلال شهر ذي الحجه ، فبيع القمح بأربعه دنانير وثلث للتليس ، والحمله الدقيق بستة دنانير ، والخبز رطل وربع بدرهم ، "فأصاب الناس لذلك مسغبة شديدة" (١)

ولم يكن ذلك بآخر تصاريف القدر ، إذ سرعان ما قام العبيد بمهاجمة سواحل الغلة ونهبوا وأحرقوا ، فاختفت الأخباز والدقيق ، رغم ارتفاع أسعارها حتى وصل الخبز إلى رطل واحد بدرهم . (٢)

وانفرد المقريزى بايراد مجاعة حدثت فى عام ٤١٧ هـ / ٢٦ ـ ١٠٢٧م وأرجع سببها إلى ارتفاع الفيضان فوق العادة حتى غرقت القرى ، واضطربت الأحوال . (٣) مع أن النيل حسب الدوادارى وأبى المحاسن كانت زيادته ١٦ ذراعا و ٧ أصابع فقط .

فى عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣١م ، كادت مأساة ٤١٤ ـ ٤١٥هـ أن تكرر نفسها ، حينما تأخرت زيادة النيل عن أوانها أربعه أشهر ، لولا أن اتخذت الدولة تدابيرها باستيراد الغلال من الشام ، ثم جاءت زيادة النيل

---

(١) المسيحى : المصدر السابق ص٨٦ .
(٢) المصدر نفسه ص٨٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص١٧٠ .
(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص١٧٥ ، الخطط ج ١ ص٣٥٥ .

فاستقامت الأحوال . (١)

وفى سنة ٤٢٦هـ / ٣٤ ـ ١٠٣٥م حدثت بالبلاد مجاعة بسبب تكاثر الفئران حتى أكلت الزرع وانتشر الوباء بين السكان تبعا لذلك. (٢)

تعد فترة خلافة المستنصر بالله (٤٢٧ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥ ـ ١٠٩٤م) حدا فاصلا بين عهد الخلفاء الأقوياء وعصر الوزراء العظام وكأى فترة تحول تاريخى ، حفلت خلافته بأحداث جسام ، يحار الدارس أمام تشابك أحداثها ، وتناقض معلوماتها ، ناهيك عن صعوبة الفصل بين الأسباب والنتائج ، حيث توالى الأحداث عليها تأثيرا وتأثرا .

وبديهى أن ما وقع من احداث فى خلافة المستنصر بالله ، تكمن بذوره فى فترات سابقة ،طالما كان كل جديد نابتا من القديم ويحمل بعضا من صفاته ، وجاءت ولادة عصر المستنصر من رحم خلافة أبيه الظاهر لاعزاز دين الله ، والذى يعد فترة انتقال بين عهدين ، عهد سيطرة الخلفاء وعهد سيادة الوزراء.

وقبل الدخول إلى سرد وقائع المجاعات التى عاشها الناس فى عهد المستنصر بالله يحسن أن أعرض للأسباب العامه التى كانت وراء هذه الأحداث.

---

(١) اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٨٠ ،الخطط ج ١ ص ٣٥٥ . يذكر أبو الفدا أنه حدث زلازل بمصر والشام فهدمت شيئا كثيرا ومات تحت الأنقاض الكثير من الناس سنة ٤٢٥هـ.البداية ج ١٢ ص ٣٦.

(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٨٠.

١ـ ضعف السلطه المركزية : ـ

يرجع سبب هذه المجاعات قبل أى شىء إلى ضعف شخصية المستنصر بالله ، الذى ولى الخلافة وعمره سبع سنوات [(١)] وإذا كان أبوه قد حافظ بعض الشىء على سلطاته الزمانية ، رغم تفرد رجال دولته بادارة معظم شئون البلاد ، فان المستنصر لم يستطع بعد أن شب عن الطوق أن يستخلص صلاحياته من براثن الوزراء ورجال الادارة والجند ، مثلما فعل جده الحاكم بأمر الله . ان ظاهرة ضعف سلطة الخليفة التى أطلت برأسها على استحياء فى عهد الظاهر، ظهرت هنا مكتملة الابعاد ، ويوردها المقريزى على رأس العوامل التى أفضت إلى الشدة المستنصرية . [(٢)]

وحال ضعف الخليفة دون سيطرته على طموح القواد ورجال البلاط والخصيان الذين أخذوا يحيكون الدسائس ،وساعد على ذلك انسياق المستنصر لما يسمعه من شكايات ، فأكثر من تغيير الوزراء حتى أن الوزارة وليها خلال تسع سنوات أربعون وزيرا بعضهم قضى فى منصبه يوما واحدا . [(٣)]

وبدأ ذلك الاضطراب فى تغيير الوزراء فيما يبدو عام ٤٥٠هـ/٥٨-١٠٥٩م [(٤)] ، واشتدت سرعة تغيير الوزراء وكذلك القضاة فى سنة

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ـ طبعة النهضة المصرية ١٩٤٨ ـ ج ٤ ص ٣١٧
ويذكر لين بول انه عمره كان ٨ أشهر فقط ـ انظر سيرة القاهره ص١٣٨ .
(٢) المقريزى : اغاثه الامة ص٢٣ .
(٣) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص٨٨ .
(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٣٠٥ .

٤٥٣هـ / ١٠٦١م.(١)

ولا شك أن سرعة اجراء التغييرات الوزارية والقضائية ، أضعف من قوة الوزراء وأعجزهم عن تدبير الأمور ، وأوقع الاختلاف بين فئات الجند ، نتيجة لاختلاف سياسات الوزراء الذين حاول كل واحد منهم ان يتبع سياسة ترضى الطرف الذى فى مكنته الايعاز بعزله من منصبه(٢).

واضافة إلى ذلك فان المستنصر كان لا يشارك وزراءه المسئولية ، كما كان يفعل الخلفاء من قبله ، وترك هذه المهمة إلى أمه التى كانت تتحكم فى تغيير الوزراء ، وتتلقب بالسيدة الملكة ، ويخاطبها الرجال فى حضرة ابنها بمولاتهم ويشار اليها بالجهة الجليلة والستر الرفيع.(٣)

٢ـ تزايد نفوذ العسكريين :

نشأ عن ضعف الخليفة ، وتدهور نفوذ وزرائه فراغ سياسى لم يملأه سوى العسكر ، فقد كانوا بحكم تنظيمهم العسكرى ، هم القوة الوحيدة فى البلاد التى يمكن أن يكون لها صدى فى تقرير أمور البلاد ، سواء لاعتبارات تملك السلاح والقوة ، أو سهولة التحرك بأوامر قادتهم . ووجد العسكريون ـ على اختلاف طوائفهم ـ فى ضعف وتردد ادارة البلاد فرصتهم المواتية لتوسيع رقعة نفوذهم وزيادة نصيبهم من ثروات البلاد ـ فطالبوا بزيادة رواتبهم ، والحوا فى ذلك حتى خلت خزائن الدولة ، فأقضوا مضاجع

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص٣٥٦.

(٢) المقريزى : اغاثة الامة ص ٢١ ، اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٣) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ـ ص ٣٧٥ .

الخليفة والوزراء ، والجأوا الخليفة إلى بيع محتويات خزائنه لهم لأجل تسديد رواتبهم ، فأخذوها بأبخس الأثمان ، ثم تمادى بهم الحال فاقتسموا ريع الأراضى المزروعة .

وقد بدأ صعود العسكريين السياسى منذ عام ٤٥٠هـ(١) ، وهو نفس العام الذى كثر فيه تغيير الوزراء .

٣ــ الفتن والمنازعات :

تميز الجيش الفاطمى منذ فتح مصر بتباين العناصر العرقية المكونة له ، فكان يضم إلى جانب المغاربة الذين شكلوا العمود الفقرى لجيش الفتح ، عناصر موجودة فى الشرق من الديلم والاتراك ، وعناصر سوداء من الزنوج ومن العبيد الذين يشترون من تجار الرقيق ، وضم أيضا البدو والمصريين .(٢)

ورأينا كيف أن النزاعات التى ثارت بين بعض هذه الطوائف فى عصرى الحاكم والظاهر ، قد زادت من اضطراب البلاد وزيادة الأسعار ، الا أنها كانت نزاعات محدودة يمكن لسلطة الدولة تطويقها ، فلما ضعفت السلطة المركزية ، برزت نزاعات الجند لتصبح ملمحا رئيسيا من ملامح الحياة فى عصر المستنصر ، الذى ترك الأمر إلى وزرائه فحاولوا السيطرة على أمور البلاد عن طريق الاستعانة ببعض طوائف الجيش .

---

(١) المقريزى : اغاثة الامة ص٢٢ ــ ٢٣ ، اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٢٦٢ــ٢٦٣ .
(٢) د . ماجد : المرجع السابق ص٣٦٩ ــ ٣٧٤ .

ففى محاولة من الوزير الفلاحى للتفرد بشئون الحكم دون الملكة أم المستنصر ، سعى إلى تأليب الأتراك على السودان ، وهم من نفس جنس الملكة ، التى اعتمدت عليهم ، ولجأ أثناء ذلك إلى زيادة رواتب السودان والمغاربة ، وانقاص عطاء الأتراك ، مدعيا ان ذلك من فعل الملكة الأم ، ورئيس ديوانها الخاص التسترى ، فثار الأتراك وقتلوا التسترى ومالبثت الملكة أن نجحت فى قتل الفلاحى ، وأحلت فى منصبه الوزير أبا البركات الذى اختلف مع سياسة الملكة فى أضعاف الأتراك ، فعزلته وولت رئيس ديوانها الخاص الجديد المعروف باليازورى ، الذى نجح بقوة شخصيته فى وقف النزاع بين طوائف الجند إلى حد ما .(١)

ومع ذلك ، فقد ظلت أم المستنصر محافظة على سياستها فى تقريب بنى جنسها من السودان وبدا واضحا للأتراك أن الجيش الذى تم تكوينه من ٥٠ ألف جندى سودانى يشكلون حرس الخليفة وأمه ، ليس الا مقدمة للقضاء عليهم ، لهذا أصبحت البلاد وكأنها مخزن بارود ، تكفى شرارة صغيرة لاحداث انفجاره الهائل .(٢)

---

(١) ابن ميسر ، محمد بن على بن يوسف بن جلب : اخبار مصر ــ تصحيح هنرى ماسيه ــ المعهد العلمى الفرنسى القاهره ١٩١٩ ــ ج ٢ ص ١٤ ، د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين : ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ . والتسترى هو أبو سعد بن سهل التسترى ، يهودى كان يقوم هو واخوه أبو نصر هارون بالاتجار فى عهد الحاكم ، وتقرب أبو سعد الى الظاهر وباع له جاريه سوداء أولدها المستنصر بالله ، فوعت لأبى سعد ذلك ، فعينته فى ديوانها ، وقد عمل أبو سعد على عزل ابن الانبارى من الوزاره وتولية الفلاحى . انظر ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ١٣ ــ ٨٤ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٢٤

(٢) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ٨٩ .

وبمقتل اليازورى قويت احتمالات تفجر الصراع ، إذ تولى الوزارة البابلى ، الذى عمل بمشورة أم المستنصر فأغرى العبيد بالأتراك ، فتغيرت نياتهم "وصار فى قلب كل طائفة من الاخرى إحن". (١)

وجاءت شرارة الانفجار فى جمادى الآخر عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م ، عندما خرج المستنصر كعادته فى كل سنة إلى جب عميره وهو موضع نزهه بهيئة انه خارج للحج ومعه الخمر فى الروايا ليسقيه للناس عوضا عن الماء ، فجرد أثناء ذلك أحد الأتراك سيفا على بعض عبيد الشراء ، فقتله العبيد . (٢)

احتج الأتراك على هذا الحادث لدى المستنصر ، الذى استنكره ونفى رضاه عن ذلك ، فحمل بعض الأتراك على جماعة من العبيد عند كوم شريك فانهزم العبيد وقتل منهم عدد كبير . بعد هذه الهزيمة سارعت أم المستنصر إلى إمداد العبيد بالمال والسلاح ، فلما ضبط الأتراك بعضا مما كانت ترسله ، دخلوا على الخليفه ثائرين وأغلظوا له فى القول فأنكر أى صلة له بتأييد العبيد ، وثار النزاع المسلح ثانيه ، حتى تمكن أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى الوزير من الاصلاح بين العبيد والاتراك ، وخرج العبيد على أثر ذلك إلى شبرا دمنهور. (٣)

---

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ص١٤.
(٢) المصدر نفسه ص١٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص١٧ — ١٨ ، د . راشد البراوى : المرجع السابق ص٨٩ — ٩٠.
(٣) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص١٣ ، أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص١٨ — ١٩ ، د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص٣٧٦.

لم تستمر الهدنة بين الأتراك والعبيد طويلا ، وتجددت الاشتباكات المسلحة بينهما عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م، واستطاع الأتراك بقيادة ناصر الدولة بن حمدان أن يهزموا العبيد بالاسكندرية في موضع يعرف بالكرم ، وقتل نحو ألف من العبيد وهرب من بقى حيا، ثم تم الصلح بينهما بعد ذلك.(١)

وهذه أول مرة يرد فيها اسم ابن حمدان مقترنا بقيادة الأتراك ، وهو الحسن بن الحسين بن حمدان أبو محمد التغلبي الأمير ناصر الدولة ذو المجدين .(٢) وهو من أسرة الحمدانيين التي قضى الفاطميون على حكمها في حلب ، ومع ذلك فقد ولى بعض الحمدانيين مناصب في ولايات الشام ،وعين ابن حمدان هذا في ولاية دمشق سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م ، الا أنه عاد إلى مصر سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م ،وتولى في وزارة اليازوري حكم الريف بشرقيه وغربيه فكان يجبى الجوالى .(٣) ويبدو أنه أعيد مرة أخرى إلى ولاية دمشق في رجب سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م ومنها خرج في ٦ ربيع الأول سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م ، بناء على أوامر الخليفة ،على رأس جيش كثيف جاءه من مصر، لأجل إعادة خطبة المستنصر إلى حلب ، التي سيطر عليها معز الدولة بن مرداس ، ولكنه انهزم عنها في مستهل شعبان وأصيب بضربة شلت منها

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ج ٥ ص٢٠ .

(٣) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص٣٨٣ ــ ٣٨٤ .

يده وبقيت المدينة تحت سيطرة المرداسيين .(١) وليعود ابن حمدان إلى مصر ،وكأنه على موعد مع القدر ، ليقود الأتراك فى فترة حاسمة من تاريخ دولة الفاطميين ،وكانت أسرته تتولى زمام الأتراك وامراءهم منذ عهد الحاكم بأمر الله .(٢)

ويعد عام ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م، نقطة تحول هامه على طريق تزايد نفوذ الترك ، الذين تقووا بهزيمتهم للعبيد مرتين ، فقد استغلوا عدم مقدرة الدولة على سداد رواتبهم بسبب نقص النيل عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م.وهو بدء ما عرف بالشدة المستنصرية ،وطالبوا بزيادة واجباتهم ،ومنعوا العبيد من أرزاقهم ، فتفاقم الوضع مع تزايد أعداد السودان الذين بلغوا ٥٠ ألف رجل ما بين فارس وراجل .(٣)

عندئذ لم يكن السودان بحاجه إلى أوامر أم المستنصر التى بعثت لتغريهم بالأتراك ، فاجتمعوا وحضروا من شبرا دمنهور إلى الجيزة ، وخرج اليهم الأتراك بقيادة ابن حمدان ،وبلغت نفقة تعديتهم من القاهرة إلى الجيزة مليون دينار ، وانتهت الحروب التى دارت بين الطائفتين بهزيمة السودان وفرارهم إلى الصعيد .(٤)

---

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ص ١٠ ــ ١٢ . ويذكر د . ماجد أن ابن حمدان توجه إلى حلب عام ٤٥٠هـ ،وعاد منهزما عنها عام ٤٥٢هـ . انظر : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٨٤.

(٢) د . ماجد : المرجع السابق ص ٣٨٥.

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٧٣هـ. ماجد : المرجع السابق ص ٣٧٧

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ١٧ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٧٣.

كان فرار السودان الى الصعيد ، انسحابا تكتيكيا ، لاعادة ترتيب الصفوف ، وتأهبا لجولة أخرى من الصراع ، وبالفعل تجمع العبيد هناك وبلغ عددهم نحو ١٥ ألفا ما بين فارس وراجل . فقلق من ذلك الأتراك ودخلوا يشكون الى المستنصربالله ، فاهتبلت أم الخليفه الفرصة وأمرت بعض عبيدها فهاجموا الأتراك وقتلوا منهم . على أثر ذلك فرا بن حمدان إلى خارج القاهره وتلاحق به الاتراك وبدأ حملة تصفية جسدية للعبيد الذين بقوا فى القاهره والفسطاط ، ولم يبق الا العبيد الذين فروا إلى الصعيد ، وفريق آخر كان فى الأسكندرية ، التى حاصرها ابن حمدان فطلب عبيدها الأمان ، ورتب ابن حمدان عليها من يثق به.(١)

أعطت انتصارات الأتراك الجديدة ، زخما لابن حمدان الطامح إلى السلطة ، فاستهان بالخليفة الذى أضحى بلا حماية بعد هزيمة السودان ، وبدأ استعداءه للخليفه فى عام ٤٦٠ هـ / ٦٧ ـ ١٠٦٨م ، عندما طلب زيادة رواتب الأتراك من ٢٨٠٠٠ دينار شهريا إلى ٤٠٠٠٠ دينار ، مع علمه بخواء خزينة الدولة بسبب اضطراب الأحوال وعدم زراعة الأرض.(٢) وألح الأتراك فى طلب رواتبهم ، وحاصروا المستنصر وأخذوا جميع الأموال ثم اقتسموا الأعمال ، وساروا بعد ذلك إلى دار الوزير أبى كدينة

---

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ١٧ ، المقريزى : اتعاظ الحنفاج ٢ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٠ .

(٢) ابن ميسر : نفس المصدر ص ١٧ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ١١٦ .

مطالبين بالأموال فاعتذر بخروج البلاد عن سلطة الخلافة ، وافلاس الخزينة فأمروه باعلام الخليفة بمطالبهم فخرجت الرقعة بخط المستنصر مكتوب بها .

"أصبحت لا أرجو ولا أتقى الا الهى وله الفضل .

جدى نبيى وامامى ابى وقولى التوحيد والعدل .

المال مال الله - والعبد عبد الله . والاعطاء خير من المنع . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون".

واعتذر الخليفه بأنه لم يبق عنده شئ ، فاضطره الأتراك إلى إخراج ذخائر الخلافة وبيعها ، فأخذ يخرجها تدريجيا وهم يأخذون التحف والذخائر " لأنفسهم بأيديهم ويثمنونها بأقل القيم ، وأبخس الاثمان" (١)

لم يقف العبيد خلال هذه الفترة مكتوفى الأيدى ، فتغلبوا على الصعيد وأكثروا السلب والنهب والقتل حتى ضج الناس بالشكوى منهم ،عندئذ سار الأتراك إليهم فى شهر رمضان سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م وبلغت نفقتهم مليون دينار أيضا ، الا أنهم هذه المرة هُزموا أمام العبيد ،فعادوا إلى الجيزة(٢)

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفاج ٢ ص٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ص١٧ .

اتهم الاتراك المستنصر بمساندة العبيد بالأموال ، وجهروا لـه بالسوء من القول ، فنفى تقديمه يد العون للعبيد ، ثم أجبروا الخليفة على أن ينفق فيهم مليون دينار أخرى عوضا عما ضاع من أموالهم .

وبذلك تمكنوا من إعادة تنظيم صفوفهم ، وعادوا إلى محاربة العبيد ، ونجحوا فى استئصال شأفتهم نهائيا ، وتفرد الأتراك وابن حمدان بالأمور وتحكموا فى الدولة حتى عام ٤٦١هـ / ٦٨_١٠٦٩م. (١)

ولم تفلح محاولات التخلص من ابن حمدان ، فقد هاجمه صيرفى ولم يتمكن الا من جرحه ، فقبض عليه وشنق ، (٢) وكان ذلك بتدبير المستنصر وأمه.

ولعل ذلك كان بسبب سعى ابن حمدان لاسقاط الخلافه نهائيا ، لأنه اتفق مع رجل من الأشراف هو أبو طاهر حيدرة بن الحسن الحسينى الذى نفاه والى دمشق بدر الجمالى ، وكان هذا الرجل محببا للناس وتلقبه العامه بأمير المؤمنين ، على أن يوليه الخلافة لنسبه الصحيح ، وتحالفا لأجل ذلك مع بعض العرب واستقل ابن حمدان بقسم من الجيش وخاصه طائفة الأكراد التى ربما كان تاج الملوك شادى زعيمها . (٣)

---

(١) ابن ميسر: المصدر السابق ج ٢ ص١٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ـ ٢٧٦ ، د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٩١ .

(٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص٨٣ .

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص١٣ ، د . ماجد : ظهور خلافة ص٣٨٦

وبصورة واضحه فقد تحول ابن حمدان منذ عام ٤٦١ هـ من متمرد تحت دعوى حماية حقوق الأتراك ، إلى متمرد على الخليفه الفاطمى وحتى الأتراك. فقد أعمته أطماعه الخاصة عن الحفاظ على قوة الأتراك عناصره الفاعلة فى إرباك أمور الخلافة ، واستأثر لنفسه واتباعه المقربين بما كان يخرج من أموال وذخائر المستنصر ، وبدأ يتصرف فى الأمور بمفرده كسيد مطلق السلطان ، وخاصه أنه قام بتقسيم دور المكوس والجبايات على قواده ، "حتى لم يبق للدوله دخل يعول عليه ولا مال فى القياصو يرجع اليه". (١)

رأى الأتراك أنه لوزالت دولة الفاطميين ، أنهم سيفقدون نفوذهم فتحركوا باتجاه تدعيم الخليفه بهدف التخلص من ابن حمدان ، ورفعوا الأمر إلى الوزير وقالوا ان كل ما يخرج من الخليفه يقصره ابن حمدان على اتباعه ولا يعطيهم منه شىء ، فطلب الوزير منهم التخلى عن مساندته والعمل على اخراجه من مصر فوافقوه على ذلك ، وشرع المستنصر فى تنفيذ الاتفاق ، فطلب من ابن حمدان الخروج من القاهرة ، وامتثل ابن حمدان للأمر لما أيقن انحياز الأتراك للخليفة ، وخرج إلى الجيزة فانتهبت دوره ودور أصحابه وحاشيته. (٢)

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ٢٧٨.

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ص ١٨ ، د. البراوى : المرجع السابق ص ٩١.

ولكن ابن حمدان لم تعية الحيل ، فتحالف مع القائد تاج الملوك شادى على قتل الوزير خطير الملك ، والدكز الذى قاد الأتراك ضد ناصر الدولة ، حتى تتاح لهما فرصة التفرد بالسلطة واتفقا على أن يقوم شادى ورجاله بقتل الوزير والدكز عند مرورها بشارع بين القصرين فى الطريق لقصر الخليفة ، ونما إلى علم الدكز تفاصيل الاتفاق فالتجأ إلى القصور واستجار بالمستنصر فى الليل ، بينما أقدم الوزير فى موكبه صباحا فبادره تاج الملوك وجنوده فقتلوه ، وأرسل إلى ناصر الدولة فحضر إلى القاهرة (١) .

آنذاك لم يكن هناك من الحرب بد ، فلبس المستنصر عدة الحرب عملاً بمشورة الدكز وقاد الجند وعامة الشعب أيضا ، واستطاع أن يهزم ابن حمدان ويقتل الكثير من أتباعه ، ففر ابن حمدان الى البحيرة واستجار ببنى سنبس من قبائل العرب وتزوج منهم (٢) ، فتقوى بهم وبقبائل قيس ولواتة ، وانضم اليه بعض المشارقه ، وبدأ يستعد لجولة

---

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ص١٨ ـ ١٩ ،المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٢٧٩ .

(٢) د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ـ شباب الجامعه الاسكندرية ١٩٨٢ ـ ص١٨٦ ـ ١٨٧ .
والسنابسبطن كان يقيم بالبحيرة من أعمال مصر وينتسب إلى لبيد بن سنبس بن معاويه بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طىء بن أملان من القحطانية عمر رضا كحاله : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ـ المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٤٩ ـ ج٢ ص٥٥٦ .

جديدة من الصراع .(١)

ووجد ناصر الدولة نفسه بعد انفضاض الأتراك من حوله في طور جديد من النزاع مع الخلافة يصعب خلاله الاستيلاء على الحكم بمجرد التحالف مع بعض القبائل العربية فلجأ الى الاستعانة بقوة سنية كبيرة يسعدها إسقاط خلافة الفاطميين الشيعية ، وهي السلاجقة ، فبعث الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد بن النجاري رسولا منه الى السلطان ألب أرسلان بالعراق في عام ٤٦٢هـ / ٦٩ ـ ١٠٧٠م ، طالبا منه مددا عسكريا ليقيم الدعوة للخلافة العباسية بمصر.(٢)

هنا شمر المستنصر بالله عن ساعد الجد ، انقاذا لخلافته من السقوط ، فجهز جيشا كبيرا من الأتراك وقسمه إلى ثلاثة فرق ، لكل منها مقدم ، والأرجح أن هذا التقسيم كان تقسيما بحكم الأمر الواقع ، إذ أنه راعى فيما يبدو وجود ثلاثة قواد رئيسيين بين الأتراك ، فجعل كلا منهم على رأس فرقه .

---

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ص ١٨ ـ ١٩ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢٧٩ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهره : ج ٥ ص ١٤ ـ ١٥ ، د . ماجد : ظهور خلافه الفاطميين ص ٣٨٧ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٢ .

ويفسر ذلك أن كل مقدم عمل بمفرده على هزيمة ابن حمدان طمعا فى أن يعود اليه الفضل فى هذا العمل مما يدعم موقفه فى السيطرة على الدولة . ولم يدخل الجيش الحرب مدججا بروح " المركزية " ، فهزمت أول فرقة أمام ابن حمدان وأعراب البحيرة وقتل أفرادها واستولى على أسلحتها ، وتلى ذلك انهزام الفرقة الثانية التى لم تكن على علم بما حدث ثم تقدم ابن حمدان فأجهز على بقية الجيش.(١)

بعد هذه الانتصارات الباهرة أخذ ناصر الدولة فى تدعيم قواته بفضل ما غنمه من الأتراك ، وعاث فى البلاد فسادا واعمل السلب والنهب والقتل ، فأثار الذعر فى الوجه البحرى ، الذى أصبح تحت سيطرته الكاملة ، وكون لنفسه دولة داخل الدولة ، غير خاضعة لنفوذ الخليفة ، بل وخطب فيها للخليفة العباسى القائم بأمر الله.(٢)

ولم يكن ذلك آخرما فى جعبة ابن حمدان ، فقد أعقب سيطرته على الوجه البحرى بممارسة ضغط اقتصادى شديد على مركز الخلافة ، القاهرة ، بقطع الميرة عنها ، إضافة الى أن استمرار الحروب أدى إلى عجز الفلاحين عن زراعة الأرض فاشتدت الحالة على الناس.(٣)

---

(١) المقريزى: اتعاظ ج٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ص ٢٠.

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ص٢٠ ، المقريزى : المصدر السابق ص٣٠٣ ، د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ص١٨٧.

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٣٠٣.

وأتى الحصار الاقتصادى ثماره سريعا ،إذ ارتفعت الأسعار وثار الشعب ، فخاف المستنصر من ثورته وخشى أن يسلمه إلى ابن حمدان ، ووافق الأتراك على الإذعان لشروط ابن حمدان ،وأصبح هو فى قصره كالمحجور عليه .(١) وعقد الاتراك المصالحة مع ابن حمدان فى عام ٤٦٣هـ ٧٠ـ ١٠٧١م بسبب نقص الغذاء وعدم زراعة الأرض وانتشار الأوبئة .(٢)

وتم الاتفاق على أن يظل ابن حمدان بالبحيرة ، وترسل له الأموال التى تقرر له ، وأن يكون تاج الملوك شادى نائبه فى القاهرة ،وهو الذى يضمن نفاذ الأموال اليه .

وبفضل هذا الاتفاق دخلت الغلال إلى القاهرة والفسطاط ، فطابت قلوب الناس ، ودام الأمر على ذلك لمدة شهر واحد ،اختلف من بعده الأتراك مع ابن حمدان ،فجاء من البحيرة بعساكره إلى مصر وحاصرها فى ذى القعده ونهب وأحرق وخطف النساء من الطرق ،ثم عاد إلى البحيرة(٣) بعد أن وعده الاتراك فيما يبدو بتطبيق نفس شروط الصلح السابقه.

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص١٥ .

(٢) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص٩١ .

(٣) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص٢١ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص٣٠٥ .

الا ان تاج الملوك شادى أخل بالتزاماته المالية تجاه ناصر الدولة ، فزحف الأخير بالعربان إلى الجيزة ، واستدعى شاديا وبعض المقدمين فخرجوا اليه مطمئنين ، فقبض عليهم وألقى العربان النار في الفسطاط ونهبوا وسلبوا . (١) وفي هذه المرة نجح الجيش الذى جهزه المستنصر في هزيمة ابن حمدان ومطاردته هو وأتباعه ، فعاد إلى البحيرة مرة اخرى. (٢)

كان ذلك يعني انهيارا لإتفاق ٤٦٣هـ ، الذى نص ولا شك على اعادة الخطبة للمستنصر ، فقام ناصر الدولة بقطع خطبة المستنصر من الوجه البحرى وخطب مرة أخرى للقائم العباسى وراسله في بغداد ، يطلب منه أن يجهز له الخلع والألوية السوداء (شعار العباسيين) ، "فاضمحل أمر المستنصر وتلاشى قدره" . (٣)

ثم حدثت معارك بين المشارقه والمغاربة عند كوم الريش بالقرب من القاهره عام ٤٦٤ هـ / ٧١ — ١٠٧٢م وقتل في هذه المعارك ١٢ ألفا من الفريقين . (٤)

---

(١) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٢١ .
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٦ .
(٣) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٢١ ، المقريزى : المصدر السابق ص ٣١٦ .
(٤) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين — ص ٣٧٧ .

وساعدت هذه الفتن وضعف شخصية الخليفة ، ابن حمدان على تفكيك الجبهة الموالية للخليفة ، فاستمال كثيرا من الأتراك ، وأيقن عندئذ عجز المستنصر عن مقاومته فى ظل تدهور الاحوال الاقتصادية وتفشى الأوبئة ، فدخل مصر بعساكره فى شعبان ٤٦٤ هـ / ١٠٧٢م (١) .

ومن الفسطاط ، أرسل ابن حمدان إلى القاهره ليطلب الأموال من الخليفة ، فوجد رسوله الخليفة جالسا على حصير بغير فرش ولا أبهة ، وليس عنده غير ثلاثة من الخدم ، فلما أدى الرسالة قال له المستنصر ، اما يكفى ناصر الدولة ان أجلس على هذه الحال ؟ فبكى رسول ناصر الدولة ونقل الى موفده ما رأى ، فرق له وقرر للخليفة نفقة شهرية مائة دينار ، "ومارس الحكم بنفسه ، وأصبح الخليفه مجرد مسمى بلا معنى" . (٢) .

وكانت أول خطوات ناصر الدولة تصفية حساباته القديمة مع أم المستنصر فقبض عليها وعاقبها غير مرة حتى استصفى أموالها ويقال انها فرت الى بغداد مع بعض أهل المستنصر ،(٣) وإن كان ذلك امرا مستبعدا بحكم العداوة التقليدية مع الدولة العباسيه .

---

(١) ابن ميسر: المصدر السابق ص ٢١ ، المقريزى : المصدر السابق ص ٣١٦ .
(٢) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٢١ .
(٣) المصدر نفسه .

وتمهيدا لازالة الخلافه الفاطميه من مصر عمل على اخلاء القاهرة من أعوان المستنصر الأقوياء والذين يمكن أن يقفوا حجر عثرة فى سبيل ذلك ، فكان يوليهم الأعمال ثم يعزلهم منها بمجرد وصولهم اليها ولا يمكنهم من العودة مرة اخرى الى القاهرة .(١)

واخذ ابن حمدان يعد العدة لاقامة الدعوة العباسية بالقاهرة واسقاط اسم المستنصر من الخطبة ، الامر الذى أثار مخاوف الأتراك من ضياع مكانتهم التى تمتعوا بها فى الدولة الفاطمية ، اذا ما أقيمت الدعوة لبنى العباسى وصارت مصر ولاية سنية تابعة لخلافة بغداد والسلاجقه الأقوياء ، فعملوا على قتل ابن حمدان ، وتزعم هذا الاتجاه صهر ناصر الدولة "الدكز" التركى الذى كان متزوجا من ابنه ناصر الدولة ، وتشاور مع الأمير يلدكوز أو يلد كوشى ، ونجحا فى جمع رأى الاتراك على ذلك .(٢)

وتولى الدكز هذه المهمه ، لان ناصر الدولة يأمن له لكونه صهره فاصطحب معه غلام يقال له "أبو منصور كمشتكين" ويلقب بحسام الدولة بعد أن أطلعه على جلية الأمر. ودخلا على ناصر الدولة ، فى مستهل شهر رمضان سنه ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣م ـ

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٧ ـ ٣٠ .
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٩ .

والفراشون ينفضون البسط ليقعد عليها ، وهو يمشى فى صحن الدار ، فمشى الدكز معه ثم تأخر عنه وضربه فى خاصرته "بيافروت" وهو سكين مغربى ، فعاجله كمشتكين بضربة قطعت رجليه ثم حزت رأسه. (١) وبذلك وضعت نهاية لحياة ناصر الدولة الذى لم يكن قط ناصرا لدولة الفاطميين. ثم قام الأتراك بتتبع أقارب ناصر الدولة ورجاله حتى أبادوهم وقطع ابن حمدان قطعا ، وأنفذت كل قطعة الى بلد. (٢)

الا أن الستار لم يسدل مع مقتل ابن حمدان ، الا لينفرج عن فصل جديد ، أخذ فيه الأتراك دور ابن حمدان ، فقد أرادوا أن يجنوا ثمار انتصارهم على عدو الخلافة ، فدخلوا على المستنصر ومعهم رؤوس اعدائه وطلبوا الأموال ، فرد المستنصر بأن الأموال أخذها ابن حمدان وان الخلاف كان بينه وبين الأتراك ، وأنهم هم الذين نقضوا العهد معه ، ولكن الأمر استقر على ماجرت عليه العادة ، إذ أخرج المستنصر من خزائنه قطعا من المرجان وعروضا أخرى حمل ثمنها إلى الدكز ورفقته. (٣)

ومارس الأتراك منذ بداية عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م ، الضغط على الخليفة ، وكان على راسهم سلطان الجيوش يلدكوز التركى والأمير الدكز ومعهم الوزير أبى كدينة. وخاب ظن المستنصر فى أن يكون فى مقتل ابن

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص ٢١.
(٢) المصدر نفسه ج ٥ ص ٢١ — ٢٢ ، ابن ميسر : المصدر السابق ص ٢٢ ، المقريزى : المصدر السابق ص ٣٠٩ — ٣١٠.
(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهره : ج ٥ ص ٢٢.

حدان راحة له • وبلغت سيطرة الدكز حدا مكنه من فرض حظـــر الدخول إلى القاهره أو الخروج منها ،ولعله سعى إلى الملك• (٢)

أيقن المستنصر أن مصير خلافته أصبح فى مهب الريح ، فقـــد تحالف عليه الأتراك بعد فناء معظم السودان والمغاربه ، واستبد به اليأس فلم يجد مخرجا الا باستدعاء بدر للجمالى من عكا بفلسطين علـــه يستطيع انقاذه من تسلط الدكز والأتراك• (٣)

قبل بدر المهمه بشريطة أن يقدم بعسكر معه وأن لا يبقى أحـد ا من عساكر مصر ولا وزرائها ، فأجابه المستنصر إلى ذلك • (٤)

سار بدر إلى مصر عام ٤٦٦ هـ (ديسمبر ١٠٧٣ أو يناير ١٠٧٤م)فى مائة مركب ومعه جنوده وعبدالله بن المستنصر الذى فر إليه أثناء الأحداث وذلك رغم تحذيره من حالة البحر فى الشتاء ، ولكن الظروف الجوية واتتـــه

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١١•

(٢) د • ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٩٢•

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص ٢٢ ، د • راشد البراوى : المرجـع السابق ص ٦٩ • وبدر الجمالى هو بدر بن عبد الله ، وكان مملوكا لجمـال الدوله بن عمار أحد ولاة طرابلس الشام ، فعرف بالجمالى نسبة اليـه وبدر من أصل أرمنى مسلم تمكن بجده وحزمه من التنقل فى المناصب حتى ولى دمشق وصور عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣ م وحارب بأمر الخلافة المتمردين فى حلب ودمشق ثم تولى ولاية عكا فى سنة ٤٦٢هـ / ٦٩ — ١٠٧٠م وبقى بها حتى طلب المستنصر نجدتـه • د • ماجد : المرجع السابق ص ٣٩٣•

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٢٢•

ودامت كذلك أربعين يوما وصل بعدها إلى دمياط .(١) وأقام مدة بدمياط، اقترض خلالها مالا من تجار تنيس ويقال أقترضه عليهم ، ثم قدم عليه سليمان اللواتي (٢) وهو يومئذ كبير أهل البحيرة وأوسعهم حالا ، حاملا معه الغلال ، وأمن له الطريق حتى وصل إلى قليوب على مقربة من القاهرة .

ومن هناك يطلب منه القبض على يلدكوز حتى يتمكن من دخول القاهرة ، فبادر المستنصر إلى القبض عليه .(٣)

بعدها دخل بدر القاهره يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ، وأرسل كل أمير من أمرائه إلى قائد من قواد الدولة ليلا ، وامره ان ياتيه برأسه ، فأصبح وقد حضر من روؤس أمراء الدولة شيء كثير فقبض على بقية الاتراك وتتبع المفسدين حتى قضى عليهم وفر ابن يلدكوز إلى الشام .(٤)

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١١ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠ .

(٢) اللواتيون من أعراب مصر وفروعهم بنوهانى وبنو سليمان وبنومنكنيت : انظر : عمر رضا كحاله معجم قبائل العرب ج ٣ ص ١٠١٧ .

(٣) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٢٣ المقريزى : المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٢ ويذكر د . ماجد ان لواته قاومت بدرا عند نزوله إلى دمياط وأنه قتل منهم الالوف وعلى رأسهم سليمان اللواتي (ظهور خلافه الفاطميين ص ٣٩٣) والواقع ان بدر الجمالي قاتلهم بعد ذلك كما يستفاد من ابن ميسر (ج ٢ ص ٢٤) ومن سياق ما ورد في سجل من المستنصر الى حاكم اليمن على بن الصليحى بتاريخ المحرم سنة ٤٦٣ هـ — انظر د . ماجد : السجلات المستنصرية — دار الفكر العربى القاهره — ١٩٥٤ — ص ١٨٤ . ويمكن ارجاع تعاون لواته مع بدر الجمالي عند نزوله إلى ان اللواتيين كانوا حلفاء ابن حمدان الذى قتله الأتراك .

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٢٣ .

لم يشأ المقريزى الا ان يحيط قضاء بدر الجمالى على الأتراك بعبق المؤمرات والمذابح ، فيروى أنه عند دخول بدر القاهره ، تلقاه أهل الدولة وانزلوه وبالغوا في إكرامه ، فأظهر أنه ما جاء إلا شوقا إليهم ، وخدعهم بما أبداه من المحبة لهم وكثرة التملق وعدم ذكره المستنصر إلا بالسوء ، حتى تمكن رجاله من الدخول إلى القاهره فرادى وخفية ووصل عددهم إلى تسعمائة . ثم أخذ فى الأكل والشرب مع الامراء حتى اشتد تأنسهم به ، واستدعاء كل منهم إلى ضيافته ، وورد على ضيافتهم بأن أقام وليمه للأمراء ورتب أصحابه ليقتل كل واحد منهم أميرا عند ذهابه للخلاء ، على ان يكون له جميع ما بيد المقتول . وتم تنفيذ ما أراده بدر.(١)

ان هذه الرواية التاريخية الشبيهة فى حبكتها القصصية بالروايات البوليسية ، يحيط بها الشك جملة ، وتفصيلا ، اذ ليس من الواقعية فى شئ ان يكون الاتراك وقوادهم على هذا القدر من الغفلة ، حتى يفسروا مقدم بدر الجمالى على انه شوقا لهم ومحبه ، خاصة وأن بدر الجمالى طلب القبض على يلدكوز التركى قبل دخوله القاهرة ، ويقينا فان قرب ابن ميسر الزمنى من هذه الأحداث يرجح صدق روايته ويدحض رواية المقريزى المثيرة .(٢)

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٢ .

(٢) يذكر ابو المحاسن ان الدكز التركى تحالف مع بدر الجمالى لمدة يسيرة ثم قبض عليه بدر واهانة وغذبه وطالبه بالمال فلم يظهر سوى ١٢ الف دينار مع اتساع ثرائه ، فقتله بدر الجمالى وقيل انه لم يقتل وهرب الى الشام (النجوم الزاهره ج ٥ ص ٢٢) .

وبعد القضاء على الأتراك بات واضحا أن خطه بدر تقضى أولا باسترداد السلطه المركزية لهيبتها في العاصمة ، القاهره ، وتخليصها من إسار السيطرة التركية ثم التوجه بعد ذلك الى أقاليم الدوله ، للسيطرة عليها . فقتل جماعة من أماثل المصريين وحكامهم ووزرائهم واتجه الى الدلتا فحارب فى شرقها وغربها اللواتيين والعرب والملحيين حتى قضى على كل من سولت له نفسه الانتقاص من سيطرة الحكومة الكاملة .(١)

٤ـ نقص فيضان النيل :

لم يصل النيل خلال المجاعات التي وقعت فى عصر المستنصر ، إلى حد القحط ، كما وأنه لم يقل عن ١٦ ذراعا الا فى مرتين (٤٤٦ ، ٤٦٠ هـ) وتعدى خلالها ١٥ ذراعا ، ولذا فليس بامكاننا ان نحمل الفيضان وزر هذه المجاعات ، وتعد مسئوليته عنها مسئولية محدودة وجزئية ، ولعل ذلك هو الذى حدا بالمقريزى ان يورده فى آخر قائمه اسباب الشدة المستنصرية ، بل انه يزيد الأمر تفصيلا فيقول أن من أسبابها " عدم من يزرع ما شمله الرى "(٢) أى موت الكثير من الفلاحين .

---

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص٢٤ المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٣١٤ ـ ٣١٦ .

(٢) المقريزى : اغاثة الامه ص٢٣ ويذكر Brocklmann ان سبب الشدة المستنصرية هو الانخفاض فى فيضان النيل انظر Brocklmann.Op.cit.p.162. ويذهب د . ماجد نفس المذهب مستشهدا فى ذلك بقوائم النيل التى أوردها ابو المحاسن فى الجزء الخامس من النجوم الزاهره . انظر : ظهور خلافة الفاطميين ص٣٦٦ .
وتؤكد رواية القلقشندى أن مسئولية الفيضان عن المجاعه كانت محدودة حيث يذكر ان الفيضان لم يوف خلال العامين الأولين ثم وفى النيل فى السنة الثالثه وقام الى الخامسة ثم نزل فى وقته فلم يوجد من يزرع لقله الناس وأنه وفى فى السنة السادسة وأقام حتى فرغت السابعة . القلقشندى ـ ج ٣ ص٢٩٦ .

تبدأ سلسلة مجاعات عصر المستنصر بواحدة وقعت عام ٤٤٤هـ/٥٢ — ١٠٥٣م ، ولا يمكن أن يكون سببها قصور النيل[1] ،كما يقول المقريزى ،اذأن زيادة النيل بلغت فى هذه السنة ١٧ ذراعا و٥ أصابع وهو حد لا يمكن القول معه بأن النيل ناقص رغم تسليمنا بأن ذلك غير كاف لزراعة جميع الأراضى .

ولذا وجب البحث عن عامل آخر كان له التأثير الأقوى فى نشأة هذه المجاعة

ويشد الانتباه أن المخازن السلطانيه لم يكن فيها شىء من الغلال، فاشتدت لذلك المسغبة [2] . وان سبب ذلك هو تغيير الوزير اليازورى عندما كان قاضيا لبضائع المتجر أو المخازن السلطانية .

والمتجر عباره عما يبتاع للديوان من بضائع يحتاج إليها وتدر الربح أيضا [3]، وكانت الدولة تشترى فى كل عام بمائة الف دينار غلال ، وكان هذا الاحتياطى يوزع وقت الحاجه على الطحانين والخبازين[4] وكان وجود هذا المخزون كفيلا بمنع التجار من التفكير فى التلاعب بالأسعار[5]

---

(١) المقريزى : اغاثة الامة ص ٢١٧ ، الخططج ١ ص ٣٥٦ .
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٤ ، الخطط ج ١ ص ١٠٩ .
(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٩ .
(٤) د . عبد المنعم ماجد : امرأة مصرية تنتزع مظاهره فى عهد الخليفه المستنصر بالله الفاطمى — مقال بالمجله التاريخية المصرية — القاهره ١٩٧٧ — مجلد ٢٤ ص ٣٥ .
(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٧٤ — ٢٧٥ .

ويعني ذلك أن هذا المتجر لم يكن هدفه الرئيسي الربح بل كان التخفيف عن كاهل الشعب وخاصه وقت الأزمات ، ولكن اليازوري لم يفهم ذلك ، ونظر اليه نظرة التاجر الذى يروم الربح ، لا نظرة رجل الدولة المسئول ، فذكر للخليفه ان المتجر الذى يقام بالغله فيه أوفى مضرة على المسلمين وربما انحط السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها فتتعفن فى المخازن . وزين للخليفه أن يقيم متجرا "لاكلفة فيه على الناس" ويفيد أضعاف فائدة الغلة ، ولا يخشى عليه من التغير فى المخازن لانحطاط سعره فأمضى المستنصر ماراه اليازوري واشترى للمتجر الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما الى ذلك.(١)

ولقد وجد اليازوري فى حادثة عابرة مبررا لمشورته تلك ، إذ قام أحد باعة الخبز ببيع خبزه بسعر أقل من السعر السائد فى السوق وذلك خوفا من كساده إذا برد ، فعاقبه عريف الخبازين بمعرفة عونيين من الحسبة أغرمه عشرة دراهم . فشكا البائع ذلك إلى القاضى (اليازوري) الذى عزل العريف وكافأ البائع ، الذى ذهبت بعقله المكافأة فأخذ يرخص فى سعر خبزه والباعة يتبعونه خوفا من الكساد ، فنزل سعر الخبز من أربعة أرطال بدرهم وثمن إلى عشرة أرطال بدرهم ، فخيل لليازوري أن ذلك قانون سوف يدوم .(٢)

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص٢٢٥ .

(٢) المقريزى : اغاثة الأمة ص١٧ ـ ١٩ .

الا أن الاختبار الحقيقى لهذه السياسة التى انتهجها اليازورى تجاه المخزن كان فى عام ٤٤٦هـ/٥٤ـ١٠٥٥م ، عندما وقعت مجاعة كان سببها انخفاض النيل (١٥ ذراعا و ١٤ أصبعا حسب الدوادارى) وصحب هذه المجاعة انتشار للوباء بين السكان ، ولم يكن فى المخازن الاجرايات من فى القصور ومطبخ السلطان وحواشيه فقط[1] نتيجة لتخلى الدولة عن دورها فى شراء الغلال .

حاول اليازورى ان يوقف الكارثه ، ولم يكن الرجل الذى تنقصه الفطنة والحصافة ، فاتجه إلى مخازن التجار فختم عليها واستولى على مابها من الغلال ، إذ كان التجار يقومون بشراء الغلال قبل حصادها من عمال النواحى مقابل ضمان التجار لسداد خراج الدولة دون أن يجهد العمال أنفسهم فى مطالبه الفلاحين ومطالبتهم بالتعجيل فى الدفع ، ثم يحمل التجار الغلال الى مخازنهم بعد الحصاد .[2]

وقامت الدولة بشراء الغلال المصادرة ، وأربحت التجار فى ثمنها $\frac{1}{8}$ دينار فى كل دينار ، ونقلت الغلال بالمراكب إلى مصر وأودعت المخازن السلطانية ، وسعر القمح كل تليس بثلاثة دنانير بعد أن كان ثمانية دنانير ، وحدد اليازورى تموينا لمصر والقاهره مقداره يوميا سبعمائة

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٢٦ ، وان كان المقريزى فى الخطط (ج ١ ص ٣٥٦) يذكر ذلك فى حوادث ٤٤٧هـ والاصح أن ذلك حدث فى سنة ٤٤٦هـ حسبما ذكر فى اغاثة الأمة ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) المقريزى : اغاثة الأمة ص ١٩ ـ ٢٠ ، اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٢٦ .

تليس لمصر وثلثمائه للقاهره ، فاستقرت الأحوال لمدة عشرين شهرا حتى دخلت الغله الجديدة فزال الغلاء .(١)

وتحسبا لاحتمال استمرار نقصان النيل ، طلبت الدولة الفاطمية من الامبراطور البيزنطى قسطنطين التاسع Constentine IX. Nonamochos امداد مصر بالقمح لمواجهة المجاعة التى استمرت حتى وفاة الامبراطور عام ٤٤٧هـ/٥٥ـ ١٠٥٦م ، فلما خلفته ابنته تيودورا Theodora اشترطت اشتراك مصر فى معاهده دفاعية هجومية مع بيزنطة ، فرفض اليازورى ، لأن حاجة مصر للغلال مسألة موقته ورهن بفيضان النيل .(٢)

وحاول المستنصر أن يؤدب تيودورا لمنعها الغلال ، فجهز عسكرا بقيادة مكين الدولة الحسن بن على بن ملهم وتبعهم بعسكر ثان و ثالث ونودى فى سائر بلاد الشام بالغزو إلى بلاد الروم .(٣) ونزل ابن ملهم قريبا من فاميه فحاصرها وجال فى أعمال انطاكية وسبى ونهب ، فأخرج البيزنطيون ثمانين قطعه بحرية حاربت ابن ملهم وهزمته وأسر هو وجماعة كثيرة .(٤)

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٢٢٦ .
(٢) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص١٠١ .

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص٧ .
(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص٣٣٥ .

سعى المستنصر بعد ذلك إلى اصلاح العلاقات مع دولة بيزنطه فبعث فى سنة ٤٤٧هـ/ ٥٥ـ ١٠٥٦م ، أبا عبد الله القضاعى برسالة الى القسطنطينية ، فوجد بها رسول طغرل بك السلجوقى ، وقد أتى من العراق وسمح له بالصلاة فى مسجد القسطنطينية والدعاء للخليفة العباسى ، فما كان من الخليفة الفاطمى الا ان قبض على جميع ما بكنيسة القيامة ببيت المقدس ، فازدادت العلاقات المصرية ـ البيزنطية سوءا . (١)

وصحب هذه المجاعة وباء شديد أودى بحياة الكثيرين وخاصه فى عام ٤٤٧هـ ـ ٤٤٨هـ (٢) حتى أن عطارا باع فى يوم واحد الف قارورة شراب (٣) وقدر من مات فى مصر فى سنة ٤٤٨هـ / ٥٦ ـ ١٠٥٧م بألف إنسان كل يوم . (٤) ويذكر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى أحدهم على باب النقبه والثانى على راس الدرجة ، والثالث على الثياب التى كورها . (٥)

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٥ .

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٧ المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٣٠ ، وشمل الوباء والقحط بغداد والشام أيضا : ابن الجوزى ـ المنتظم ـ حيدرأباد ١٣٥٩هـ ـ ج ٨ ص ١٦٣ ، وعم الوباء والقحط الأندلسى وخاصه أشبيلية وسمى عام ٤٤٨ فيها بعام الجوع الكبير ـ أنظر: الذهبى : تاريخ الإسلام مجلد ١٦ ص ٢٠٠

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص ٥٩ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٧٩ .

(٥) أبو الفدا : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٨ .

وساعد على تفاقم الأزمة عام ٤٤٨ هـ أن الأموال في القصر خلت نتيجة للانفاق لاجل تجهيز المؤيد في الدين الذى أرسل لدعم ثورة البساسيرى الذى أقام الدعوة للفاطميين في بغداد .(١)

وقد خلط المقريزى بين هذه المجاعة والشدة المستنصرية ، حيث ذكر أنها امتدت سبع سنوات بدءاً من عام ٤٤٧هـ.(٢)

ولم تكن مصر وحدها هي التي تعاني من المجاعة والوباء . قد حدث بمكة سنة ٤٤٧هـ بسبب عدم إرسال الطعام إليها من مصر، وبلغ سعر الخبز عشرة أرطال بدينار ، ثم اختفى الخبز ، فأشرف الناس والحجاج على الهلاك ، ولم ينقذهم إلا الجراد الذى ملأ الارض فأكلوه ثم خفت وطأة الأزمة برحيل الحجاج عن مكة .(٣)

وفى عام ٤٤٨هـ عم الوباء والغلاء مكة والحجاز وديار بكر والموصل وخراسان والجبال وسائر بلاد الشام وأكل الناس الميتة في العراق.(٤)

واستمر الغلاء والوباء في عام ٤٤٩هـ / ٥٧-١٠٥٨م في العراق وبخارى وأذربيجان والأهواز ، وخلت أكثر دور بغداد وسدت على أهلها أبوابها بما فيها وأهلها موتى فيها وأكل الناس الجيف والكلاب بل والآدميين.(٥)

---

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٨ ، عن ثورة ابى الحارث ارسلان بن عبد الله البساسيرى : انظر : ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ١٧٢ — ١٧٣ .
(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٥ .
(٣) ابن الاثير : كامل ج ٨ ص ٧٣ .
(٤) المصدر السابق ص ٧٩ ابو الفدا : المصدر السابق ج ١٢ ص ٦٨ .
(٥) ابو الفدا : المصدر السابق ج ١٢ ص ٧٠ — ٧١ .

وكان سبب هذا الوباء قلة الاغذية والجوع فنبشت الأموات واكلهم الناس .(١)

وتعرضت مصر عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م لانتشار وباء الطاعون ، فمات في عشرة أشهر كل يوم ألف انسان .(٢) ويبدو أن سبب هذا الوباء كان الارتفاع الكبير لفيضان النيل (١٩ ذراعا ، و١٢ اصبعا — انظر الملحق)

إلا أن كل هذه الوقائع المريرة ، تتضاءل امام جسامة أحداث المجاعة التى اجتاحت مصر لمدة سبع سنوات بدأت فى عام ٤٥٧هـ واشتهرت هذه المجاعة باسم الشدة المستنصرية التى يقال أنه لم يحدث مثلها منذ زمان يوسف عليه السلام .(٣)

وسبب بداية هذه المجاعة هو قصور ماء الفيضان — إلى حد ما فارتفعت الأسعار واعقب ذلك الوباء حتى تعطلت الأراضى عن الزراعة .(٤) وظل النيل بعد هذه السنة يمد و ينزل فلا يجد من يزرع .(٥)

ولاشك ان نزاعات الجند التى شلت يد الحكومة ، وأخلت بالأمن ، هى التى جعلت من هذه الأحداث كارثة حقيقية طال أمدها إلى سبع سنوات ، وبلغت أقصاها فى عام ٤٦٢هـ/ ٦٩-١٠٧٠م ، فعظم الجوع

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٣٥ .
(٢) ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ٧٤ .
(٣) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٢ .
(٤) المقريزى : إغاثة الأمة ص ٢٣ .
(٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٧ .

واشتد الوباء وانتشر السلب والنهب ،[١] ولعل مرجع ذلك الانحصار الاقتصادى الذى فرضه ابن حمدان على القاهره والفسطاط.

وخلال هذه السنوات ، انهارت القوة الشرائية للنقود ، وارتفعت أسعار المواد الغذائية بشدة ، حتى أن حارة بالفسطاط بيعت بطبق خبز ، كل رغيف فيه بمنزل فعرفت لذلك بحارة الطبق .[٢] ومثل أحد الاغنياء أمام المستنصر ليشكو من انه أشترى أردبا من القمح بسبعين دينارا ، فنهبه منه العامه حتى لم يتبق منه سوى سبعين حبة قمح أى أن كل حبة بدينار واحد .[٣] وهناك قصة اخرى مشابهة مفادها أن أمرأة اشترت تليس دقيق بعقد جواهر قيمته ألف دينار ، وعندما تحركت به من الفسطاط فى طريقها إلى القاهره ، وسط الحراسة المشددة ، هجم الناس عليها فنهبوه فلم يتبق لها سوى حفنه من الدقيق فعجنتها وشوتها فصارت قرصة حملتها وتوصلت إلى أحد أبواب قصر الخليفة ووقفت على مكان مرتفع وبيدها القرصة وصاحت ياأهل القاهره ادعوا لمولانا المستنصر الذى أسعد الله الناس بأيامه وأعاد عليهم بركات حسن نظره حتى تقومت على هذه القرصة بألف دينار .[٤] .

---

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠ ، أبو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ٨٤ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٤) المقريزى : إغاثة الامة ص ٢٥ ، انظر د . ماجد : إمرأة مصرية تتزعم مظاهرة (مرجع سابق) .

وحركت الحادثة الأخيرة ،مشاعر المستنصربالله ، وربما يكون قد خشى ثورة العامة عليه مع تزايد تمرد الجند وعصيان ابن حمدان ،فأحضـــو الوالى وتهدده وتوعده إذا لم يظهر الخبز فى الأسواق بالقتل والنهـب. فخرج الوالى من بين يدية وأحضر من الحبس قوما من المحكوم عليهـم بالاعدام وألبسهم ثياب التجار ، ثم جمع تجار الغلة والخبازين والطحانين وعقد مجلسا عظيما وأحضر أحد المجرمين فقال له " ويلك ما كفاك انك خنت السلطان واستوليت على مال الديوان إلى أن خربت الأعمال ومحقت الغـلال فأدى ذلك إلى اختلال الدولة وهلاك الرعية؟ اضرب رقبته " فضربت رقبـة الرجل وفعل نفس الشىء مع رجل ثان ، فخاف التجار والطحانون والخبازون ووعدوا الوالى باظهار الغلة وادارة الطواحين وعمارة الأسواق بالخبز مـع تخفيض الأسعار ليباع الخبز رطلا بدرهم ، فرفض الوالى ذلك السعر ، فقالوا رطلين بدرهم فأجابهم الى ذلك ، فوفوا بعهدهم .(١).

ويدل ذلك على مدى خطورة الدور الذى لعبه الاحتكار التجارى اثنـاء المجاعة وأهمية دور الحكومة المركزية فى معالجة الامر.

ونظرا لسوء العلاقات مع بيزنطه منذ عام ٤٤٧هـ ، فان انظار الخلافة اتجهت إلى أماكن اخرى من بلاد الخلافة لاستيراد الطعام ، الذى فقـد فى مصر سنة ٤٦٤هـ / ٧١ ـ ١٠٧٢م ، فجاء الطعام بالمراكب من صقلية والمهدية.(٢)

---

(١) المقريزى : اغاثة الامة ص٢٥ ـ ٢٦.
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص٣٠٧.

ولاشتداد المسغبة وطول أمدها لجأ الناس الى أكل نحاتة النخل ، بل طبخوا جلود البقر وباعوها رطلا بدرهمين [١] ، ثم أكل الناس الحيوانات الأليفه ، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير ، [٢] والقط بثلاثة دنانير . [٣] ولم تسلم دواب الخليفة ، حتى لم يبق له سوى ثلاثة أفراس بعد أن كانت عشرة الاف ما بين فرس وجمل ودابة ، وحدث أن وزير المستنصر ترك على باب القصر بغلته وليس معها الاغلام واحد ، فجاء ثلاثة وأخذوا البغلة منه ، فلم يقدر على دفعهم لضعفه من الجوع ، وذبحوها وأكلوها ، فأخذوا وصلبوا فأصبح الناس فلم يروا إلاعظامهم ، اذ أكل الناس فى تلك الليلة لحومهم . [٤]

وتعدى الأمر إلى أكل الجيف والميتات ثم لحوم الآدميين . فقد اعتادت طوائف من أهل الفساد أن تسكن بيوتا قصيرة السقوف ، قريبة من المارة ، تمكنها من خطف المارة بواسطة خطاطيف وحبال أعدوها

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ص٢٩٧ ، ٣٠٧ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٢٩٧ ، المقريزى : اغاثة الامة ص٢٣ـ ٢٤، الخطط ج ١ ص ٣٣٧ .

(٣) ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص١٦ .

(٤) ابو المحاسن : ج ٥ ص١٥ ـ ١٦ ، المقريزى : اغاثة الامة ص٢٤ .

لذلك ، ليقوموا بعد خطف الضحية بضربه بالأخشاب حتى يتمكنوا من تشريح لحمه وأكله . (١)

ويبدو أن قصص أكل لحوم البشر ليست من نسج خيال الكتاب اذ أورد لنا ابن دقماق إسمين لزقاقين بالفسطاط لهما صلة بهذه القصص ، أولهما زقاق البواقيل الذى يعرف أيضا بزقاق الندافين حيث كان جماعة يقفون أيام الشدة المستنصرية "تحت القبو هناك فمن مربهم ندفوه ونزعوا ما عليه ورموه فى بئر هناك" ، والآخر هو زقاق العكامين حيث كان "أناس يعكمون الناس بأكر فى أفواههم ثم يحملونهم إلى زقاق القتلى ليقتلونهم فيه فسمى بذلك". (٢) وصارت لحوم الآدميين سلعة رائجة يقوم الطباخون ببيعها مطبوخه بعد أن يذبحوا ضحاياهم من الصبيان والنساء. (٣)

---

(١) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص١٩ — ٢٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٢٩٦ . وظاهره اكل لحوم البشر لم تكن قاصره على مصر مثلما رأينا فى الوباء والمجاعة التى اجتاحت بغداد عام ٤٤٩ هـ ، وكان الحصار الاقتصادى والعسكرى يدفع بالسكان إلى أكل الميته ، مثلما حدث لطرسوس التى حاصرها البيزنطيون حتى سقطت فى أيديهم عام ٣٥٤ هـ / ٩٦٥م. انظر : آدم متز الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ترجمة محمد أبو ريده — القاهرة ١٩٤٠ — ج ١ ص٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص١٧٩.

(٢) ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى : الانتصار لواسطة عقد الأمصار — مطبعة بولاق — ١٣٠٩هـ ج ٤ ص١٦ ، ١٨.

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص١٥.

ومن حوادث أكل لحوم البشر ما ذكر عن امرأة خطفها أنسان ، وكانت بدنية ، فأدخلها بيتا فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتلى ، وأوثقها وأخذ يشرح من أفخاذها ويشوى حتى شبع وسكر ففرت منه واستغاثت بالوالى الذى كبس الدار وضرب عنق الرجل. (١)

وقد أضاف بعض الكتاب تفاصيلا مبالغ فيها ، فمنهم من جعل آكلى لحوم البشر من السودان. (٢) ومنهم من قال أن الوالى أخرج من الدار التى كبسها الوفا من القتلى. (٣)

وربما كان أكل الجيف والميتات ولحوم البشر ، هو الذى ساعد على انتشار الوباء الذى كثرت ضحاياه حتى عجز الناس عن تكفين موتاهم فألقوهم فى الحفر جماعات وهالوا التراب عليهم ، أو قذفوا بهم فى النيل بدون أكفان. (٤)

ويقدر البعض أن هذا الوباء أفنى ثلث أهل مصر ، خاصة وأن الجدرى انتشر بين الاطفال حتى أفنى منهم ٢١,٠٠٠ طفل فى شهر واحد. (٥)

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٧.
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص ١٧.
(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٤.
(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٣ ، ٣٠٧.
(٥) د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٥.

وازاء هذه الكوارث ، اضطر الاثرياء إلى الهرب إلى الشام والعراق هربا من الجوع والفتن ، وعلى رأس هؤلاء التجار الذين ابتاعوا ثياب المستنصر وذخائره والآنية التى باعها الأتراك من خزائنه ، وتركزت حركة الهجـــــرة فى عامى ٤٦٢هـ ، ٤٦٣ هـ (١٠٦٩ ـ ١٠٧١م) (١)

ويستفاد من المصادر التى ذكرت تاريخ ٤٦٤هـ / ٧١ ـ ١٠٧٢م كنهاية لهذه المجاعة أن الأزمة الاقتصادية انفرجت بعض الشيء بمقتـــــل ابن حمدان عام ٤٦٥هـ ، وإن ظلت حالة البلاد فى اضطراب حتى وضـــــع بدر الجمالى حدا لذلك بقدومه إلى مصر سنة ٤٦٦هـ.

وفى أواخر عهد المستنصر تأخرت زيادة النيل فى سنة ٤٨٢هـ/ ٨٩ـ١٠٩٠م فأرسل الخليفة بطريرك الأقباط ميخائيل بهدية إلى الحبشة ، التى أمر ملكهـــا بفتح سد يجرى منه الماء إلى مصر ، ففتح وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثـــة اذرع. وخلع المستنصر على البطريق عند عودته. (٢)

فى خلافة المستعلى بالله (٤٥٧ ـ ٤٩٥هـ / ١٠٩٤ـ ١١٠١م)عانـــت البلاد من مجاعتين خطيرتين أولهما كانت فى عام ٤٩٠ هـ / ٩٦ ـ ١٠٩٧م

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٣٠٣ ،الخطط ج ١ ص ٣٣٧ ، ابن الاثيـــر: الكامل ج ٨ ص١٠٨.

(٢) د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص٢٣٧.

وانتشر معها الوباء . (١) ولم تذكر المصادر التاريخية سببا لهذه المجاعة ، ولكن من خلال استقراء ما ورد بجدول مقياس النيل المرفق نستطيع أن نرجع هذه المجاعة إلى النقص النسبي في ماء الفيضان الذى بلغت زيادته ١٦ ذراعا و ٢١ أصبعا حسب الدواداري ، وهذا أقرب للمنطق من الزيادة التي أوردها أبو المحاسن (١٧ ذراعا وأصبعا واحدا) .

والثانية وقعت في سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ - ١١٠٠ م ، مع اشتداد الوباء الذى أودى بحياة كثير من السكان . (٢) والسبب أيضا هو نقص زيادة النيل (١٥ ذراعا و ١٥ أصبعا حسب الدواداري وهذا أكثر قبولا من ١٨ ذراعا و ١٥ أصبعا التي أوردها أبو المحاسن) .

وعاشت البلاد مجاعتين أيضا في عهد الخليفه الآمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م) وقعت أولى هذه المجاعات في وزارة الأفضل بن بدر الجمالي ، ووصل سعر القمح فيها إلى كل مائة أردب بمائة وثلاثين دينارا . (٣)

وربما يرجع سبب هذه المجاعة إلى نقص فيضان النيل ، حيث بلغ ١٥ ذراعا وأصبعا ثم هبط الفيضان بعد ذلك فشرقت البلاد . (٤) وان كانت

---

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٧ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٩

(٢) المقريزي : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٦ .

(٣) المقريزي : اغاثة الأمة ص ٢٦ - ويذكر ابن اياس ان ثمن الأردب كان ٣٠ دينارا (ج ١ ص ٦٣) .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٦٣ .

قوائم النيل لا تحوى فيضانا بهذا الانخفاض فى عهد الآمر بأحكام الله ولا يوجد بالمصادر التاريخية تحديد واضح لسنة هذه المجاعة ، التى وقعت فى وزارة الأفضل بن بدر الجمالى الذى قتل عام ٥١٥هـ/ ٢١ـ١١٢٢م[١] اللهم إلا إذا كانت تلك السنة التى ذكر عنها السيوطى ان القمح "عز بيعها ثم هان" ، وهى سنة ٤٩٧هـ / ٠٣ ـ ١١٠٤م ،[٢] وتكون هى نفس السنة التى قال عنها ابن اياس ان الغلاء دام فيها نحو ستة أشهر ، انخفضت الأسعار بعدها وكثرت الغلال[٣] (فيضان النيل فى هذه السنة كان ١٧ ذراعا و ١٣ أصبعا) .

ويرجع الفضل فى تفادى هذه الأزمة إلى السياسة الحكيمة التى اتبعها القائد أبو عبد الله ابن فاتك ، الذى لقب فيما بعد بالمأمون البطائحى فقد قام بالختم على مخازن الغلات ، وخير أصحابها بين البيع منها بسعر ثلاثين دينارا لكل مائة أردب ، أو الختم عليها حتى دخول الغلة الجديدة ، فأجابه بعض التجار إلى ما طلب ، ثم قام بعد ذلك بتقدير ما تحتاجه البلاد يوميا من الغلال ليصرف من المخازن بالسعر الذى حدده ،

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص ٢٢٢ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٤ .

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٦٣ .

فانخفضت الأسعار.(١)

في هذه السنة أرسل البطرك إلى الحيشة بسبب نقص الفيضان الا أن توجهه لم يفد شيئا.(٢)

في عام ٥١٠هـ / ١٦ — ١١١٧م هبت على مصر رياح مترية دامت ثلاثة أيام، فأهلكت كثيرا من الناس والحيوانات.(٣)

وفي أواخر عهد الآمر، وبعد القبض على المأمون البطائحي ومصادرته عام ٥١٩هـ/ ٢٢ـ ١١٢٣م ثم قتله عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م(٤)، ارتفعت الأسعار حتى وصل سعر أردب القمح إلى دينار واحد.(٥).

ومثل المجاعة السابقة، لا يوجد تاريخ محدد لها، سوى انها حدثت في أواخر أيام الآمر بأحكام الله.(٦)

---

(١) المقريزى: إغاثة الأمة ص٢٦ ـ ٢٧، اتعاظ الحنفا ج ٣ (هامش ٤) ص٦٦ ـ ٦٧. جاء في بدائع الزهور أن الوزير وقت هذه المجاعة كان المأمون البطائحي، الا أن المقريزى ذكر أن الوزير كان الأفضل، وقال ان القائد أبا عبد الله بن فاتك، عرف بعد ذلك بالمأمون البطائحي عندما صار وزيرا انظر: ابن اياس: المصدر السابق ج ١ ص٦٣.

(٢) ابن اياس: المصدر السابق ج ١ ص٦٣.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج ٨ ص٣٠٥.

(٤) ابو المحاسن: المصدر السابق ج ٥ ص١٧٠.

(٥) المقريزى: اتعاظ الحنفا ج ٣ ص١٣٣، ويستفاد ذلك من عبارة المقريزى "وكان الناس قد ألفوا الرخاء أيام الأفضل والمأمون."

(٦) المقريزى: الخطط ج ٢ ص٢٩١.

ويرجح أن هذه المجاعة حدثت عام ٥٢١هـ/ ١١٢٧م ، حيث سجلت زيادة النيل أدنى مستوى لها بعد عام ٥١٩هـ ، وهو ١٦ ذراعا و١٥ أصبعا طبقا لابن أيبك الدوادارى .

أما أول مجاعات خلافة الحافظ لدين الله (٥٢٤ _ ٥٤٤هـ/ ١١٣٠ _ ١١٤٩م) فقد كانت فى سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧ ١١٣٨م ، فى وزارة الأفضل رضوان بن ولخشى .(١) ويحيط الشك بما ذكر عن تسبب نقص الفيضان(٢) فى هذه المجاعة إذ أن النيل بلغت زيادته ١٧ ذراعا و ٣ أصابع (ابن أيبك) أو ١٨ ذراعا و ١٢ أصبعا (ابو المحاسن) وربما كان السبب هو تأخر الزيادة فقط أو عدم زراعة بعض الأراضى .

ولا يستبعد أن يكون وراءها الوزير السنى ابن ولخشى ، الذى كان يحاول النيل من مركز الخليفه وتأليب الرعية عليه ،فحينما أمر الخليفة الحافظ لدين الله بفتح الاهراء،والبيع منها للناس بسعر منخفض ، لم يمتثل الوزير لهذا الأمر مما جعل الحافظ يسعى لقتله فيما بعد .(٣)

وان كان الوزير قد حاول علاج هذه المجاعة عن طريق تأديب محتكرى الغلال ، الذين يرفعون الأسعار وأمرهم بتوريد ما يحتاج اليه كل يوم من الغلال ،وأشرف على نفاذ ذلك بنفسه حتى انخفضت الأسعار(٤)

---

(١) المقريزى : اغاثة الأمة ص٢٧.
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٦٥ _ ١٦٦.
(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٦٥ _ ١٦٦.
(٤) المقريزى : اغاثة الأمة ص٢٧.

ويبدو أن ذلك الاجراء كان فى العام التالى ٥٣٣هـ/ ٣٨ـ ١١٣٩م ، حينما تزايد ارتفاع الأسعار حتى بلغ أردب القمح ثلاثة دنانير ، واضطر الوزير كذلك إلى اخراج الغلال التى سبق أن رفض إخراجها بأمر الخليفة وأن كان ذلك بعد أن فسدت وأرادوا رميها فى النيل فكانت تقطع بالفئوس وتباع بأربعين دينارا كل مائة أردب ، وكذلك الأرز الذى أبيع بعشرة دنانير المائة أردب ، فوجد الناس بذلك الطعام الفاسد ما يسد رمقهم. (١)

وآخر المجاعات التى وقعت فى عهد الحافظ ، كانت طويلة نسبيا ، إذ استمرت ثلاث سنوات من ٥٣٦ إلى ٥٣٨هـ ، وصحب المجاعة وباء فى العامين الأولين وأن بلغ مداه فى عام ٥٣٧هـ/ ٤٢ـ ١١٤٣م.

وكان ابتداء ذلك فى شهر شعبان سنة ٥٣٦هـ/١١٤٢م ، فبلغ سعر القمح تسعين درهما للأردب والدقيق مائة وخمسين درهما الحملة والخبز ثلاثة أرطال بدرهم ، والشعير سبعة دراهم الويبه ، والزيت الطيب الرطل بثلاثة دراهم والجبن كل رطل بدرهمين ، والبيض كل مائة بعشرة دراهم والزيت الحار الرطل بدرهم ، والقلقاس كل رطل بدرهم ، ولم يقدر أحد على شراء الدجاج لارتفاع ثمنه. (٢)

---

(١) المقريزى:اتعاظ الحنفا ج ٣ ص١٦٨.

(٢) ابن ميسر: المصدر السابق ج ٢ ص ٨٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص١٧٦.

ويبدو أن سبب هذه المجاعة هو الانخفاض النسبى لماء الفيضان (١٦ ذراعا و ١١ أصبعا) وهو حد وإن كان لا يعنى القحط، الا أنه يمكن ان يكون كذلك مع حكومة مركزية منهارة ، وهو ما كان واقعا بالفعل فبعد الأزمة التى أثارها رضوان بن ولخشى وانتهت بقتله ، لم يستوزر الحافظ أحدا حتى عام ٥٣٦هـ حينما بدأت المجاعة المصحوبة بالوباء (١) واستمرت لعامين حسبما ذكرنا سابقا.

أما سبب ارتفاع الأسعار فى العام الثالث ٥٣٨هـ/٤٣ـ١١٤٤م فيرجع إلى خروج محمد بن رافع اللواتى بالبحيرة على سلطة الخلافة ، وإن كان قد قتل بعد عدة مواقع على يد والى البحيرة طلائع بن رزيك ، وأدى هذا الاضطراب ولا شك إلى ارتفاع الأسعار. (٢)

ووقع الغلاء فى خلافة الفائز بنصر الله (٥٤٩ـ ٥٥٥هـ/١١٥٤ـ ١١٦٠م ووزارة الصالح طلائع بن رزيك عام ٥٥١هـ / ٥٦ـ ١١٥٧م ، ولا يمكن القول بأن سبب هذه المجاعة انخفاض فيضان النيل (٣) ، الذى وصلت زيادته إلى ١٧ ذراعا و ٨ أصابع . ولعل مرد ذلك إلى احتكار الغلال ،

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص٣٥٧.

(٢) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص٨٦ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص١٧٨.

(٣) المقريزى : اغاثة الأمة ص٢٧ ، اتعاظ ج ٣ ص٢٢٩.

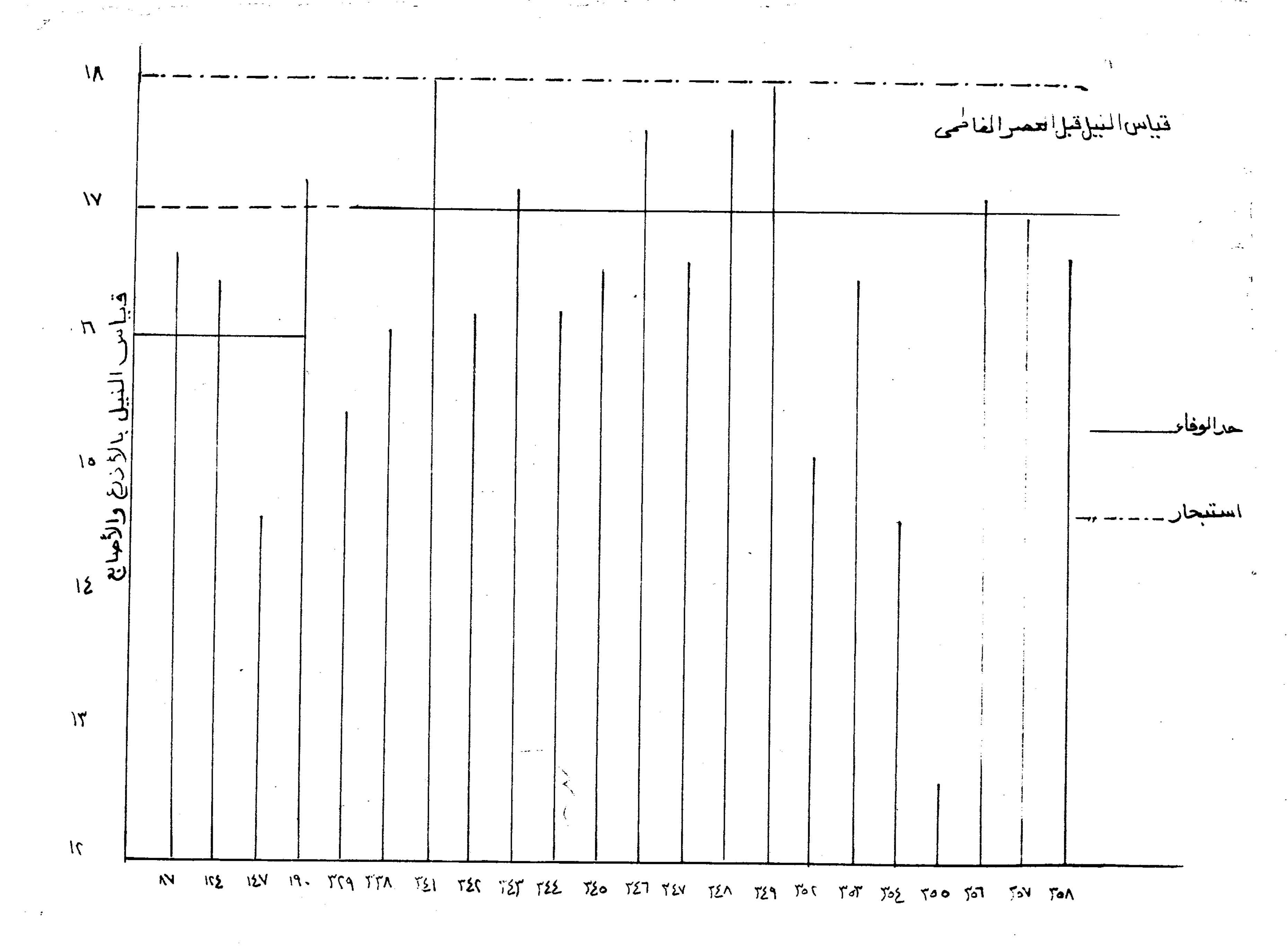
فارتفعت أسعارها . (١)

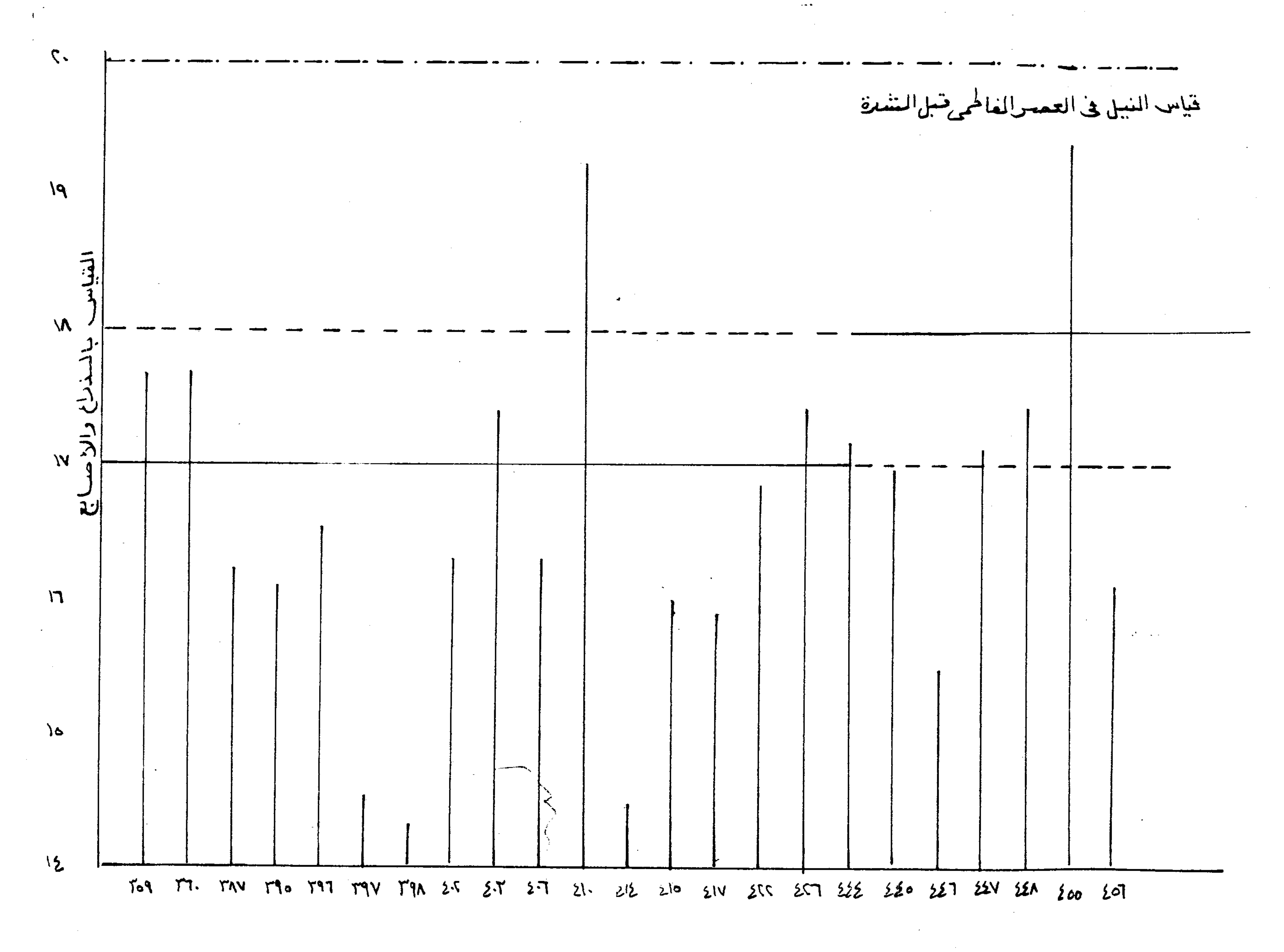
ولجأت الحكومة إلى اخراج الغلال من الاهراء بكميات كبيرة ، وفرقتها على الطحانين مع تخفيض الأسعار ، ومنعت الاحتكار ، كما تصدق الصالح طلائع نفسه وغيره من الامراء بما نفس عن الناس ، ولم يستمر الحال على ذلك سوى مدة يسيرة ، حتى "فرج الله وهجم الرخاء" (٢)

وكان من أثر اتجاه الصالح طلائع إلى ممارسة الاحتكار والاتجار في الغلال أن وقع الغلاء وارتفعت الأسعار في عام ٥٥٥هـ / ١١٦٠م في خلافة العاضد لدين الله . (٣)

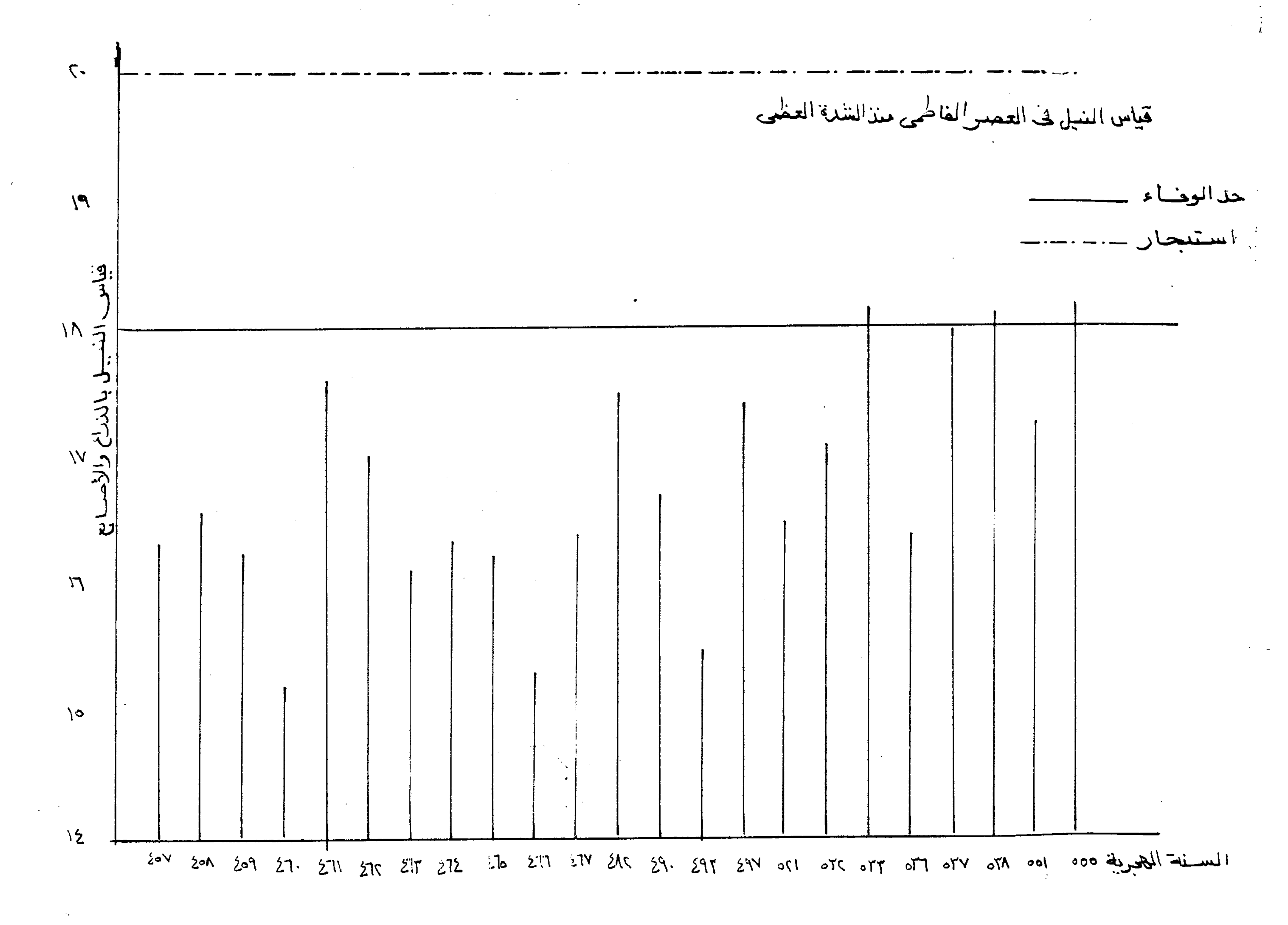
---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٣٩ .
(٢) المقريزى : اغاثة الأمه ص ٢٧ ـ ٢٨ .
(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٤٤ . والغريب ان ابن تغرى بردى يذكر انه لما توفى الصالح طلائع مقتولا سنة ٥٥٦هـ حزن الناس عليه لحسن سيرته ـ النجوم الزاهره ج ٥ ص ٣٤٥ .


قياس النيل بالأذرع والأصابع
قياس النيل قبل العصر الفاطمي
حد الوفاء
استبحار
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
٨٧ ١٢٤ ١٤٧ ١٩٠ ٢٢٩ ٢٣٨ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨



قياس النيل في العصر الفاطمي قبل الشدة
القياس بالذراع والأصابع
٢٠
١٩
١٨
١٧
١٦
١٥
١٤
٣٥٩ ٣٦٠ ٣٨٧ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٦ ٤١٠ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٧ ٤٢٢ ٤٢٦ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٥٥ ٤٥٦



قياس النيل في العصر الفاطمي منذ الشدة العظمى
حد الوفاء
استبحار
قياس النيل بالذراع والأصابع
٢٠
١٩
١٨
١٧
١٦
١٥
١٤
السنة الهجرية
٤٥٧
٤٥٨
٤٥٩
٤٦٠
٤٦١
٤٦٢
٤٦٣
٤٦٤
٤٦٥
٤٦٦
٤٦٧
٤٨٢
٤٩٠
٤٩٢
٤٩٧
٥٢١
٥٢٢
٥٢٣
٥٢٦
٥٢٧
٥٢٨
٥٥١
٥٥٥

الفصل الثاني

النتائج السياسية
والاجتماعية للمجاعات

كان طبيعيا أن توثر هذه المجاعات المتعاقبه على مجريات الحياة فى المجتمع المصرى بل وعلى الحياة داخل حدود الخلافة الفاطمية المترامية الأطراف بين أفريقيا وآسيا وأوربا ، طالما كان المجتمع يتبادل التأثير والتأثر بين كل اجزاءه ، فما أن يصيب أحد جوانب الحياة متغير حتى تتأثر الجوانب الأخرى بهذا المتغير.

واذا كان تأثير المجاعات قد امتد ليشمل جوانب الحياة المختلفة سواء أكانت اقتصادية أوسياسية أو اجتماعية ، فان درجات التغيير التى أصابت هذه الجوانب تراوحت عمقا من جانب لآخر ومن مجاعة إلى أخرى.

وفى مجال الدراسات التاريخية ،فانه من الصعوبة بمكان رصد هذه المتغيرات باعتبارها ردود فعل آلية ، تحدث فجأة وبلا مقدمات ،إذ هى أقرب إلى التفاعل الكيماوى بين مجموعة من المواد المختلفه (الحوادث التاريخية) ، التى تخرج لنا بمادة جديدة رغم أنها بالأصل مزيج من مواد قديمة ، وبمعنى آخر فان توالى أحداث المجاعات من الممكن أن يحدث تغيرات كمية ضيئلة فى كل مرة وتتراكم هذه التغيرات الكمية حتى تصل إلى مرحلة تاريخية معينه ، تتحول فيها إلى تغير كيفى ملموس. هذا بالاضافة إلى ما كانت فيه المجاعات عامل دفع ساعد على تطور أوضاع بعينها إلى منتهاها .

ويحسن بنا أن نبدأ ببيان المتغيرات السياسية التى كان لها عظيم الاثر فى التأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

أولا : النتائج السياسية للمجاعات

١ـ ضعف السلطة المركزية :

أسلف القول بأن السلطة المركزية هي مقياس حالة البلاد ، وخاصة وقت المجاعة ، التي تلعب السلطة القوية دورا أسياسيا فى تحجيم الأضرار الناجمه عنها .

ولاشك أن ضعف السلطة المركزية كان يفضى إلى تزايد أخطار المجاعة ، كما أن المجاعات بدورها كانت تؤثر على تماسك هذه السلطة وتحد من سطوتها فى كثير من الحالات .

وإذا كان الخليفه الفاطمى هو رأس هذه السلطة ورمزها الدينى والدنيوى ، مثلما كان الملك ـ الفرعون فى مصر القديمة ، فان أجنحة الممارسة السياسية تتمركز بشكل رئيسى فى البيروقراطية المدنية والعسكريين ، ويمثل هؤلاء الثلاثة فى عصر الدولة الفاطمية على وجه الخصوص جوهر السلطة المركزية .

ويقينا فقد تحطمت السلطة المدنية البيروقراطية وانهار الاقتصاد وأصاب الدولة الفاطمية فى مجملها الضعف نتيجة للمجاعات المتتالية (١) ، وأضحى هذا الضعف متغيرا كيفيا ملموسا منذ الشدة المستنصرية التى

---

(١) Lewis (B.) : The Camb. Vol. I, P. 188.

تعتبر حدا فاصلا فى تاريخ الدولة الفاطمية .[١] حتى انه يمكن اعتبار الخلافة من عهد بدر الجمالى مجرد خاتمه طويلة لحياتها .

بيد أن ضعف الدولة الذى أصبح معلما بارزا بدءا من النصف الثانى لخلافة المستنصر بالله ، لم يكن الا تتويجا لسلسلة من الضربات التى أصابت مركز الدولة ، وحطت من هيبتها ، بل ويمكن القول بأن هذا الانحدار فى فاعلية السلطة المركزية تمثل أولا وقبل أى شىء فى التغير النسبى لثقل كل طرف من أطراف ثالوث السلطة ، وان هذا التغير كان يحدث عادة فى أعقاب المجاعات.

وقد مر تغير هذا الثقل النسبى فى ثلاثة أطوار ،سلطة الخليفة المطلقة ، وتزايد نفوذ البيروقراطية المدنية متمثلة فى الوزراء وكتاب الدواوين، ثم سيطرة العسكريين على أداة الحكم.

ولا يفرض هذا التقسيم فصلا تعسفيا بين حوادث التاريخ ، وانما يعنى بالأساس تحديد اتجاهات جهاز الحكم فى مراحله المختلفة.

أ ـ تدهور سلطات الخليفه :

درجت الكتابات التاريخية على التمييز بين فترتين فى عمر الخلافة الفاطمية ، تنتهى أولهما بمقدم بدر الجمالى إلى مصر عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م

---

(١) د . سعيد عبد الفتاح عاشور: شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية مقالة بالمجلة التاريخية المصرية المجلد السادس عشر ـ القاهره ـ ١٩٦٩ ـ ١٦ ـ ١٧.

وهى التى تعرف بعصر الخلفاء الأقوياء ، والثانية تبدأ من هذا التاريخ حتى سقوط الدولة الفاطمية وتسمى بعصر الوزراء العظام . (١) ورغم أنه من المسلم به أن وزارة بدر الجمالى قد دشنت عصرا كاملا اتسم بسيطرة الوزراء واستبدادهم بالأمور دون الخليفة الا أن ذلك لا يعنى أن انهيار سلطة الخليفة بدأ فقط من هذا التاريخ .

وليس من المستغرب ان تكون تواريخ المجاعات محددات لتقلص سلطة الخليفه المطلقه ، كما سنرى ، ونستطيع بداية ان نميز ، داخل ما اصطلح على تسميته بعصر الخلفاء الأقوياء بين ثلاثة مستويات من سلطة الخليفة .

١ - الخليفة المطلق النفوذ : (٣٥٨ - ٣٨٦هـ/ ٩٦٦ - ٩٩٦م) .

كان الخليفة الفاطمى خلال هذه الفترة (خلافة المعز والعزيز) إماما للمسلمين ، لاينازعه أحد سلطته الدينية هذه ، كما كان مطلق النفوذ فى تسيير الأمور بالبلاد وإليه يرجع أمر تعيين الولاه والقضاة . (٢) وتأكيدا لهذا التفرد بالحكم لم يستعمل الخلفاء تسمية "الوزير" إلا لفترات قليلة وربما مع يعقوب بن كلس فقط الذى أمر العزيز بالله فى رمضان عام ٣٦٨هـ/ ٩٧٩م

---

(١) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى - دار المعارف القاهره ١٩٧٠ - ص٣٣ ، وانظر : د حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر .

(٢) يصف العماد الحنبلى المعز لدين الله والعزيز بالله انهما اتسما بالحسم و قوة الشخصية مما مكن لهما من الاستحواذ على الأمور - شذرات الذهب ج ٣ ص٥٢ - ٥٤ ، ص١٢١ .

بأن يخاطب ويكاتب " بالوزير الأجل "(١) وكان ذلك هو مبدأ ظهور هذا اللقب فى الدولة الفاطمية .(٢) وعدا ذلك فقد كانت هذه الوظيفة التى يقوم بها الرجل الثانى فى الدولة بعد الامام مباشره تسمى برتبة الوساطه ، وكان من يتولاها يسمى وسيطا ، أو كانت تسمى بالسفارة لتدل على رتبة من يقوم بتنفيذ رغبات الخليفه ، ولعل استعمال هذين اللفظين يرجع إلى رغبة الخليفة فى الابقاء على سلطته والاستئثار بكل سيطرته فيعتمد فى تسيير أمور الدولة على وسيط وليس على وزيره بل كان الخلفاء يكلون أمور الدولة أحيانا إلى كتاب عاديين يلقبونهم بألقاب مثل موقع أو مدبر ويصرفون الأمور بعد الرجوع للخليفه .(٣)

فجبر بن القاسم الذى ولى الأمور بعد اعتقال يعقوب بن كلس عام ٣٧٣هـ / ٨٣ ـ ٩٨٤م لم تكن له القاب(٤) . وكذلك كان حال ابى الحسن

---

(١) ابُو القاسم علىبن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ـ تحقيق عبد الله مخلص ـ المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية ـ القاهره ١٩٢٤ ـ ص ٢١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ٩٧ ، ولمزيد من المعلومات عن ابن كلس انظر :

Mann (Jacob):The Jews in Egypt and Palestine under The Fatimid Caliphs. Oxford 1920.Vol. I, P.17-18, Lewis (B.) Islam New York 1974? Vol. I P.17.

(٢) د . حسن الباشا : الألقاب الاسلاميه فى التاريخ والوثائق والآثار ـ دار النهضة العربيه القاهره ـ ١٩٧٨ ـ ص ٦٧ .

(٣) د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ـ ج ١ ص ٧٨ ـ ٨٠ .

(٤) ابن منجب الصيرفى : الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٣ ـ ٢٤ .

على بن عمر العداس وأبى جعفر بن الفرات، الذى ولى تدبير الأموال فى سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م خلفا للأول الذى وليها لمدة عامين . (١)

وكان للخلفاء سيطرة قوية وحازمة على الجيش الفاطمى ،فعلى الرغم من تباين العناصر التى تألف منها الجيش من بربر شكلوا العمود الفقرى لجيش الفتح ، ومماليك يونانيين وصقالبة وايطاليين ،وما أقدم عليه العزيز بالله من الاستعانه بعدد من المماليك الأتراك وفرق من الديالمه حتى أصبح الجيش ينقسم إلى مشارقه ومغاربه .(٢) الا أنه لم تحدث منازعات بين هذه الطوائف المختلفه من الجند حتى وفاة العزيز بالله .

٢ـ الخليفه القوى يواجه البيروقراطية والجند : (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ/ ٩٩٦ـ ١٠٢٠م)

وتستغرق هذه المرحله خلافة الحاكم بأمر الله ، الذى ولى الخلافة وهو فى الحادية عشر من عمره ، فتطلعت قوى عديده إلى الاستحواذ على السلطة من الخليفة الصغير، كان فى مقدمتها طائفة المغاربة التى أصابها الضعف فى عهد الخليفة العزيز بسبب الاستعانة بطوائف من المشارقة فتولى أمين الدولة "أبو محمد الحسن بن عمار بن أبى الحسين" الوساطة سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م وكان مقدما للمغاربه ،(٣) وسعى إلى توطيد نفوذهم مما أدى إلى اثارة المشارقة

---

(١) ابن منجب الصيرفى : الاشارة إلى من نال الوزارة ـ ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢) Lewis (B.), Op. Cit . Vol I.P. 187.

(٣) عن لقب أمين الدولة : انظر د . حسن الباشا : الفنون الاسلامية ج ١ ص٢٨٦- ٢٨٧ .

بقيادة برجوان . (١)

وانتهى الأمر بعزل ابن عمار بعد النزاع المسلح الذى نشب بين المشارقة والمغاربة سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م . (٢) ويمكن اعتبار ذلك أول محاولة تقوم بها قوة من ثالوث السلطة المركزية لأجل السيطرة على الأمور دون الخليفة ، على ان النجاح الذى أحرزه برجوان بغرض وصايته على الحاكم لم يستمر طويلا إذ نجح الخليفه فى قتله عام ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠م ، كما قتل ابن عمار أيضا وأضعف نفوذ المغاربة وافنى شيوخهم حتى اضطروا إلى طلب العفو منه (٣)

ويبدو أن برجوان كون لنفسه ثروة واسعة لم تكن مألوفه فى وقته مع سيطرة الخلفاء وتعاظم ثرواتهم ، ولعل ذلك هو الذى أحنق الحاكم عليه فضلا عن استبداده بالخليفة ، فقد وجد بعد قتله مما ترك ثيابا فاخرة وأوانى من الذهب والفضة لا حصر لها عدا الخيول والسروج المذهبة والكتب . (٤)

ويمكن القول بأن فترة خلافة الحاكم قد شهدت تقلص سلطة الخليفة أمام نفوذ طوائف الجند فى الأمور السياسية كما بدأت سلطة الخليفة الدينيه والشخصية التى بلغت أوجها فى عهد أسلافه فى التقلص جزئيا ، (٥) وان ظل

---

(١) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ـ ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ .

(٢) ابن منجب الصيرفى : المصدر السابق ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) د . ماجد : المرجع السابق ص ٣٧٢ ـ انظر ترجمة برجوان فى أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ تحقيق محمد محيى الدين القاهرة ١٩٤٨ ج ١ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ويذكر ابن القلانسى أنه قتل برجوان لانه كان يضيق عليه ويريد أن يحجر عليه ـ ذيل تاريخ دمشق ـ بيروت ١٩٠٨ ـ ص ٥٩ .

(٤) القاضى الرشيد بن الزبير : كتاب الذخائر والتحف ـ دائرة المطبوعات والنشر الكويت ١٩٥٩ ـ ص ٢٣٢ ، مجهول المؤلف : كتاب انسان العيون فى مشاهير سادس القرون ـ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩١٩ ـ تاريخ تيمور ص ٢٤٩ مجهول المؤلف : شرح اللمعه ـ ورقة ٥ ـ ب

(٥) Lewis (B.) : The Camb. Vol. I. P. 187.

الخليفة حريصا على عدم التفريط فى نفوذه ، ولعله استعاض عن ذلك بالتوسع فى اضفاء الألقاب وغيرها من التشريفات على وسطائه. (١)

فبينما تمتع المغاربة بنفوذ واسع فى بداية خلافة الحاكم ، نجد أن المشارقه استغلوا انخفاض الفيضان عام ٣٨٦هـ / ٩٩٦م واضطراب حبل الأمن بالبلاد واطاحوا بابن عمار (٢) ومارسوا نفوذهم على الخليفه بواسطة برجوان ثم ازداد نفوذهم بالجيش بعد تصفية الحاكم لنفوذ المغاربة عام ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م (٣) أثناء ثورة ابى ركوه التى أحتاج خلالها الى جيش لصد هجماته الآتية من أفريقية فضلا عن اضطرار الحاكم لزيادة مهام الجيش وسلطات قواده لأجل ضبط الأمن بالبلاد أثناء المجاعات المتصلة التى استغرقت معظم خلافته.

وعلى جانب آخر خاض الحاكم صراعا ممتدا مع البيروقراطيين من كتاب الدواوين الذين ربما أغراهم صغر سن الخليفه باستغلال نفوذهم لتحقيق الثروات حتى اضطرهم لطلب الأمان منه . (٤)

وربما كان سفك الدماء الذى يوصم به الحاكم مظهرا من مظاهر نضاله ضد محاولة الانتقاص من سلطانه المطلق . (٥)

---

(١) د . حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص ٦٩ .
(٢) كان ابن عمار يلقب بأمين الدوله وهو أول لقب يستعمله الفاطميون فى مصر مضافا الى الدولة وسبق استخدامه مع بلكين فى المغرب فقد لقبه المعز لدين الله بسيف الدوله — انظر — د . حسن الباشا : المرجع نفسه ص ٦٩ .

(٣) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٧٢ .
(٤) انظر : الفصل السابق.
(٥) د . حسن الباشا : المرجع السابق ص ٦٨ .

ورغم صراعات الحاكم مع العسكريين وجهاز الادارة المدنية ، الا أن نهاية الحاكم جاءت على يد أخته ست الملك وأفراد بيت الخليفة ، الذين قضوا على محاولته لاستعادة نفوذه المطلق بقتله غيلة ، وبالاتفاق مع كبار رجال الدولة (١) ، وفى مقدمتهم ابن دواس الذى أصبح محتسبا فى خلافة الظاهر. (٢)

٣ـ الخليفه المستسلم للبيروقراطيه : (٤١١ـ ٤٥٧/ ١٠٢٠ـ١٠٦٤م).

ظهر مقتل الحاكم بأمر الله كما لو كان انتصارا لتيار رجال الادارة المدنية والعسكريين، الذى استهدف الحد من السلطان المطلق الذى تمتع به الخليفه فى السنوات السابقة ، وساعدهم على ذلك ضعف شخصية الظاهر لاعزاز دين الله ، الذى ترك تسيير أمور البلاد بأيدى ثلاثة من كبار رجال الدولة، ينتمى اثنان منهم لمعسكر البيروقراطية وهما الشيخ نجيب الدولة الجرجرائى والشيخ العميد محسن بن بدوس وثالثهم من العسكريين وهو القائد معضاد . (٣)

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم ـ ج ٧ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ١٩٣ ، مجهول : شرح اللمعه ورقه ٨ (ب).

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ـ والجرجرائى هذا قطع الحاكم يديه عام ٤٠٤ هـ وولاه النفقات عام ٤٠٦ هـ .
انظر : ابن منجب : الاشارة ص ٣٥ ـ ٣٦.

وقد أفلح هذا الثلاثى خلال المجاعة التى اجتاحت البلاد عام ٤١٤ـ ٤١٥هـ / ١٠٢٣ ـ ١٠٢٤م فى توسيع سلطاته على حساب الخليفه السنى عجز عن أن يستجيب لصرخات رعاياه لانقاذهم من تحكم رجال الدولة الذين مارسوا الاتجار بأقوات الشعب واحتكروها ، وجنوا الأرباح الوفيرة بالتعاون مع المحتسب كما سبق الاشارة فى الفصل الأول .

كما أن العبيد الذين استعانت الدولة بهم فى الجيش ، انتهزوا فرصة المجاعة فنهبوا الغلال وأحرقوا البيوت ونهبوها ، وكان ذلك أول تمرد لطائفه العبيد على سلطة الدولة .(١) ولاشك أن فترة حكم الظاهر قد سجلت تصاعدا ملحوظا فى نفوذ الأقباط فى الادارات العليا الأمر الذى انعكس على التسامح معهم سواء فى إقامة أعيادهم حتى فى أوقات المجاعة وعدم مطالبتهم أيضا باعتناق الاسلام. (٢)

٤ـ الخليفه بلاسلطات :

تعد الفترة الأولى من حكم المستنصر بالله فيما قبل الشدة العظمى ، امتدادا لفترة خلافة أبيه الظاهر ، حيث تفرد الوزراء وكبار رجال الدولة بالأمور ، وكان لسعى كل منهم للاستحواذ على مقاليد الحكم أثره فى سرعة تغيير الوزراء ، مما أفضى إلى اضطراب الادارة المدنية وانهيارها .

---

(١) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٧٠ .

(٢) Lewis (B.) : Islam . Vol .II. P. 228.

فى ظل هذا الاضطراب الذى تزايد مع بداية الشدة المستنصرية ، وجد العسكريون ضالتهم المنشودة فى السيطرة على البلاد ، خاصة وان طبيعة تنظيمهم العسكرى ، جعلت منهم الفريق الوحيد المؤهل للاستيلاء على السلطه ، خاصة بعد أن تضخم الجهاز العسكرى نتيجه لاهتمام الخلفاء بقوة مصر الحربيه (١) وفى أطار سعى كل فرقة من فرق الجند لنيل هذا المرام نجح المشارقة بقيادة ابن حمدان فى تصفية العبيد السودان ، ثم تخلصوا من ابن حمدان نفسه بعد ذلك.

ويمكن اعتبار الفترة التى امتدت من ٤٥٧ ـ ٤٦٦ هـ / ١٠٦٤ ـ ١٠٧٣م هى بداية لتحكم العسكريين فى الخلافة الفاطمية بشكل كامل ، سواء أكان ذلك فى صورة تمرد على الخليفه نفسه كما فعل ابن حمدان ، أو تحت لواء كما فعل قادة الأتراك بعد مقتله. (٢)

وقبل هذه المجاعة تمتع الخلفاء بثروات خيالية ، فيذكر ناصر خسرو الذى زار مصر فى خلافة المستنصر قبيل الشدة ، ان بالقاهرة ما لايقل عن ٢٠,٠٠٠ دكان ، ملك للخليفة ، معظمها يؤجر بعشرة دنانير فى الشهر وأقلها يؤجر بدينارين ، وثمانية الآف بيت بالقاهرة ومصر يذهب ايجارها للخليفة ، غير الأربطه والحمامات والأبنيه الأخرى التى يصعب حصرها. (٣) كما كان

---

(١) د. أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى والفاطمى ص٢٧٢.
(٢) انظر الفصل الأول.
(٣) ناصر خسرو: سفر نامه ص٤٨.

المستنصر يمتلك مساحات شاسعه من الأراضى ، يقع جزء منهـا علـى ساحل الخليج ويشمل ١٦٠ قرية ، ومراكب لنقل البضائع ، بلغ ما يملكـه منها فى تنيس وحدها نحو ألف مركب. (١)

وكانت الأموال المخصصة للبلاط الفاطمى والانفاق على مظاهر البـذخ من الكثرة حتى كان يشرف عليها مايسمى بديوان المجلس ويسمى متوليـه بصاحب الدفتر. (٢)

كما تمتع افراد البيت الفاطمى بثروات هائلة ومن بينهم الأميرات اللاتى حزن ثروات عظيمـة. (٣)

وخلال الشدة المستنصرية تم تجريد الخليفة من كل سلطاته وأمواله ، وأسقطت هيبته أمام الرعية ، وأجبره ابن حمدان والأتراك على أن يبيع ما فـى خزائنـه للانفاق فيهم وكانوا يطلبون ذلك شيئا فشيئا "حتى أمست خزائنـه من المال بلقعا". (٤)

---

(١) د. ماجد : نظم الفاطميين : ج ١ ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٢) المرجع نفسـه ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٣) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى ـ رسالة ماجستير مخطوطة باشراف د. زبيدة محمد عطا ـ كلية الاداب جامعة المنيـا ـ ١٩٨٠م ـ ص ١٦.

(٤) د. ماجد : السجلات المستنصرية ص ١٨٣ (سجل من المستنصر باللـه لعبد المستنصر بن الصليحى بتاريخ محرم ٤٦٧هـ).

وكانت خزائن الخليفة تحتوى على ما يهدى إلى الخلفاء من ولاتهم سواء فى أفريقيه واليمن أو من حكام المسلمين فى الاندلس أو ما كان يهدى من ملوك الروم للخلفاء . (١) وذلك فضلا عما كان يشترى لهذه الخزائن وقد بلغت مشتريات خزائن البنود وحدها منذ فتح مصر على يد الفاطميين عام ٣٥٨ هـ ، فى كل عام من ٧٠,٠٠٠ دينار إلى من ٨٠ ألف دينار حتى استيلاء الأتراك عليها وان " جميعه باق على الأيام لم يتغير". (٢)

وقد فقد الخليفه ابان هذه المجاعة كل ثرواته من الذهب والفضة والجواهر والأمتعه ، التى أسهبت مصادر تاريخية كثيرة فى ذكر تفاصيلها واثمانها الحقيقية والأثمان التى بيعت بها لابن حمدان والأتراك. (٣)

بل ان الحاجه الجأت المستنصر إلى بيع ملابس العباسيين التى أخذت أثناء ثورة البساسيرى فى بغداد واضطر إلى أخذ قناديل الفضة والستور من مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام (٤) ، وبيع رخام قبور أجداده (٥)

---

(١) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ص ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ - ٧٥ كانت هدايا ميخائيل متملك الروم للمستنصر سنة ٤٤٤ هـ من الذهب كما أنه أهدى أم المستنصر أيضا - نفسه ص ٧٦ ، ٨١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٢ .

(٣) يذكر المقريزى : انه أخرج من خزائن المستنصر ثمان وعشرون صينيه مينا مجراة بالذهب بيعت كل منها بثلاثة الاف دينار واربعمائة قفص كبار من الات مصوغة مجراه بالذهب تم سبكها وتفريقها على المخالفين وان الات الفضة وزنها ثلثمائة الف ونيف واربعون الف درهم تساوى ستة دراهم بدينار - الخطط ج ١ ص ٤١٥ . وانظر : الذخائر والتحف ص ٢٤٩ - ٢٦٣ حيث ورد ذكر ما أخرج من الخزائن بتفصيل أكبر .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص ١٦ - ١٧ .

(٥) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ص ٨٥ - ٨٦ .

الخلفاء.

وبلغ الأمر بابن حمدان أنه أخذ يراسل الدول الاخرى باعتباره صاحب مصر، فأهدى فى سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠-١٠٧١م إلى متملك الروم هدية جليلة تساوى نحوا من أربعين الف دينار تشمل أوانى البللور والانواع الفاخره من الثياب، (١) ويبدو أن ذلك كان مما نهب من خزائن القصر.

وفقد الخليفة كل مراسم التعظيم والأبهة، فبعد المواكب الحافلة التى كان يركب فيها الخليفة، أصبح يركب وحده، وخواصه ليس لهم دواب يركبونها، واذا مشوا سقطوا من الجوع، وآل الأمر إلى أن استعار المستنصر بغلة يركبها من صاحب ديوان الانشاء. (٢)

وصار المستنصر بالله - يجلس على نخ أو حصير وتعطلت دواوينه وذهب وقاره، حتى أن احد الوعاظ لم يجد أحدا عند دخوله القصر ليستأذن فى الدخول على الخليفة، كما لم ير أحدا فى دهاليز القصر فانشد يقول :

---

(١) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ص٨٥ - ٨٦.
(٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص٢ - يذكر ابن خلكان أن المستنصر كان يستعير من أبن هبة الله صاحب ديوان الانشاء بغلة ليركبها صاحب مظلته. ابن خلكان وفيات الأعيان ج ٤ ص٢١٨.

يامنزلا لم تبل أطلالــه   حاشا لأطلالك ان تبلـى
لم أبك أطلالك لكنـــى   بكيت عيش قبل اذ ولـــى
والعيش أول ما بكاه الفتى   لابد للمحزون أن يسلـى

فلمـا سمع المستنصر ذلك بكى طويلا (١)

ومع ما كان عليه المستنصر من الثراء ،فان الأمر بلغ به أنه كـــان لايجد طعاما ليأكله ، فكانت سيدة من الاشراف تبعث إليه في كل يـــوم بـقعب من فتيت من جملة ما كانت تتصدق به أثناء الشدة ولم يكن للمستنصر من قوت سوى ما كانت تبعثه إليه مرة واحدة فى اليوم والليلة . (٢)

ويبدو أن حالة الخليفة بلغت حدا من السوء رق لـه معها قلب ابـن حمدان ، فأطلق له مائة دينار نفقة فى الشهر ،بعد أن قص عليه الرســول الذى بعث به ليطالب الخليفة بالأموال ، ما فيه المستنصر من بؤس حتى صـــار يجلس على الحصير وليس عنده غير ثلاثة من الخدم . (٣)

وقد مس القرح أيضا أهل الخليفة ، فعاقب ابن حمدان أم المستنصر بعقوبات متعددة واستخلص منها أموالا جمة (٤) ، وأدى هذا الاضطهـــاد الى تفرق أهل المستنصر عنه هربا من الجوع والاذلال ، فمنهم من ســـار

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٩٨ _ ٢٩٩ .
(٢) المقريزى : اغاثة الأمة ص ٢٤ .
(٣) ابن ميسر : اخبار مصر _ ج ٢ ص ٢١ .
(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٧

الى الشام والمغرب والعراق .(١) ونزحت أمه وبناته إلى بغداد خوفا أن يمتن جوعا ،(٢) ويقال أن بعض نساء القصر خرجن ناشرات شعورهن وصحن الجوع . الجوع . وهن يردن المسير إلى العراق فتساقطن عند المصلى بظاهر باب النصر من القاهره ومتن جوعا .(٣)

كما بعث المستنصر باولاده الى خارج مصر لعدم الطعام فسير الأمير عبد الله الى عكا فنزل عند أمير الجيوش بدر ، وأرسل الأمير أبا على معه ، وبعث الأمير أبا القاسم والد الخليفة الحافظ إلى عسقلان ولم يترك عنده سوى أبى القاسم أحمد .(٤)

تلك كانت حالة الخليفة إبان الشدة العظمى ، فلما جاء بدر الجمالى سلب الخليفة كل صلاحياته الدنيوية كما سنرى ، ولم يبق للمستنصر أمر ولا نهى الا الركوب فى العيدين ، ولم يزل كذلك حتى مات بدر الجمالى وقام بعده ولده الافضل .(٥)

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٧.

(٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ـ ج ٥ ص ٢ ، كان ذلك عام ٤٦٢ هـ كما يذكر ابن خلكان وهى السنة التى بلغت المجاعة فيها أشدها. ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣١٨.

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٤) المصدر نفسه . وقد ولد الخليفة الحافظ لدين الله بعسقلان التى كانت مقر والده أثناء الشدة العظمى ـ انظر : المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٧.

(٥) أبو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ٤ أورد ابن خلكان ترجمة الافضل بن بدر الجمالى وذكر مقدار الثروة التى خلفها بعد مقتله فى خلافة المستعلى بالله ـ وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٠ ـ ١٦٢.

وظل الخلفاء من بعد ذلك على نفس الطريق ، فلم يعد لهم من الخلافة سوى الاسم فقط لاستيلاء وزرائهم على الامور وحجرهم عليهم وتلقبهم بألقاب الملوك ، فكانوا معهم كخلفاء العصر المملوكى مع السلاطين وكخلفاء بغداد مع بنى بويه.(١)

ب ـ اثر المجاعات على الوزارة والقضاء :

يكاد يكون تطور نظام الوزارة فى مصر الفاطمية هو الوجه الآخر لعملة " تطور سلطة الخليفة الفاطمى ، فموقع الوزارة من السلطة المركزية ، كان يتحدد ضعفا أو قوة ، بمدى قوة شخصية الخليفة واتساع سلطاته .

وخلال فترة الخلفاء الأقوياء (٣٥٨ ـ ٤١١ هـ/ ٩٦٩ ـ ١٠٢٠م) لم يعرف الرجل الثانى فى الدولة ، دائما ، بلقب «وزير» وانما كان يسمى أحيانا بالواسطة أو السفير ، وربط أدار الخليفة شئون الدولة من خلال الكتاب والموظفين العاديين ، ولم يثبت لقب وزير الابدا من خلافة الظاهر لاعزاز دين الله .(٢)

وبصفة عامة فاننا نفرق خلال العصر الفاطمى بين وزارة التنفيذ ووزارة التفويض . والوزير فى الحالة الأولى مجرد منفذ لرغبات الخليفة ، وفى حالة

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ـ ج ٢ ص ١٧ .

(٢) د . ماجد : نظم الفاطميين ـ ج ١ ص ٧٨ ـ ٨٠ .

وزارة التفويض ، يفوض الخليفة إلى وزيره جميع أمور الدولة ولم يعد لـــه أى سلطة على هذه الامور ، بل تطاول الوزير على سلطة الخليفة الدينية(١)

ويمكن تصنيف فترة ما قبل الشدة المستنصرية تحت وزارة التنفيذ ، الا أنه باستنجاد المستنصر بقائده بدر الجمالى والى عكا فى عام ٤٦٦هـ تطـــورت السمى وزارة تفويض .(٢)

واذا كان من المسلم به اعتبار الشدة المستنصرية سببا مباشـــرا فى هذا التحول الخطير من وزارة التنفيذ إلى وزارة التفويض ، فانه لاينبغى الغض من شأن التغيرات الكمية التى حدثت فى اطار وزارة التنفيذ. وبدايـــة ، فانه يجدر التنويه إلى أن بعض وزراء التنفيذ ، قبل الشدة ، مارســـوا مهام وزراء التفويض وخاصة الوزراء الاقوياء كيعقوب بن كلس والجرجرائى ، (٣)

ولعـــل ذلك يدفعنا الى اطلاق " وزارة المدنيين" أوأصحاب الاقـــلام على وزارة التنفيذ "ووزارة العسكريين" أو وزارة أصحاب السيوف على وزارة التفويض التى كان جل وزرائها من قواد العسكر وحكام الأقاليم .

---

(١) د . ماجد : نظم الفاطميين ــ ج ١ ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٢) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ـ القاهره ـ ١٩٥٨ـ ج ١ ص ٢٧.

(٣) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ـ ص ٤٣ ـ ٤٥ .

تعد وزارات التنفيذ ـ عدا استثناءات قليلة ـ تعبيرا عن الثقـل السياسى لرجال الادارة المدنيه (البيروقراطيين) ،ولذا لم يكن مـن المستغرب ان يكون العديد من الوزراء من أهل الذمه أوالمسالمـة .(١) ويمكن تلمس تزايد نفوذ هذه الفئات من حوادث اضطهاد الاقبـاط الذين علا كعبهم فى أيام العزيز بالله ، الذى تزوج من مسيحية ، وبلغ من تحكمهم أن سيده مسلمة وقفت بطريق العزيز وأعطته قصة تتهمه فيها بأنه أذل المسلمين

---

(١) تولى الوزارة خلال الخلافة الفاطمية أربعة من أهل الذمه أسلموا ، وستـه لم يسلموا وبقوا على ديانتهم . كان الأربعه المسالمه اى الذين غيروا ديانتهم للاسلام وزراء تنفيذ قبل الشدة وهم : يعقوب بن كلس وصدقه بن يوسـف الفلاحى وابراهيم بن سعد التسترى ومنصور بن مكرواه . أما اهل الذمـة فمنهم خمسة من وزراء التنفيذ وهم : عيسى بن نسطورس وفهد بن ابراهيـم ومنصـور بن عبدون وزرعه بن نسطورس وصاعد بن عيسى ، اما السادس وكـان بعد الشدة العظمى فهو أبو المظفر مهران الأرمنى وكان من قواد الأرمـن العسكريين ـ وهو من وزراء التفويض ـ راجع : د . المناوى : الوزارة والوزراء ـ ملحق (٢) ص ٢٩٧ ـ ٣٠٤.

وان كان Mann يذكر ان يعقوب بن كلس مات يهوديا وأنه شمل برعايتـه طائفـه اليهود ـ انظر : Mann(J.) Jews in Egypt and in Palestine Vol. I. P. 17.

ومن الملاحظ أن بعض من هؤلاء قد تلقب بنعوت فخرية خاصة مثل فهد بـن ابراهيم الذى لقب بالرئيس ، ومنصور بن عبدون الذى لقب بالكافى وزرعـه بن نسطورس بالشافى وأخوه صاعد بالأمين الظهير شرف الملك تاج المعالـى ذى الجدين ـ انظر ـ د . حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ١٨ ـ ١٩.

كمـــا أعز الاقباط بعيسى بن نسطورس ومنشا اليهودى متولى أمور الشام.[١]

وشهد عهد الحاكم بأمر الله أوسع محاولات التصدى لنفوذ الأقبـــاط فى الادارات المختلفة ، بعد أن اشتد بأسهم ولعل ذلك هو سبب عـــودة الحاكم الى تطبيق الشروط العمرية لخاصة بأهل الذمة .[٢]

ويبدو أن تقلد أحد الذميين منصبا من مناصب الادارة العليـــا ، وخاصة منصب الوزير ، كان يؤدى إلى ازدياد نفوذ أهل الذمه واستحواذهم على كثير من مناصب الدولة .[٣] وهذا هو الذى سوغ للحاكم قتل فهـــد بن ابراهيم الذى عرف عنه انه يقوى نفوس النصارى ويفوض أمر الأموال والدواوين

---

(١) مجهول: انسان العيون (مخطوط) ص٤٠٨ــ ٤٠٩ ومنشا المقصود هنـــا اسمه كما تشير وثائق الجنيزه هو منشا بن ابراهيم القزاز ، وكان أحد كبـــار تجار الرملة بفلسطين ويبدو أنه كان يؤدى خدمات جليلة لبنى جلدته حتـــى ان فى وثائق الجنيزه عده قصائد تمدحه مكتوبة بالعبرية انظر :
Mann (J.) Jews in Egypt Vol. I. P. 20.

وقد قبض العزيز بعد ذلك على عيسى بن نسطورس وأخذ منه نحو ٣٠٠,٠٠٠ دينار وأخذ أكثر من ذلك من اليهودى ــ انظر :
Lewis (B.) Islam . Vol. II. P. 226.

، صلاح الدين خودابخش : حضارة الاسلام بيروت ١٩٧١ ص١٠٨ .

(٢) د . عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر اللــه ــ ص٩٥ ــ ٩٦ .
(٣) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ٢١٠ .

اليهم وأنه " عدة للنصارى وآفة على المسلمين "(١) غير أن الحاكم اضطر في الشطر الثاني من خلافته إلى التخفيف من حدة تنفيذ الشروط العمرية لاضطراب الأمور داخل البلاد بسبب المجاعة والضنك ، (٢) وذلك حتى لا تصاب الاداة الادارية بالاضطراب ٠

بيد أن تغير نظام الوزارة من وزارة تنفيذ الى تفويض ، لم يقض نهائيا على سطوة الكتاب الأقباط وان حد ذلك من نفوذهم ، ففي خلافة الحافظ لدين الله وقعت حادثة حاق فيها الظلم بأحد المسلمين بفعل أحد الكتاب الأقباط ، الأمر الذي جعل الخليفة يأمر بعدم استخدامهم في الدولة ، الا أنهم تحايلوا حتى عادوا للخدمة وازداد تحكمهم بالمسلمين ٠ (٣)

ومهما يكن من أمر ، فان الوزراء المدنيين (التنفيذ) الذين تولى منهم خمس في عهد العزيز بالله ، وكثر صرفهم وقتلهم في عهد الحاكم بأمر الله حتى بلغت عدتهم ثلاثة عشر وزيرا (٤) ، نجح بعضهم منذ عهد الظاهر في أن يتقدم أكثر من خطوة مبتعدا عن أن يكون مجرد منفذ

---

(١) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٣١ ـ كان فهد بن ابراهيم كاتبا لبرجوان وتولى الوساطة مع قائد القواد الحسين بن جوهر حتى قتل معه في عام ٣٩٣هـ ٠
ابن منجب الصيرفي : الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٨ ٠
يبين المؤلف أن اليهود استفادوا من المناصب الهامة التي تولوها فزادوا من نفوذهم وعملوا لصالح اخوانهم في العقيدة فأساءوا إلى المصريين والمسلمين : ـ انظر: د ٠ قاسم عبده قاسم : اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني المؤسسة العربية بيروت ـ ١٩٨٠ ـ ص ١١ ـ ١٢ ٠

(٢) د ٠ حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ص ٢٠٢ ٠
(٣) المقريزي : الخطط ج ١ ص ٤٠٦ ٠
(٤) د ٠ ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٤٨ ـ قتل الحاكم تسع وزراء منهم ـ انظر ـ ابن منجب : الاشارة ـ ص ٢٦ ـ ٣٢ ٠

لرغبات الخليفة ، وجاء ترافع قدر رجال الدولة متوافقا مع حالة الصراع التى سادت لاجل الاستحواذ على السلطة من الخليفة الماجن . (١)

ويأتى فى مقدمة هؤلاء الوزراء نجيب الدولة أبى القاسم على بن احمد الجرجرائى الذى ولى الوزارة للظاهر فى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، (٢) وكان أحد ثلاثة يسيطرون على الأمور فى بداية خلافة الظاهر ووقت حدوث مجاعة ٤١٤ ـ ٤١٥ هـ الخطيرة . وقد واجه تفرده بالوزارة وتقرير الامور مع اخت الحاكم ست الملك بتحد العصيان الحربى وضعف الادارة الحكومية البيروقراطيه . (٣)

ويظهر من سجل تعيين الجرجرائى ، انه كان أبعد من أن يكون وزير تنفيذ ، حيث يذكر الخليفة انه قد فوض اليه أمر وزارته وجعله "الوسيط بينه وبين أوليائه وناط به ازمة الحل والعقد والإبرام". (٤)

والأرجح أن الذى دفع الظاهر لزيادة سلطات الجرجرائى ، ما آل إليه حال الإدارة المدنية من ضعف وفساد منذ مجاعة ٤١٤هـ ، فقد

---

(١) ابن القلانسى ، أبو يعلى حمزه : ذيل تاريخ دمشق ـ بيروت ١٩٠٨ ص٧٣.
(٢) ابن منجب الصيرفى : المصدر السابق ص٣٥ ـ ٣٦ أعيد لقب الوزير الأجل إلى الجرجرائى عام ٤١٨هـ ولم يمنح من قبل الا لابن كلس .
د . حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص٦٩ .
(٣) Lewis (B.) , The Camb. Vol. I. P. 188.
(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٨٠ ـ ٨٢.

قام رجالها بالاتجار فى الغلال واحتكارها ، كما انتشرت الرشوة بين الكتاب وموظفى الدولة ، كما يستدل من دعوة الخليفة للجرجرائى فى سجل التعيين لدراسة أحوال المستخدمين الناظرين فى الأموال ومعرفة السبب الذى "يدعو المتصرف الى أن يحمل نفسه على الخطه النكراء فى الاحتجار والارتشاء" (١)

وقد استمر الجرجرائى — خلافا لمن سبقوه — فى الوزارة حتى بعد وفاة الظاهر ووزر للمستنصر بالله حتى سنة ٤٣٦هـ/ ٤٤ — ١٠٤٥م أى انه وزر نحو ثمانية عشر عاما . (٢) وقد تعتبر اعادة لقب الوزير الأجل ايذانا بتدهور سلطة الخليفة ، ذلك التدهور الذى سيؤدى فى نحو نصف قرن من الزمان إلى ظهور طبقة امراء الجيوش واستبدادهم بالحكم دون الخلفاء (٣)

أما ثانى هؤلاء الوزراء فهو أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى الذى وزر للمستنصر من عام ٤٤٣ — ٤٥٠ هـ / ١٠٥٠ — ١٠٥٨م ، ولعل ألقابه تدل على ما تمتع من نفوذ فى دولة المستنصر الذى لقبه بالوزير الأجل الأوحد المكين سيد الوزراء تاج الأصفياء قاضى القضاه وداعى

---

(١) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق — مجلدا ص١٢٧ .

(٢) ابن منجب : الاشاره إلى من نال الوزارة ص٣٥ — ٣٦ ود . المناوى : الوزارة ص٣٠٧ .

(٣) د . حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص٦٩ — ٧٠ .

الدعاة علم المجد خالصة أمير المؤمنين الناصر للدين غياث المسلمين ،(١) وهو بذلك لم يكن فقط رأسا للإدارة المدنية ، بل رئيسا للهيئة القضائية ومشرفا على الدعوة الشيعية . ولاشك أن الإكثار من ألقاب اليازورى كان صدى لاتساع نفوذه وارتفاع مكانته عند الخليفه .(٢)

ومن المحتمل أن يكون اليازورى قد شارك المستنصر فى حق من حقوق الخلافة وهو السكة ، إذ يذكر السيوطى أنه سأل المستنصر أن يكتب اسمه على السكة فكان ينقش عليها :

ضرب فى دولة آل الهدى	من آل طـه وآل ياسين
مستنصر بالله جل اسمـه	وعبده الناصر للديـن

مع ذكر تاريخ الضرب ، وطبعت الدنانير على ذلك نحو شهر ثم أمر المستنصر ان لا تسطر فى السير وعزل اليازورى بعد ذلك من الوزارة والقضاء فى المحرم سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م(٣) .

وقد كان لكل من الجرجرائى واليازورى نفوذ واسع فى الجيش ، حيث كان باستطاعتهما أو على الاقل بمشورتهما إرسال الحملات التأديبية للجهات الثائرة .(٤)

---

(١) ابن منجب الصيرفى : المصدر السابق ص ٤٠ ـ ٤٢ ـ ويذكر خطأ أنـه قضى فى عهده على تمرد أبى ركوه عام ٤٤٦هـ .

(٢) د . حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص ٧٠ ـ ٧١ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضره ج ٢ ص ١١٦ .

(٤) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ص ٤٤ ـ ٤٥ .

وبانتهاء وزارة اليازوري تفجرت الصراعات بين طوائف الجند من السودان والأتراك يهدف السيطرة على أمور الخلافة ، ودخلت البلاد في مرحلة مخاض تاريخي احتضرت واضمحلت خلالها وزارة المدنيين (التنفيذ) التى لم تكن تملك السلاح الذى بأيدى طوائف الجند .

فمنذ عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م وحتى ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م عند مقدم بدر الجمالي ولى الوزارة تسع عشر وزيرا على النحو التالى :ـ

١ـ أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلى : ولى الوزارة ثلاث مرات أولها فى محرم سنة ٤٥٠ هـ وصرف بعد شهرين والثانية فى رمضان سنة ٤٥٢هـ وصرف بعد أربعة أشهر ، والأخيرة فى ربيع الأول عام ٤٥٤هـ وصرف بعد خمسة أشهر.(١)

٢ـ أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى : تولى من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٠هـ وصرف فى شهر رمضان من نفس العام .(٢)

٣ـ عبد الله بن يحيى بن المدبر : ولى الوزارة مرتين احداهما فى صفر ٤٥٣هـ وصرف بعد شهور والاخرى فى شهر ربيع الأول ٤٥٥هـ وتوفى فى وزارته فى جمادى الأولى منها .(٣)

٤ـ عبد الكريم بن عبد الحاكم : قررت له الوزارة فى رمضان سنة ٤٥٣هـ وتوفى فى محرم ٤٥٤هـ وكان قاضيا للقضاة وتولى منصب داعى الدعاة .(٤)

---

(١) ابن منجب الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ص٤٦ .

(٢) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ـ ص٣٠٧ .

(٣) ابن منجب الصيرفى : المصدر السابق ص٤٨ .

(٤) المصدر نفسه ص٤٨ ـ ٤٩ .

٥ـ أبو على أحمد بن عبد الحاكم : تولى الوزارة سنة ٤٥٤هـ وصرف بعد سبعة عشر يوما وكان قاضيا للقضاة وداعيا للدعاة .(١)

٦ـ أبو عبد الله الحسين بن سديد الدولة : الذى ولى الوزارة فى ربيع الأول ٤٥٤هـ وصرف فى ثانى شعبان بسبب نزاع العبيد والاتراك .(٢)

٧ـ أبو أحمد أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم : ولى الوزارة دفعتين ، فى سنة ٤٥٥هـ وصرف بعد شهرين والاخرى فى ذى الحجه من نفس السنة وصرف بعد خمسة وأربعين يوما وعوقب وتوفى بالشام .(٣)

٨ـ ابو غالب عبد الظاهر بن فضل المعروف بابن العجمى ،وكان جده من دعاة الدولة ، وتولى الوزارة غير مرة ، أولها فى جمادى الاولى سنة ٤٥٥هـ لمدة ثلاثة شهور ، والثانية فى ربيع الآخر سنة ٤٥٦هـ ولمدة ثلاثة وأربعين يوما ثم ولى الوزارة أثناء الشدة المستنصرية ، فقتله تاج الملوك شادى عند الشرطة بالقاهره سنة ٤٦٥هـ وهو فى طريقة للقصر .(٤)

٩ـ الحسن بن القاضى ثقة الدولة وسناؤها المعروف بابن كدنية وكان قاضيا للقضاه وداعيا للدعاة ،تردد بين الوزارة والقضاء ،وولى الوزارة خمس دفعات أولها فى شعبان ٤٥٥هـ ، وكان وزيرا عند قدوم بدر الجمالى الى مصر ،

---

(١) ابن منجب الصيرفى:الإشارة ص٤٩ يلاحظ أنه تولى مناصب قاضى القضاة وداعى الدعاة ، وكذلك أخوه ، وكان أبوهما قاضى طرابلس وانتقل الى مصر ـ ابن منجب ص٤٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص٤٩ ـ ٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ص٥٠ ، وكان قاضيا للقضاة وداعيا الدعاة أيضا .

(٤) المصدر نفسه ص٥٠ .

فقتله بدر بدمياط هو وولده . (١)

١٠ـ أبو المكارم المشرف بن أسعد وليها مرتين أحداهما فى صفر سنة ٤٥٦ هـ وصرف فى شهر ربيع الآخر . (٢)

١١ـ أبو على الحسن بن أبى سعد بن ابراهيم بن سهل التسترى ، كان يهوديا وأسلم ، وهو الذى باع أم المستنصر السودانية الى الظاهر ، وأقام في الوزارة عشرة أيام ثم استعفى . (٣)

١٢ـ ابو القاسم هبة الله محمد الرعبانى ، ولى الوزارة دفعتين كل منهما عشرة أيام وصرف . (٤)

١٣ـ أبو الحسن على بن الانبارى : أقام أياما وانصرف. (٥)

١٤ـ أبو على الحسن بن سديد الدولة ، تولى الوزارة أيام الشدة وقد استحكم فساد الأمر وقلت الهيبة فأسقط الكاتبون حشمته فيما كانوا يعرضون له به فأقام أياما وانصرف.(٦)

١٥ـ أبو شجاع محمد بن الأشرف تقررت له الوزارة فأقام أياما وانصرف وتوجه الى الشام بحرا فلقيه بدر الجمالى عند توجهه الى مصر فقتله.(٧)

١٦ـ أبو الحسن طاهر بن وزير ، أقام أياما وانصرف.(٨)

---

(١) ابن منجب الصيرفى: الاشارة ص ، وابن كدنية هذا كان من الموالين لابن حمدان حتى انه كان يبخس اثمان ذخائر المستنصر لصالحه ـ انظر: ـ الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ص٢٥٣ .

(٢) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ـ ص٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

(٣) ابن منجب الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ص٥٢ .

(٥) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ص ٣٠٩ .

(٦) ابن منجب الصيرفى : المصدر السابق ص٥٣ .

(٧) المصدر نفسه ص٥٣ .

(٨) د . محمد حمدى المناوى : المرجع السابق ص٣١٠ .

١٧ـ أبو عبد الله محمد بن أبى حامد ، وكان من أهل تنيس ، ويبدو انه كان من اغنيائها ، دخل مصر زمان الفتن واضطراب الأمن واستقرت له الوزارة فأقام فيها يوما واحدا وصرف وقتل . (١)

١٨ـ أبو سعد منصور المعروف بابن زنبور : كان نصرانيا وأسلم لما ولى الوزارة ، فأقام بها اياما قلائل فطالبه الجند بأرزاقهم فوعدهم وطمنهم وهرب مع اللواتيين . (٢)

١٩ـ أبو العلا عبد الغنى بن نصر بن سعيد الضيف وكان واسطة الى أن دخل أمير الجيوش الى مصر ، فنفى الى قيسارية وبعدها الى تنيس وقتل بها (٣) ويبدو أن الوساطة كانت رتبة أقل من الوزارة حيث أن ابن ابى كدينة كان وزيرا عند دخول بدر الى مصر .

وهكذا كانت الشدة المستنصرية وما صاحبها من أحداث سببا فى الاسراع بانهيار نظام وزارة التنفيذ ، ولعل السبب فى كثرة صرف الوزراء وسقوط هيبتهم حتى أمام الكتاب ، هو سيطرة رجال الجيش من الأتراك على مقاليد الأمور فى الدولة .

واذا كان قواد الاتراك لم يجروءا على أن ينصبوا واحدا منهم فى موقع الوزير الذى يستبد بالأمور دون الخليفة ، فان بدر الجمالى الأرمنى قد فعلها

---

(١) ابن منجب الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ص٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ص٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ص٥٤ ويلغ عدد مرات تغيير الوزراء الذين تولوا الوزارة مدة الشدة ٣٦ مرة ـ انظر : د. المناوى : ملحق رقم ٣ ـ ص٣٠٩ ـ ٣١١ .

وأحدث الانقلاب الوزارى الذى تولى بمقتضاه العسكريون ورجال السيف منصب الوزارة .(١)

ورغم ان المستنصر بالله هو الذى قرر بنفسه استدعاء بدر الجمالى ، فان ذلك كان ربما آخر ما اتخذه من قرارات أو مارسه من سلطات ، اذ بدأ بعد ذلك عصر الوزراء العظام الذين أصبحوا أعلى سلطة من الخليفة .(٢) فقد الزم بدر المستنصر بالقصر ولم يبق له نهى ولا أمرالا الركوب في العيدين .(٣)

ودام الامر على ذلك حتى بعد وفاة بدر وتولى ولده الأفضل شاهنشاه .(٤)

وقد سيطر بدر الجمالى على الأمور في مصر بواسطة لقبه الثلاثى الذى خلعه عليه الخليفة فهو قائد الجيش (أمير الجيوش) ومدير الدعوة (داعى الدعاة) ثم هو الوزير ، مما يعنى سيطرته على قيادة الجيش والمؤسسة البيروقراطية ، وان كان بدر يعرف عادة بأول هذه الالقاب ، وأصبحت مصر تحكم بحكم فردى عسكرى باسم أمير الجيوش .(٥)

---

(١) د . عطيه مشرفه : نظم الحكم بمصر فى العصر الفاطميين - القاهره ١٩٤٨ ص ١٢٢ .

(٢) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٧ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٤ .

(٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣ .

(٥) Lewis (B.) The Camb. Vol. I, P 189.

وكان أمير الجيوش قبل ذلك لقبا عاما لصاحب ولاية دمشق فقد كان أمير الجيوش انوشتكين والى دمشق عام ٤٢٩ هـ - انظر : د . حسن الباشا : الالقاب الإسلامية ص ٧١ .

وإذا كنا نجد فى القرن الأول من الخلافة الفاطمية فى مصر، وزراء من الكتاب والقواد والقضاة والولاة والحجاب ،⁽١⁾ فانه منذ وزارة بدر الجمالى إلى نهاية الدولة أصبح الوزير من رجال السيف عادة .⁽٢⁾

كما أصبح معظم الوزراء من حكام الولايات ،ولعل ذلك راجع الى ازدياد نفوذهم بسبب ضعف السلطة المركزية ،فبدر الجمالى كان واليا على دمشق ورضوان بن ولخشى واليا على الغربية وكان ابن السلار واليا على الاسكندرية والبحيرة ، وطلائع واليا على قوص وشاور واليا على قوص والصعيد الأعلى ويبدو أن ولاية قوص فى ذلك الوقت أصبحت ذات مركز خاص فى الدولة ، فكانت أكبر منصب بعد الوزارة .⁽٣⁾

وربما كان مبرر ذلك ضعف السلطة المركزية فى مجملها ، حتى عاد الصعيد الى وضع قريب مما كان عليه قبل توحيد الشمال والجنوب فى فجر التاريخ ، وساعد على ذلك البعد الجغرافى للصعيد عن مركز الخلافة بالقاهرة .

سيطرة الوزراء على الخلفاء :

بتولى بدر الجمالى شئون البلاد بدأ عصر الوزراء العظام ، وزراء السيوف والتفويض وأصبح السلطان الفعلى منذ ذلك الوقت فى أيديهم وتوارى الخلفاء

---

(١) د . ماجد : نظم الفاطميين ــ ج ١ ص٩٣ .
(٢) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق ــ ص٢٨ .
(٣) مجهول ــ انسان العيون ــ مخطوط ــ ص٤٣٧ .

فى الظل . (١) ويشبه ذلك ما كان حادثا فى النظام الميروفنجى Merovingian الذى شعاره major domo (٢) ومقدم بدر اختفى لقب الوزير الأجل واستعيض عنه بلقب السيد الأجل أمير الجيوش، وانتهت بذلك الوزارة نفسها كوظيفة ذات خطر حتى بعد ارجاعها فى عصر المماليك (٣).

وقد سيطر الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى على أمور الخلافة منذ مرض والده فى ربيع الأول ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ، وظل وزيرا بقية خلافة المستنصر وطيلة خلافة المستعلى بالله وأخذ البيعة للآمر بأحكام الله (٤). وبذلك دامت وزارته ثمانية وعشرين عاما ونصف . (٥) ومن مظاهر طغيان هذا الوزير استكثاره من النعوت الأمر الذى آلم الخليفة وارتضاه على مضض واستحدث على عهده اتخاذ النعوت الشخصية على مثال نعوت الخلفاء وسوى استعمالها بعد ذلك ، فقد لقب نفسه بالأفضل وكان ذلك لقبا عاما بعد ذلك رغم أنه فى منشئه كان نعتا شخصيا لشاهنشاه. (٦)

---

(١) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة ص٣٣ـ ٣٤ ـ وتاكيدا لهذا المعنى أطلقت المصادر التاريخية على أمير الجيوش " أمير مصر " ابن الجوزى ـ المنتظم ج ٩ ص١٦ .

(٢) ستانلى لين بول : سيرة القاهره ـ ص١٤٥ـ ١٤٦ .

(٣) د . حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٧١ .

(٤) ابن منجب الصيرفى : الاشارة ـ ص ٥٧ .

(٥) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ص ٢١٢ .

(٦) د . حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٧٢ .

وحجر الأفضل على المستعلى بالله فحاول قتله ولم يفلح (١)، الا أن الآمر بأحكام الله الذى ضيق عليه الأفضل ومنعه مما تميل إليه نفسه نجح فى تدبير مقتل الأفضل المستبد (٢)، ليحل مكانه طاغية آخر استبد بالخليفة، وهو المأمون البطائحى الذى ظل وزيرا مدة أربع سنوات حتى اعتقله الآمر بعدها هو وأخاه المؤتمن واستولى على أموالهما (٣)، وبقى الخليفة بدون وزير حتى وفاته عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠م (٤).

وعندما تولى الوزارة أبو على الأفضل المعروف بكتيفات، وتلقب بأمير الجيوش عام ٥٢٤هـ استحوذ على الأمور دون الخليفة الجديد الحافظ لدين الله الذى كان كفيلا لحمل عند أحدى زوجات الآمر وحصره فى موضع لايدخل عليه الا من يريده، ونقل الأموال من القصر إلى داره، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط (٥).

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ـ ج ٢ ص١٦٠ ـ ١٦٢.
(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٢٠٣.
(٣) د. محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ص٢٧٤ ـ ويذكر أن المأمون كان وزيرا من شوال ٥١٥ هـ حتى ٤رمضان ٥١٩ هـ ـ ص٣١٢، ويذكر أبن الحنبلى أن الآمر قتله فى هذه السنة لما أحس تآمره لقتله : شذرات الذهب ج ٤ ص٦٠، وقد استعمل فى عهد المأمون القاب الكناية المكانية فنعت بالمقام الاعظم ـ والمقام الكريم وبالمجلس ـ انظر : د. حسن الباشا : الالقاب ص٧٢.
(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١١، الذى أورد ان اعتقالهما تم فى شعبان وليس فى رمضان.
(٥) السيوطى : حسن المحاضره ج ٢ ص١١٧، مجهول : انسان العيون ص٤٣٠

بل وأمر الخطباء بأن يخطبوا له بألقاب كتبها لهم وهى "السيد الأفضل ، الأجل سيد ممالك أرباب الدول ، والمحامى عن حوزة الدين ، وناشر جناح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين ، ناصر امام الحق فى حالتى غيبته وحضوره ، والقائم بنصرته بماضى سيفه وصائب رأيه وتدبيره أمين الله على عباده ، وهادى القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ، ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وارشاده مولى النعم ورافع الجور عن الأمم ومالك فضيلتى السيف والقلم ، أبو على أحمد بن السيد الأجل الأفضل شاهنشاه أمير للجيوش".(١)

ويستفاد من ذلك أن كتيفات تجاوز ماجرت عليه سنة الوزراء من الاستقلال بالأمور ودون الخليفة ، فقد كان إمامى المذهب وليس إسماعيليا ، وسجن الخليفة ساعيا لاقامة مذهب الامامية فى مصر ، وهدم المذهب الاسماعيلى ، فعين أربعة قضاة (شافعى — مالكى — اسماعيلى — امامى) كل منهم يحكم حسب مذهبه ، واسقط اسم اسماعيل بن جعفر الصادق الذى ينتسب اليه الاسماعيلية ، وكذا اسم الخليفة والغى الآذان بحى على خير العمل وجعل الخطبة له على المنابر بالالقاب السابق ذكرها ، وتوج ذلك بضرب دراهم ودنانير جديدة باسم الامام المنتظر ، ويعد ذلك انقلابا كاملا على الخلافة

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ٣٣٥ .

الفاطميه . (١)

الا أن الخطبة للمهدى المنتظر اسقطت بعد قتل ابى على أحمد فى العشرين من المحرم سنة ٥٢٥هـ / ٢٥ ديسمبر ١١٣٠، على يد مملوك أفرنجى للحافظ وبأمره . (٢) وأصبح اليوم الذى قتل فيه وأطلق فيه سراح الحافظ يسمى بعيد النصر. (٣)

ولم يحل موت كتيفات دون استمرار سيطرة الوزراء فى الدولة ، فتحكم السعيد أبو الفتح يانسى الأرمنى فى الحافظ الذى دس عليه من سمه فى ماء الاستنجاء فمات واستوزر الحافظ ابنه الحسن وكان وليا لعهده ، فأقام ثلاثة أعوام فأساء السيرة فدس عليه السم أيضا وقتله عام ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م. (٤)

---

(١) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية مجلدا ص٩٠-٩٢ ،
د . حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص٧٣.

(٢) السيوطى : حسن المحاضره ج ٢ ص١١٨.

(٣) د . جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص٢٤.

(٤) السيوطى : حسن المحاضره ج ٢ ص ١١٨ .

ويرجع مقتل الوزير الصالح طلائع بن رزيك فى ١٩ رمضان ٥٥٦هـ/١١٦١م بتدبير عمة الخليفة العاضد لدين الله إلى استيلائه علـى الامور بالدولـة وحفظه للأموال منذ زمن الخليفه الفائز بنصر الله (١) ٠

بيد أن حال العاضد مع شاور بن مجير السعدى الذى خلف ابن الصالح طلائع ، لم يكن بأفضل منه مع الصالح طلائع فقد حكم على العاضد وحجبـه ، وظل الأمر على ذلك مع أسد الدين شيركوه وابن أخيه يوسف صلاح الدين (٢) ٠

زى الوزراء :

كان زى الوزراء حتى وزارة بدر الجمالى ، يتكون من المناديل الطبقيـات بالأحناك تحت حلوقهم وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها ذراريع ـ واحدها ذراعه ـ وهى مشقوقه من الامام بالقرب من القلب بازرار وعرى ، ومنها ما تكـن ازراره من ذهب مشبك أو لؤلؤ (٣) ، وهذه كانت علامه الوزارة ٠

---

(١) د ٠ محمد حمدى المناوى :الوزارة والوزراء ص٢٨٠ ٠ ذكر السيوطى ان رضوان بن ولخشى قتل بعد عزله ج ٢ ص١١٨ والحقيقه انه قتل عام ٥٤٢هـ حينما هرب مـن الاعتقال وحاول العودة للوزارة بالقوة ٠ انظر : مؤيد الدولة ابو المظفر اسامه ابـن مرشد الكنانى الشيرزى المعروف بابن منقذ : كتاب الاعتبار ـ تصحيح هرتويغ درنبرغ مطبعه بريل ـ ليدن ١٨٨٤ ص٢٤ ٠ وقد حدد د ٠ حسن الباشا ظهور لقـب "الملك الافضل" بعام ٥٣٠هـ ـ انظر الألقاب ص٧٢ ٠

(٢) شهاب الدين ، ابو محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل ابن ابراهيم المقدسـى المعروف بابى شامه ـ كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين مطبعه وادى النيل بمصر القاهرة ١٢٨٧هـ ـ الجزء الأول ص١٢٠، ١٢٤، ١٤٣، ١٩٣ ٠

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص٤٤٠ ٠

ومنذ الشدة العظمى وما نجم عنها من ظهور وزراء التفويض ومع تولى بدر الوزارة التى أصبحت وزارة تفويض جل وزراءها من أرباب السيف ، صار يخلع على الوزراء الطيلسان المقور وهو زى القضاة ، كما سمح لهم بترك ذؤابة العمامة ، ولعل ذلك اشار الى أن الوزير هو كبير أرباب السيف والأقلام ، وكان بدر الجمالى وابنه الافضل قد تقلدا بالسيف مع الطيلسان المقور ، ولم يخلع على أحد من الوزراء كذلك حتى ولى الصالح طلائع بن زريك ، فجعل فى خلعته السيف والطيلسان المقور.(١)

اختصاصات الوزراء :

تعددت اختصاصات وزراء التفويض واتسع نفوذهم حتى أصبحوا هم المستولين على الأمر فى مصر .(٢) أذ "ألقى الخليفة لوزيره مقاليد الأمور وسياسة الجمهور"(٣) فبطل بذلك اسم "الوزارة" واصبح وزير السيف الملقب

---

(١) المقريزى : [الخطط ج ١ ص ٤٤٠] يذكر د . ماجد انه كان يخلع على الوزراء منذ عهد بدر الجمالى بالعقد الجوهر عوضا عن الطوق الذى كان يلبسه الوزراء من قبل — (نظم الفاطميين ج ١ ص ٨٩ — ٩٠) وحقيقة الامر ان عقد الجوهر كان يخلع على الوزراء منذ بداية الدولة الفاطمية ، أما الطوق فكان يخلع على أكابر الأمراء فقط كما يفهم مما أورده [المقريزى] نقلا عن ابن طى — الخطط ج ١ ص ٤٤٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٧٢ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٧

(٣) د . ماجد : السجلات المستنصرية ص ١٨٥ — سجل بتاريخ محرم ٤٦٧ هـ .

بأمير الجيوش هو سلطان مصروصاحب الحل والعقد ، واليه الحكم فى الكافة والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وهو الذى يولى أرباب المناصب الديوانية والدينية .(١) وتأكيدا لهذا المعنى ، قام الأفضل بنقل الدواوين من القصرالى دار الملك التى بناها بالفسطاط ، الا أن الدواوين عادت للقصر بعد مقتله .(٢)

وقد تحكم الوزراء فى حالات كثيره فى تولية الخلفاء وقتلهم أيضا حتى يتسنى لهم الانفراد بالسلطة . فالأفضل بن بدر الجمالى تعمد ان يولى الا بن الاصغر للمستنصر الخلافة ، ولقبه بالمستعلى بالله (٣) وأبعد الابن الاكبر نزار الذى نص المستنصر على توليته مما أحدث النزاع المذهبى بين المستعليه والنزاريه .(٤)

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ـ ص ٤٤٠ .

(٢) المقريزى: الخطط ج١ ص ٣٩٧ ،وينقل المقريزى عن ابن عبد الظاهران دارالوزارة بناها بدر الجمالى وكانت تعرف قديما بدار القباب، ويخالفه المقريزى حيث يرى أن دار الوزارة من بناء الأفضل ، والدار التى عمرها أمير الجيوش بدر هى داره بحارة برجوان التى يقال لها دار المظفر ، وظل الوزراء يسكنون بدار الوزارة حتى نهاية الدولة وذكر وصفها كذلك . انظر : الخطط ج ١ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ .

(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام ـ مجلد ١٦ ص ٢٧٢ .

(٤) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٤١١ـ٤١٤ .

وعندما توفى الآمر بأحكام الله من غير ولد وعين الأمير عبد الجميد (الحافظ لدين الله فيما بعد) كفيلا لحمل مستكفل حاول الوزير أبو على أحمد أن يسقط الدعوة الاسماعيلية بالمرة ويدعو للامام المنتظر. (١)

وكرر أبو الفتوح محمد بن مصال قصة تولى المستعلى بالله ، وكان من المغاربة وأحد كبار رجال الدولة عند وفاة الحافظ اذ ادعى أن الخليفة قد نص على ابنه الصغير اسماعيل دون بقية أولاده وأنه قد عينه وزيرا له ، وأعلن بذلك خلافة الظافر بأمر الله وكان عمره سبع عشرة سنه (٢)

وعندما قتل الظافر بأمر الله بيد الوزير ابن عباس وابنه نصر في آخر المحرم عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤م (٣) ، دخل الوزير الى القصر وعاد بأصغر أولاد المقتول وعمره نحو خمس سنوات وأعلن تنصيبه كخليفه جديد (٤) وتأكيدا لسيطرته المطلقة ، قام بقتل اخوة الخليفة الحافظ ، الأميرين جبريل ويوسف. (٥)

---

(١) غريغوريوس : أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطى المعروف بابن العبرى : مختصر تاريخ الدول وقف على طبعة الاب أنطون صالحانى — المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين — بيروت ١٨٩٠ — ص ٣٥٢ — ٣٥٣.

(٢) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٤١١ — ٤١٤ — ويذكر ابن منقذ ان ابن السلار ولى الوزارة رغما عن هذا الخليفة بعد ذلك — انظر الاعتبار ص ٥ — ٦ .

(٣) ابو شامة : الروضتين فى اخبار الدولتين ج ١ ص ٩٧ — ٩٨ ، ابن خلكان — وفيات الاعيان — ج ١ ص ٢١٤ — ٢١٥.

(٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٣٦٢ ، الحنبلى : شذرات الذهب ج ٤ — ص ١٥٢ — ١٥٣ .

(٥) ابن منقذ : الاعتبار ص ١٥ — ١٦.

واعاد طلائع بن رزيك القصة عندما ولى الخلافة لابن عم الخليفة الفائز وكان عمره لا يتجاوز ١٦ عاما ولقبه بالعاضد لدين الله .(١)

وقد شارك الوزراء خلفاء الفاطميين شارات الخلافة ، وهى الخطبة والسكة والطراز.(٢) فكان يخطب للوزراء بألقابهم منذ بدر الجمالى ،ولدينا سجل من المستنصر بالله لحاكمة فى اليمن ابى الحسن أحمد بن على ، يأمره بالدعاء لأمير الجيوش بدر بعد الخليفة ، وان يشفع ذلك بالدعاء للأفضل بن أمير الجيوش ، وذلك بعد أن عم الدعاء لهما على " فروق المنابر العلوية المستنصرية بالقاهرة المعزية المحروسة وسائر البلدان والأعمال قريبها وبعيدها فى أيام الجمع والأعياد". (٣)

أما الطراز ، فقد شارك فيه الخلفاء الاقوياء (وزراء) مثل ابن كلس فى عهد العزيز بالله والجرجرائى أيام الظاهر لاعزاز دين الله واليازورى فى خلافة المستنصر ، وكان طبيعيا أن يشارك الوزراء العظام فى حق الطراز فنجد اسم بدر على الطراز ، وابنه الأفضل شاهنشاه ،(٤) كما أن المأمون البطائحى

---

(١) د . ماجد : المرجع السابق ص ٤٣٩ ،ابن خلكان :وفيات الاعيان — ج ٢ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

وقد اعتاد الوزراء فى أواخر العصر الفاطمى اختيار الأطفال للخلافة وكذا اختيار القابهم الشخصية — د . حسن الباشا : الالقاب ص ٦٧ .

(٢) يذكر مؤلف شرح اللمعه : ان يعقوب بن كلس كتب اسمه على الطراز والكتب — ورقه ٥ أ .

(٣) د . ماجد : السجلات المستنصرية — ص ٨٥ — سجل بتاريخ ٧ محرم ٤٧٩هـ .

(٤) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء — ص ٧٤ — ٧٥ ، انصاف رياض — الحياة الاقتصادية — ص ٣٢ .

اثبت اسمه ونعته على طراز ما يعمل بالمملكه من الملابس والفرش والآنيه (١)
وذلك بعد أن كان الطراز حقا فقط للخليفة دون كافة المستخدمين . (٢)

وايام وزارة ابى على أحمد بن الأفضل ، دعى له بمفرده على المنابر
ونقش اسمه على السكة أيضا . (٣)

وقد تدخل بعض الوزراء لابطال بعض المراسم والاعياد التى كانت
تحتفل بها الدولة ، فقد أبطل الأفضل بن أمير الجيوش أمر الموالد الأربعة
النبوى ، والفاطمى ، والامام الحاضر ، والعلوى وما يهتم به . (٤)

واذا كان الوزراء سواء أرباب الأقلام أو السيوف — الرأى الأول فى اختيار
رؤساء الدواوين ، رغم أن سجل التعيين كان يخرج باسم الخليفة ، فانه
منذ وزارة بدر الجمالى ، أصبح ينص فى السجل على أن الوزير هو الذى
قام بترشيح صاحب السجل لوظيفته ، بل أن وزراء السيف كانوا فى بعض الأحيان

---

(١) ابن منجب الصيرفى : الاشارة الى من نال ص٦٣ .
(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٩٤ .
(٣) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية — المجلد الاول ص ٩٠—٩٢
(٤) المقريزى : الخطط ج ١ص ٤٣٢ — ٤٣٣ .

يصدرون السجلات ، باسمائهم مباشرة ، ويبدو أن ذلك كان يحدث في الأوقات التى يكون للوزير فيها السيطرة التامة على الدولة .[١]

ولم يختلف الأمر كثيرا فيما يتعلق بتعيين الولاة سواء داخل مصر أو خارجها . فقد كان الخليفة هو الذين يعين الولاة من العناصر المعروفه بالولاء للدولة الفاطمية كالمغاربة — ثم أصبحت سلطة تعيين الولاة لوزراء التفويض ،[٢] وبالتالى كان ينص فى سجل التعيين ان الترشيح كان بمعرفة الوزير ورأيه ، وصدرت بعض السجلات عن الوزراء مباشرة ، وتركزت بذلك سلطة تعيين الولاة وعزلهم بأيدى وزراء السيف .[٣]

ووصل الأمر بالصالح طلائع بن زيك أنه كان يبيع ولايات النواحى[٤] ولأجل زيادة مكاسبه ، جعل مدة الولاية سنة أو ستة أشهر فقط ، الأمر الذى ترتب عليه تضرر الناس من كثرة تردد الولاة عليهم ، وكان طبيعيا ان يتبع هولاء الولاة نفس الأسلوب مع مساعديهم ، مما أدى فى النهاية إلى انتشار الرشوة

---

(١) د . المناوى : الوزارة والوزراء ص ٤٣ .
(٢) د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٢٢ — ١٢٣ .
(٣) د . المناوى : المرجع السابق ص ٤٣ — ٤٤ .
(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١١١ .

والفساد وارهاق عامة الشعب والفلاحين بالضرائب. (١)

وبعد أن كان منح الاقطاعات، من سلطة الخليفة وحده، نجد أنه منذ وزارة أمير الجيوش، أصبح الوزراء لهم سلطة منح الاقطاعات. (٢)

أما المظالم، فقد كان الخليفة قبل الشدة ينظر فيها بنفسه أو ينيب عنه فيها صاحب الباب، وبعدها أصبح الوزراء هم الذين يجلسون للمظالم يومان فى الاسبوع، أو يعهدون بذلك لمن ينوب عنهم، وكانت مناشير البت فى هذه المظالم تخرج باسم الخليفة مع ذكر الوزير اذا كانت القصة مرفوعة باسم الخليفة ولكن فى بعض الأحيان كانت التظلمات ترفع رأسا باسم الوزير وفى هذه الحالة كان المنشور يخرج باسم الوزير. (٣)

وامتدت سلطات وزير التفويض لتقطتع من سلطات الخليفة الدينية أيضا. فمنذ صار يخلع على الوزراء بالطيلسان المقور وهو زى القضاة، صار المستخدمون فى حكم الوزير والدعاة نوابا عنه وكذلك القضاة. (٤)

---

(١) د. احمد عبد الرازق : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهره ١٩٧٩ ـ ص١٧.

(٢) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص٣٣.

(٣) د. المناوى : المرجع السابق ص٤٥ ـ ٤٧ ـ وكان الخليفة يكتب على الظلامات والمسامحات بخطه "وزيرنا السيد الأجل .. أمتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك ان شاء الله" د. حسن الباشا ـ الالقاب ص١٢٩.

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص٢٣.

وقبل وزارة بدر الجمالي كان قاضي القضاة وداعي الدعاة ، يعين من قبل الخليفة رأسا بوصفه صاحب السلطة الدينية ، ولم يكن لوزراء التنفيذ سلطة على القضاء عدا ابن كلس والوزراء الذين تقلدوا القضاء .(١)

ورغم أن وزراء التفويض كانوا يقلدون بأنفسهم في القضاء من يقوم به ويعتبرون قاضي القضاة نائبا عنهم ويلقبونه فقط بالقاضي ، الا أن كتاب التوليه كان يخرج من ديوان الانشاء باسم الخليفة .(٢)

وتضمنت القاب الوزير " كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين "(٣) اشارة الى سيطرته على الدعاة والقضاة ، وكان أول قاض للقضاة يعين في منصبة هذا من قبل الوزير هو ابو يعلى حمزه بن الحسين بن أحمد الفارقي ، الذي ولى من قبل بدر الجمالي وظل في منصبه الى أن توفى سنة ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩م .(٤)

وكان القضاء قد شهد اضطرابا مواكبا لما حدث لوزارة التنفيذ قبل واثناء الشدة المستنصرية ، فمنذ عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م تغير القضاء أحد عشر

---

(١) د . المناوي : الوزارة والوزراء ص٤٥ .

(٢) د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص١٤٢ . ويذكر المقريزي ان متولى القضاة من قبل وزير السيف كان ينعت بقاضي القضاة ـ الخطط ج ١ ص٤٠٣ .

(٣) د . ماجد : السجلات المستنصرية ص ٦٠ ـ ٦١ .

(٤) المقريزي : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٣١٣ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ص ٩٢ .

مرة حتى عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م وبقى أحد القضاة فى منصبه يوما واحدا.(١)
وكان من أثر تحكم وزراء السيف فى القضاء ان عمد هؤلاء الى تعيين
قضاه سنيين لاضعاف المذهب الشيعى ، فوجدنا أبا على أحمد بن الافضل
يعين قضاه لأربعه مذاهب بدلا من المذهب الاسماعيلى وحده ، وولى صلاح
الدين الأيوبى أحد القضاه السنة القضاء والحكم بمصر والقاهره وهو صدر
الدين عبد الملك بن درباس.(٢)

وأصبح للوزراء من أرباب السيف السلطة على أرباب السيوف والأجناد،
بعد ان كان ذلك من اختصاص الخليفة ، وأخذ الوزراء فى تعيين قادة
الجيوش من قبلهم ، ولهم أمر السلم والحرب ، وان كان بعض وزراء التنفيذ
قد مارسوا نفوذا على الجيش مثل ابن كلس والجرجرائى واليازورى.(٣)
وبلغت سلطة وزراء السيوف على الجيش اقصاها فى أواخر الدولة الفاطمية ،
حتى أن أسد الدين شيركوه تلقب بسلطان الجيوش ، وكانت كلمة السلطان
من قبل قصرا على الخليفه.(٤)

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٢.
(٢) ابو شامه: الروضتين فى أخبار الدولتين ، ج ١ ص ١٩١.
(٣) د . المناوى : الوزارة والوزراء ـ ص ٤٤ ـ ٤٥ ـ كان قائد الجيش يسمى اسفهسلار العسكر اى قائد الجيش، او فقط اسفهسلار اى قائد ، كما تسمى وظيفته الاسفهسلارية اى قيادة العسكر ، وكان الاسفهسلار يحتل مركزا مرموقا فى الدولة الفاطمية ، فهو يأتى فى ترتيبه مباشرة بعد صاحب الباب الذى يلى الوزير راسا . د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ وكان صاحب الباب أيضا من أجل الموظفين العسكريين انظر : د . حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص ٧٥.

(٤) د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

وواقع الأمر أن وزراء التفويض كانوا هم قواد الجيش ، وأداة العسكر في الحكم ، فمنذ وزارة أمير الجيوش ، أصبحت مصر تحكم بواسطة الاوتوقراطية العسكرية الذى يرأسها .(١) وكان الفيصل فى تولى الوزير وبقاءه فى منصبه مؤازرة العسكر له ،فقد استقرت الأمور وخاصة فى أواخر العصر الفاطمى ،على أن الوزير يستقر فى منصبه عند عجز صاحب المنصب القديم عن دفعه ، فيطيعه بقية العسكر ويمكنوا له .(٢)

واذا كانت الشدة المستنصرية قد أدت الى تزايد نفوذ الاتـــراك وقوادهم بعد قضاءهم على السودان وسيطرتهم على الخليفة ، فان بـــدر الجمالى قضى على نفوذهم وجمد صراعات الجند الذين انقسموا بين مؤيـــد ومعارض لابن حمدان (٣) ، واستعان بقواته من الأرمن بشكل أساسى لتأكيـد سلطته على البلاد ، الا أنه لم يستطع ان يقضى نهائيا على الدور المتزايـد للجند فى السياسة والذى بدأ بالصراع بين طوائف الجند فى عهد الحاكم بأمـر اللـه ، ثم تمردهم فى عهد الظاهر لاعزاز دين الله (٤)

---

(١) Lewis (B.) , The camb. Vol. I, P. 189.

ويعد استبدال لقب أمير الجيوش بلقب الوزير اشارة الى انتقال السلطـــان فى مصر الى أيدى رجال الحرب ــ د . حسن الباشا : الالقاب ص ٧١.

(٢) ابو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٣٠.

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ــ ج ٥ ص ١٣.

(٤) Lewis (B.), op. cit. vol. I. PP. 187. 188.

فبعد مقتل الآمر سيطر على أمور الدولة هزبر الملوك جرامـــــرد ورغش واعتمدا على الأمير أبى الميمون عبد المجيد ليكون كفيلا لحمل مستكن ، ويعنى ذلك أن السلطة انتقلت فعليا إلى اثنين من رجال الجيش اختارا عبد المجيد ليلى السلطة من الناحية الشكلية فقط.[١] وتصدت بعض طوائف الجيش للثورة الحربيه الخطيرة التى قام بها حسن بن الحافظ لأجـــل التوصيه له بولايه العهد ، وانضم اليه فى ثورته أوباش الناس وذعارهـــم ففرق فيهم الزرد وكون منهم طائفة عرفت بصبيان الزرد ،[٢] الا أن ذلـــك لم يفلح أمام ما أراده الجيش .

وقد تميز العصر الفاطمى الأخير باستمرار المنازعات بين طوائف الجند ، فوقع صراع مسلح بينهم أدى الى مقتل الكثير من الخيالة والرجاله عام ٥٣٣هـ / ٣٨ ـ ١١٣٩م.[٣] كما وقع نزاع بين طوائف السودان أدى الى اضطـــراب الأمن بالقاهرة سنة ٥٣٩هـ/٤٤ ـ ١١٤٥م.[٤] واستعان ابن ولخشى بالعسكـــر عند محاولته استعادة الوزارة فى عام ٥٤٢هـ / ٤٧ ـ ١١٤٨م ، الا أن بعض طوائف الجيش نجحت فى قتله .[٥]

---

(١) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق ـ مجلد ا ص ٨٧ ـ ٨٩ .

(٢) المرجع نفسه ص١٠٦ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٢٦٨ .

(٤) ابن منقذ : الاعتبار ص٤ .

(٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ص٢٩٦ .

كما تصدى العسكر للعادل ابن السلار الذى انحازت اليه بعض طوائف الجيش فأصبحت الدماء "بينهم مسفوحه وابواب الشر والعناد مفتوحة"(١)

وقد جمع الوزراء فى العصر الفاطمى الأخير ثروات هائلة تتضاءل بجوارها ثروات الخلفاء ، فى عصرهم ، أو وزراء التنفيذ قبلهم(٢)

فحاز بدر الجمالى ثروة طائلة برغم أن البلاد لم تكن قد برئت تماما مما أصابها من المحن واضطراره الى اعفاء الفلاحين من خراج الأرض ثلاث سنوات ، وقيامه بكثير من الانشاءات وعمل سور القاهرة(٣) واسهمت المصادر التاريخية فى ايراد ما تركه الأفضل بن بدر الجمالى من ثروات ، فقد خلف عند وفاته ستمائة مليون دينار ومن الفضة مائتين وخمسين اردبا ، وسبعين الف ثوب ديباج أطلس ودواة ذهب فيها جوهر باثنى عشر الف دينار وخمسمائة صندوق لملابسه ، وصناديق فيها ابر ذهب برسم النساء(٤) كما ترك سبعمائة طبق ما بين ذهب وفضه وما لا يحصى من الصحاف وأكواب الشراب والأباريق والقدور وأوانى اللبن وغيرها وكلها من الذهب والفضه(٥) . ويذكر

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٣١٩ .

(٢) عندما توفى يعقوب بن كلس وجد له جوهر بأربعه الاف دينار وخمسمائة ألف دينار ، وكان مدينا لبعض التجار بعشرة آلاف دينار قضاها عنه العزيز بالله — انظر : مجهول : شرح اللمعه — ورقة ٥ أ .

(٣) د . المناوى : الوزارة والوزراء — ص٣١٢ .

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص١١٧ .

(٥) د . المناوى : المرجع السابق ص٩١ .

ويذكر ابن منقذ انه عند قدومه الى مصر فى جمادى الآخر ٥٣٩هـ / ٤٤-١١٤٥م انزل فى دار من دور الأفضل "غاية فى الحسن وفيها بسطها وفرشها ومرتبه كبيرة وآلها من النحاس " (١)

وعندما ألقى الآمر بأحكام الله القبض على وزيره المأمون البطائحى سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م وجد له سبعون سرجا من الذهب المرصع • ووجد لأخيه المؤتمن أربعون سرجا محلى ذهبا • (٢)

وبلغت ثروة الوزير عباس بن ابى الفتوح بن تميم بن المعز باديس الحميرى من الفخامة ،أنه عندما اراد الخروج من مصر يوم ١٤ ربيع الأول ٥٤٩هـ حمل معه ثروته على أربعمائة جمل ومائتى بغل ومائتى جنيب ونهب العامة الكثير من الخيل والبغال والجمال التى تخصه • (٣)

وكان الصالح طلائع ينفق الكثير من المال ،ويعطى العطايا فى مجالسه حيث كان يقرض الشعر • (٤)

---

(١) ابن منقذ : الاعتبار ص ٤ - وبلغ حجم ثروة الأفضل حجما ضخما حتى أن الآمر ظل اربعين يوما ينقل أمواله حتى أنه أشيع أنه وجد هذه الأموال فى كنز عثر عليه. مجهول : انسان العيون صـ ٤٢٨-٤٢٩ .

(٢) د • المناوى : المرجع السابق ص ٩٢ •

(٣) ابو شامه : الروضتين جـ ١ ص ٩٨ •

(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ١٢٠ •

ولم تكن هذه الثروات فى غالب الأحوال عن طريق شرعى ، فقد كان الوزير يتسلم كل شهر راتبا يبلغ خمسة الاف دينار وهو اكبر راتب فى الدولة[١] ، ويبدو أن هذه الثروات جاءت عن طريق الرشوة واستغلال النفوذ[٢].

وقد أثر استحواذ الوزراء على معظم ثروات البلاد ، على مدى ثراء الخلفاء ، الذى بلغ أقصاه فى محتويات خزائن المستنصر التى أخرجت اثناء الشدة المستنصرية .

واذا كان الظافر قد أهدى لنصر بن عباس الوزير سبعين صينيه فضه فيها ٧٠ ألف دينار ، وملابس وثلاثين بغل رحل واربعين جملا بعددها وغرائرها وحبالها لأجل أن يقتل أباه عباس[٣] ، فان هذه الهدايا قياسا بثروات الخلفاء قبل المستنصر تعد لاشىء ، وقد ذكر أبو شامه انه عند موت العاضد لدين الله ، لم يوجد من المال الكثير لأن شاور كان قد أنفق معظمه وأعطى الفرنج منه ووجد فقط ذخائر جليلة من ملابس وفرش وخيل وكتب وجواهر مثل قضيب زمرد طوله شبر وكسر وقطع بلخش وجواهر نادره[٤]

وقد أدت هذه الأهمية المتزايده لمنصب الوزارة الى اشتداد الصراع لأجل الفوز بهذه الغنيمه التى تكفل لصاحبها السيطرة الكاملة على الخلافة[٥]

---

(١) د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٩٠
(٢) د . أحمد عبد الرازق : البذل والبرطله ـ ص ١٨ .
(٣) ابن منقذ : الاعتبار ص ١٤ .
(٤) ابو شامه : الروضتين ج ١ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .
(٥) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص ٢٥ .

فى أواخر الخلافة الفاطمية ، افضى هذا الصراع الى تعريض مصر للخطر الصليبى وانتهى بسقوط الدولة الفاطمية واقامة الدولة الايوبيه .

فعندما غلب شاور بن مجير على الوزارة وقتل وزيك بن الصالح طلائع خرج عليه ضرغام بن سواد وتمرد عليه بالجنود ، ففر شاور الى الشام مستنجدا بنور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م الذى بعث معه فى سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٤م جيشا بقيادة اسد الدين شيركوه مكنه من العودة للوزارة (١) ، الا أن شاور نقض اتفاقاته مع شيركوه واستدعى الفرنج فحاربوا مع المصريين ضد جيش الاكراد ، وانتهى الأمر بجلاء الفرنج والاكراد عن مصر . (٢) ويشبه السيوطى شاور بالوزير العلقمى الذى كان وزيرا للمستعصم بالله العباسى عند غزو التتار للشرق وقام هذا الوزير بمكاتبه التتار واغراهم بالاستيلاء على بغداد . (٣)

ومهما يكن من أمر فقد نجح أسد الدين شيركوه فى دفع الافرنج عن البلاد وتولى منصب الوزارة للعاضد لدين الله ، بعد أن قتل شاور ، وخلفه ابن اخيه صلاح الدين فى منصب الوزارة ، وأنهى بذلك خلافة الفاطميين بمصر وخطب للخليفة العباسى ببغداد . (٤) .

---

(١) العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٤ ص١٨٦ .

(٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول س ٣٦٨ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص١٢٣ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ج ١ ص ٢٣٧ .

تأثير المجاعات على الحالة الامنية في البلاد :

أدت حالة الفوضى والاضطراب التي كانت تسود البلاد وقت المجاعات ، بسبب ضعف السلطة المركزية ، الى تسيب حالة الأمن بالبلاد ، وكثيرا مايكون وراء اضطراب حالة الأمن طوائف الجند والعربان ، الذين استعانوا بقوتهم المسلحة للحصول على أكبر قدر من المواد الغذائية والمكاسب المادية .

فقد كان اضطراب الأمن ، وانتشار السلب والنهب في الطرقات ، من المظاهر المصاحبة للمجاعة التي حدثت اثناء السنوات الاولى للفتح الفاطمي (٣٥٨ـ٣٦٠هـ) (١)

ففي أثناء المجاعة الخطيرة التي اجتاحت البلاد في عهد الظاهر لاعزاز دين الله خلال عامي ٤١٤ ــ ٤١٥ هـ (٢٣ ــ ١٠٢٥ م) ،اضطربت حالة الأمن بشدة ، وأفلت الزمام من أيدي الحكومة ، لان عبيد الدوله كانوا سببا رئيسيا في هذه الأحداث . ويبدو أن العبيد قد أصبحوا يشكلون قوة لها وزنها في عهد الظاهر ، مذ تزوج من جارية سودانية أنجبت له المستنصر بالله ، فما ان بدأت هذه المجاعة تأخذ بتلابيب البلاد في عام ٤١٥ هـ حتى سلك عبيد القصر طريق التمرد والعصيان (٢).

وقد بدأت هذه الأحداث في شهر شعبان سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، عندما توجهت تجريدة الى مدينة تنيس ،فلما عجزت الدولة عن دفع ارزاقهم ضيقوا على قائدهم ففر الى دمياط فنهبوا تنيس ، وقطعوا يد عامل السلطان بها خمسة وعشرين قطعة وأخذوا من المودع الفا وخمسمائة دينار (٣) .

---

(١) أبوصالح الارمني : كنائس واديرة مصر ص ٨٤ .

(٢) ستانلي لين بول : سيرة القاهرة ــ ص ١٣٧ .

(٣) المقريزي : اتعاظ الحنفا ــ ج ٢ ص ١٥٧ .

وما ان أطل شهر شوال حتى بدأ العبيد غارتهم على قوافل الحجاج المغاربة الذين لم يأبهوا لاضطراب الأمن وقطع الطرقات ، وصمموا على السير ولو بغير أمير للحج ، فعندما جاوز الحجاج بركة الجب (جب عميره) حتى قطع عليهم الطريق وأخذت أموالهم وقتل البعض ورجع من بقى منهم (١) .

الا ان حجاج المغاربة أعادوا الكرة مرة ثانية ، فى ذى القعدة ، بعد ان استعدوا بالمؤن والسلاح ونجحوا فى صد هجوم العبيد والقيصرية عليهم ، فعاد العبيد الى حاراتهم مغلولين مجرحين (٢) . ومع ذلك فلم يخرج أحد فى هذه السنة للحج من مصر سواء من المصريين أو المغاربة (٣) .

وبعد ذلك بدأ نهب السكان وفى المناطق البعيدة عن العاصمة أولا ، فنهب الريف وكثر طمع العبيد ونهبهم فيه (٤) . ففى ذى الحجة نهب الجوالة من العبيد بلادا بالاشمونين وشاركهم العرب فى ذلك . وحصل رجل واحد من النهابة على ٩٠٠ رأس من البقر و ٣ الاف رأس من الضأن . وعندما حضر دواس بن يعقوب متولى ديوان العرائف يشكو ذلك الى معضاد الخادم الأسود أجابه الأخير مستنكرا :ـ فنقتل عبيد مولانا ؟ وكان فى هذا الجواب مافيه من" فساد الأحوال واطماع العبيد فى النهب " (٥) ويبدو أن الدولة حاولت الحد من حالة الفوضى التى كانت تسود الريف بسبب العبيد الجوالة ، فأنفذت الكتب الى سائر الأعمال بالأرياف الحوفين ان يدخل جميع الرجال الجواله الى الحضرة ليحشدون فى العساكر لحفظ البلاد ، ثم تقرر الغاء ذلك الأمر خوفا من عجز الدولة عن توفير المؤن التى تحتاجها هذه الطائفه مما يؤدى الى اضطراب الأمر فى العاصمة (٦) .

---

(١) المسبحى : أخبار مصر ـ ج ٤٠ ص ٦٩ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ج ٤٥ ص ٧٤ .

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٦ .

(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٥ .

(٥) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفاج ٢ ص ١٦٨ .

(٦) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٧٧ .

ولم يكن العبيد وحدهم فى انتهاب الريف ، فقد كانت هناك قبائل العرب ففى ١١ ذى الحجة ٤١٥ هـ ، قام العرب من بنى قرة بنهب الدواب بسفط ونهبيا فقتلوا قاضى سفط واستولوا على مائة وخمسين فرسا لأهل الدولة وساقوا ثلاثمائة رمكة لمعضاد وأربعة الاف رأس من الضأن " فلم يخرج أحد لطلبهم ولا أنكر شىء من ذلك "(١) .

ولعل سبب ضعف الدولة عن طلبهم هو مابدأ يؤول اليه حال القاهرة ومصر ، بسبب نهب العبيد لهما . حتى الجرجرائى وهو من كبار رجال الدوله وقتها اضطر الى هجر القاهرة الى الفسطاط عندما حاول بعض المفسدين نهب داره ، فنقل جميع رحله فى غبش الصبح ، وماتبقى من أمتعته نقله على مهل بعد ذلك (٢) .

وبدأت حوادث النهب بالعاصمة فى ١٠ ذى الحجة بالقصر الفاطمى ، عندما مد سماط عيد النحر ، ولم يحضره الظاهر ، فهجم عبيد القصر وصاحوا " الجوع . الجوع نحن أحق بأكل سماط مولانا " فنهبوا السماط من أمام رجال الدولة الذين لم يصدقوا أنهم سينجون بأنفسهم ، ولم تفلح محاولات الصقالبة فى التصدى للعبيد بالعصى (٣) .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٩ وبنوقره بطن هلال بن عامر بن صعصعة من العدنانيه ومنازلهم فيما بين مصر وأفريقيا — عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب — ج ٣ ص ٩٤٤ .

(٢) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٧٦ — ٧٧ .

(٣) المصدر نفسه ج ٤٠ ص ٨١ — ٨٢ — ويذكر المقريزى ان نهب هذا السماط كان بحضور الظاهر . اتعاظ ج ٢ ص ١٦٢ .

وعندما حضر أبو الحسن على بن محمد الطريقى كاتب قاضى القضاة لتفرقه لحم الأضاحى على أرباب الرسوم نهبته العسكر أيضا (١) ، ثم كثر بعد ذلك ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة ولم يجابوا (٢) .

فلما طال أمد انتظار الجند للنفقة ، واشتد الأمر على الناس من الجوع ، تجمع فى ٢٣ ذى الحجة ٤١٥ هـ العبيد ومن انضم اليهم من النهابة وخرجوا الى أعلى الجبل بالمقطم فى نحو ألف رجل وانضاف اليهم من ورد من الجوالة من الضياع للتجريد ، وتجهزوا لنهب مصر ، فتحرك بدر الدولة نأ فذ مع بعض العساكر الى البلد لحفظه من الهجوم المرتقب وأباح للناس بأمر من الخليفة ، قتل العبيد اذا ماحاولوا نهبهم فتحفظ الناس واستعدوا فى دروبهم ثم توجه معضاد ونسيم الى حيث تجمع العبيد ووعدهم بالنفقة فى اليوم التالى ، بعد ان شكا العبيد من الجوع الذى اشتد بهم حتى أكلوا الكلاب ، وانتهى الامر بنزول العبيد الى حاراتهم (٣) ، لينقضوا فى اليوم التالى على السواحل حيث ترد الغلال ، فنهبوا دار ست ياقوت التى بساحل الشعير ، ودار الكاتبة وأحرقوها واستولوا على ماوجدوه من القمح والشعير والحبوب وغير ذلك مما فى الدكاكين ودخلوا الى منازل من أمكنهم الدخول اليه من أهل الساحل فنهبوها (٤) .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٧

(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤

(٣) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٧ ـ فى اتعاظ الحنفا يذكر (المقريزى) خطأ أنه ثالث عشريه وهكذا فى بقيه الايام ـ ج ٢ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

(٤) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٧ ، المقريزى : المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٠ .

فخرج اليهم نا فذ وقاتلهم فجرح له فرس وقتل فارس من غلمانه فلم يطق صبرا معهم وانصرف عنهم (١) . عند ئذ اضطر عامه المصريين الى التصدى للعبيد بالسلاح ، فوقف الرجال والنساء أعلى المنازل يلقون بالحجارة والطوب والجرار فانهزم العبيد أمامهم ، ولم يستطيعوا الاقتراب من شارع أوزقاق لان الناس حفروا الخنادق دون الدروب (٢) .

هنا لك قوى عزم معضاد و سائر صقالبة القصر ، فطاردوا العبيد الى المقس ، ولقوا فى طريقهم قوما معهم كثير من أمتعة الناس التى نهبت ، فقبضوا عليهم وضرب معضاد رقاب تسعة أنفس منهم ورمى جثتهم الى الكلاب ، ثم ضرب رقاب ستة آخرين فى القاهرة (٣) . فلما وجد العبيد تصميم العامة على التصدى لهم ، أخذوا فى طلب وجوه الدولة الذين حرسوا أنفسهم وامتنعوا فى دورهم (٤) وعلى رأسهم الجرجرائى الذى سارع بالعودة الى داره بمصر وتحصن بها بعد ان كان فى طريقه الى القاهرة (٥) .

لم يفت ذلك فى عضد العبيد ، فأصبحوا يهاجمون أسواق القاهرة والسويقة عند باب زويلة ، وأخذوا فى النهب ، فخرج اليهم حظى الصقلبى ومعه سيف من الحضرة ، اشارة الى ان ذلك بأمر الخليفة ، فقبض على طائفة منهم ضرب رقابهم ورمى جثتهم للكلاب فى عدة أماكن حتى يعتبر غيرهم ، على باب زويلة ، وباب

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا — ج ٢ ص ١٧٠

(٢) المسبحى : أخبار مصر — ج ٤٠ ص ٨٧

(٣) المقريزى : المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٠

(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٥

(٥) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٨

الفتوح وفى سوق السلاح وعند شرطة القاهره ، وعدتهم اثنا عشر رجلا ، ثم قتل كتاميا استولى على حمار محمل بالدقيق ، ووعد عرفاء العبيد بالنفقة وشدد عليهم فى احضار الجناه من العبيد (١) .

الا ان العبيد لم يكونوا هم وحدهم الذين ينهبون الناس ، اذ دفعت المجاعة المروعة بالجائعين الى الطرقات يقطعونها (٢) . ففى يوم الاحد ٢٧ ذى الحجة خرج العامة واستغاثوا الى متولى شرطة الفسطاط بعد أن نهبهم العامة الذين يسكنون بكوم دينار ، فقبض على طائفة منهم وجلدهم حتى أقروا بالمسروقات من الامتعة والغلال ، فسار معهم الى مساكنهم وتسلم منهم ماوجده وسلمه الى أصحابه واعتقل الجناه (٣) . ومهما يكن من أمر فقد استمر الناس على خوفهم من هجوم العبيد والذعار طيلة هذا العام مع اشتداد الأمراض وشدة الغلاء وعدم الاقوات (٤) .

وعاشت البلاد حالة من الفوضى الشاملة أثناء الشدة المستنصرية بسبب اضطرابات الجند ومنازعاتهم (٥)، ومدت الاجناد أيديها الى النهب فخرج الأمر عن الحد (٦). فقد أعمل الجند السلب والنهب ونشط الاشرار وقطاع الطرق والبدو وأصبحت السبل وطرق المواصلات البرية والنيلية غير آمنه بسبب تعرض المسافرين لنهب اللصوص واعتداء الجند (٧) واشتد خوف الناس بمصر سنة ٤٦١هـ/

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٧٠ .

(٢) ستانلى لين بول : سيرة القاهره ص ١٣٧ .

(٣) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٩ ، المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٧٠

(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤

(٥) د . عبدالمنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين – ص ٣٧٦ – ٣٧٧ .

(٦) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٧ .

(٧) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٥ – ٩٦

٦٨ ـ ١٠٦٩ م وكثر الخطف والقتل في الطرقات ليلا ونهارا ، فأصبحت الطرقات غير آمنه الا بالخفارة الكبيرة ، وصار مجرد السير مغامرة غير مأمونة العواقب (١)

وأدت الحروب بين الاتراك وعبيد الشراء التي كانت تستمر ليلا ونهارا ، الى امتناع الناس عن الحركه ، وعدم زراعة الارض ، حتى أن النيل لماوفى في عام ٤٦٢ هـ / ٦٩ ـ ١٠٧٠ م لم يقدر الناس على الزرع فتفاقم البلاء بالناس واشتد جوعهم (٢) .

وقد أفضى اضطراب الأمن الى تحول طريق الحج من مصر الى الأراضى الحجازية من الطريق البرى الى الطريق البحرى ، بعد أن كان الطريق البرى هو الأكثر استعمالا حتى زيارة ناصر خسرو لمصر (٣) ، فيقرر المقريزى أنه منذ كانت الشدة العظمى ، انقطع الحج في البر ، وصار الناس لايتوجهون الى مكه الا من صحراء عيذاب ، فيركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون الصحراء الى ميناء عيذاب ومنه بالمراكب الى جده وكان ذلك طريق عودتهم أيضا (٤) . ويرجع ذلك

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٠٣

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٥

(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٠٢

وقد كان هناك طريق يمر من أسوان الى القاهره حيث يوجد مرتفع من الأرض مواز للنيل ، وكانت الخزينه العامه تدفع سنويا مبلغ عشرة الاف دينارا لتنفيذ الترميمات التى يتطلبها هذا الطريق . ص١٣

جاستون فيت : المواصلات في مصر في العصور الوسطى مترجمة عن
L'Egypte Contemporain(année 1933 . PP. 24 - 264.

ترجمه محمد وهبى .

التحول أيضا الى خراب الدلتا زمن الشدة العظمى (١) .

وصاحب تحول طريق الحج تحولا فى طرق التجارة التى تركزت فى نفس الطريق سواء تجارة الهند أو اليمن أو الحبشه . وتبع ذلك ازدهار ميناء عيذاب واستمر استعماله بسبب حوادث الحروب الصليبيه التى أدت الى تحول تجارة مصر من موانى الشمال الى عيذاب (٢) ، فضلا عن اشتداد النزاع بين الفاطميين والسلاجقه فى بغداد (٣) .

واستتبع استعمال هذا الطريق ازدهار مدينة قوص فأصبحت أهم أسواق مصر وكان أهلها تجارا على قدر واسع من الثراء (٤) . ولعل ذلك كان مصدره قوة حاكم قوص الذى حاز منصب الوزارة فى حالات عديدة فى أواخر العصر الفاطمى .

واقد استمر استعمال هذا الطريق منذ أيام الشدة المستنصريه حتى عهد السلطان الظاهر ـ ركن الدين بيبرس ـ الذى أمر بخروج قافلة الحج من البر سنه

---

(١) د . عطيه القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسيه ٦٥٦هـ . رساله دكتوراه مخطوطه باشراف أ . د . أحمد دراج كليه الاداب ـ جامعه القاهرة ١٩٧٣ ص ١١٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٨ ، فيت : المواصلات فى مصر ـ ص ٢٠ .

(٣) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص ٩٠ .

(٤) د . عطيه القوصى : المرجع السابق ص ١١٩ ، ويبدو أن قوص حلت مكان قفط التى كانت قبل ذلك مدينة اقليم الصعيد وبدأ خرابها من بعد عام ٤٠٠ هـ / ٠٩ ـ ١٠١٠م ـ المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٣٢ .

٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م ، فقل استخدام هذا الطريق وتلاشى أمر قوص بعد ذلك (١) .

وعندما تولى بدر الأمور فى مصر ، بدأ جهوده الحثيثة والناجحة لاقرار الوضع الأمنى بالبلاد ، وتوطيد سلطانه ، فبدأ فى عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م — بقتل جماعة من أماثل المصريين وحكامهم ووزرائهم (٢) . وأخذ فى القبض على الاتراك وتتبعهم حتى لم يدع منهم أحدا يشار اليه ، والتقط المفسدين فلم يبق على أحد منهم وتتبعهم فى القاهرة ومصر حتى أتى على جميعهم القتل (٣) . واستمرت حملة أمير الجيوش على جند مصر وغيرهم مما يومى اليه بالفساد خلال العام التالى (٤) .

ويتضح من السجلات المستنصرية ، ان السلطه المركزية قد ضعفت قبضتها على كثير من أجزاء البلاد التى تغلب عليها المتمردون من الحاضرة والبادية ، فقد كانت الاسكندرية والبحيرة والصعيدان الاعلى والادنى خارجة عن ملكة الدولة (٥) .

---

(١) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٨٩ ، على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازيه المصريه زمن سلاطين المماليك — دار حراء القاهره ١٩٧٣ — ص ٦١ — ٦٣ . وعن حالة قوص وتطورها حتى القرن التاسع عشر انظر :

د . سعاد ماهر : محافظات الجمهوريه العربيه المتحده وآثارها الباقيه فى العصر الاسلامى — المجلس الأعلى للشئون الاسلاميه — القاهره ١٩٦٦ ص ٢٦ — ٢٧ .

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٢

(٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣١٤

(٥) د . ماجد : السجلات المستنصرية ص ١٨٥ .

وفى أثناء المجاعة التى وقعت عام ٥٣٧ - ٥٣٨ هـ / ١١٤٢-١١٤٤م خرج محمد بن رافع اللواتى بالبحيرة فى طائفة كبيرة من العربان ، فسار اليهم طلائع بن رزيك والى البحيرة وكسرهم وقتل أميرهم محمد بن رافع (١) .

---

(١) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٦ .

أثر المجاعات على السياسة الخارجيه وحدود الخلافة :

لم يقتصر تأثير المجاعات على الأحوال الداخليه للخلافه الفاطمية ، فقد تأثرت سياستها الخارجيه أيضا بهذه الاحداث وخاصة فيما يتعلق بحدود الخلافه الواسعه . فانهيار الحياه الاقتصاديه واضطراب الأمن وضعف السلطة المركزية كان يعني في المحصله النهائيه ضعف الدولة في الدفاع بجدية عن البلاد المنضويه تحت لواءها ، مما دفع بأعداء الدولة والطامعين في الحكم الى اعلان الاستقلال عن الخلافة واسقاط الدعوة الفاطميه واقامة الدعوه العباسيه في بلادهم ، بل ووصل الأمر في بعض الاحيان الى حد التطلع الى ازاله الخلافه في عقر دارها بالقاهره ، ويكفي بداية الاشاره الى ان الخلافه الفاطميه في بدايه عنفوانها نجحت في وقف المد البيزنطي في بلاد الشام وأجبرت بيزنطه على توقيع معاهدة مع الحاكم بأمر الله عام ٣٩٢ ـ ٣٩٣ (١٠٠١م) ترسخ بمقتضاها النفوذ الفاطمي في بلاد الشام (١) الا أنه على أثر معاناة البلاد في خلافه الحاكم من سلسلة مجاعات متلاحقة ، وفي أثناء المجاعه التي حدثت عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م تحرك أبو ركوة من الغرب قاصدا الاستيلاء على مصر واعلان نفسه خليفة للمسلمين بها مستغلا ضعف البلاد وارتباكها ، الا أن الأمر انتهى بهزيمته وفراره الى النوبه التي سلمه واليها الى الحاكم ليقتله بعد أن شهر به . (٢)

---

(١) حسن حبشي : الحرب الصليبيه الاولى ـ دار الفكر العربي ـ القاهره ١٩٤٧ ـ ص ٢٤ ـ ٢٦

(٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ـ ص ٦٤ ـ ٦٥ . أعلن أبوركوه نفسه خليفه للمسلمين وتسمى بالثائر بأمر الله . أنظر ـ
د . حسن الباشا : الالقاب الاسلاميه ص ٢٣٣ .

وخلال مجاعة ٤٠٢ـ٤٠٣هـ/١٠١١ـ١٠١٢م تمرد العرب فى الشام على سلطه الخلافة وخاصة بنو الجراح الذين استمرت ثورتهم مده سنتين ونصف من ٤٠٢هـ/١٠١١م الى ٤٠٤هـ/١٠١٣م دون أن يرسل الحاكم نحوهم جيشا [١]، ولعل ذلك كان بسبب المجاعه واضطراب البلاد ٠ الا أن تمرد بنى الجراح بلغ حدا لايمكن السكوت عليه ، فقد أغراهم ضعف الدولة عن حربهم باقامة الدعوه لخليفه آخر ، وكان ذلك الخليفة هو أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى والى مكه الذى استجاب لدعوة عرب الشام فأعلن نفسه خليفه بأسم الراشد بالله وأقيمت له الخطبه فى كثير من بلاد الشام [٢]، مما اضطر الحاكم إلى دفع الأموال لبنى الجراح حتى انحازوا اليه ، فلم يجد أبو الفتوح بدا من العوده الى مكه واعادة الخطبه والسكه للحاكم منذ ٤٠٣هـ/١٠١٢م ٠ [٣]

وبعد انتهاء المجاعه جرد الحاكم فى سنه ٤٠٤هـ/١٠١٣م حملة ناجحه بقيادة على بن جعفر بن فلاح هزمت العرب فى الرملة واستولت

---

(١) د ٠ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافه الفاطميين ص ١٤٣ ٠
(٢) الذهبى (شمس الدين) : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير وطبقات الاعلام مخطوط بدار الكتب المصريه رقم ٤٢ تاريخ — مجلد ٦ اص١٢١ـ١٢٢ ٠
(٣) د ٠ جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب — دار الفكر العربى القاهره ١٩٥٠ ص١٧ـ١٩ ويذكر ابن خلكان أنهم لقبوه بالرشيد — وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٣٠ — ٤٣١ ٠

على أموالهم وذخائرهم ثم دخلت دمشق بعد ذلك . (١)

أما فى خلافة الظاهر لاعزاز دين الله ، فقد ارتبطت مجاعة سنه ٤١٤ ـ ٤١٥هـ بحركات تمرد واسعه النطاق بدمشق .

وبدا ذلك التمرد بخروج حسان بن جراح الطائى على منتخب الدولة أنوشتكين الدزبرى ونجح حسان فى هزيمته ومحاصرته فى الرملة ونهب طبريه . (٢)

وأغرى نجاح حسان هذا وانشغال الخلافه الفاطميه بالمجاعه بقية عرب الشام بالتحالف مع حسان لاقتسام أملاك (الرجل المريض) الخلافه ،فتكاتف سنان بن عليان بن البنا ، وصالح بن مرداس مع حسان وتكالبوا على الدزبرى ، الذى طلب نجده الخلافه ولو بألف فارس والف راجل ، ورغم أن الدوله نجحت فى تجريد هذا العدد ، الا أنه لم يخرج من التجريدة الا طائفه يسيرة مضوا الى العريش ، وبطل أمر من تجرد بعد ذلك بسبب حاله الفوضى التى كانت البلاد تعيشها وربما لقله النفقه أيضا والتى بلغت لكل فارس أربعين دينارا . (٣)

فلما أيقن العرب بضعف الخلافه عن نجده الدزبرى ، استولى حسان على الرملة وأحرقها ، واستولى صالح على حلب سنه ٤١٧هـ وبعلبك وحاصر

---

(١) د .جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ـ دار الفكر العربى ـ القاهره ١٩٥٩ ـ ط٢ ص ٤٥ـ٤٦ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص١٥١ـ١٥٢ وكان الدزبرى قد تقلد ولايه قيسارية فى فلسطين عام٤١٤هـ ـ المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤.

(٣) المقريزى :اتعاظ الحنفا ج ٢ص١٥٢ ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ص١٨٠ ، العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ص٢١٥ .

دمشق ، واتفق صالح بن مرداس وصمام الدوله سنان وحسان على أن يكونوا يدا واحدة على صاحب مصر وقسموا البلاد بينهم ، فصار لحسان الرملة الى باب مصر ، ولمحمود أخيه طبرية وما يتصل بها من الساحل ولسنان دمشق وسوارها ولصالح ما بقى من الشام الى عانه .(١)

ولا شك أن تفكك أملاك الدوله فى الشام يعود الى حد بعيد الى عجز الخلافه عن تجريد العساكر الى الشام فإبان مجاعه ٤١٤/٤١٥ وفى ذى الحجة ٤١٥هـ/١٠٢٥م ،خرج رجال الدوله الى المضرب بالمصلى وحضر الكتاميون وطلب منهم مائة فارس لينفق فيهم ويسيروا مع العسكر فذكر شيوخهم أن ليس لهم دواب وأن أى شىء انفق فيهم ضاع وسألوا أن يحملوا أى تتوفر لهم الخيل وتزاح عللهم بما ينفق فيهم ،ويبدو أن هذه المطالب كانت فوق قدرة الدوله المنهكه ،فنزعت الخيمه ولم يتم التجريد .(٢)

وكان الكتاميون قد ذكروا بحضره الخليفه الظاهر انهم وطوائف الجند لديهم المقدرة على هزيمه ابن الجراح لولا أنهم هلكوا فقرا وجوعا ، وليس لواحد منهم مال يرجع اليه ، ففشلت لذلك محاوله تجريد سابقه فى شعبان ٤١٥هـ(٣)

---

(١) اتعاظ الحنفا ج ٢ص٥٣-١٥٧ . ذكر Lewis أن صالح بن مرداس استولى على حلب عام ٤١٤هـ والأصح أنه استولى عليها عام ٤١٧هـ . أنظر —

Lewis (B.) Op. cit. P. 194.

(٢) المسبحى : أخبار مصر — ج ٤٠ ص ٨٦ .

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ص١٥٥-١٦١ .

وازاء ذلك العجز المتزايد اضطراب الدولة الى اقرار الوضع على ماعليـــة بالشام ، والاعتراف بشرعية استيلاء حسان على الرمله ،وأعطى بعد ذلـــك اقطاع نابلس بناء على طلبه .(١)

وكان ذلك الاجراء بمثابه اعتراف بعجز الدولة عن دفع المتمردين ، الذيـن ظنوا أن الطريق مفتوح الى القاهره ، فانفذ حسان بن جراح سريه فيهـا الفا فارس الى الفرما ففر اهلها منها الى تنيس ثم القاهره .(٢)

ولأجل إشغال الخلافه ارسل حسان الى بنى قره بالبحيره يدعوهم الـى نصرته ويعدهم بغنائم كثيره ، وأجابه بنوقره بالموافقه ، ثم قبض على رســـول حسان وأخذت منه الكتب وحبس .(٣)

الا أن بنى قرة المقيمين ببرقه ،وقد أمعنوا فى الاستهانه بسطوة الخلافـة اقاموا انسانا دعوه بامير المؤمنين ببرقه وحملوا على راسه المظله(٤) اشـارة الى خلافته وهو ما لم يسع اليه العرب فى الشام ،فقد كان مطلبهم هو — الاستيلاء على البلاد وخراجها وانفاقه فى رجالهم مع اعترافهم بالسيطـــرة الاسميه للخليفة الفاطمى وحقوقه فى الخطبه والسكة .(٥)

---

(١) المقريزى :اتعاظ ج ٢ — ص٣ —١٥٤ ، ١٥٧ .
(٢) المسبحى المصدر السابق ج ٤٠ ص ٧٦ ، المقريزى : الخططج ١ص ٣٥٤
(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا — ج ٢ص ١٦٢.
(٤) المصدر السابق ج ٢ ص١٥٧ .
(٥)المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص١٦٠ .

ولم تستطع الدولة الفاطميه أن تعيد بسط نفوذها على الشام الا عـــام ٤٢٠هـ/١٠٢١م ، عندما نجح المدزيرى فى قتل صالح بن مرداس فـــى ربيع الآخر وهزيمة حسان فى الأقحوانه ، واسترداد أملاك الخلافة ما عـــدا حلب التى استعيدت عام ٤٢٦هـ/١٠٣٥م بعد قتل شبل الدوله ثمـــال ابن صالح .(١)

وقد استغل ملك الروم باسيلوس الثانى (باسيل) Basilios Bultgaroctonos . فرصه انشغال الظاهر بحوادث الشام عام ٤١٥هـ، وأغار على أملاك الخلافة الفاطميه فى جزيرة صقليه وأستولى على قلورية (كالبريا) .(٢)

وأثناء هذه المجاعه أيضا أضطربت علاقه مصر بالأراضى الحجازيه ،التى كانت ترتبط بمصر برباط اقتصادى سياسى ، قوامه حصول الحجاز على المواد الغذائية مقابل اقامة الدعوه الفاطميه بالأراضى المقدسة وكانت هذه الميرة ضمانا لعدم قيام العرب بالنهب والسلب فى موسم الحج . ومن ناحيه أخرى كان للحجاز أهميه خاصه عند الفاطميين حيث تعد سيطرتهم عليه دليلا حاسما على تزعمهم للعالم الاسلامى .(٣)

ففى عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م تأخرت ميرة الحجاز ،فجاء الى مصر وفد منه فى العام التالى ، وطلبوا النفقه وهددوا بنقل الدعوه بمكه والمدينه للعباسيين،

---

(١) ابن القلانسى : ذيل دمشق ص٧٣-٧٤، ابن العماد :شذرات الذهـــب ج ٣ص٢١٥.

(٢) د . ماجد : ضهور خلافه الفاطميين ص٢٨٢ .

(٣) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازيه المصريه ص٨ .

ومع ذلك لم يستطع الخليفه أن ينفق فيهم ،وتصدق عليهم جمال الدولـــة مظفر الصقلبى صاحب المظله بألف دينار من ماله ،ففرقوها خمسمائه نفس لكـل واحد دينارين ،ولم يجد وقد الحجاز مسئولا فى الدوله ليجيب مطالبهم .(١)

وأثناء المجاعه التى وقعت بمصر عام ٤٤٧ـ٤٤٨هـ/١٠٥٥ـ١٠٥٦ م حدثت بعض القلاقل فى الشام . ففى سنه ٤٤٧هـ ، تجمع كثير من التركمان بحلب وغيرها فأفسدوا فى أعمال الشام . وكانت خطبه الفاطميين قد قطعـت أثناء ذلك ،وخطب للعباسيين فى حلب على الأقل ،اذ يذكر ابن ميســر ان الفاطميين استعادوا سيطرتهم على حلب فى يوم الخميس لثلاث بقيــن من ذى العقدة ،وخطب فيها للمستنصر بعد ما كانت الخطبه للقائــم العباسى وذلك بعد حروب كثيره .(٢)

كما نجد تميم بن المعزبن باديس والى أفريقيه يقطع خطبه الفاطميــين ويخضع للمرابطين الذين ظهرت دولتهم فى جنوب بلاد المغرب مما يجـاوز الصحراء ،فى عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م أو ٤٤٨هـ/١٠٥٦م وأن أعاد بعد ذلـك الخطبة للفاطميين .(٣)

ومنذ مجاعه ٤٤٧هـ ساءت العلاقات السياسيه بين الدوله البيزنطية ومصـر بسبب رفض أبنة قسطنطين التاسع ،ثيودورا إرسال الغلال الى مصر بعد وفاة والدها الذى تعهد بارسالها ،وفضل البيزنطيون صداقة السلاجقة الأقويـاء،

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ـ ج ٢ص١٦٣ـ١٦٤ .
(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ـ ج ٢ص٧ـ٨ .
(٣) د . ماجد : ظهور خلافه الفاطميين ـ ص٢٧١ .

على صداقة الفاطميين الضعفاء ، فخطب للخليفة العباسي فى جامع القسطنطنية وأسقطت خطبة المستنصر بالله [١] .

أما الشدة المستنصرية التى كانت من عوامل انهيار الخلافة الفاطمية [٢] فقد أثرت تأثيرا عميقا على السياسه الخارجية للدولة الفاطمية فتقلصت ممتلكاتها وخاصه فى الشام وأفريقيا وبلاد الحجاز ، واذا كانت القوه هى صبغه السياسه الحربيه للفاطميين حتى النصف الاول من خلافه المستنصر بالله ، فان سياسه الدوله الحربيه أصبحت بعد ذلك مبنيه فقط على الدفاع عن كيان الدولة [٣] . وقد أدى الضعف الذى شاب قوى البلاد الماديه والحربيه أثناء الشدة الى ضعف سيطره المصريين على بلاد الشام ، وأهمال الجيش والاسطول وسهل ذلك مهمة الصليبيين فى الاستيلاء على بعض بلاد الشام فى الحملة الصليبية الاولى [٤] .

وقد أفضى انشغال الحكام فى مصر منذ الشده بسوء الاوضاع الداخلية بسبب الازمات الاقتصادية والاوبئه والصراعات الداخلية الى ضعف المقاومة للغزو الصليبى ، والعجز عن اخراج الصليبيين من المواقع التى احتلوها [٥] .

---

(١) محمد عبدالله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ـ القاهره ١٩٦٩ ط ٢ ص ١٣٣ وقد خلط بين مجاعة ٤٤٧ هـ والشدة .

(٢) نبيله محمد أحمد صبره : الخدمات الطبيه فى مصر الاسلاميه من الفتح العربى حتى الفتح العثمانى ـ مخطوط رسالة مقدمه لنيل درجه الماجستير فى الاداب ـ كليه الاداب ـ جامعه الاسكندرية ـ ١٩٨٢ ـ ص ١٤١ .

(٣) د . عبدالمنعم ماجد : ظهور خلافه الفاطميين ص ١٢٤ .

(٤) د . راشد البراوى : حاله مصر الاقتصادية ص ٩٧ .

(٥) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : شخصيه الدولة الفاطمية ص ١٨ .

ونجم عن ذلك أيضا ذهاب ما تبقى من سوريا بعيدا عن أيدى الصليبيين الى الأسر المحليه الحاكمه ، والسلاجقه ، وحتى بلاد الحجاز التى كانت ذات أهميه روحيه خاصة رفضت أن تشارك مصر : المجاعه وتحولت نحو بغداد . (١)

كان الشام هو أكثر أملاك الخلافه تأثرا بحاله الضعف التى اتسمت بها سياسه الفاطميين الحربيه أثناء الشده المستنصرية وبعدها اذ عجزت الدوله عن التصدى لأطماع الأسر المحليه من العرب أو الاتراك فى السيطرة على أملاكها ،هذا فضلا من ضعفها عن الوقوف بوجه الدوله السلجوقيه الفتيه ،التى أمتدت ايدى عسكرها الى معظم بلاد الشام وملكتها ،فخرجت عن أيدى المصريين ولم تعد اليهم (٢) ولم يمتلك المستنصر بعد انتهاء الشدة سوى التمنى لوزيره بدر الجمالى أن يتمكن من استعاده الأعمال الشاميه (فيشفى صدره بما وقع على ولده وحريمه ،من جهه الغز الملاعين الذين امتلكوها وحصلوا فى قبضتهم) (٣).

بدأ خروج معظم الشام عن الخلافه ،مع بداية الشده عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م ، ففى رمضان من هذه السنه تمكن محمود بن شبل الدوله بن صالح بن مرداس معه الأمير ابن خان التركى ،من دخول حلب، بعد

---

(١) Lewis (B.) The Camb. Vol I P. 188.

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ـ ج ٢ ص ٣٠٢ .

(٣) د . ماجد : السجلات المستنصريه ص ١٨٥ ـ سجل بتاريخ المحرم سنه ٤٦٧هـ .

أن فشل في أخذها من قبل عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م، وسنه ٤٥٤هـ/١٠٦٢م.(١)
الا أن محمودا لم يسقط الدعوه الفاطميه عند دخوله المدينه، بسبب
تخوفه من احتمال ثوره الشيعة بها، ولكنه أسقطها عام ٤٦٢هـ/١٠٧٠م
عندما طلب منه ألب أرسلان السلجوقي أن يدعو للعباسيين.(٢)
ولم يكتف ألب أرسلان بذلك فسار الى حلب في ٤٦٣هـ/١٠٧١م وحاصرها
فخرج له محمود بن صالح فقلده ولايه حلب من قبله(٣) ليؤكد بذلك
خروج حلب نهائيا عن الدوله الفاطميه. خرجت صور عن الخلافه سنه ٤٦٢هـ عندما
أعلن قاضيها عين الدوله أبي الحسن علي بن علي بن عياض بن أحمد بن أبي
عقيل خروجه عن طاعه الفاطميين، ولم يتمكن بدر الجمالي من أخذ صور(٤)
وكان وقتها واليا على عكا، وذلك بسبب استنجاد القاضي بالأمير قرلو مقدم
الاتراك المقيمين بدمشق، فحاصر الاخير صيدا وهي من أعمال بدر الجمالي
فاضطر الى فك الحصار عنها، ثم عاد بدر فحاصر صور سنه كامله ولم

---

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص٩٠ - ٩٣.
(٢) د. محمد جمال الدين سرور: نفوذ الفاطميين في بلاد الشام - ص٦٠ ويحدد ابن القلانسي يوم ١٩ شوال تاريخا لاسقاط دعوه المستنصر في حلب سنه ٤٦٢هـ - ذيل تاريخ دمشق ص٩٨. مخالفا بذلك ما ذكره الذهبي من ان اسقاط دعوة الفاطميين في حلب كان عام ٤٦٣هـ - الذهبي: تاريخ الاسلام - مجلد ١٦ ص٢١٥.

(٣) د. محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق ص٦٠.
(٤) المقريزي: اتعاظ الحنفا ج٢ ص٣٠٢ - ذكر ابن ميسر أنها صفد وليست صور ج٢ ص٢٠.

يتمكن أيضا من القضاء على تمرد قاضيها [١] ولم يتمكن الفاطميون من استرداد صور الا سنه ٤٨٢هـ/١٠٨٩م [٢].

أما فلسطين فقد بدأ أتزبن أوق مقدم الاتراك الغزو بالشام الاستيلاء على أعمالها منذ عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، واستولى اولا على الرمله وبيت المقدس [٣] ولما حل عام ٤٦٥هـ/١٠٧٣م كان قد استولى على سائر فلسطين عدا أرسوف • [٤] وقطعت بذلك خطبه المستنصر بالله من احد الأماكن المقدسه على ايد اتسز التركماني قائد السلطان ملكشاه [٥].

ونهج قاضي طرابلس نهج قاضي صور ، فقد اعلن الحسن بن عمار طرابلس امارة مستقلة عن الفاطميين عام ٤٦٤هـ/١٠٧١م ، وظلت هذه الامارة قائمه حتى استولى الصليبيون على طرابلس عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م • [٦]

وبدات دمشق قصه خروجها عن الخلافه اثناء الشده منذ سنه ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ، عندما شغب أهلها على العسكر الفاطمي ووالي مصر وقتها أمير الجيوش بدر الجمالي الذى اضطر الى الخروج من المدينه بعد ان احرق قصر الوالي ونقضت أخشابه • [٧]

---

(١) ابن القلانسي: المصدر السابق ص٩٨•
(٢) د • سعيد عاشور : شخصيه الدوله الفاطمية ص١٧ ، مجهول : انسان العيون ص٤٢١
(٣) ابن القلانسي: المصدر السابق ص٩٨-٩٩ ويذكر المقريزي (اتعاظ ٢ص٣١٨) ان بيت المقدس سقط في ايد اتسز سنه ٤٦٩هـ/١٠٧٦م عند انهزامه من مصر وان كان ابن الجوزي يذكر ان استيلاء السلاجقه على بيت المقدس كان في شوال ٤٦٥هـ - المنتظم ج ٨ ص ٢٨٤ •
(٤) د • سعيد عاشور : المرجع السابق ص١٨•
(٥) المقريزي : اتعاظ الحنفا ج ٢ص٣١٠ ، د • جمال الدين سرور :النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص٦٠
(٦) د • سعيد عبد الفتاح عاشور : شخصيه الدوله الفاطميه - ص١٧•
(٧) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص٩٢، ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ص١٨•

ولم يكن مصير خلفة الأمير قطب الدوله بارز طغان بأفضل حالا ، فقدأرسلته الخلافه ليتولى دمشق عوضا عن بدر الجمالى ومعه الشريف أبو طاهر حيدره بن مختص الدولة أبى الحسين فى شعبان ٤٦٠هـ ، فنزل فى دار العقيقى بعد حريق القصر ، وخرج هو والشريف من دمشق فى ربيع الأول ٤٦١هـ/١٠٦٨م.(١) فاهتبل الفرصة الأمير حصن الدوله معلى بن حيدره الكتامى ، فأستولى على دمشق عنوة بالسيف وبدون تقليد فى ٨ شوال ٤٦١هـ ، وزعم أن التقليد وافاه بعد ذلك ، وأساء السيره فى الناس.(٢) وقد أدى أنتشار ظلمه الى خراب دمشق وأعمالها ، حتى أضطر أهلها الى الهجره عنها ، فخربت الغوطة ، وخلت الأماكن من السكان ووقع الاختلاف بين الوالى والعسكر ، فاضطر الى الفرار لبانياس ووصلها فى ٢٢ ذى القعدة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م.(٣)

وكان أتسز بن أوق قد بدأ محاصرة دمشق منذ سنه ٤٦٥هـ/٧٢-١٠٧٣م ،

---

(١) ابن القلانسى : المصدر السابق ص٩٤ ، وفى نفس السنه قتل أمير الجيوش الشريف حيدره وسلخ جلده - ابن ميسر - ج ٢ ص١٩.

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٢٩٦ ، ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ١٩ وفى أثناء هذه الأحداث التى عصفت بدمشق احترق جامع دمشق(المسجد الأموى) وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسه ، وسبب ذلك اندلاع النيران فى دار مجاورة له اثناء حرب جرت بين المغاربة والمشارقه ، وامتدت الى المسجد - العماد الحنبلى شذرات الذهب - ج ٣ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدوله ص٣٢٢.

(٣) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق - ص٩٥ - ٩٦.

بعد استيلاءه على الرملة وبيت المقدس ، فحاصرها ثلاث سنوات، أحرق خلالها زروعها فارتفعت الأسعار وجلا أكثر أهلها عنها وفر واليها عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م ، فعاد أتسز لمحاصرتها حتى فقد الناس الطعام بها وأكلوا الميته واضطر الأمير زين الدولة انتصار بن يحيى مقدم المصامدة في المدينه الى تسليمها بالأمان الى أتسز عام ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م (١) ، فأصبحت دمشق تحت سيادة السلاجقة وبطل فيها الآذان بحى على خير العمل وقطعت خطبه المستنصر وخطب للمقتدى بالله العباسي ولم تعد خطبة الفاطميين اليها بعد ذلك الا لفترات قليلة (٢) . ولم يكتف أتسز بالأستيلاء على أملاك الدولة بالشام ،بل طمع في أخذ مصر ذاتها ،فجهز جيوشه وتحرك نحو مصر بعد أن أغراه بذلك ابن بلدكوز الذى فرمن بدر الجمالي (٣) ودخل أتسز مصر وأساء السيره فيها حتى استغاث أهل الفرما وصمموا على قتال أتسز مع جند الخليفه التى قل عددها بسبب المجاعات والفتن (٤) . ونجح بدر الجمالي في هزيمه أتسز وقتل أخيه ،فعاد أتسز منهزما الى دمشق سنه ٤٦٩هـ/١٠٧٧م . (٥)

---

(١) ابن القلانسي الذيل ٩٨ـ٩٩ وبلغ سعر غرارة القمح اثناء الحصار عشرين دينارا ابن العبرى : مختصر ـ ص ٢٣٤ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص ١٠١ ـ ١٠٢ ،د . جمال الدين سرور النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ١٢٥ .

(٣) د . جمال الدين سرور : المرجع السابق ص ٦١ ـ ٨٢ .

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٢٧ .

(٥) المقريزي : اتعاظ الحنفا ـ ج ٢ ص ٣١٧ ـ وان كان ابن الاثير يذكر أن أتسز انصرف مهزوما بدون قتال ـ الكامل ـ ج ٨ ص ١٢٢ .

ولم تفلح محاولات الخلافه المتكرره فى استرداد دمشق ، ففشل نصر الدولة الجيوشى فى استردادها بعد أن حاصرها عام ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م ،رغم أنـــه استولى على أعمالها وأعمال فلسطين، وذلك لاستنجاد أتسز بتاج الدولـــه تتش الذى تسلم دمشق منه ، مما أضطر نصر الدوله الى الانسحاب ناحيـة الساحل ، وفشلت أيضا محاوله العسكر المصرى استرداد دمشق بالتحالـــف مع مسلم بن قريش وجماعه مـــن بنى كـلاب وعـــرب قيس (١) .

وحتى ولاية عكا التى كانت بحوزه بدر الجمالـــى ، أستولـــى عليها شـــكل احد الأتـــراك بعد رحيـل بدر عنهـــا إلـى مصر ، وفيهـــا أولاد أمـير الجيوش ، فقتل والى عكا وأستولى بعد ذلك على طبريه أيضا (٢) .

ولا شك ان طبيعه الروابط السياسيه الاقتصاديه مع الأراضى الحجازية (٣) كانت وراء تأثر ولاء مكة والمدينه للفاطميين ، الذى يتمثل فى الخطبـــة للخليفة الفاطمى فى الحرمين، بأحداث الشده العظمى .

وقد بدأ الاضطراب يسود علاقه الأراضى المقدسه بالخلافه منذ انقطاع -

---

(١) ابن القلانسى: المصدر السابق ص١١٢ ، ١١٤ - ١١٥ .
(٢) ابن ميسر : ج ٢ ص ٢٣ .
(٣) عن أهميه هذه الصلات لمصر من الناحيه التجاريه والسياسيه أنظـــر د . عطيه القوصى : تجاره مصر ص ٩٦ .

ما ترسله مصر من معونه وأغذيه مع بداية الشده سنه ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م ، ففي عام ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م قطع محمد بن جعفر بن أبي هاشم امير مكه خطبة المستنصر ، الا انه أعادها بعد قليل طمعا في عوده ميره مصر (١). ولعل وجود على الصليحي في اليمن كان رادعا له (٢) ، فما أن توفي عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م حتى استولى امير مكه على الأموال التي كان قد تركها الصليحي للانفاق على الحرم منها في عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م (٣) ، وأخذ أيضا قناديل الكعبه وستورها وصفائح الباب والميزاب وسبكها وضرب منها الدنانير والدراهم وصادر أهل مكه فهربوا ، وكذا فعل أمير المدينه مهنا الذى قطع أيضا الخطبه للمستنصر فا انقطعت بذلك الدعوه الفاطميه من الحجاز (٤). ويذكر الذهبي "أن تمرد الحجاز يعود الى زله المصريين بالقحط المفرط وانشغالهم بأنفسهم حتى اكل بعضهم بعضا (٥)"

ولما لم يجد امير مكه من يردعه ،فضلا عن توقف ما يرسل من مصر من

---

(١) القلقشندى: صبح الاعشى ج ٤ ص٢٧٠ .
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص٢٧٤ .
(٣) د. ماجد : ظهور خلافه الفاطميين ص ٢٢٦ ــ ٧
(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص ١٩ ــ ٢٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٥٩ .
(٥) الذهبي : تاريخ الاسلام مجلد ١٦ ص٢١٤ .

نفقات الحج التي كانت قد زادت في وزاره اليازورى من مائه ألف دينار الى مائتى ألف دينار ، فقطع خطبه الفاطميين من مكه سنه ٤٦٢هـ/١٠٧٠م والتي يبدو أنها كانت قد أعيدت ، وصارت الخطبة للقائم العباسى وعضد الدولة ألب ارسلان فى مكه والمدينه ونال أمير مكه (١) مقابل ذلك ثلاثين ألف دينار وصاحب المدينه عشرين ألف دينار من السلاجقة .(٢)

ويبدو أن أمير مكه كان يطمع فى ان يصل ثمن خطبه العباسيين الى ما كانت تدفعه الخلافة الفاطميه ، فاكتفى بالخطبه للعباسيين فى موسم الحج فقط وكتب للمستنصر يعتذر اليه ، الا أن ألب أرسلان عاد فأرسل أموالا كثيرة له في سنه ٤٦٣هـ/١٠٧١م فخطب أمير مكه بنفسه للعباسيين .(٣) واستمرت الخطبه لهم فى عام ٤٦٤هـ/١٠٧٢م أيضا .(٤) ويظهر ان ذلك استمر حتى مقدم بدر الجمالى ، الذى كانت اول أعماله النظر فى أمر الحرمين المحروسين واعادتهما الى ملكه الدوله بعد أن علت فروق منابرهما

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا - ج ٢ص٣٠٣ - ٣٠٤ ، ولم يلتفت المستنصر لقطع خطبته فى الحرمين لشغله بنفسه ورعيته من عظم الغلاء والخراب الذى عم مصر أبو المحاسن : النجوم - ج ٥ ص ٢٠ .

(٢) ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ص٢٠ ، د . جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ص٢٠ - ٢١ .

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى - ج ٤ ص٢٧٠ .

(٤) د . جمال الدين سرور : المرجع السابق ص١٢٥ .

الاقدام الرجسه من الفئه الأمويه والعباسيه[١] فارسل في سنه ٤٦٧هـ/١٠٧٤م رسالة باسم المستنصر بالله الى صاحب مكه وهديه جليله ، طالبا منه اعادة الخطبه المستنصريه لمكه فقطعت خطبة الخليفه العباسي التى دامت بمكه اربع سنين وخمسه اشهر[٢] ورغم الأموال الطائله التى أنفقت لأجل أعاده الخطبه الى الأراضى المقدسه[٣] ، فان الخطبه سرعان ما أعيدت للمقتدى العباسى في ذى الحجه سنه ٤٦٨هـ[٤] .

ويعلل ابن الجوزى سبب هذا التحول السريع الى ان حاكم مكه بعث الى مصر رجلين ليتعرفا على مدى قوه خليفه مصر ، وان كان يرجى من وراء الخطبه له صالحا ، فعادوا اليه فقالا ما بقى ثم شئ يرجى عنده بعد نفاذ الاموال وفساد الاحوال ، فاعاد بسبب ذلك الخطبه للعباسيين[٥] .

بيد ان احد العلويين نجح في الاستيلاء على المدينه المنوره ، وطرد عنها اميرها الحسين بن مهنا الذى فرقاصدا ملكشاه السلجوقى ، واعاد الخطبه المستنصرية الى المدينه وذلك سنه ٤٦٩هـ/١٠٧٧م[٦] .

---

(١) د . ماجد ـ السجلات ص١٩٢ ـ ١٩٣ ـ سجل بتاريخ ٢٧ شعبان سنه ٤٦٨هـ .
(٢) ابن ميسر : اخبار مصر ـ ج ٢ ص٢٢٤ ، ابن الاثير : الكامل ـ ج ٨ص١٢١ .
(٣) د . عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية ص١٨٨ ـ سجل بتاريخ ذى القعده سنه ٤٦٨هـ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ـ ج ٨ ص١٢١ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ـ ج ٨ ص ٢٩٨ .
(٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ـ ج ٥ ص١٠٤ .

وأعيدت خطبة الفاطميين الى مكه عام ٤٧٠هـ/١٠٧٨م وكسر المنبر الذى أرسله العباسيون وأحرق ، الا أن الخطبة العباسية أعيدت لمكه عام ٤٧٢هـ/١٠٨٠م (١) .

وقد شاب الاضطراب علاقة الفاطميين بمكه ، فاستمرت خطبة العباسيين بها حتى عام ٥٢٧هـ عندما أقام هاشم بن قاسم بن محمد بن جعفر الخطبة للحافظ لدين الله الفاطمى الا أن ذلك لم يستمر لفترة طويلة ، واستقرت الدعوة العباسية بشكل نهائى فى ولاية قاسم بن هاشم الذى تولى امارة مكة عام ٥٤٩هـ (٢)

أما اليمن ، فلم يكن للشدة التى أصابت مصر فى عهد المستنصر بالله أى تأثير على استمرار تبعيتها للخلافة الفاطمية وذلك بفضل ولاء السيدة الحرة للبيت الفاطمى (٣) .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص٣١١ـ٣١٢ ، ٣٢٣ .
(٢) د • جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ـ ص٢٤ .
(٣) د • عطيه القوصى : تجارة مصر فى البحر الاحمر ص٩٨ ، كانت السيده الحره زوجا لعلى الصليحى مؤسس دوله الصليحيين فى اليمن ، وقد عرفت بهذا اللقب الذى منحها اياه الخليفه المستنصر بالله واسمها السيده أروى ـ راجع د • ماجد ظهور خلافه الفاطميين ص ٢٠٠ وما بعدها .

بل أصبحت اليمن هى المأوى لتراث الفاطميين خاصة منذ أستحوذ القواد السنه على منصب الوزارة فى القاهره[(١)] ٠

وكان غاية ما أصاب اليمن من جراء الشده عدم انتظام السجلات التى كانت ترسل من الخلافة الى الصليحيين ، ففيها خلا سجلات أعوام ٤٥٧هـ ، ٤٦٠هـ ، ٤٦١هـ فانه لم ينتظم ورود هذه السجلات الى اليمن الا منـــذ عام ٤٦٧هـ[(٢)] ٠

---

(١) د ٠ حسن سليمان محمود : الصليحيون فى اليمن وعلاقتهم بالفاطميين فى مصر ٠٠ رسالة دكتوراة مخطوطه ــ كليه الآداب ــ جامعة القاهرة ــ ١٩٥٢ ــ ص١٦٦ ٠

(٢) راجع ــ د ٠ عبد المنعم ماجد السجلات المستنصرية ٠

تأثير المجاعات على حدود الخلافة فى أفريقيه وصقلية :

اذا كان خروج بعض ولايات الخلافة فى الشرق أثناء المجاعات ، يكاد يرقى الى حد التعميم فان المغرب مهد الخلافة الفاطمية لم يستثنى من هذه القاعدة • فقد منعت كوارث الخلافة من مجاعات وأوبئة وصراعات من الأهتمام بشئونه ، حتى خرج عن حوزة الخلافة ، ولم تضرب سكه بأسم المستنصر بالله فى المهدية منذ بداية الشدة العظمى عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م (١) • وكان ضرب السكه بأسم الخليفة الفاطمى قد توقف قبل ذلك فى عهد المعز بن باديس وقطعت كذلك الخطبه الفاطميه سنه ٤٤٠هـ (٢) ، والا كان المعز بن باديس قد أضطر بعد ذلك الى اعادة السكة والخطبة بسبب الغزوات الهلاليه التى حركتها الدولة الفاطميه ضده (٣) •

---

(١) د • عبد المنعم ماجد : ظهور خلافه الفاطميين ص٢٧١ـ٢٧٣ •
(٢) العماد الحنبلى : شذرات الذهب ـ ج ٣ ص ٢٦٤ •
(٣) حسن حسنى عبد الوهاب :ـ ورقات عن الحضارة العربيه بأفريقيه التونسية مكتبة المنار ـ تونس ـ ١٩٦٤م ـ ج ١ ص ٤٤٨ـ٤٤٩ • وبنو هلال من العدنانية وكانوا قد ساروا الى مصر أثناء حروب القرامطة ضد مصر فى بدايه خلافة الفاطميين فى مصر ـ عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ـ ج ٣ ص ١٢٢١ • ولمزيد من التفصيلات عن هذه الغزوات الهلاليه أنظر :ـ
The Ency . Of Islam . London, 1971. Vol. III PP. 385 - 386.

ومنذ عام ٤٥٧هـ أيضا لم تضرب سكه بأسم المستنصر فى جزيرة صقلية ، وآخر ما ضرب بأسم المستنصر كان فى أواخر ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، بل أن ابن الثمنه أحد الولاة المستقلين بالجزيرة سعى الى تمليك النورمان الصقلية ، وذلك بسبب عجز المستنصر بالله عن أداء ما طلبة من أموال بسبب الشده ففتح ابن الثمنه الابواب للفرنج (١) بعد أن بعث أبنه كرهينه لدى روبيرتو أخى روجر (٢) .

وأثناء مجاعة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م أستطاع الجيش الفاطمى أن يستعيد صيدا وصور وعكا وبعلبك الا أن تتش (٣) أستولى على عكا فى العام التالى من ابن ملاعب بسبب اقامته الخطبه للمستنصر بالله (٤) وسرعان ما أعقب ذلك تحرك نواب ملكشاه بحلب والرها عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م مع قوات السلطان السلجوقى بقيادة تتش وأستولوا على حمص وقلعت عرقة وافامية (٥) .

وفى خلافة المستعلى بالله التى شهدت مجاعات خطيرة فى أعوام ٤٩٠هـ، ٤٩٢ـ ٤٩٣هـ ، اختل حال الدولة الفاطمية بشدة وانقطعت الدعوة من معظم

---

(١) د . ماجد : ظهور خلافة ص٢٨٤ ــ ٢٨٦ .
(٢) د . عبد المنعم رسلان : الحضارة الاسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا ـــ دار تهامه جدة ــ السعودية ١٩٨٠ص٢١ .
(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام مجلد ١٦ ص٢٤١ .
(٤) ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص١٢٨ ــ ١٣٠ .
(٥) د . محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ص٦٣ .

الشام الذى أنقسم بين الأتراك والفرنج . (١)

ففى مجاعه ٤٩٠هـ/١٠٩٧م أقام فخر الملوك رضوان متولى حلب الخطبة للمستعلى بعد خطاب من الخليفه وآخر من وزيرة الأفضل ، وذلك طمعا فى أن يستعين بالعسكر المصرى لأجل الاستيلاء على دمشق، فلما وجد ماآل إليه حال الخلافه من ضعف وأنشغالها بالمجاعة قطع الخطبة بعد أربعة أسابيع فقط ، (٢) وفى نفس هذه السنه اعيدت الى دمشق خطبة الخليفة العباسى وقطعت المستعلية التى يبدو أنها كانت قد أعيدت قبل ذلك لوقت قصير . (٣) كما أستولى الفرنج على انطاكية فى ١٦ رجب ٤٩١هـ/١٠٩٨م بعد حاصروها منذ شهر ذى القعدة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م وأخذو أيضا معرة النعمان عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م . (٤)

ورغم أن الخلافه نجحت فى أستعاده بيت المقدس عام ٤٩١هـ الا أن الفرنج استولوا عليها فى العام التالى ، وهزموا الجيش الفاطمى عند عسقلان (٥)

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص١٦١ ، العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص٤٠٤ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص١٣٣ .

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ص٣٥٦ . وان كان ابن العبرى يذكر أنه لم يخطب للفاطميين بدمشق منذ عام ٤٦٨هـ — مختصر تاريخ الدول — ص٣٣٤ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦١ .

(٥) الذهبى : تاريخ الاسلام مجلد ١٦ ص ٢٦١ ، حسن حبشى : الحرب الصليبية الاولى ص٨١ — ٨٧ .

واضطر الأفضل شاهنشاه الى العودة بجيشه الى مصر (١) ·

وفي أثناء الأزمه الأقتصاديه بالبلاد عام ٤٩٧هـ/١١٠٤م ، نجح الصليبيون في الاستيلاء على مدينه عكا في شعبان من نفس السنه (٢) ·

ولا شك أن الضعف الذى انتاب الدولة الفاطميه منذ الشدة العظمى قد تزايدت مضاعفاته السلبيه في السنوات الأخيرة من حياة الخلافة ، حتى عجزت عن مقاومة ضغط السلاجقة والصليبيين ، الذين أقتسموا الشام فيما بينهم ·

فلم تصل نجده الفاطميين الى طرابلس الشام الا بعد أن دخلها

---

(١) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص١٣٥–١٣٧ ، العماد الحنبلى :شذرات الذهب ج ٣ ص٣٩٧ ، ابن العبرى : ص٣٤٢ ويقال أن عدد قتلى المسلمين فى بيت المقدس بلغ أكثر من ٧٠,٠٠٠ شخص ولم تستطع الخلافه الفاطمية أن تحرك ساكنها لهذا الحادث كما تقاعس السلاجقه عن نجده المدينه ، وفى ذلك يقول — أحد الشعراء ··

وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هنوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم ... ظهور المذاكى او بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وانتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ ص١٠٨ ·

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان — ج ٤ ص٣٨٤ ·

الصليبيون عام ٥٠٢هـ/ وقتلوا معظم أهلها .(١)

والى أبعد من ذلك ، تردى حال الدولة الفاطمية ، حتى أن — الصليبيين بعد استيلاءهم على عسقلان عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م ، شرعوا في الاستيلاء على مصر فهاجموا تينس ونهبوها .(٢) كما حاول الأدفونس صاحب طليطله وقشتالة واشبيليه وبلنسية بالاندلس ان يستولي على بلاد مصر والشام في آخر الدوله الفاطميه .(٣)

ولم تك مصر مطمعا فقط للصليبيين ومسيحى الاندلس ، بل طمع فيها عسكر لواته بافريقيه فهاجموها عام ٥١٧هـ/١١٢٣م وأن كان المأمون البطائحى قد نجح في ردهم .(٤)

ومهما يكن من أمر فقد أدى ضعف الدوله الى انهيار ممتلكاتها خارج مصر ، بعد سلسلة المجاعات والازمات الاقتصاديه والأوبئة التى كابدتها اثناء حياتها ، وأودت بها على يد وزيرها السنى صلاح الدين الأيوبى .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص٣٨٤ . ويذكر العماد الحنبلى أن الفرنج أخذت طرابلس عام ٥٠٣هـ بعد حصار دام سبع سنوات وانهم أستولوا في العام التالى على بيروت وصيدا — شذرات الذهب — ج ٤ ص٦٢ — ٦٧ .

(٢) أبو شامه : الروضتين — ج ١ ص٩٩ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى — ج ٨ ص ٣٤ — ٣٥ .

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٢٠٩ .

ثانيا : الآثار الاجتماعية للمجاعات

١ - تأثير المجاعات على الملكيه الزراعيه والملاك :-

شهدت مصر منذ الفتح العربى نوعين من الملكيه ،الملكية الخاصة ، وملكية الدولة للأراضى الزراعية ،والأخيرة ورثتها الدوله ،أما أراضى كانت ملكا للدوله البيزنطية ((الأباطره)) أو أراضى هرب أصحابها أو هلكوا زمن الفتح ، وأضيف الى ذلك الأرض الموات أو الأرض المهجورة ،أو عن طريق الشراء ، أو بمصادره موظفين ماتوا بدون وارث أو فصلوا من وظائفهم لأسباب جعلت الدولة تصادر أراضيهم (١) • وظل المصريون الذين يمتلكون الأرض ملكيه خاصة يتصرفون فيها بالبيع والشراء والتوارث والهبه والوقف ، أى أنهم يمتلكون الأرض ملكية تامه ((رقبه ومنفعة)) وكان للحكومه فقط حق السيادة العليا على هذه الملكيات الخاصه (٢) •

أما عن كيفية تحصيل الدوله لضرائب الأرض (الخراج) ، فانه منذ ما بعد عام ٢١٨هـ/٨٣٣م ، قد قسمت البلاد الى مناطق أو صفقات تطرح فى مزاد علنى كل أربع سنوات فيتزايد عليها من يرغب فى ذلك ، ويجلس متولى الخراج فى جامع عمرو بن العاص وينادى على البلاد صفقات محددة

---

(١) د • سيدة كاشف: الأرض والفلاح فى مصر الاسلامية - مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح على مر العصور الجمعية المصريه للدراسات التاريخية - القاهرة ١٩٧٤ ص ١٦٥

(٢) محمد محمود احمد ادريس : الحياة الزراعية فى مصر فى العصر الفاطمى الاول (٣٥٨-٤٨٧هـ) رسالة ماجستير مخطوطة بأشراف أ.د./ حسن أحمد محمود - كلية الاداب - جامعة القاهرة - ١٩٧٦ - ص ٢٣ •

المبالغ المفروضة عليها ومن يتقبل أرضا يضمها الى ناحيته ويتولى زراعتها واصلاح جسورها وأحوالها ويحمل الخراج فى أقساط ويخصم منه ما ينفقة على عماره الأرض (١) ٠

وعندما فتح الفاطميون مصر أقر جوهر الصقلى بحق الأبقاء على الملكيات الخاصه (٢) ، وفى سند وقف تاريخه ٤٠٢هـ/١٠١١م ، يوجد ما يؤيد ملكية الأفراد للأراضى ملكيه تامه مطلقة رقبة ومنفعه ، حيث للمالك حق التصرف فى ملكيته (٣) ٠ وفيما عدا أراضى الأمتلاك الخاصه ، كان الخلفاء الفاطميون يملكون أراضى مصر ، وكانت الأرض تؤجر الى كبار السكان من المزارعين بصفتهم متقبلين أو ضمان يتعهدون بدفع ما عليها من ضريبه لقاء أستغلالها (٤) وقد ظل نظام المزايدة على الخراج متبعا فى العصر الفاطمى ، ففى عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م جلس يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن فى دار الاماره بجامع

---

(١) د ٠ محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبه العربيه - ص ١٧٩-١٨٠ ٠
(٢) د ٠ سيده كاشف : المرجع السابق ص ١٦٠ ٠
(٣) محمد محمود ادريس : الحياه الزراعيه ص ٢٤ ٠
(٤) د ٠ عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين - ج ١ص ١١٣-١١٤ والتضمين هو أن يضمن شخص دفع الخراج على جهه معينه بمبلغ معروف يتفق عليه مع أولى الأمر ويقوم هو بجمع الخراج كالالتزام فى العصر العثمانى وهو غير مستحب فى الاسلام لانه ضمان للأموال بقدر معلوم يقتضى الاقتصار عليه وبذلك يتملك الضامن مازاد ويغرم مانقص وهذا مناف وحكم الأمانه فيكون باطلا - د ٠ ابراهيم طرخان : نظام الاقطاع الاسلامى فى العصور الوسطى الى نهايه عصر الأيوبيين - رسالة مخطوطة مقدمه لنيل درجة الماجستير - كلية الاداب - جامعه القاهره ١٩٤٩ - ص١٧٤ ٠

أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الأعمال وحضر الناس للقبالات (١)

وقد قام الفاطميون بتوزيع جانب من الأراضى العامة بالأنعام بها على المغاربة وغيرهم من الأتباع ، أما على هيئه التمليك المطلق أو الانتفاع بايرادها فقط. (٢)

وفضلا عن ذلك كان الخلفاء يقطعون الأرض للأفراد سواء كأقطاع تمليك أو كاقطاع أستغلال وهبه الانتفاع طيلة حياه المقطع أو لفتره معينه مع حق الدولة فى استرداد الاقطاع . (٣) ففى شعبان ٣٩٨هـ/١٠٠٨م ،أقطع الحاكم بأمر الله مالك بن سعيد بومنت والمحرقه وغيرهما . (٤)

كما كان الخلفاء يوقفون بعض هذه الأراضى أو يحبسوها للانفاق على المساجد. (٥)

ومنذ الشده العظمى تزايدت ثروات الجند من الفرق المتنازعة بسبب الانفاق فيهم ، وبالمقابل قلت القوه المادية للفلاحين ،فلجأوا الى بيع مايملكون لأجل تأمين لقمه العيشه فأنتقلت بعض الملكيات الى غير المصريين ،فقد قام

---

(١) د . المناوى : المرجع السابق ص ١٨ .

(٢) محمد محمود : المرجع السابق ص ٢٦ .

(٣) سيدة كاشف : المرجع السابق ص١٦٥ـ١٦٦ . الاقطاع هو ما يقتطعه ولى الأمر لنفسه أويمنحه لغيرة من أرض أو أى نوع من المال الثابت أو المنقول وتسمى الأرض المقطعه والجمع قطائع أو اقطاع والجمع اقطاعات ــ د . ابراهيم طرخان : نظام الاقطاع ص١٦٩ـ١٧٠

(٤) أيمن فؤاد سيد : نصوص ضائعه من أخبار مصر للمسبحى ــ ص ٢٥ .

(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصاديه ص١٠٩ .

أحد العبيد البربر بشراء أراضى وعقارات فى عام ٤٥٩هـ/١٠٦٧م بمدينة الأشمونين (١) •

وابان هذه الشدة وما صاحبها من قحط ووباء ، ازدادت أراضى الدولة العامة بسبب ضم الملكيات الخاصه التى لم يوجد لها وارث شرعى (٢) •

كما أن بعض المقطعين انتهزوا فرصه الأضطراب أيام الشدة فزادوا من اقطاعاتهم ثم أخذوا يجيرون على ما فى أيدى المقطعين ويحتمل أنهم أرغموهم على التماس الحمايه مقابل رسم مقرر (٣) •

ويذكر المقريزى أنه فى وزاره الأفضل أضاف أرباب الأملاك الى أراضيهم من أملاك الدواوين أراضى أغتصبوها ومواضع مجاورة لأملاكهم تعدوا عليها وخلطوها وحازوها ، ورغم ثبوت الاعتداء الا أن الأفضل أقر بالوضع القائم مع الزام المقطعين باداء الخراج عن هذه الأراضى (٤) •

ويبدو أن بعض الأراضى أصابها البوار منذ الشده ، فقام المقطعون باصلاحها ولأجل التشجيع على زيادة مساحه الأراضى المستصلحة أعفى الأفضل من يفعل ذلك من أداء الخراج لمده أربع سنوات (٥) •

---

(١) محمد محمود احمد : المرجع السابق ص ٢٦–٢٧ •
(٢) د • عطيه مشرفة : نظم حكم الفاطميين – ص ١٨٨ ، انصاف رياض: الحالة الأقتصادية والمظاهر الأجتماعية فى العصر الفاطمى الثانى ص ٣١ •
(٣) د • راشد البراوى : المرجع السابق ص ٦٠ •
(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٨٥ ، محمد محمود : الحياه الزراعيه ص ٢٨ •
(٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٨٥ •

وقد أدت الشدة المستنصريه الى زيادة عدد الأقطاعات فى البلاد ، اذ كان من نتيجه تسلط العناصر العسكرية ابتداء من ٤٦٧هـ/١٠٧٤م أنهم أخذوا يقطعون الاقطاعات للأمراء والجند مع ابقائها تحت اشراف الديوان ، ويبدوا من هذه الأقطاعات كانت من الأراضى الحكوميه ، ولعلها بدأت عن طريق الضمـــان (١) .

ولاشك أن انتشار الاقطاعيات ليس فى مصر فحسب بل فى الدول الأسلامية كان أنتشار مطردا مع ضعف شخصيه ولى الأمر (٢) ، فمنذ ضعفت شخصيــة الخليفه ،أصبح من حق وزراء السيوف منح الاقطاعات (٣) .

واتسمت اقطاعاتهم منذ عهد بدر الجمالى بالاتساع بعد أن أصبح الأمــر بأيديهم ، ويغلب أن تكون اقطاعات هؤلاء الوزراء اقطاعات تمليك لهـــم الحق فى توريثها لذراريهم (٤) .

وقد قام بدر الجمالى بتحبيس بعض النواحى فى البرين الشرقى والغربــى للنيل على عقبه هى وساتين بظاهر باب الفتوح ، وعرفت جمله هذه الأراضى بالحبس الجيوشى ،ولم يتم فك هذه الأحباس الا بعد أن أنقرض عقب أمــير الجيوش ولم يبق منه سوى أمرأه كبيره (٥) فأفتى فقهاء ذلك العصر ببطلان ذلك

---

(١) د . عبد العزيز الدورى : مقدمه فى التاريخ الاقتصادى العربى - دار الطليعــة بيروت ١٩٦٩ ص ١٠٣ .

(٢) د . ابراهيم طرخان : نظام الاقطاع الاسلامى ص ٦٦ .

(٣) انصاف رياض : الحاله الاقتصاديه ص ٣٣ .

(٤) د . محمد حمدى المناوى : الوزاره والوزراء ص ٨٤ .

(٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١١٠ .

وكانت قيمه متحصل الحبس الجيوش سنويا نحو ٣٠٫٠٠٠ دينار .(١)

ولم يكتف الوزراء العظام بمنح الاقطاعات لأنفسهم ،بل تصرفوا فى منحها للاستكثار من الأنصار حتى يتمكنوا من الوصول الى مطامعهم الشخصية فى السلطة والرئاسة ، ووصل الأمر الى حد أن شاور اثناء صراعه مع ضرغام عرض على نور الدين محمود بن زنكى ، أن يقطعه ثلث خراج مصر ، ويعنى ذلك أن الخليفة لم يصبح له أى قدرة على التصرف فى الاقطاعات .(٢)

الا أن أهم تطور حدث فى نظام الملكية الزراعية فيما يتعلق بالأراضى المقطعه ،ونوعية المقطعين ، كان على عهد الأفضل بن بدر الجمالى عام ٥٠١هـ/١١٠٧ـ١١٠٨م ، ويتضح مما أورده المقريزى أنه كان يقصد بالمقطعين الضمان الذين كانوا يتزايدون على الأراضى ويضمنون دفع خراجها ، ويحسن أن نورد أولا ما ذكرة المقريزى فى هذا الصدد ، عندما رأى المأمون البطائحى " اختلال أحوال الرجال العسكرية ،والمقطعين — وتضررهم من كون اقطاعاتهم قد خس ارتفاعها وساءت أحوالهم لقلة المتحصل منها وأن اقطاعات الأمراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها ، وأن فى كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجىء بالعسف ويتردد الرسل من الديوان الشريف بسببها . فخاطب الأفضل بن أمير الجيوش فى أن يحل الاقطاعات جميعها ويروكها اى يعيد توزيعها ، وعرفه أن المصلحه فى ذلك

---

(١) انصاف رياض : الحاله الاقتصاديه ص ١١٥ .
(٢) د . ابراهيم على طرخان : نظام الاقطاع ص ٦٩ .

تعود على المقطعين والديوان ، لأن الديوان يتحصل له من هذه الفواضل جملة يحصل بها بلاد مقوره . فأجاب الى ذلك وحل جميع الأقطاعات وراكها وأخذ كل من الأقوياء والمميزين يتضررون ويذكرون أن لهم بساتين وأملاكا ومعاصر فى نواحيهم ،فقال لهم من كان له ملك فهو باق عليه لايدخل فى الاقطاع وهو محكم أن شاء باعه وأن شاء أجره . فلما حلت الاقطاعات أمر الضعفاء من الأجناد أن يتزايدوا فيها ، فوقعت الزياده فى اقطاعات الأقوياء الى أن أنتهت الى مبلغ معلوم ، وكتبت السجلات بأنها باقيه فى ايديهم الى مدة ثلاثين سنه لايقبل عليهم فيها زائد وأحضر الأقوياء وقال لهم : ما تكرهون من الاقطاعات التى كانت بيد الأجناد قالوا كثرة غيرها وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن بها ،فقال لهم ابذلوا فى كل ناحية ماتحملة ، وتقوى رغبتكم فيه ، ولاتنظروا فى العبرة الأولى فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى أن بلغت الحد الذى رغب كل منهم فيه ، فأقطعوا به وكتب لهم السجلات على الحكم المتقدم ، فشملت المصلحه الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد مقوره ، بما كان مفرقا فى الاقطاعات بما بلغه خمسون ألف دينار (١) . كما تمت زيادة مدة الاقطاع من أربع سنوات الى ثلاثين سنه . (٢)

---

(١) المقريزى : الخططج ٢ ص٨٣ ،والمقصود بالبلاد المقورة ، اقطاعات جديدة يمكن منحها لمقطعين جدد .

(٢) د . محمد حمدى المناوى : نهر النيل ص١٨٠ .

ويمكن أن نستخلص من هذا النص ما يلي:ـ

١ ـ ان بعض المقطعين وأصحاب الضمان ، كانوا يدفعون أقل من الوارد المنتظر ((الخراج الذى تزايدوا عليه)) حتى اضطرت الدولة لشطب مبالغ كبيرة مما يسمى بالبواقى (١) • وذلك منذ بوار الأرض ـ واضطراب الحياة الزراعية ابان الشدة المستنصريه •

٢ ـ ان عدد المقطعين العسكريين بدأ يتزايد بسبب الحوادث التى صاحبت الشدة العظمى ، والتى أدت الى تناقص أعداد الفلاحين حتى أن الجندى كان يخرج بنفسه هو وجماعته يحرثون ويزرعون فى البلاد (٢) • كما أن الشدة العظمى نشرت الفقر بين صفوف الكثيرين من صغار الملاك ، فأصبح من العسير على أفراد الشعب الاشتراك فى المزايدات التى كانت تعقد بشأن هذه الاقطاعات وصار القادرون على هذا العمل من الأجناد والموظفين والأمراء من ذوى الرواتب الثابتة (٣) • ولاشك أن الأجناد هم الذين ورثوا الأراضى التى كانت بأيدى

---

(١) د • عبد العزيز الدورى : مقدمه فى التاريخ الاقتصادى العربى ص١٠٣ـ١٠٤
(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ـ ج ١ ص٦١•
(٣) د • راشد البراوى : حاله مصر الاقتصاديه ـ ص ٦١•

الضمان من الملاك والفلاحين الذين فقدوا ثرواتهم أيام الشـــدة ، فانسحبوا من العمليه الماليه[١] . ولم يبق فى الميدان سوى كبار الضمان من الأمراء .

٣ - أن البعض من كبار الضمان تصرف بالأرض وكأنها أصبحت ملكا لـه فغرس البساتين وأنشأ الأبنية والمعاصر ، كما تجاوز على أملاك الديوان وأضافها إلى حوزته[٢] .

٤ - ان المقطعين العسكريين تزايد عددهم وثقلهم فى الحياة الزراعية ، فطالبوا بتغيير اقطاعاتها المخفضة الريع بأخرى أعلى ريعا فكـــان لهـــم ما أرادوا[٣] .

٥ - ان نظام الضمان تحول الى ما يشبه الملكيه حيث زادت مده الضما ن من أربع سنوات الى ثلاثين سنه . ولا شك أن زياده عدد الضمـــان من العسكريين ،وانتشار اقطاعاتهم يعد الوجه الاقتصادى لســـيطرة العسكريين السياسيه على أمور الخلافه منذ عهد بدر الجمالـــــى أمير الجيوش .

---

(١) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ٣٢١ .
(٢) د . عبد العزيز الدورى : المرجع السابق ص ١٠٣ .
(٣) د . ماجد : نظم الفاطميين ـ ج ١ ص ١١٤ .

وتبدو أهميه اقطاعات العسكريين مما ذكره القلقشندى عن ديوان الاقطاع في العصر الفاطمى من أنه كان مختصا عندهم بما هو مقطع للأجناد وليس للمباشرين فيه تنزيل حليه جندى ولا شيه دابته ، وكان يقال — لاقطاعات العربان فى أطراف البلاد وغيرها الاعتداد وهى دون عبرة الأجناد (١) .

على انه مع كثرة اقطاعات الأجناد والأمراء ، لم تعم الدوله الفاطميه الاقطاع الحربى فى بلادها ، حيث كانت الاقطاعات قبالات للأرض وليست اقطاعا بالمعنى المعروف بعد ذلك فيما تلى الدوله الفاطميه من دول (٢) .

وقد شهدت الفترة الأخيرة من العصر الفاطمى تناميا لدور المقطعين ، ففى أثناء التجهيز لمحاربه الفرنج فى عسقلان على عهد الحافظ لدين الله قام صاحب الخريطة بارسال النفقة الى من كان مسافرا فى اقطاعه من — طوائف الجند المجردين (٣) . كما أن الأجناد من مقطعى البلاد أيدوا طلائع بن رزيك فى تحركه للاستيلاء على الوزاره عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م (٤) .

وهذه التطورات التى طرأت على نظام القبالات ((اى الالتزام باداء خراجها))

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٣ .

(٢) د . ابراهيم على طرخان : نظام الاقطاع — ص٧٧—٧٩ ، وان كان د . عبدالمنعم ماجد يذكر أن الاقطاعات كانت للأجناد لقاء قيامهم بالواجبات العسكرية — نظم الفاطميين — ج ١ ص١٩٢ — ١٩٣ .

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا — ج ٣ ص ١٩٠ .

(٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢١٦ .

والاقطاع ، هى التى مهدت لادخال الاقطاع العسكرى زمن الأيوبيين وان كان من الواضح أن الاداره الماليه كانت لاتزال باشراف الدواوين (١) •

٢ ـ تأثير المجاعات على التركيب الديموجرافى للسكان :

كانت المجاعات تؤدى فى غالب الأحوال الى انتشار الأوبئه الفتاكة بين السكان ، ويرجع سبب انتشارها عادة الى انعدام الوعى وخاصه بين سكان الريف المصرى بسبب الجهل وانتشار الشعوذه (٢) • فضلا عن تخلف وسائل الطب الوقائى وازدحام المساكن غير الصحية بالسكان فى الحضر (٣) •

ويعد الطاعون أخطر هذه الأوبئه ، فهو مرض سريع الانتشار ويرجع سببه فى معظم الحالات الى قصور النيل وما يترتب عليه من توقف الزراعه وتعذر توافر الأقوات وبالتالى ارتفاع الأسعار ، ويرتبط ظهور الطاعون بظهور عدد كبير من الجرذان نافقة ، وتم حديثا أكتشاف هذا الوباء فى الجرذان ، وكان انتقال العدوى للانسان يتم بواسطه البراغيث التى تترك الفئران المصابة التى على وشك الهلاك وتنتقل للانسان (٤) • فضلا عن أن الفيضانات العالية للنيل والتى تؤدى الى اغراق الأرض كان يعقب انحسار ماء

---

(١) د • عبد العزيز الدورى : المرجع السابق ص ١٠٤ •
(٢) نبيله محمد : الخدمات الطبيه ص ١٢٨ •
(٣) انظر الفصل الأول.
(٤) نبيله محمد : الخدمات الطبيه ص ١٣٤ •

هذه الفيضانات انتشار الوباء بالبلاد (١) .

وبصفه عامة أدى أنتشار الأوبئه الى التأثير بشكل واضح على التركيب الديموجرافى بسبب موت الكثيرين وكان الريف أكثر المناطق تأثرا بهذه الأوبئه .

ففى عام ٣٦٠ هـ أشتد الوباء وفشت الأمراض وكثر الموت حتى عجز الناس عن تكفين الأموات ودفنهم فكان من مات يطرح فى النيل (٢) فقد تزايدت الامراض وكثر الموت مع مجاعه ٣٩٨هـ ــ ٣٩٩هـ / ١٠٠٧ ــ ١٠٠٨م (٣) ، مع ندره الأدوية وأرتفاع الاسعار ، فبلغ رطل السكر أربعة دراهم ، وبذر الرمان كل أوقية بدرهم ، ودهن البنفسج كل أوقية بدينار ، والبطيخه بثلاثة دنانير (٤) .

وفى سنه ٤١٠هـ مات كثير من الناس بالجوع وبلغ عدد من مات فى مدة رمضان وشوال وذى القعدة مائتى الف وسبعين ألفا سوى الغرباء وهم أكثر من ذلك (٥) .

وابان المجاعة التى حدثت عام ٤١٤هـ ــ ٤١٥هـ انتشرت الأوبئة وكثر الموت ولاسيما بين الفقراء والمساكين (٦) . وأحصى من مات ممن عرف وكفن ودفن

---

(١) محمد الغزالى : تحفه الخليل فى اخبار مصر والنيل ــ مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد احياء المخطوطات العربية بجامعه الدول العربية بالقاهرة ــ رقم ٦١١ تاريخ عن نسخه بمكتبه جامع الشيخ ابراهيم باشا ــ الاسكندرية (١٤×٢٠) ٨٢ ورقة ــ بدون تاريخ ويعود الى بداية ١١هـ ــ ورقة ٢٣ أ سطر ٧ ، ٨ .
(٢) المقريزى : اغاثه ص١٣ ، (٣) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .
(٤) نبيله محمد : الخدمات الطبيه ص١٢٨ . (٥) المقريزى : الخطط ج ٢ ص١١٥
(٦) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص٧٢ .

من آخر شهر رمضان الى بعض ذى القعدة عام ٤١٤هـ فكانوا ١٧٠٠٠٠ر انسان وأما الغريب ومن لايعرف ومن يلقى فى النيل ولايجد من يقبره فأكثر من هذه العدة أضعاف لاتحصى (١) .

ومن المرجح أن هذه الأوبئة كانت استمرارا للأمراض التى كانت منتشرة منذ مجاعة ٣٩٨ — ٣٩٩هـ (٢) ، وقد خفت وطأة هذه الأوبئة لبعض الوقت وعادت للانتشار مرة أخرى فى البلاد عام ٤٢٦هـ/١٠٣٥م (٣) .

وصاحب مجاعة ٤٤٧—٤٤٨هـ/١٠٥٥—١٠٥٦م انتشار الوباء فى مصر (٤) . وبلغ الوباء أشده عام ٤٤٨هـ حتى أنه كان يموت فى اليوم الف نفس (٥) وعم ذلك الوباء سائر البلاد من الشام والجزيرة

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ص١٧٢ . ويبدو أن ابن النباش الذى كان له مسجد معروف بالقرافة قد حضر هذا الوباء الذى كفن فيه الف طريح وستمائة ، اذا ان ابن النباش كان يحضر حلقات الفقيه ابن النعمان.

وكان على بن النعمان ومحمد بن النعمان يعقدان حلقات الفقه فى عهد العزيز بالله ، كما كان الحسين بن النعمان داعيا للدعاه فى عهد الحاكم بأمرالله — د. ماجد ظهور الخلافه الفاطمية ص ٣٢٨ .

(٢) نبيله محمد : المرجع السابق ص١٢٨

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٥.

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص٧ ، الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص٢٧٧ .

(٥) وبلغ من هذا الوباء أوجه فى شهرى رجب وشعبان حتى أن الخليفة كفن من ماله ١٨ ألف أنسان وحمل أربعه وخمسة فى تابوت واحد . ابن الجوزى: المنتظم ج٨ص١٧٠ — ١٧١ .

والموصل والحجاز واليمن والعراق[١] . ثم عاد الطاعون ليستشرى بين سكان البلاد وخاصة القرى عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م فمات فى عشرة أشهر كل يوم ألف انسان[٢] .

أما الشدة المستنصرية فقد صحبها وباء عظيم لم يعهد مثله حتى أفنى معظم السكان[٣] . ويقال : أن هذا الوباء أودى بحياة ثلثى أهل مصر ، ولم تزرع الأرض لعدم الرجال ، حتى أن الرجل كان يمشى من جامع ابن طولون الى باب زويلة ، لايرى فى وجهه انسانا يمشى فى الأسواق[٤] .

ويبدو أن هذا الوباء بدأ منذ عام ٤٦١هـ/١٠٦٨م[٥] واشتدت حدته فى العام التالى ، "فكان يموت الواحد من أهل البيت فى القاهرة أو الفسطاط فلا يمضى ذلك اليوم حتى يموت سائر من فى ذلك البيت"[٦] وبلغت الوفيات حدا عجز الناس معه عن مواراة الأموات فكفنوهم فى الأنخاخ ثم اضطروا الى حفر حفائر كبيرة يلقون فيها الأموات بعضهم على بعض حتى تمتلىء الحفيرة

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ — ج ٨ص٧٩ . ويذكر أبو المحاسن انه كان يموت فى مصر كل يوم عشرة الاف انسان : النجوم الزاهرة ج ٥ ص٥٩ وقد استمر هذا الوباء فى عام ٤٤٩هـ فى بخارى والأهواز وواسط بسبب قلة القوت ونبش الموتى وأكلهم — أنظر المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٣٥ والحنبلى : شذرات ج ٢٧ص٢٧٩ .

(٢) ابو المحاسن : النجوم — ج ٥ ص٧٤ .

(٣) مجهول : انسان العيون فى مشاهير سادس القرون — ص ٤١٩ .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور — ج اص٦١ . ويبدو ان عدد الوفيات كان كبيرا حتى ان ابن تغرى بردى يذكر انه مات أكثر أهل مصر — النجوم ج ٥ص١٥ .

(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا — ج ٢ ص٢٩٧ .

(٦) ابن ميسر : أخبار مصر — ج ٢ ص٢٠ .

بالرمم من الرجال والنساء والصغار والكبار ثم يهال عليها التراب (١) .

وزادت ضراوة الوباء عام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م فى القاهره والفسطاط حتى أن أهل البيت كانوا يموتون فى يوم واحد ولا يوجد من يستولى عليه (٢). وقد اضطر الناس فى العام التالى الى القاء موتاهم فى النيل بغير أكفان (٣) ، وأدى الحصار الغذائى الذى فرضه ابن حمدان على مصر والقاهرة عام ٤٦٥هـ/١٠٧٢م الى استمرار تفشى الوباء (٤) .

واذا كان الوباء قد ادى الى وفاه الكثير من السكان حتى أن البلاد كانت بحاجه الى فتره من الوقت حتى تعود لسيرتها الاولى (٥) ، فان الحروب والفتن التى كانت عادة ما تصاحب المجاعات أدت الى تناقص أعداد السكان أيضا (٦) ، هذا فضلا عن وباء الجدرى الذى جاء فى اعقاب الشده العظمى (٧) .

ورافق الوباء مجاعه ٤٩٣هـ/١٠٩٩م التى وقعت فى عهد المستعلى بالله فمات من أهل مصر خلق كثير (٨) . وفى عام ٥٠٥هـ/١١١١م حدث وباء

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا — ج ٢ ص٣٠٣ .
(٢) المقريزى : الخطط — ج ١ ص٣٣٦ — ٣٣٧ .
(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا — ج ٢ ص٣٠٧ .
(٤) ابن الأثير : الكامل — ج ٨ ص١١٢ .
(٥) د . راشد البراوى : حاله مصر الاقتصادية — ص٩٧ .
(٦) المقريزى : الخطط ج ١ ص٣٣٦ .
(٧) نبيله محمد : الخدمات الطبية ص١٢٠ .
(٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا — ج ٣ ص ٢٥ ؛ كان الوباء متفشيا أيضا فى العراق حيث اختفت الأدويه وصار يحمل فى النعش الواحد سته موتى — ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ ص١١٣ .

هلك به خلق كثير يقدر عددهم بنحو ستين ألف نفس[١]٠

وتكرر بطش الوباء اثناء مجاعه عام ٥٣٦هـ/١١٤١م ،وبلغ أشـــــدة في العام التالي حتى صعب أحصاء من توفي[٢] ، ويبدو أن الوباء بلغ أشدة في مدينة الاسكندريه[٣] ٠

لم تكن الأوبئة التي تصاحب المجاعات هي السبب الوحيد وراء تناقص اعداد السكان ، اذ ساعدت هجرة الناس الى خارج البلاد علـــى خلخلة الكثافه السكانية خاصة في الأراضي الزراعية التي كان سكانهـــا يفرون منها هربا من الوباء حتى أن النيل ظل يطلع وينزل أثناء الشـدة ولايجد من يزرع[٤] ٠

وخلال الشدة العظمى نجا أهل القوة من المصريين بأنفسهم وساروا الـى العراق والشـام[٥] ، ولم يكن رحيل هؤلاء من مصر هربا فقط من الجوع والوباء ،بل للأتجار أيضا فيما حازوة من ثياب المستنصر وذخائرة وآلاته[٦] ٠

ومن مفارقات القدر أن التجار فروا الى بغداد ومعهم بعض ما نهب مـــن

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨١ ٠
(٢) ابن ميسر : أخبار مصر — ج ٢ ص ٨٥ ٠
(٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٦ ٠
(٤) المقريزي : الخطط ج ١ ص ٣٣٧ ٠
(٥) ابن ميسر:اخبارج٢ ص٢٠ ، أبو المحاسن : النجوم ج ٥ ص١٥ ٠ ويبدو أن حركه المهجرة الى الخارج هذه كانت ظاهره ملحوظة عام ٤٦٢هـ ، كما يستفاد مما ذكـر ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٥٧ ، وابن خلكان : وفيات ج ٤ ص ٣١٨ ٠
(٦) المقريزي : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٣ ٠

دار الخلافة في بغداد أيام ثورة البساسيرى ونقل لخزائن المستنصر ،
فأخذ أحد الشعراء يمدح القائم بأمر الله العباسى قائلا :

قد علم المصرى أن جنودة سنو يوسف منها وطاعون عحواس
أقامت به حتى استراب بنفسه وأوجس منه خيفة أى ايجاس (١)

وان كان التجار بدأوا يعودون الى مصر مع استقرار الأمور فى وزارة أمير الجيوش (٢) .

٣ ـ تأثير المجاعات على مظاهر الحياه الاجتماعية :

شهدت المجاعات انتقاضات للسكان فى شكل مظاهرات خرجت تجوب الشوارع مطالبة الخلفاء بتوفير الأقوات للشعب والنظر فى مصالح الرعية ، مثلما حدث فى خلافة الحاكم بأمر الله ، والظاهر لاعزاز دين الله (٣) ، والمظاهرة التى قادتها أمرأه أثناء الشدة المستنصرية (٤) .
الا ان الشعب لم يقم بثورة للتخلص من هذة الأوضاع المتردية ويرجع سبب ذلك الى قوه نظام يقرب من الاسترقاق ، والرعب الذى اثارة فى نفوس سكان المناطق الزراعية الاستبداد وطوائف الجند والضعف الشديد المترتب على النكبات التى أصابت السكان حتى أصبحت شيئا شبه عادى ومألوف لهم (٥) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٠٨ .
(٢) المقريزى : الخطط ـ ج ١ ص ٣٨٢ .
(٣) انظر الفصل الأول.
(٤) انظر مقال د .عبد المنعم ماجد : أمرأه مصريه تتزعم مظاهرة فى عهد الخليفة المستنصر بالله ـ فى المجلة المصرية للدراسات التاريخية ـ سبق الاشارة اليه .
(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ـ ص ٩٦ .

ولاشك ان الأوبئة والمجاعات كانت تشغل الناس عن الاهتمام بالاحتفالات الموسمية والمواكب فضلا عن أن الاحتفالات الخاصه بوفاء النيل لم تكن تعمل أثناء المجاعات .

وعندما غرقت البلاد في عهد الظاهر لاعزاز دين الله في لجى المجاعة المروعة امتنع التجار والباعه عن ان ينفقوا على احتفال الذهاب الى سجن يوسف حيث أن عدم الأقوات كان يمنعهم عن هذا .(١)

واضطر الظاهر الى اجبار التجار على الدفع ، واطلق للعامه ضعف ما أطلق في العام السابق (٤١٤هـ) من الهبه فخرج العامه الى السجن كعادتهم .(٢)

ليله الميلاد يوم الخميس ٢٠ شوال أشتغل الناس عما كانوا يبتاعونه فيها من الفواكه والحلوى بما كانوا عليه من الأمراض وتواتر الموت والوباء .(٣)

٤ ـ تأثير المجاعات على العمران :

يرجع المقريزى سبب انشاء المعز لمدينه القاهره ، الى اختلال حال مصر بسبب الأوبئة والمجاعات .(٤) وقد أدت الشدة المستنصرية الى التأثير

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ـ ج ٢ص ١٤٤ ـ يقع سجن يوسف عليه السلام ببوصير من أعمال الجيزة ،

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ـ ج ٢ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ، الخطط ج ١ ص ٢٠٧ .

(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٦٩ .

(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٩ .

على حركة العمران فى مصر والقاهره ، فبدأ خراب الفسطاط منذ تعرضها للحصار من قبل ابن حمدان ومات عدد كبير من اهلها بالوباء (١) . وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلى القرافة حيث الكيمان الى بركة الجيش . وأسفرت الشده عن خراب خط جامع ابن طولون (٢) وهلك من كان فى القطائع من السكان ، واندثر ما بقى من منازلها بعد تدمير محمد بن سليمان العباسى لها ، وكان أكثر من ألف دار (٣) .

وعندما قدم بدر الجمالى نقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلى القاهره حيث كان العسكر والقطائع ، وصار فضاء وكيمانا فيما بين مصر والقرافه ، وتراجع أمر الفسطاط حتى احرقت فى وزارة شاور بن مجير (٤) ، واذا كانت الفسطاط قد (٥)

---

(١) جاستون فيت : القاهرة مدينه الفن والتجارة بيروت ١٩٦٨ — ص٦٢ .
د . جمال محرز أن الشدة المستنصرية كانت سببا رئيسا لخراب الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط . حيث ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ١٩٧٠ ج اص٣٢٤ .
(٢) المقريزى : الخطط ج اص٣٣٧ .
(٣) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص١٧٧ .
(٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٣ ص١٤٠ .
(٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص٣٣٥ — ٣٣٧ ، على بهجت ، البير جبريل : حفريات الفسطاط — مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٢٠ ص١٤ .

انحدر أمرها فان الشدة قد غيرت أيضا من معالم القاهرة [١] ، ولذا فانه عندما دخل أمير الجيوش القاهرة " وهى يباب دائرة خاوية على عروشها غير عامرة ، أباح للناس من العسكرية والمحلية والأرمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة بأن يعمر ما شاء فى القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله " ، فاخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل فى القاهرة وسكنوها ، وبذلك لم تعد القاهرة قاصرة على حرس الخليفة وحواشيه ، وأبيح سكن العامه والجمهور فيها [٢] . وكان من ضمن ما تم استحداثه حارة الحسينية خارج باب الفتوح حتى أختطت على يمين من خرج من باب الفتوح الى صحراء الهليلج [٣] . كما أندثر قصر اللؤلؤة الذى بناه الظاهر عند باب القنطرة وهو من القصور المعدوده بالقاهرة " ودام أمر هذا القصر مستقيما الى أن وقع الغلاء أيام المستنصر فذهب من محاسن القاهرة شىء أثير " [٤] .

---

(١) محمد عبد الله عنان : مصر الأسلامية ص ٤٤ .
(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٦٤ ، جاستون ڤيت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ص ٩٢ــ٩٣ .
(٣) المقريزى : المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٦ .
(٤) أبو المحاسن : النجوم ج ٤ ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥ .
وأن كان المقريزى يذكر أن قصر اللؤلؤة بناه العزيز بالله أنظر: أتعاظ ج ٣ ص ٨١ هامش (١) .

كما أثرت هذه المجاعات أيضا على عمران القرى ، فبعد أن كان عدد القرى في العصر الأخشيدى نحو ٢٣٩٥ قرية نقص هذا العدد فى أواخر الدولة الفاطمية ليبلغ ٢٠٦٢ قرية فقط (١) •

٥ ـ تأثير المجاعات على التركيب الاجتماعى :

لما كان المجتمع المصرى بالأصل مجتمعا زراعيا تتمحور أنشطة سكانه حول الزراعة فان التغيرات التى طرأت على الملكية الزراعية ونظام القبالات أثرت يقينا على تركيب القوى الاجتماعيه فى مصر منذ الشدة المستنصريه • فاذا كان المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ينقسم الى فئة محدودة تملك كل شيء وتتمتع بكل شيء •

وأغلبية عظمى لاتملك أى شيء (٢) ، فان هذه التغيرات قد أدت الى زيادة حدة هذا التقسيم •

ولا شك ان أهم معالم هذه التغيرات الاجتماعيه ظهور العسكريين كقوة اجتماعية لها دورها وأهميتها فى المجتمع المصرى ، خاصة منذ اتجاههم للتعامل المباشر مع الحياة الزراعية سواء كمتقبلين أو كملاك • فقد رأينا أن المجاعات نشرت الفقر بين سكان الريف وأزهقت الأوبئة الكثير

(١) د • عطية مشرفه : نظم الحكم ص ١٨ ، د • عبد المنعم ماجد : امرأة مصرية ص ٣٦ •

(٢) د • راشد البراوى : حاله مصر الاقتصاديه ص ١١٦ •

من أرواح الفلاحين ،وأصبح الأمراء والأجناد هم فقط القادرون على المزايدة على الاقطاعات ، وبذا أصبح المقطعون العسكريون هم أصحاب اليد العليا فى البلاد سياسيا واقتصاديا ، فمنهم الوزراء وقواد الجيوش وأصحاب الاقطاعات الزراعية . ولم يؤد هذا التطور فقط الى القضاء على كبار الملاك الزراعيين الذين كانوا يتزايدون على قبالات الأرض ، بل أيضا قضى على ثراء الطبقات التقليدية كالأمراء والأشراف الذين فقدوا ثرواتهم أثناء المجاعات بسبب النهب وارتفاع الأسعار ، حتى أن الأشراف المتعالين كانوا يحاولون أثناء الشدة الحصول على كسرة من الخبز فى مقابل العمل فى أحد الحمامات[(١)] . وساعد على اندثار طبقة الأشراف والأمراء سيطرة الوزراء الذين تعمدوا تقليص سلطات البيت الخليفى وثرواته ، واستعانوا بالمقابل بالأجناد وكبار موظفى الدواوين فى محاولتهم كسب أكبر قدر من الأنصار بالهبات والأعطيات والرشوه .

والى جانب العسكريين وكبار الموظفين ظهر التجار كقوة اجتماعية ومادية مؤثرة، فهم من ناحية ،نجحوا فى أن يحققوا أرباحا خياليه من التجارة ، وساعدهم على ذلك ارتفاع أسعار المواد الغذائية ، فحازوا بذلك معظم النقد المتداول فى الاسواق خاصة الذهب والفضه ، وليس من المستبعد أنهم وجهوا بعض هذا الفائض الى شراء الأمتعه والذخائر والعقارات والمجوهرات التى انخفض ثمنها وقد انعكس هذا التراكم النقدى ، على قدرة هؤلاء التجار على الاسهام بنشاط فى مجال اقتصادى بعيد عن اضطراب الحياة الزراعية ،وهو تجارة الشرق ،

---

(١) ستانلى لين بول : سيرة القاهره ص١٤٢ .

وتوضح وثائق الجنيزه Geniza أن التجار تمتعوا بثروات طائلة من مشاركتهم في تجارة الشرق (١) .

وأفاد صيادلة العصور الوسطى (العطارون) من انتشار الأوبئة في أوقات المجاعات التي شهدت رواجا في بيع الدواء وتركيبات الصيدلانية ، فعظم شأن العطارين ونمت ثرواتهم بسبب ذلك (٢) حتى أن أحد العطارين باع في عام ٤٤٨هـ/١٠٥٦م في" يوم واحد ألف قاروره شراب" (٣) .

ويمكن القول بان السبب الرئيسي وراء تراكم ثروات التجار يعود بالدرجة الأولى إلى فوارق الأسعار قبل المجاعات وبعدها ، فقد حاز هؤلاء التجار معظم النقد الذهبي والفضي والأمتعه والجواهر التي تعد مخزنا للقيمه ، وأعادوا استثمارها بعد المجاعات التي عادت الأوضاع إلى طبيعتها بعدها ، فاستردت العملة قيمتها المنهارة ، وارتفعت ثانية أسعار الأمتعة والمجوهرات (٤) .

---

(١) د . عطيه القوصي : تجاره مصر ص ١٢٥ .

(٢) نبيله محمد : الخدمات الطبيه ص ١٤١ .

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص٥٩ — ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص١٧٢

(٤) تطورت البرجوازيه الاسلاميه بشكل عام ببطء خلال القرن الاول الهجري وخرجت الى ضوء التاريخ في ق٢هـ ، واصبحت عاملا اقتصاديا واجتماعيا مؤثرا منذ القرن ٤ هـ ، وبلغ هذا التطور مداه في القرن الرابع والخامس أي أثناء العصر الفاطمي أنظر :
Goitien (A.D) Studies in Islamic History and Institution. Brill , Leiden 1968, P. 218 .

وقد أدى الثراء العريض الذى أصابه العسكريون والتجار وكبار موظفى الدواوين الى انتشار مظاهر الترف فى المجتمع ، وليس فقط فى القاهره ، ففى الاسكندريــة ازدحمت المدينه فى العصر الفاطمى الثانى بقصور كثيرة رائعه للقضاه وللأســر الكبيرة بالمدينة ، وقد أسهبت مصادر كثيره فى وصف عظمتها ونظمت فيها أبيــات الشعر (١) .

وعلى الجانب الآخر ، فان الأحداث التى صاحبت المجاعات أدت إلى مزيــد من الانقطاع فى مستوى حياه فقراء المدن والفلاحين ، الذين أصبحوا أجراء لــدى المقطعين من الأمراء والأجناد ، فقد كان مستوى العمال الزراعيين غاية فى الاضمحلال خاصة إذا ما قورن بالأغنياء وكبار الملاك (٢) .

ورغم أن الدوله كانت تسامح فى بقايا ضرائب الأرض فى بعض الأحيان ، وكانت تراجــع من وقت لأخر ، تقديرات الضرائب على الأرض ولم تترك تقديرها للمقطعين والمقبليــن (٣) ، فانها من ناحية أخرى وسعت نطاق الضرائب (المكوس) على أنشطه الحياه المختلفه ، حتى أن هذه المكوس شملت كل شيء عدا الهواء (٤) ، الذى ترك حرا طليقا ، وأدت زيادة المكوس إلى اثقال كاهل الشعب سواء فى المدينه أو الريف .

---

(١) د . جمال الدين الشيال : تاريخ مدينه الأسكندرية ص ٥٠ــ٥٢ .
(٢) د . راشد البراوى : حاله مصر الاقتصاديه ص ١١٥ــ١١٦ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٠٥ .
(٤) أنظر الفصل الأول ، وقد ألغيت هذه المكوس على يد الناصر ــ صلاح الدين الأيوبى بعد قضائه على الدولة الفاطمية ــ أبو شامه : الروضتين ج ١ ص ١٧٤ .

الفصـــــل الثالـــث

النتائج المالية والنقديـــة للمجاعـــات

كانت النتائج الاقتصادية للمجاعات بعيدة الأثر فى المجتمع المصرى الذى يحيط به سياج من المركزية الشديدة ٠

وقد أثرت المجاعات ، بشكل أو بآخر على مجمل الحالة المالية للخلافة الفاطمية اذ أن الخزانة العامة كانت تعتمد فى تمويلها على المصادر الضريبية سواء كانت مالية أو عينية ، تأتى بشكل أساسى من ضرائب الأرض الزراعية ، اضافة إلى ضرائب الأنشطة التجارية والصناعية والخدمية ٠

أما الادارة المالية للبلاد فى العصر الفاطمى ، فقد بدأ تنظيمها بعد فتح جوهر لمصر وقضائه على المظاهر السلبية للمجاعة التى صاحبت الفتح (١) وبمقتضى التنظيم المالى الجديد خصص كل ايراد لوجه معين من الانفاق كأن يخصص خراج الأرض لسداد رواتب الجند وموظفى الدواوين ، ولم يستعمل بيت المال أو خزائن الخاص الا فى تخزين الفائض والاحتياطى من الأموال (٢) ٠

---

(١) د ٠ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٠٣ ٠

(٢) د ٠ عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ـ ج ١ ص١٢٣ ـ ١٢٤ ٠ وكان بيت المال فى مصر منذ الفتح الاسلامى بالجامع العتيق وينسب بناؤه إلى قرة بن شريك والى مصر وإلى أسامة ابن زيد التنوخى ـ أنظر : المقريزى إغاثة الأمة ـ ص ١٤ هامش (٢) ٠ وقد نقل بيت المال فى العصر الفاطمى الى القصر ـ ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٨ ٠ أما خزانة الخاص فهو تعبير يستعمل للدلالة على وظائف القصر المالية فى بعض الأحيان ـ أنظر :ـ د ٠ ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٢٢ ٠

ويلاحظ على النظام المالى الفاطمى تضارب الاختصاصات بين الدواويــين (١) وان كان من الثابت ان مهمة ديوان النظر وديــوان التحقيق كانت المقابلة بـــين الدخــل والصرف(٢) ، أو مايعرف الان بالموازنــة العامة • ولمقتضيات البحــث فان الدراسة ستقتصــر على تتبــع تأثير المجاعــات على ايرادات الدولــة ومصروفاتها بغــض النظر عن تفاصيــل التنظــيم المالــى للخلافــة الفاطميـــة •

---

(١) د • عطية مشرفــة : نظم الحكم بمصر ص ٢٣٠ •

(٢) د • ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٢٤ • وينقل المقريزى عن ابن الطويرأن ديوان المجلس هو أصل الدواويــن وفيــه علوم الدولــة بأجمعهــــــا ـ الخطط ج ١ ص ٣٩٧ •

أولا :ـ تأثير المجاعات على الايرادات :ـ

كان ربط ايرادات الدولة يتم حسب التقويم الشمسى لأن خراج الأرض كان يشكل الجزء الأكبر منها (١) ، وان كان ذلك لم يحل دون جباية أموال المكوس على أساس الشهور الهلاليه أو التقويم القمرى (٢) .

١ ـ الخراج :ـ مع الاعتراف بوجود اختلافات فرعية بين الفقهاء ، فانه يمكن تعريف الخراج بأنه " أجرة عن الارض لأن مالكيها هم مجموع الأمة الاسلامية وتبقى الأجرة وان انتقلت الارض من أيدى أهل الذمة الى أيدى المسلمين فيجب على المسلمين دفع الخراج لأنه مؤبد مع الارض ، وهكذا بقى الخراج طوال العهود الاسلامية "(٣) .

---

(١) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٩٤ . ويرجع ذلك الى ارتباط المواسم الزراعية بالتقويم الشمسى وقد ظلت اسماء الشهور الشمسيه تستخدم حتى مع السنة الهجرية ، مثلما نجد فى بعض شواهد القبور أنظر :ـ
Wiet (G.) Catalogue Général du Musée Arabe du Caire. Stéles Funeraires. La Caire. 1936. Tome 2.

شاهد قبر رقم 3150/51 بتاريخ سرى عام ٢٥٠ هـ وفى Tome. طبع عام 1937. شاهد قبر بتاريخ سبع خلون من طوبة عام ٣٨٠ هـ ـ رقم 2721 / 495 . pl XLIV:,

(٢) د . عطية مشرفة : نظم الحكم ص ٢٢١ .

(٣) د . محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية . دار المعارف القاهرة ـ ط ٣ ـ ١٩٦٩ ص ١٣٠ وأنظر : محسن خليل : فى الفكر الاقتصادى العربى الاسلامى بغداد ١٩٨٢ ص ٢٤١ ومابعدها .

وكانت هذه الضريبة تفرض أحيانا على المحصول ، وان كان الغالب فرضها على أساس مساحة الأرض المنزرعة (١) .

ولم تكن الضريبة العقارية تدفع كلها نقدا ، فقد كان بعضها يدفع عينا بالحاصلات وغيرها ، وكان أكثر خراج الأرض في الوجه القبلي يؤخذ عينا بينما كان معظم خراج الوجه البحرى يؤخذ نقدا (٢) .

وبديهيا ، كانت حالة الفيضان تؤثر على مساحة الأرض المنزرعة ، سواء في حالة نقص الفيضان أو زيادته عن الحد المألوف ، ويترتب على ذلك عجز الحكومة عن جباية الخراج (٣) . وقد أشار ناصر خسرو إلى أن الخليفة كان لا يأخذ الخراج إذا لم يصل مستوى الفيضان الى ١٨ ذراعا (٤) . ولا يعنى ذلك بالضرورة أن الحكومة كانت تتغاضى نهائيا عن استيفاء حقها من الخراج في الأعوام التى لا يصل النيل فيها إلى حد الوفاء ، فقد كان غاية ما تفعله أن تؤخر جانبا من الخراج إلى بعض الوقت (٥) وهو ما أصطلح على تسميته بالبواقي . وبالجملة فان المجاعات التى تقف حالة الفيضان وراءها كانت تسبب اضطرابا في جباية الخراج وفي الاقتصاد العام (٦) .

وقد تباينت تقديرات المؤرخين لمقدار الضريبة على الفدان ، فمن قائل بأن جوهر القائد جعل على كل فدان سبعة دنانير عند فتحه لمصر (٧) ، إلى

---

(١) د . محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية ص ١٨١ـ١٨٢ .
(٢) د . عطيه مشرفة : نظم الحكم بمصر ص ١٨٩ .
(٣) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٦٣ .
(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٢ .
(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٣٢٦ .
(٦) د . عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١١٥ .
(٧) د . محمد حمدى المناوى : نهر النيل ـ ص ١٢٨ .

قائل بأن هذه الضريبة أصبحت بعد ذلك وحتى نهاية العصر الفاطمي ثلاثة أرادب لكل فدان من القمح أو الشعير (١) .

وتجدر الإشارة أولا إلى أن المساحة المزروعة من أرض مصر تعرضت للتقلص وخاصة بعد مجاعات العصر الاخشيدي ، فبعد أن كانت هذه المساحة تقترب من ستة ملايين فدان عند الفتح الاسلامي ، أصبحت عند بداية حكم المعز لدين الله ٢٨٥٧١٤ فدانا وفي أحسن التقديرات ٦٤٦٧٤٥ فدانا (٢)

أما مبلغ خراج مصر أثناء مجاعات العصر الفاطمي ، فأنه كان يتعرض للنقصان بسبب تقلص المساحات المزروعة من الأراضي التي يحصل عنها الخراج . فحالة فيضان النيل ، سواء بالنقصان أو الزيادة المفرطة ، كانت تؤدي إلى عدم زراعة بعض الاراضي وبالتالي عدم تحصيل الخراج عنها أو تأجيل التحصيل .

وحتى في حالة وفاء النيل ، كما حدث أثناء بعض المجاعات ، كانت هناك عوامل أخرى تؤدي إلى نفس النتيجة ، فقد كانت الأرض لا تزرع بسبب قلة الأيدي العاملة في الزراعة ، والتي كانت تضطر لهجرة الأرض لاختلال الأمن وانتشار أعمال السلب والنهب أثناء المجاعات ، أو لأن الأوبئة التي عادة ما كانت تصاحب المجاعات كانت تتكفل بحصد أرواح سكان الريف ، فلا تجد الأرض من يزرعها رغم توفر مياه الري .

ويضاف الى هذه العوامل عامل آخر أكبر تأثيرا على المدى البعيد ، وهو ما ينجم عن المجاعات من ضعف السلطة المركزية وتفكك الأداة الادارية للدولة

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٢ ، عمر طوسون : مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن - الأسكندرية ١٩٣١ - ص ١٣٣ .

(٢) د . عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر ص ١٩٤ .

وهو مايفضى إلى عدم الاهتمام بمشروعات الرى وإقامة الجسور وتطهير الترع واقرار الأمن فى المناطق الريفية ، وهى أسباب تؤدى فى مجملها إلى تقلص المساحة المنزرعة وبالتالى إلى قلة الخراج المتحصل منها .

واذا ما أردنا تتبع مدى تأثر خراج مصر أثناء المجاعات بهذه العوامل فاننا سنواجه فى بداية العصر الفاطمى بمحاولات المؤرخين من أهل السنة الصاق الحيف والظلم بحكومة الفاطميين الشيعية ، فيذكر بعض المؤرخين أن الخراج كان فى عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م ، ٧ ملايين من الدنانير لأن جوهر الصقلى رفع الضريبة على الفدان من ثلاثة دنانير ونصف الى سبعة دنانير (١) ، بينما يشير البعض الآخر إلى أن مجمل خراج مصر عن هذا العام كان أكثر من ثلاثة ملايين وأربعمائة الف دينار (٢) . ورغم ان عمر طوسون يرى أن هذا التقدير الاخير للخراج كان فى عام ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م لان فتح الفاطميين لمصر كان فى شعبان ٣٥٨ هـ أى فى أواخر العام ولايعقل أن يجبى جوهر خراجا فى هذا العام (٣) ، فانه من غير المنطقى أن يكون ذلك المبلغ هو خراج مصر فى أى من عامى ٣٥٨ ، أو ٣٥٩ هـ ، لأن مصر كانت تمر بأزمة اقتصادية عنيفة يستحيل معها تحصيل هذا القدر من الخراج ، خاصة وأن الامان الذى أعطاه جوهر للمصريين وعد فيه بتخفيف المعاناة عنهم (٤) .

ولعل فيما نقله المقريزى عن ابن زولاق مايؤيد ذلك ، إذ ذكر أن يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن توليا الخراج ووجوه الأموال من قبل الخليفة

---

(١) د . راشد البراوى حالة مصر ـ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٨٣ .

(٣) عمر طوسون : مالية مصر ص ٥٤ . وان كان ذلك لايعد دليلا قاطعا اذ ان ـ جباية الخراج كانت تتم على أساس السنة الشمسية لا الهلالية .

(٤) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٣٣٣ .

العزيز بالله عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م ، وأنهما طالبا الملاك والمتقبلين ببقايا الاموال [١] ، وهى على الأرجح الاموال التى لم تجبها الحكومة بسبب المجاعة التى اجتاحت مصر منذ نهاية العصر الإخشيدى واستمرت مصحوبة بالوباء حتى عام ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م .

وقد بلغت جباية الخراج عام ٣٦٠ هـ ٣٫٢٠٠٫٠٠٠ دينار [٢] ، ويتناسب ذلك المبلغ مع حالة الاستقرار التى بدأت تعم البلاد بعد انتهاء حالة الاضطراب الاقتصادى والسياسى التى سبقت وواكبت الفتح الفاطمى .

وقد ارتفع خراج مصر بعد عام ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م على يد يعقوب بن كلس إلى مليون [٣] دينار فى تقدير عمر طوسون ، وان كان من المرجح أن ذلك كان مقدار الخراج فى عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م وهو العام الذى تولى فيه ابن كلس وعسلوج بن الحسن جباية الخراج وطالبا الناس ببواقى ومتأخرات الخراج كما أشير الى ذلك آنفا .

وظل خراج مصر طوال عهد الخلفاء الأوائل يتراوح بين ٣ و ٤ ملايين دينار [٤] . ورغم تسليمنا بمعقولية ما أورده المؤرخون من تقدير للخراج فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله بحوالى ٣ مليون دينار [٥] أو ٣٫٤٠٠٫٠٠٠ دينار [٦]

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٨٢ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٤٦ .

(٣) عمر طوسون : مالية مصر ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٤) د . سيدة كاشف : الارض والفلاح ص ٧٣ .

(٥) عمر طوسون : المرجع السابق ص ٥٥ ـ ٥٦ نقلا عن نشق الأزهار لابن إياس .

(٦) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٣٦ .

بسبب تشدد الحاكم وسطوة حكومته واستقرارها الا ان ذلك المبلغ لم يكن ليجمع فى أوقات المجاعات التى حفل بها عهد الحاكم ، خاصة وأن الخليفة كان يعطى اعفاءات ضريبية كثيرة فى أوقات الازمات ، ففى عام ٤٠٩هـ / ١٠١٨م سامح ضامن الصعيد بما عليه من ضرائب قدرت بنحو ٧٦٥ ر٦٤ دينار[١] وربما كان ذلك المبلغ يشكل متأخرات تراكمت بسبب مجاعة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م خاصة وأن الصعيد من أكثر مناطق مصر تضررا من انخفاض الفيضان .

ولم تمدنا المصادر التاريخية بأية أرقام عن خراج مصر أثناء خلافة الظاهر لاعزاز دين الله الذى وقعت فى عهده مجاعة ٤١٤ _ ٤١٥ هـ /١٠٢٣_١٠٢٤م ولا بد أن هذه المجاعة الخطيرة قد تسببت فى اتضاع الخراج لأن انخفاض الفيضان كان عاملا رئيسيا فيها فضلا عن عوامل الاحتكار التجارى والغزو الخارجى وتفكك الأداة الإدارية للدولة .

ويمكن أن نتبين بوضوح مدى تأثير المجاعات على الخراج ، اذا ماقارنا مقداره خلال خلافة المستنصر بالله ، فى ثلاثة فترات متميزة ، تستوعب أولها مدة وزارة اليازورى ، والثانية تستغرق الشدة المستنصرية والأخيرة فى مدة وزارة بدر الجمالى وأبنه الافضل . ورغم أنه لايوجد لدينا تقدير واحد ودقيق لمقدار الخراج فى وزارة اليازورى (٤٤١ _ ٤٥٣ هـ) الا أنه يمكن أن نشير الى قوة مركز الدولة الفاطمية المالى الذى امتدحه الرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى زار مصر خلال هذه الفترة والى ما أورده المقريزى عن ارتفاع[٢] الدولة

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا _ ج ٢ ص ١١٤

(٢) تعنى كلمة الارتفاع وكذا العبرة مقدار الدخل لجهة معينة _ أنظر د . ابراهيم طرخان : النظام الاقطاعى ص ١٧٤ .

في وزارة اليازوري والذى حدده بمبلغ ٢ مليون دينار يتبقى منها فائضا مقدارة ٢٠٠,٠٠٠ دينار بعد النفقات (١) .

وبعد وفاة اليازوري دخلت مصر في فترة من الاضطراب والاقتتال بين طوائف الجند مهدت للشدة المستنصرية التى انخفض خلالها الخراج لعدم زراعة معظم الارض وعجز الدولة عن التحصيل أيضا ، حتى أن المبالغ التى كانت على النواحي ولم تسدد كانت كبيرة واضطرت الدولة في النهاية الى شطب هذه المبالغ التى عرفت بالبواقي (٢) . وقد بلغ مقدار هذه الأموال ٢ مليون دينار و ٧٢٠,٧٦٢ دينارا و ٦٧٠٠ درهما و ٣٨١٠,٢٣١ أردبا من القمح فضلا عن المحاصيل والسلع الاخرى (٣) ولعل في ضخامة هذه البواقي مايشير الى انخفاض الخراج أثناء الشدة العظمى (٤) .

ويكفى أن نشير إلى ان خراج الوجه البحرى الذى كان يقدر في عهد اليازوري بنحو ٦٠٠,٠٠٠ دينار سنويا (٥) انخفض حتى عاد لايبلغ المائة ألف دينار (٦) .

---

(١) المقريزي : اتعاظ ج ٢ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ . وان كان المقريزي نفسه قد ذكر في الخطط (ج ١ ص ٩٩ ـ ١٠٠) ان مقدار ارتفاع مصر والشام معا ٢ مليون دينار يخص مصر منها مليون دينار فقط . ومع ماعرف عن كفاءة اليازوري واستقرار البلاد رجح عمر طوسون و د . البراوى ان يكون مبلغ المليون دينار هو فائض ميزانية مصر مالية مصر ص ٥٦ ـ ٥٧ ، حالة مصر الاقتصادية ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .

(٢) د . عبدالعزيز الدورى : مقدمة في التاريخ الاقتصادى ص ١٠٣ ـ ١٠٤

(٣) المقريزي : الخطط ـ ج ١ ص ٨٣ ـ ٨٤

(٤) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٢٦ .

(٥) المقريزي : الخطط ج ١ ص ٨٢ .

(٦) د . عطية مشرفة : نظم الحكم ص ٢٣٠ .

وقد بلغ الخراج فى عام ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م ٦٠٠,٠٠٠ دينار وهويتناسب مع استمرار الشدة (١) .

وامتد تأثير الشدة على الخراج الى السنوات التى تلتها بسبب اهمال مشروعات الرى خلالها وقلة الأيدى العاملة فى الزراعة اما بسبب هجرة الأرض أو الموت بالأوبئة ، إضافة لقلة البذور والفقر الذى خلفته الأحداث ، الأمر الذى دفع ببدر الجمالى بعد قضائه على المتمردين إلى إعفاء المزارعين من الخراج ثلاث سنوات "حتى ترافعت أحوال الفلاحين" (٢) . والأرجح أن هذه السنوات تبدأ بعد دخول بدر إلى مصر عام ٤٦٦ هـ أى فى المدة من ٤٦٧ هـ الى ٤٦٩ هـ . ولعل هذا الاعفاء الضريبى الذى لجأ اليه بدر الجمالى كان بسبب ضآلة المبالغ التى كان يمكن تحصيلها وينبئ عن الوضع المتردى الذى هوت إليه إقتصاديات البلاد ، وهو مايدفعنا إلى تجبيذ التشكك الذى أبداه د . راشد البراوى بشأن مقدار الخراج عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٤ م وهو ٢,٨٠٠,٠٠٠ دينار (٣) وهو رقم أورده المقريزى نقلا عن كتاب المنهاج فى

---

(١) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٣٣٧ .

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٣٠ والأرجح أن هذا الاعفاء كان مجرد تأجيل للسداد كما يتضح من الاعفاء من البواقى بعد ذلك .

(٣) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٣٣٧ . ذكرت أنصاف رياض قطاً ان ذلك كان مقدار الخراج فى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م وهو أيضا مستبعد لأن الشدة كانت لاتزال مستمرة وكان الخراج فى العام السابق ٦٠٠,٠٠٠ دينار — أنظر : الحالة الاقتصادية فى مصر ص ١٠٤ .

علم الخراج للقاضى أبى الحسن المخزومى الذى أشار الى عمل مقايسة لخراج مصر قبل عهد بدر الجمالى وحتى عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠م [١] ، وذلك أن البلاد لم تكن قد برئت بعد من آثار الشدة المستنصرية فضلا عن تفكك الادارة وعجزها عن جباية مثل هذا المبلغ الضخم .

بل يمكن القول بأن الشدة وماتلاها من مجاعات قد أثرت على خراج مصر حتى سقوط الفاطميين نتيجة لاضطراب الريف وتكرار تفشى الأوبئة بين سكانه وضعف الادارة المركزية التى عجزت عن مواصلة مشروعات الرى الكبيرة ، وهى عوامل أدت فى المحصلة النهائية إلى تراجع مساحة الأراضى المنزرعة تبعا لانخفاض عدد القرى الذى وصل فى نهاية العصر الفاطمى إلى ٢٠٦٢ قرية [٢] بعد ان كان عددها فى العصر الاخشيدى ٢٣٩٥ قرية [٣] .

ورغم أن بدر الجمالى نجح فى رفع ايراد الدوله الى حوالى ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ دينار سنويا [٤] ، فان هذا المبلغ وهو على وجه التحديد ٠٠٠ر١٠٠ر٣ دينار كان فى عام ٤٨٧ هـ ، لم يكن يعتمد فقط على الخراج أو الضريبة العقارية بل كان يشمل أيضا ضرائب التجارة (المكوس) حيث وردت ضمن مصادره

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٠ ، عمر طوسون ماليه مصر ص ٥٢

(٢) عمر طوسون : ماليه مصر ص ٢٢٩

(٣) د . عبدالمنعم ماجد : امراء تتزعم ص ٣٦

(٤) Lewis (B.) The Cambrédige History. Vol. P. 189.

متحصلات تنيس وهى مدينه صناعيه وعيذاب وهو ميناء مصر على البحر الاحمر وكذا الاسكندريه (١) وبالمثل فان تقدير ايرادات مصر خلال وزارة الافضل بن أمير الجيوش بـ ٥ مليون دينار ومليون أردب للاحراء (٢) كان يشمل المكوس اذ ان التجاره الخارجيه لمصر كانت قد اخذت فى النشاط منذ القرن ٦هـ/ ١٢م واصبحت ايراداتها تشكل جزءا معتبرا من ايرادات الحكومه (٣) . ولايعود ذلك الارتفاع كما تقول الباحثه انصاف رياض الى ان الافضل قام بحل الاقطاعات واعاد توزيعها وزاد مدة الارتفاع الى ثلاثين سنه (٤) ، اذ أنه رغم بقاء هذا التغيير فى نظام قبالات الارض الا ان الخراج واصل انخفاضه فى السنوات التاليه (٥) .

فمنذ مقتل الافضل عام ٥١٥ هـ وحتى عام ٥٤٠ هـ لم يزد خراج مصر عن ١٫٢٠٠٫٠٠٠ دينار على يد القاضى الموفق أبى الكرم بن معصوم التنيسى " ولم يجب أحد هذه الجباية حتى انقرضت الدوله الفاطميه " (٦) .

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص١٠٠ ، وهذا المبلغ هو خراج عام ٤٨٣ هـ فقط وليس بمتوسط للخراج فى عهد بدر الجمالى كما اشارت الى ذلك أنصاف رياض : الحاله الاقتصاديه ص ١٠٤ .

(٢) عمر طوسون : ماليه مصر ص ٥٨ ، والاهراء مخازن يحمل اليها ماورد من الغلات السلطانيه وكانت ترد من منفلوط والحبس الجيوشى وينفق منها مايوقع به عليها من أمور الدوله والمرتبطات : انظر : المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٧٢ هامش ٢ .

(٣) د . راشد البراوى : حاله مصر ص ٣٣٧ — ٣٣٨ .

(٤) انصاف رياض : الحاله الاقتصاديه ص ١٠٤ .

(٥) بدأ هذا النظام الجديد على يد الافضل عام ٥٠١ هـ انظر القسم الاول الفصل الثانى

(٦) المقريزى : الخطط ج ١ ص١٠٠ ، عمر طوسون : ماليه مصر ص ٥٨ — ٥٩ .

والخلاصه ان المجاعات كانت تؤثر على مقدار خواج وأن الشده المستنصريه وما اتبعها من نتائج اقتصاديه وسياسيه واجتماعيه وديموجرافية قد أثرت على الخراج تأثيرا سلبيا حتى نهاية العصر الفاطمى ، وازداد هذا التأثير تعاظما مع الضعف المتواتر للاداره المركزية فى البلاد وتفرق مراكز الثقل السياسى بين الخلفاء والوزراء وعمال النواحى وقواد العسكر .

٢ _ **المكـــوس:** وهـــى المصدر الثانى من مصادر الايرادات الفاطميـــــــة وهـــى فى الأصـل ضريبة تؤخذ على الوارد والصادر من البضائع فـــى الموانئ (١) ثم أصبحـــت تفـرض على التجاره الداخليـــة وبعض الأنشطة الاقتصاديـــة غـــير المتعلقـــة بالزراعـــة ، فكانـــت تفـرض أيضا على المراعـــى والمصائد والبضائـــع وتجارة الترانسيـــت والذبائح وسوق الرقيـــق وأنواع الصناعات كالفاخـــور والمـــزر وحـــتى الحجيـــج (٢) .

وكان هذا النوع من الضرائب يثـير حفيظـــة الفقهاء حيث يعتبرونه غير مشـــروع اذ ان التجارة فى دار الاسلام ليس عليها اى ضرائب (٣) ، فضلا عن أن المصادر الطبيعيـــه للثروه كالنطـــرون والكلأ والمصايـــد مما لم تمتـــد إليه يد الانســـــان بالرعايـــة كانت تعـــد أيضـــا من الأنشطـــة التى يحرم فرض الضرائب عليها (٤) .

---

(١) د . ماجد : نظم ج ١ ص ١١٧ . وكانت كلمه مكس بمعنى ضريبة أســـواق معروفه من قبل فى العصر الجاهلى وكلمة مقـــس اسم قريه علـى ساحل النيـــل فى شمال القاهره وكانت تعرف باسم ام دنـــين وسميت بعـــد ذلك بهـــذا الاسم لان الماكسى كان يقعد بها ليستخرج المكسى فكلم مقسى تحريـــــف لكلمه مكسى : د . سيده الكاشف : مصر فى عصر الولاه _ سلسله الألـــــف كتاب (٢٤١) صـــ ٤٠ وعن تطور هذا النوع من الضرائب انظر : د . ابراهيم طرخـــان : النظام الاقطاعى ص ١٧٧ _ ١٨٠ .

(٢) د . ماجد : نظـــم ج ١ ص ١١٨ .

(٣) د . ضياء الريـــس : الخراج والنظم صـــ ١٣٩ .

(٤) د . راشد البراوى : حالـــه مصر ص ٣٤١ .

وكان تحصيل هذه الضرائب يتم بواسطه ديوان الهلالى (١) وكانت قيمة المكس تتراوح ما بين ١٠ ٪ ، ٢٥ ٪ من ثمن البضاعة (٢) . فعروض تجارة أهل الحرب وأهل الذمه المارين بها على ثغور الاسلام كان يؤخذ عليها العشر منذ عهد الخليفه عمر بن الخطاب (٣) على أن هذه الضريبه التجارية عرفت فى بعض الحالات بالخمس أيضا وتراوحت مابين ٣٥ر١٠٠ دينا وكانت تنخفض أحيانا إلى عشرين دينارا (٤) على الحمل .

ويدخل ضمن موارد الدوله الضريبية التى عرفت بالسواحل ، وكانت تستأدى فى الثغور الساحليه مثل الاسكندريه ودمياط ونسترو والبولس والفرما وكان لها ديوان خاص بجبايتها هو " ديوان الثغور (٥) " وكان بعض هذه الضرائب يستأدى عينا ، فكان يتباع للديوان أو المتجر السلطانى من التجار الواردين إلى مصر بعض السلع التى تستبدل قيمتها من ضرائب التجار فاذا زاد ثمن ماباع عن الضريبة دفعت الدوله لهم ذهبا بقيمه الثلث وبضائع أُخرى بقيمة الثلثين (٦) .

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٩٦ .

(٢) د . ماجد : نظم ج ١ ص ١١٨ .

(٣) د . ضياء الريس : الخراج والنظم ص ١٣٨ .

(٤) انصاف رياض : الحاله الاقتصاديه ص ١١١ .

(٥) د . ماجد : نظم ج ١ ص ١١٩ ، د . مشرفه : نظم ص ٢١٩ ـ ٢٢٠

(٦) انصاف رياض : الحاله الاقتصاديه ص ١١٢ وهو تغير فى شكل تعالى الضرائب وليس ضريبه جديده كما اعتقدت الباحثه .

والى جانب الضرائب على التجارة الخارجية عرفت أيضا الضرائب على التجاره الداخليه الواردة إلى المدن والمخازن والأسواق والبضائع الصادرة من المدن وحراسة الغلات بالمقسى ورسوم السمسرة والدلالة وأجور استخدام المعديات على النيل (١) .

ويضاف إلى ذلك الضرائب التى كانت تؤخذ على بعض المنتجات من منابعها مثل صناعة النسيج ، فنعرف أن مدينة تنيس التى اشتهرت بهذه الصناعه كان خراجها فى اليوم الواحد الف دينار كما ذكر ناصر خسرو (٢) .

وقد أثرت المجاعات المتوالية وما نجم عنها من تحطم السلطه المدنيه البيروقراطيه وانهيار الاقتصاد القائم على الزراعه أساسا ـ على ايرادات الدوله من الزراعه فاجتهد محصلو الضرائب لتعويض النقص الكبير فى الدخل (٣). ونتج عن ذلك تزايد مقادير وانواع المكوس على أوجه النشاط الاقتصادى المختلفه ، فقد وجه الفاطميون اهتمامهم إلى هذه الضرائب غير المباشرة لتنميه مواردهم عند اتضاع الخراج (٤) وساعد على ذلك ازدهار التجاره فى نهايه العصر الفاطمى فأستطاعت أن تحتمل على هذه الأعباء الضريبيه المتزايدة (٥) . إلا أن المكوس تزايدت فى الدوله الفاطميه بمرور الوقت

(١) د . راشد البراوى : حاله مصر ص ٢٠١ .
(٢) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفه المنسوجه طبع دار الكتب ١٩٤٢ ص ٥٧ .
(٣) Lewis (B.), The Camb. History Vol. I. P. 188.
(٤) د . عطيه مشرفه : نظم الحكم ص ٢١٧ .
(٥) د . راشد البراوى : حاله مصر ص ٢٠٢

حتى وصلت الى حد لايطاق فى نهاية العصر الفاطمى كما سنلاحظ من الضرائب التى أسقطها صلاح الدين ، ولا ينفى ذلك بعض المحاولات التى بذلت لالغاء المكوس أثناء المجاعات عملا على تخفيف العبء عن أفراد الشعب، فنعرف عن الحاكم بأمر الله أنه أمر بالغاء بعض هذه المكوس غير الشرعية (١) — فيذكر المقريزى نقلا عن المسبحى أن الحاكم أسقط فى شهر رمضان عام ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م عن أهل مدينه القلزم ما كان يوءخذ من مكوس المراكب (٢) وذلك أثناء أول مجاعه حدثت بمصر فى عهد الحاكم وعندما توقفت زياده النيل فى مجاعة عام ٣٩٨ هـ / ١٠٠٨ م . أمر الحاكم بابطال عده مكوس (٣) وما ان انتهت هذه المجاعه فى شعبان عام ٣٩٩ هـ / ١١٠٩ م (٤) حتى أعاد الحاكم المكوس التى كان قد رفعها (٥) .

ومع بدايه الانخفاض النسبى للفيضان والتوقع المبكر للمتاعب الاقتصادية التى حدثت اثناء مجاعة عام ٤٠٢ هـ / ١١—١٠١٢ م ، أمر الحاكم بابطال عدة

---

(١) د . ماجد : الحاكم ص ٦٣ . يذكر د . ماجد ان ذلك تم لاعتقاد الحاكم فى عدم شرعيه هذه المكوس وان كانت حوادث التاريخ تبرهن على ان ذلك يتم لضرورات اقتصاديه واجتماعيه اذ أنه أعادها بعد ذلك كما نلاحظ بعد ذلك .

(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢١٣ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٦ .

(٤) انظر مجاعات الحاكم

(٥) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٧٩ .

مكوس فى جمادى الآخر عام ٤٠١ هـ / ١٠١١ م (١) . وأدى استمرار هذه الأزمه الاقتصاديةَ طوال العام التالى إلى عودة الحاكم إلى إلغاء المزيد من المكوس فى شهرى رجب وجمادى الأول عام ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م (٢) . وفى عام ٤٠٦ هـ أسقط الحاكم مكوس الغلة والفاكهه ودار الضرب (٣) .

وعندما تفاقمت المجاعة التى بدأت عام ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م وتظاهر الناس فى الطرقات وصاحوا بوجه الخليفه الظاهر لاعزاز دين الله واختفى القمح من الأسواق ، أمر الظاهر فى ذى القعده ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م بالغاء جميع مكوس الغله المباعه بساحل مصر (٤) . ويبدو أن هذه المكوس قد أعيدت بعد ذلك إذ نعرف أن الخليفةَ الحافظ عندما ولى الخلافةَ حاول استرضاء مشاعر الناس فأمر فى ثالث ربيع الاول ٥٢٦ هـ بالغاء بواقى مكس الغلةَ (٥) . ومن المصادر الماليه التى تأثرت بأحداث المجاعات المواريث الحشريه ، " وهى مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابه أو نكاح أو لاء أو الباقى بعض الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لايستغرق جميع المال ولا عاصب له (٦) " . فقد استولى الخليفه على أموال من ماتوا بالوباء

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٠٢ .

(٣) مؤلف مجهول : انسان العيون ص ٤١٥ .

(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٦ ، وربما كان ذلك لقله المعروض منها فى الأسواق وتشجيعا على ظهور الغلال .

(٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٤٦ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٣ ص ٤٦٤ .

أثنـاء مجاعـة عام ٤٤٢ هـ وليس لهم وارث ، وكان مالا جزيلا على حد تعبير ابن أبى أصيبعه (١) . وأضيف ذلك المال الى ايرادات الدولـة .

وشكلت المصادرات وخاصه منذ العصر الفاطمى الثانى جزءا من مصـادر الدوله الماليه ، ففى أعقاب الشده المستنصريه قام بدر الجمالى بمصادرة أموال القـادة الاتراك وايداعها ديوان المفـرد (٢) .

وكـان للدوله الفاطميه الشيعيـة المذهب ضرائب مذهبيه لم تكن معروفه فى الدولـة الاسلاميـة السنيه المذهب ، وهى " الفطـرة " وهى شبيهـة بضريبـة الرؤوس ومقدارهـا درهم عن كـل ولد من الرجال والنساء " والهجـرة " ومقدارهـا دينار عن أدرك من النسـاء والرجال و " البلغـة " وهى اختياريـة يدفعها القادرون ومقدارهـا ٧ دنانير و " الألفـه " وتجمع أموالها فـى موضع واحـد ويكونون فيـه أسوه واحدة أى يدفع كل منهم مبلغا محددا مـن المـال " والزكـاه " و " الخمـس " أى أن الرجل يخرج خمس ما يملك والمرأه خمس غزلهـا (٣) . بالاضافه الى " النجوى " ومبلغهـا ثلاثه دراهـم وثلـث

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ٥٦٣ . ومنذ وزارة الافضل بن بـدر الجمالى مع أخذ شئ من التركات وأمر بحفظها لأصحابها حتى يحضر من يثبت حقه فيها . انظر : انصاف رياض : الحاله الاقتصاديه ص ١١٤ . ولعل ذلـك كان بسبب قله المال المتحصل منها بعد انتهاء الشده ودخول مصر فى طور من الاستقرار النسبى فى عهد بدر الجمالـى .

(٢) انصاف رياض : الحاله الاقتصاديه ١١٢ ـ ١١٨ . وقد نشأ ديوان المفـرد ليس فى العصر الفاطمى الثانى كما ظنت الباحثه بل انه انشئ فى عهد الحاكـم بأمر الله فى صفر عام ٣٩٨ هـ اثناء المجاعة التى مرت بمصر " برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم " . انظر المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٣) د . عطيه مشرفه : نظم الحكم ص ٥١ ، هوامش ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

تجمع من المؤمنين بالقاهره ومصر وأعمالها لاسيما الصعيد (١) . والثابت تاريخيا ان هذا النوع من الضرائب المذهبيه قد تعرض للنقص بسبب المجاعات فى بعض الأحيان ففى صفر عام ٣٩٨ هـ أمر الحاكم بابطال أخذ الخمس والنجاوى والفطرة (٢) ، وكان ذلك بسبب المجاعة التى كانت فى هذا العام وعندما حاول بعض القضاة تحصيل هذه الضريبة فى وقت لاحق أعاد الحاكم أوامره بوقف أخذ هذه الضرائب مرة أخرى عام ٤٠٠ هـ (٣) ذلك أن البلاد لم تكن قد أفاقت بعد من المجاعة التى وضعت أوزارها عام ٣٩٩ هـ ، ودليل ذلك أن الحاكم عاد فى عام ٤٠١ هـ فأمر بأخذ مال النجوى (٤) . وقد أدت الشده المستنصريه إلى توقف تحصيل هذه الضرائب ويستفاد من أحد السجلات الموجهه من المستنصر بالله إلى حاكم اليمن على بن محمد الصليحى أن اليمن لم ترسل طوال سنوات الشدة المستنصرية أى ضرائب سواء من الفطر والزكاه والنجاوى أو اى ضرائب أخرى ولا درهم واحد وذلك " لموانع الطريق " (٥) .

أما الجزيه التى كانت تجبى من أهل الذمه فى دار الاسلام جزاء المنعه لهم وأمنهم على أموالهم وحرياتهم (٦) ، فكانت تدفع سنويا وتجمع فى المدن من المشتغلين بالتجاره أو الصناعه وغيرهم وكانت تدخل فى خراج الأرض فى

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٩١ .
(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٧ .
(٣) ايمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة ص ٢٩ .
(٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .
(٥) د . ماجد : السجلات ص ١٨٨ ـ ١٨٩ سجل بتاريخ ذى القعده ٤٦٨ هـ
(٦) د . ضياء الريس : الخراج والنظم ص ١٣١ .

الريف[١] ، ولا يعلم مقدارها طوال العصر الفاطمى ، ونعلم فقط أنها كانت فى عهد الآمر بأحكام الله تتراوح ما بين دينار وثلث ودينارين على كل رأس [٢] . ولا توجد اشاره فى أى مصدر تاريخى الى تعرض مقدار الجزيه المفروضه على الرؤوس الى أى تغيير أثناء المجاعات . مما يدل على حرص دولة الفاطميين على رعاياها من أهل الذمة وعدم غبنهم أو تجاوز حدود الشرع معهم . ورغم ان المقريزى قد أخطأ عندما ذكر أن المكوس التى كان قد بدأ أحمد بن المدبر فرضها على المصادر الطبيعيه من المصايد والكلا قد الغيت ايام أحمد بن طولون ولم تعد الا عندما ضعفت الدوله الفاطميه [٣] ذلك انها كانت موجوده كما رأينا ايام الحاكم بأمر الله الا انه يمكن القول ان هذه الضرائب قد تعددت واتسعت بسبب اتضاع الخراج فى أواخر الدوله الفاطميه حتى أن المقريزى اعتقد انها فرضت فقط فى أواخر الدولة الفاطمية ولا شك ان زيادة هذه المكوس كان مطردا مع محاولات تعويض نقص الخراج الناجم عن المجاعات ونتائجها ويمكن تبين مقدار هذه الضرائب غير المباشره (المكوس) مما ذكره المؤرخون عن اسقاط صلاح الدين الايوبى

---

(١) د . راشد البراوى : حاله مصر ص ٣٢٩ .

(٢) د . ماجد : نظم ج ١ ص ١١٩ ـ ١٢٠ ويقدرها د . ماجد ود . راشد بنحو ١٣٠,٠٠٠ دينار وهو مقدار جبايتها عام ٥٨٧ هـ (١١٩١م) اى بعد عشرين عاما من سقوط الدوله الفاطميه . انظر ايضا د . راشد : حاله مصر ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ وعموما فقد كانت هذه الضريبه آخذه فى التناقص بسبب تحول اهل الذمه للاسلام ، فنعرف انها بلغت عام ٨١٦ هـ ، مبلغ ١١,٤٠٠ دينار فقط ـ المقريزى الخطط ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٤ ، ١٠٧ ـ ١٠٩ .

لبعض هذه الضرائب . فهو أولا قد أمر باسقاط متأخرات سنوات سابقة حتى عام ٥٦٤ هـ بلغت قيمتها مليون دينار و ٢ مليون أردب غلة وأبطل هذه الضرائب من الدواوين (١) .

ثم أسقط ما كان يستأدى من الحجاج بالحجاز من المكوس (٢) ، وأبطل ما كان يؤخذ من المكوس بمصر والقاهرة وكان جملة ذلك في كل سنة مائة ألف دينار (٣) بالاضافة إلى ما كان يستخرج بالأعمال القبلية والبحرية وهو بنفس المقدار (٤) . وقد أورد أبو شامة نص السجل الذى ذكر المقريزى ان القاضى الفاضل هو الذى كتبه بشأن اسقاط هذه المكوس وفيه اشارة الى عدم شرعية هذه الضرائب وثقلها على السكان " نطهر منها مكاسبنا ونصون عنها مطالبنا ونكفى الرعية ضرهم الذى يتوجه اليهم ونضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم (٥) " .

وقد اورد المقريزى قائمة تفصيلية بأنواع المكوس الملغاة ومقدار كل منها يتضح منها أنها قد فرضت على التجارة الخارجية مثل مكس البهار والبضائع والقوافل وعلى التجارة الداخلية مثل سمسرة التمر ورسوم العلبة المنسوبة إلى

---

(١) أبوشامة : الروضتين ج ١ ص ١٧٤ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٥
(٢) أبوشامة : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٤ .
(٤) ابوشامة : الروضتين ج ١ ص ١٧٤ .
(٥) المصدر نفسه ص ٢٠٥ . ويبدو من صيغة السجل انه خاص بالغاء مكوس مصر والقاهرة فقط ولا يعنى ذلك أن صلاح الدين قد أسقط جميع المكوس فقد بقى مكس النطرون الذى استحدثه ابن المدبر فى العصر الايوبى فيذكر القاضى الفاضل ان النطرون كان مضمونا الى آخر سنه ٥٨٥ هـ بمبلغ ٠٠٠ر١٥ دينار . المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

بلبيس وعلى سوق الغنم بالقاهره ومصر • وعبور الأغنام بالجيزه وعلى المواد الخام كرسم فندق القطن والكتان والمصنوعات مثل خاتم الشرب والدبيقى فضلا عن المعديات على النيل والسلخانات بل والدواجن التى يتم تربيتها (١) .

ويعود الفضل لهذه الضرائب المفروضه على التجاره والصناعه فى تعويض نقص خراج الارض وخاصه فى الفتره الاخيره من حياه الدوله الفاطميه التى تعددت وزادت خلالها هذه الضرائب والمكوس التى الغاها صلاح الدين •

فعلى الرغم من تدهور الحاله السياسيه والاقتصاديه فى أواخر عهد الفاطميين الا ان اقتصاد مصر ظل قويا بسبب حركه التجاره العالميه عبر ارضيها وان كانت هذه الحركه قد تأثرت ولا شك بسبب الحروب الصليبيه ونجاح الصليبيين فى اقامه مملكه بيت المقدس (٢) • فكانت لمصر علاقات تجاريه واسعه فى حوض البحر المتوسط بفضل السيطره الكامله التى فرضها الأسطول الفاطمى على البحر المتوسط وقد ظلت لهذا الاسطول قوته البحريه حتى عام ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م رغم ضعف الدوله الفاطميه (٣) .

ومنذ منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى عقدت مصر سلسلة من المعاهدات التجاريه مع أما لفى والبندقيه وجنوه وبيزا بشأن حمايه تجار

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ •

(٢) د • عطيه القوصى : تجاره مصر ص ١٢٦ •

(٣) د • أحمد مختار العبادى ، ود • السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ البحريه الاسلاميه فى مصر والشام ـ بيروت ١٩٧٢ ص ١٢٧ • وتعد هذه السيطره البحريه امتدادا للهيمنه العربية على المتوسط منذ القرن ٢هـ/٨م والتى استمرت حتى صعود المدن التجارية فى ايطاليا مثل فينسيا وجنوه : أنظر

Newbigin (M.) The Mediterranean Lands, London . 1938, P. 176.

هذه الدولة أثناء مزاولة نشاطهم التجارى فى مصر ، وقد اشار بنيامين التطيلى إلى وجود سفن من ٢٩ دولة ومدينة أوربية بميناء الاسكندرية عند زيارته لها عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م (١) .

ورغم المنازعات السياسيه التى كانت بين مصر الفاطمية وبيزنطة إلا أن ذلك لم يحل دون قيام نشاط تجارى واسع بينهما وخاصه بالنسبه لتجاره المنسوجات المصريه (٢) ، وذكر ناصر خسرو ان كثيرا من السلع التى رآها واعجب بها فى أسواق الفسطاط كانت من واردات بلاد الروم (٣) . كما ان مصر كانت تعتمد على بيزنطه احيانا فى استكمال احتياجاتها من القمح (٤) . وقد تركزت الانشطه التجاريه الفاطميه فى البحر الاحمر ، ويعزى صمود الاقتصاد المصرى فى عهد الخلافه الفاطميه الاخير الى استمرار نشاطها التجارى فى البحر الاحمر (٥) .

وتعد تجاره الكارم أو الكارميه على الطريق البحرى بين مصر وشرق افريقيا والهند والشرق الاقصى أهم هذه الأنشطه التجاريه على الاطلاق (٦) .

---

(١) د . عطيه القوصى : تجارة مصر ص ١١٠ ـ ١١٣ .

(٢) د . ابراهيم العدوى : الدوله الاسلامية وامبراطورية الروم ـ الأنجلو المصريه القاهره ط ٢ ، ١٩٥٨ ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٣) د . عطيه القوصى : تجارة مصر ص ١١٢ .

(٤) د . ماجد : ظهور خلافه ص ٣٦٥ .

(٥) د . عطيه القوصى : تجارة مصر ص ١٢١ .

(٦) لمزيد من التفاصيل عن تجاره الكارم وتطورها : انظر صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجاره مصر فى العصور الوسطى ـ المجله التاريخيه المصريه ، المجلد الرابع العدد الثانى ـ مايو ١٩٥٢ .

وقد بدأت هذه التجاره فى العصر الفاطمى واشترك فيها التجار اليهود إلى جانب المسلمين والمغاربه واصبحت كلمه الكارم شائعه فى القاهره منذ بدايه القرن ٦ هـ / ١٢ م ، ولم يكن الكارم وحدهم فى مجال التجاره مع الهند ، فحتى عام ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م لم يكن الكارم قد احتكروا بعد هذه التجاره اذ كانت تشاركهم حوالى مائتى سفينه لايملكها تجار الكارم (١) .

كما ان الازدهار الصناعى الذى شهدته البلاد بفضل تشجيع الصناع الاجانب والتسامح مع الاقباط الذين كان يعمل عدد كبير منهم فى الصناعه ، وتزايد الاقبال على المنتجات الترفيه كالملابس الفاخره (٢) كان له الأثر فى زيادة رصيد الدوله من الضرائب التى فرضت على هذه الصناعات حتى شملت المواد الخام بل وبيع هذه المنتجات على أيدى السماسره الذى كان وجودهم فيما يبدو عاملا مساعدا على تقدير وجباية الضرائب (٣) .

---

(١) د . عطيه القوصى : تجاره مصر ص ٨٩ ـ ٩١ . وقد بدأ احتكار الكارميه لهذه التجاره يأخذ شكله المكتمل فى عصر المماليك حيث شكل تجار الكارم قوه ماليه تمويليه الى جانب الحكومه .
انظر: Goitein : Op. cit . P. 349.

(٢) د . راشد البراوى : حاله مصر ص ١٢١ ـ ١٢٤ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

المصروفات فى الدولة الفاطميه :ـ

لم ترد فى كتب المؤرخين احصاءاتدقيقة تبين ابواب المصروفات والايرادات حتى يمكن موازنة النفقات بالدخل وتحديد الفائضراو العجز (١) ٠

وان عرفنا ان المبدأ السائد فى التنظيم المالى أن يخصص كل ايراد لنفقة معينه ، فكان الخراج مثلا يخصص للانفاق على الأجناد وغيرهم من أربابالوظائف فى الدوله حيث كانت رواتبهم من بين نفقات الدوله ، وكان على ديوان الرواتب أن يقوم بدفع العطاء الى الأجناد والموظفين شهريا ، كما كانت ايراداتالمكوس وغيرها تسد نفقات بعض موظفى الدولة وأجنادها (٢) ٠

وبديهى أن انخفاض ايرادات الدوله ،وخاصه الخراج ،أثناء المجاعات كان يؤثر سلبا على وفاء الدوله ببعض التزاماتها ،وخاصة بعض الرواتب التى كان يتاخر صرفها فى أحسن الأحوال ٠ كما كانت الدوله تعجز أثناء المجاعات عن سداد مستحقات فقراء مكه والمدينه ، مما أدى الى خروجهما عن سلطه الخلافة فى اثناء بعض المجاعات ٠ ويحدث أثناء المجاعات ايضا ان تتخلى الدولة عن بعض التزاماتها تجاه الفقراء وخاصه فى ليالى شهور رجب وشعبان ورمضان ٠

---

(١) د ٠ عطيه مشرفة : نظم الحكم ص ٢٢٨ ٠
(٢) د ٠ ماجد : نظم الفاطميين ـ ج ١ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ٠

الا أن بعض الأحداث المصاحبه للمجاعات وما يترتب عليها من نتائج ، كان يؤدى الى زياده أوجه الانفاق ، وخاصه نفقات اقرار الأمن والقضاء على المتمردين ، أو زياده رواتب الثائرين من العسكر ، وقد كان من نتيجه الشدة المستنصريه وما أدت اليه من زياده نفوذ وزراء التفويض والعسكريين ، أن تزايدت التزامات الدوله ونفقاتها تجاه هذه الفئات واستمر تزايد النفقات حتى نهايه الدولة الفاطميه .

تأثير المجاعات على المصروفات :

تشكل الرواتب العبء الأكبر على الخزانه الفاطمية وما من شك في أن ماأورده د. ماجد نقلا عن خطط المقريزى من تقدير لعطاء الأجناد وأرباب الوظائف بثلاثمائة ألف دينار سنويا (١) يتسم بالتواضع الشديد خاصة اذا ما قورن مع ما أورده عمر طوسون عن الرواتب أيام كافور الأخشيدى والتى بلغت نحو نصف مليون دينار " خارجا عن مرتبات الجيش والحاشية والمتصرفين فى الاعمال " (٢).

واذا كان بالامكان اعتبار مبلغ الثلثمائة ألف دينار مبلغا تقريبيا لعطاء الجنود وأرباب الوظائف فانه قد يكون صحيحا فى بداية عصر الدولة الفاطمية الا أنه بتعاظم القوه العسكريه للخلافه وتعدد فرق الجند وازدياد نفوذ الوزراء وحواشيهم ازداد هذا المبلغ ، خاصة اذا ما أضفنا الى هذه

(١) د. ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص١٢٥ .
(٢) عمر طوسون : ماليه مصر ص٥٣ .

المرتبات ما كان يصرف من جرايات الطعام والكسوات لارباب الوظائف . فمن المسلم به أن راتب الوزير كان خمسه الاف دينار في الشهر ورغم ثبات هذا الرقم القريب من راتب الخليفة العباسي (١)، الا أن الامتيازات الاخرى المقررة كجرايات أو رواتب لحواشي الوزير واولاده كانت متأثره بمدى مكانة الوزير وقدرته على السيطرة على أمور الخلافه . ففي عهد الحاكم بأمر الله كان يصرف للوزير أبن عمار كل شهر ما قيمته ٥٠٠ دينار شهريا للحم والحيوان والتوابل والفاكهه علاوه على سله من الفاكهه علاوه على سله من الفاكهه كل يوم بدينار وعشره أرطال شمع كل يوم وحمل ثلج كل يومين. (٢)

وهو ما يتضاءل أمام ما كان يحصل عليه وزير من وزراء العصر الفاطمي الاخير وهو المأمون البطائحي ، الذى كان يساق الى مطابخه من الغنم ٨ الاف رأس " أما الحيوان والأحطاب وجميع التوابل فهما استدعاه متولى المطابخ يطلق له " ، وذلك خارجا عن الاقطاعات ومقدارها في السنه ٥٠ ألف دينار وعشرون ألف أردب قمحا وشعيرا فضلا عن مقرر كسوه الوزارة في العيدين وفصلى الشتاء والصيف وموسم عيد الغدير وفتح الخليج وغير ذلك من غره شهر رمضان وأول العام وغيره . (٣)

---

(١) د . محمد حمدى المناوى : الوزاره والوزراء ص٨٢ ـ عدا حاله المأمون البطائحي الذى وصل راتبه الى ٣ الاف دينار .

(٢) المرجع نفسه ص ٨٣ .

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص٤٤٢ ـ ٤٤٣ .

وليس بامكاننا أن نقرر ما اذا كانت الدوله الفاطميه تلتزم بدفع رواتب لاقارب الوزير فى بدايتها أم لا وذلك لعدم توافر أى اشارة تاريخية الى ذلك وان جل ما وصلنا سواء عن طريق المقريزى أو القلقشندى كان عن طريق ابن الطوير • وغاية ما يمكن أن نسوقه من ادله على التشكك فى وجود هذا الالتزام هو ما أشارت اليه المصادر التاريخيه من قيام العزيز بالله من تسديد ديون وزيره يعقوب بن كلس رغم ما عرف عنه من اتساع النفوذ وسعة الحال •

ومهما يكن من امر فان من يلى الوزير من ولد وأخ كان راتبه المقرر من ١٠٠ الى ٢٠٠ دينار وان كان شجاع بن شاور المنعوت بالكامل قد وصل راتبه الى ٥٠٠ دينار بسبب تضعضع سلطة الخليفه ثم حواشى الوزير مهما كان عددهم من خمسمائه الى أربعمائه الى ثلثمائه خارجا عن الاقطاعات (١)

ولاشك أن ازدياد نفوذ وزراء التفويض منذ الشده المستنصريه قد كلف الخزانه العامه وأثقل كاهلها بالنفقات ، حيث عمل هؤلاء الوزراء على استمالة حواشيهم بالاموال لضمان ولائهم وكانت الاقطاعات التى لاحظنا تزايدها خلال النصف الاخير من حياه الخلافة الفاطميه احدأهم وسائل التحايل على الرواتب المحدده بواسطه ديوان الرواتب بل أن بعض الوزراء لجأ الى تحبيس بعض الاراضى للانفاق منها على ذويهم حتى بعد وفاتهم

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٥٢٥ •

مثل الحبس الجيوش • مما كان يعنى فى المحصلة الاخيره ضياع ربع هذه الأوقاف على الخزانه • ولم تقتصر زياده النفقات على الاموال النقدية ، اذا ازدادت النفقات العينيه كالكسوات والجرايات الغذائيه ، تبعا لمحاولات الوزراء استمالة قلوب حواشيهم ومؤيديهم ، فتذكرة الطراز كانت أيام الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى تشتمل على ٣١ الف دينار ارتفعت فى عهد خلفه الوزير المأمون البطائحى الى ٤٣ الف دينار ، تضاعفت بعد مقتله واستيلاء الخليفه الآمر باحكام الله على السلطة (١) • وقد ضاعف المأمون الكسوه الشتويه عما كانت عليه أيام الأفضل لتصل إلى ما دون العشرين ألف دينار بقليل (٢) •

وقد تحملت الخزانه العامه ايضا متطلبات مظاهر الترف الى احاط الوزراء العظام انفسهم بها ، فعند مقدم بدر الجمالى لم يسكن بدار الديباج التى كانت دار الوزارة القديمه وأنشأ دارا اخرى لهذا الغرض ولما أتى من بعده ابنه الافضل أنشاء دار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى قريبا من رحبة باب العيد (٣) • ونقل المقريزى عن ابن ميسر أن الافضل أقام فيها حجرة سماها

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٩٩ _ مع ملاحظة ان ما ينفق فى دار الطراز للاستعمالات الخاصة (الخليفه وحواشيه) فى كل سنه عشرة الاف دينار انظر المصدر نفسه ج ١ ص ٣٩٨ •
(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤١ وتفصيل ذلك ١٤٫٣٠٥ قطعه مقارنه بـ ٨٫٧٧٥ قطعه فى عهد الافضل •
(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٦١ •

خيمه الفرج بلغت تكاليفها ١٠٠٠٠ دينار (١) يضاف الى ذلك ما استحدثه المأمون من زياده فى نفقات الطيب حيث صار له راتب منها مستقل عما للخليفه وهو ما لم يكن موجودا قبل ذلك كما أنه قرر تقديم شراب حلو فى إيوانه فأضيف ذلك إلى نفقات خزانه الشراب (٢) .

أما رواتب أرباب الوظائف فان المقريزى والقلقشندى أوردا راتب كل وظيفة نقلا عن أبن الطوير (٣) ، وان كنا نجهل مدى تأثير هذه الرواتب بالمجاعات والنتائج التى نجمت عنها . ويلفت النظر ما أورده ابن الطوير من أن راتب قاضى القضاه كان فى الشهر مائه دينار ومثله داعى الدعاه (٤) ، وهو ما يتناقض مع ما ذكره ناصرخسرو الذى زار مصر فى النصف الاول من حكم المستنصر من أن راتب قاضى القضاه ألفى دينار مغربى فى الشهر ومرتب كل قاضى على قدر مرتبته وذلك "حتى لايطمع القضاه فى أموال الناس أو يظلمونهم" (٥) .

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٢٠ .
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٣) المصدر نفسه ص ٤٠١ ـ ٤٢٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٥ ـ ٥٢٧
وقد عاش ابن الطوير فى اوائل العصر الأيوبى ـ د . ماجد : ظهور خلافة ص ٢١ .
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٦ ، د . عطيه مشرفه : نظم ص ٢٥٨ .
(٥) ناصرخسرو : سفر نامه ص ٦٥ .

وقد يكون هذا التخفيض الذى أجرى على راتب قاضى القضاه وداعى الدعاه ناجما عن تدهور الدعوه الشيعية فى آخر الدولة الفاطميه بفضل الوزراء العظام من المخالفين لمذهب الاسماعيليه فضلا عن تلقب الوزراء بألقاب: "كافل قاضى القضاه وهادى داعى الدعاه" وتحول من يتولى هذين المنصبين إلى مجرد وكيل عن الوزير فى اداره القضاء والدعوه (١).

ولا شك أن الراتب الذى اورده ناصر حزو يتناسب مع جلال المنزلة التى كان يحيكها قاضى القضاه وداعى الدعاه فى اوائل الخلافه الفاطمية حيث كانوا على اتصال مباشر بالخليفه وبلغ بعضهم نفوذا واسعا .

وقد تأثرت نفقات الدوله الأخرى بالمجاعات نتيجه لانخفاض الايرادات، مما جعلها تتخلى عن بعض واجباتها فى الانفاق .

ففى اثناء مجاعه ٣٩٧ـ٣٩٨هـ ونتيجه للفتنه التى أثارها ابوركوه ، أنفق الحاكم بأمر الله الأموال الطائله لأجل القضاء على الفتنه وأعادة حالة الاستقرار للبلاد حتى أن وزن الاكياس التى انفق اموالها وهى فارغه بلغ ٢١ رطلا (٢). ونتيجه لأحداث المجاعات اضطر الحاكم فى شهر رجب عام ٤٠٢هـ الى قطع ما كان يصرف من الخبز والحلوى لمن يبيت بجامع

---

(١) ظل وزراء السيوف يتولون منصب قاضى القضاه على الاقل حتى ولايه بهرام النصرانى للوزاره فى خلافه الحافظ فولى قاضيا بدلا منه لانه كان نصرانيا : أنظر د. عطيه مشرفه : نظم ص ٣٧٢ .

(٢) مؤلف مجهول : انسان العيون ص ٤١٠ .

القاهره (الأزهر) فى ليالى الجمع والأنصاف من شهور رجب وشعبان ورمضان (١) .

وأن لم تمنع المجاعه عام ٤٠٣هـ الحاكم من أن يقوم باحصاء المساجد التى لاغله لها فكانت ثمانمائه مسجد فأطلق لها فى كل شهر من بيت المال ٦٢٢٠ درهما (٢) .

ويلاحظ ان الحاكم أقر مرتبات الفقهاء والمؤذنين بجوامع القاهره كما هى دون نقصان وكان مقدارها فى ٤٠٦هـ ٧١٫٧٣٠ دينار (٣) ، ولعل ذلك يعطى بعدا جديدا لعقليه الحاكم بأمر الله وقوه ادارته التى جعلته يفرق بين الالتزام بالمصروفات الاساسيه للدوله والمتعلقه بأعمال العبادات والرواتب وبين امكانيه التغاضى عن بعض المصروفات الغير ملحة كصرف الخبز والحلوى

ولما كان النظام المالى للدوله الفاطميه يرتكز على قاعده تخصيص كل ايراد لنفقه معينه وما نعرفه عن تخصيص خراج الأرض وبعض المكوس لأجل سداد الرواتب فان احداث المجاعات كانت مصحوبه عاده بعجز الدولة عن سداد الرواتب أو تأخرها فى أحسن الأحوال .

وكان مصدر التخوف الرئيسى فى هذه الحاله يأتى من قبل فرق العسكر

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٦٦ .

(٢) أيمن فؤاد سيد / نصوص ضائعه ص٣١ . وفى نفس هذا العام قام الحاكم بأيقاف رباعا وحوانيت على الجامع الأزهر وجامع المقس وجامع الحاكم وجامع راشده ودار العلم بالقاهره .

(٣) د . عبدالمنعم ماجد : الحاكم بأمر الله ص٨١—٨٢ ، د . صلاح البحيرى : عالمية الحضاره الاسلاميه ص ٧٨—٨١ .

التى سرعان ما تلجأ الى السلاح لاجل تعويض رواتبها الموقوف .

ومن خلال ما ذكرته المصادر التاريخية نستطيع أن نقرر بأطمئنان أن ثورات العبيد واضطراب الامن أثناء مجاعه ٤١٤ـ٤١٥هـ فى عهد الظاهر مرجعه الأساسى ارتفاع الأسعار مع عدم وفاء الدولة بتسديد رواتب الجند وخاصه خلال عام ٤١٥هـ . حيث اشتكى "طوائف العسكر من الفقر والحاجه فلم يجابوا"(١) . وحتى التجريده التى أرسلت إلى تنيس ثاروا على عاملها فى شعبان ٤١٥هـ لتأخر رواتبهم ، واستولوا على ١٥٠٠ دينار من ايرادات الدولة(٢) . وعندما طلب من العميد محسن بن بدواس صاحب بيت المال أن يحمل المال لينفق فى الرجال خشيه الفساد اعتذر صاحب بيت المال بانه ليس لديه "الا اليسير الموفور لخواص مهمات الخليفة" ، وعارض الجرجرائى اقتراحا بمصادرة التجار لان تجار مصر اصبحوا " هلكى من الغلاء ولامال لهم(٣) ، واضطرت الدولة الى الاستدانه ، ففى الخامس والعشرين من ذى الحجه عام ٤١٥هـ حمل الامير بهاء الدولة مظفر مبلغ عشرة الاف دينار على سبيل القرض وطلب من أبى طالب الحسنى العجمى متولى الصناعة قرضا بنفس القيمه فساوم حتى وصل القرض إلى خمسه الاف دينار بعد أن

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .
(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٥٧ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٥٤ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

ضمن ابو القاسم الجرجرائى ان يعاد المبلغ اليه بعد ذلك .(١)

وتبعا لتردى الحالة الماليه عجز الظاهر عن تسديد كامل ما كان ينفق للحسنيين بمكه من اموال ، ففى ٥ ذى الحجه أطلق لهم ألف دينار يرتفقون بها وأمرت لهم ام الظاهر أيضا بشىء من عندها .(٢)

وانتظر الوفد المكى حتى ٢٥ من ذى الحجه فدفعت لهم الدولة النصف من واجباتهم الا ابا الفتوح حسن بن جعفر فانه لم ينفذ اليه بشىء ووعد بان يرسل له المال عن طريق البحر ، فعاد الوفد المكى الى مكة ساخطا على عجز الخليفه عن تحمل واجباته المالية تجاه بلادهم .(٣)

وقد ارتبطت المجاعات فى الغالب بعجز الخلافة عن تسديد أموال الحجاز التى كانت عاملا رئيسيا فى الحفاظ على ولاء حكام الاراضى المقدسه للفاطميين ، وظهر ذلك بجلاء اثناء الشده المستنصرية وخاصه مع تعاظم قوة السلاجقة ودخولهم حلبه المنافسه فى الانفاق على الحرمين فاستطاعوا أن يحولوا ولاء الحجاز لصالح العباسيين أيام الشده المستصرية كما أشرنا الى ذلك من قبل .

---

(١) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٨٦ .
(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص١٦٦ ، يبدو واضحا من سياق كتابات المؤرخين ان مال الخليفة واهله كان يعد مالا خاصا لاعلاقة له بمال الدولة والانفاق منه كان يتم على سبيل المنح والمن .
(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٨٦ .

كما ان الخزانه الفاطميه أرهقت قبل الشدة بنفقات حروب العبيد والأتراك فقد تكلف الأتراك فى عبورهم الى الجيزه لمحاربه العبيد عام ٤٥٩ هـ ـ مليون دينار (١) ٠

وفى اثناء الشده العظمى كان الانفاق يتم على خلاف قواعد الرواتب فقد انفقت الخزانه العامة فى غير استحقاق ٣ ملايين دينار خلال خمسة عشر شهراأولها شهر صفر عام ٤٦٠هـ (٢) ٠

ولعل الحالة الوحيده التى زادت فيها الرواتب أثناء أحدى المجاعات كانت تلك الزيادة التى أقرها ابن حمدان أثناء الشدة المستنصرية حيث اجبر الخليفة على زياده رواتب الاتراك بالجيش حتى نفذت الخزائن (٣) ، فرفع راتبهم عام ٤٦٠هـ من ٢٨ الف دينار الى ٤٠٠ الف دينار (٤) والمعروف أن الجنود استوفوا حقوقهم عن طريق بيع محتويات خزائن المستنصر عندما عجزت الخزانه الخاوية عن دفع رواتبهم (٥) ٠

وقد احتفظ لنا المقريزى بنص توقيع للخليفه الحافظ لدين الله على استمرار الرواتب جاء به أن أمير المؤمنين لايستكثر فى ذات الله كثيرا لاعطاء

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٧٣ ٠
(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٧٧ ٠
(٣) ابو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ١٣ ٠
(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٧٥ ٥ د٠ راشد : حالة مصر ص ٩٠ وكان ذلك عام ٤٦٥هـ وكان الراتب ٢٨ ألف دينار وليس ٢٠ ألفا كما ذكرت الباحثه انصاف رياض انظر الحالة الاقتصادية ص ١٣٠ ٠
(٥) أنظر كتاب الذخائر والتحف ٠

ولايكدره بالتأخير له والتسويف والابطاء ولما أنتهى اليه ما أرباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت ظنونهم شملهم برحمته ورأفته وأمنهم مما كانوا وجلين من مخافته ...... الخ (١) .

ويظهر من توقيع الخليفه الذى انهاه بأقرار الجميع على رواتبهم دون نقص ان الدوله كانت قد تأخرت فى سداد الرواتب ولعل ذلك كان بسبب احدى المجاعات التى مرت بمصر اثناء حكم الحافظ لدين الله وربما كان هذا التوقيع اثناء سنوات المجاعه الهائله التى عصفت بالبلاد خلال الأعوام من ٥٣٦ - ٥٣٨هـ/١١٤١-١١٤٣م .

وقد تسبب الضعف المالى للدوله الناجم عن المجاعات فى قله الاهتمام بمشروعات الرى الكبيرة اذ لم تشر المصادر التاريخية الى مشروعات رى كبيرة فى العصر الفاطمى الاخير.

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٩٨ نقلا عن ابن الطوير .

الأسعار

تكاد ظاهرة تحرك الاسعار أن تكون القاسم المشترك الاعظم بين مختلف احداث المجاعات التى وقعت بمصر مهما اختلفت الاسباب التى وقفت خلف هذه المجاعات سواء كانت طبيعيه أو سياسيه او اقتصاديه .

ومن خلال الدراسه التفصيليه لأسباب وحوادث المجاعات يمكن القول بأن العوامل الطبيعية كالفيضان وانتشار الآفات والرياح لم تكن هى العوامل المؤثره فى اختفاء السلع الغذائيه .

ويعد التحكم فى عرض السلع _ لاندرتها _ أهم العوامل على الاطلاق فى ارتفاع الاسعار ، خاصه وأن انتاج مصر من الحبوب فى حاله وفاء الفيضان كان يكفيها لمده عامين ويمكن تتبع حالات التحكم فى عرض الحبوب ، منذ قيام تجار الجمله بشراء الحبوب وهى بعد لاتزال محصولا فى الارض عن طريق تسديد ثمنها _ أو معظمه _ مقدما للفلاح حتى يتسنى له شراء البذور ودفع الضرائب المقرره عليه ، ويقوم هؤلاء التجار بخزن الغلال حتى اذا ما ارتفعت الاسعار قاموا ببيعها .(١)

ويحدثنا ناصر خسرو عن تاجر قبطى من ثراة مصر ، التجأ اليه الخليفه الفاطمى عند انخفاض الفيضان ليعطية ما يستطيع من الغلة اما نقدا واما قرضا ،

---

(١) المقريزى : اغاثة ص ١٩ _ ٢٠ .

فقال له التاجر ان لديه من الغله ما يكفى اطعام اهل مدينه مصر ست سنوات ومع الضرب صفحا عما قد يكون فى قول ناصر خسرو من مبالغه [(١)] فأنه لايمكن أن نغض الصراف عن قدره كبار التجار على خزن الغلال بـل واحتكارها بحكم قوتهم التمويلية الضخمه • وتتضح أهميه الاحتكار فيما سبق ذكره من قيام الوزير اليازورى بالاستيلاء على مخازن الغلال الخاصة بالتجار وبيعها للجمهور بسعر يعادل حوالى ثلث السعر الذى كان يباع به فى الاسواق مع اعطائهم هامش ربح قليل [(٢)] ، وهذا الاجراء من الناحية الفقهية لاغبار عليه حيث نهى الرسول الكريم (ص) عن الاحتكار فقال ((لايحتكر الا خاطىء)) والمحتكر هو الذى يعمد الى شراء ما يحتاج اليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم ويريد اغلاءه عليهم [(٣)] •

وبجانب اجراء المصادره لجات الدولة الفاطمية الى اسلوب آخر لكبح جماح ارتفاع الاسعار اثناء المجاعات • وقد سبقت الاشارة الى الاهراء السلطانيه والمتجر السلطانى الذى كان يشترى فى كل عام ما قيمته مائة الف دينـار من الحبوب ليوزع وقت الحاجه على الطحانين والخبازين [(٤)] ، ودخول الدولة كتاجر مشارك فى السوق يكاد يقارب فكرة تدخل الحكومات فى تجارة الجملة او ـ تقديم السلع المدعمه للجمهور ومن شان هذه السياسة ان تحد من ارتفـاع

---

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٦٢ •
(٢) كان ذلك خلال اعوام ٤٤٧ ـ ٤٤٨ هـ ـ أنظر الفصل الاول •
(٣) ابن تيميه : الحسبه فى الاسلام ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٤٠٠ هـ ص١١ •
(٤) د • ماجد : امراة تتزعم ص٣٥ •

الاسعار اثناء الازمات بحيث يصبح التضخم السعرى مكبوتا بهذه القيود • (١) •

ولم يكتف الفاطميون بالتدخل فى تجارة الجملة بل لجاوأ إلى إقامه متاجر بيع الغلال ودكاكين الخبز المملوكة للدولة بقصد تثبيت سعرهما أو ترخيصهما • (٢)

وتجدر الاشارة الى ان الدولة كانت تلجا فى حالات كثيرة الى الغاء الوسطاء فى عملية تداول وبيع الدقيق والقمح ، فلم تكن تسمح ببيع القمح الا للطحانين ولا يخرج الدقيق من المخازن الا الى المخابز • ومن الملاحظ ان الخوف من المستقبل المجهول كان يساعد على تفاقم الازمات الاقتصادية فما ان يستشعر الناس توقف النيل عن الزيادة حتى يقوموا بخزن الغلال ويحجموا عن عرضها فى الاسواق توهما بحدوث المجاعه او طلبا لمزيد من الكسب • (٣)

وكان الفاطميون يواجهون ذلك اما بمحاولة اخفاء امر الفيضان عن طريق منع المناداه بزيادته كما امر المعز لدين الله او عن طريق التهديد بعقاب من يخزن الغلال مثلما فعل الحاكم بامر الله ، وعلى الرغم من هذه الاجراءات الا ان ذلك لم يحل دون قيام الناس بخزن الحبوب •

اما لجوء الدولة الى سياسة التسعير فلم نسمع عنه فى عصر الفاطميين قبل خلافة الحاكم بامر الله • فعلى الرغم من ارتفاع الاسعار عند فتح جوهر لمصر ووعده فى امانة للمصريين بارخاص الاسعار وتوفير الاقوات (٤) ، الا انه

---

(١) د • رمزى زكى : مشكلة التضخم فى مصر — الهيئة العام للكتاب — القاهره ١٩٨٠ ص ٢٣ •

(٢) د • ماجد : امراة مصرية ص ٣٥ •

(٣) د • راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٨١ •

(٤) د • عطية مشرفة : نظم الحكم ص ٣٩٥ •

(١)
لم يلجأ الى التسعير وأكتفى بضبط مايرد الى الساحل من غلال منعا للاحتكار.
ويرجع تخوف جوهر من اللجوء الى التسعير الى معارضه معظم الفقهاء لاجراءات التسعير ولم يشأ جوهر فيما يبدو ان يستشير حفيظه رعاياه السنه ضد الدولة الشيعيه الناشئة . ويستند الفقهاء في ذلك الى ماروى عن الرسول (ص) عندما طلب منه ان يسعر للمسلمين بسبب ارتفاع الاسعار فقال " ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر واني لأرجو ان القى الله ولايطلبني أحد بمظلمه ظلمتها آياه في درهم ولامال " (٢) ولايمكن ان يعد لجوء الحاكم للتسعير تحديا للدين الاسلامي او خروجا على تعاليمه ، اذ ان جمهور العلماء اشترطوا " قيام الناس بالواجب " (٣) اى قدرتهم على الدفع حتى لايحد لأهل الاسواق حد لايتجاوزونه في السعر، وهو ما لم يكن قائما مع تزايد الاسعار الجنونى وعدم وفاء دخول وثروات عامة الناس بشراء احتياجاتهم من السلع الغذائية ، وفضلا عن ذلك كان الحاكم يجمع التجار ويتفق معهم على تسعير كل صنف من الغلال بثمن معين لا يزيد ولاينقص (٤)، ولعل في ذلك محاولة لتحقيق السعر العادل Foter Price الذى كان سائدا في اوربا في العصور الوسطى وبلاد المسلمين (٥) وهو السعر الذى ليس فيه غبن على التاجر او ارهاق للمستهلك .

ولايمكن اعتبار السعر الذى يقررة ابناء الطائفة فيما بينهم وبين المحتسب بواسطه عريفهم نوعا من انواع التسعير بل هو اقرب الى التسعيره الوديه التى تحاول الاقتراب من فكرة السعر العادل ، ويذكر ناصرخسرو ان التجـار في مصر

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ١ ص ٧٢ ، ١٦٩ .
(٢) ابن تيميه : الحسبه في الاسلام ص ١١ (٣) نفسه ص ٢٠
(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٥٥ ، وتراضى اهل السوق مع الامام على السعر جائز عند ابن حبيب انظر ابن تيمية الحسبه ص ٢٠
(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٢٧٣ .

كانوا يبيعون باسعار محدده ، ويؤيد ذلك حادثه عريف الخبازين الذى ضرب[1] خبازا لانه باع باقل من السعر المتفق عليه بين ابناء الطائفة والمحتسب[2] وهو ما استنكره اليازورى فى حينه مع أن ذلك جائز شرعا لان فى الحفاظ على ذلك السعر العام مراعاه لمصلحه الجمهور والعبرة بهذه المصلحه[3] ٠

ولم تكن سياسة التسعير هذه توءتى ثمارها المرجوه فى جميع الاحوال ، فنعرف انها نجحت على عهد الحاكم بامر الله لشده رغب الناس منه وسطوته[4] وفشلت فى اثناء مجاعه ٤١٤ـ٤١٥هـ/١٠٢٢ـ١٠٢٤م بسبب التواطؤ بين رجال الدولة والتجار ، ولم تنجح عام ٥٣٢هـ/١١٣٧م بسبب سعى رضوان بن ولخشى الى تأليب الرعية على الخليفة الحافظ لدين الله ٠

ومهما يكن من امر ارتفاع الاسعار ومحاولة التغلب على ذلك فان بداية الشعور بالضائقة الاقتصادية وارتفاع الاسعار يكون عادة فى الفسطاط والقاهرة وذلك بسبب اعتمادهما على غلات الاقاليم وخاصة الوجه القبلى[5] ، وان كانت الفسطاط تظل ارخص فى السعر بسبب قرب النيل من الفسطاط فالمراكب التى تصل بالمحاصيل ترسو هناك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها " وليس

---

(١) د ٠ راشد البراوى : حالة مصر ص ٢٧٣ ٠
(٢) المقريزى : اغاثة ص١٧ ـ ١٩ ٠
(٣) ابن تيميه : الحسبة ص ١٩ ـ ٢٠ ٠
(٤) ابن اياس : بدائع ج ١ ص٥٥ ٠
(٥) د ٠ راشد البراوى : حالة مصر ص ٨١ ٠

يتفق ذلك فى ساحل القاهرة لانه بعيد عن المدينه "[1].

ويلاحظ من كتابات المؤرخين ان الغلاء لم يكن يشمل الريف الا عند تضافر عوامل نقص الفيضان وانتشار الاوبئة واختلال الامن مثلما حدث فى الشده المستنصرية .

وقد شملت حركة الاسعار كافة السلع سواء الغذائية او غيرها من السلع المعيشية كالامتعه والملابس وان اتسمت كل منهما بالتحرك فى اتجاهين متباينين تماما فبينما ترتفع اسعار السلع الغذائية تنحدر قيمه الامتعة وما شابهها ،وذلك بتاثير قوانين العرض والطلب ، فالمعروض من السلع الغذائية يقل ويشتد الطلب عليه ، وهو طلب بطبيعته غير مرن فترتفع الاسعار ، وبالمقابل تتجه كميات النقود الموجوده بايدى الناس الى شراء الاغذيه ويعرض الناس امتعتهم لاجل تامين النقود اللازمة للغذاء وامام كثرة المعروض من الامتعه وقله الطلب عليها تنخفض اسعارها ، تلك العلاقة العكسية هى اول ما يميز حركة الاسعار اثناء المجاعات .

ا – السلع الغذائية

تشمل قائمه السلع الغذائية كل ما يحتاجه الانسان لغذائه من ماكل وشراب، فى كافة صوره سواء كانت محاصيل تحصل من الارض او حيوانات او يدخل فيه العمل الانسانى بالصنعه والتحويل ويمتد ايضا الى الاشربه وخاصة الماء

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٦٧ .

وما قد يستعمل كدواء اثناء حالات انتشار الأوبئة ٠

اولا : تطور سعر القمح ومشتقاته :ـ

يعد القمح الغذاء الرئيسى للسكان وخاصة فى المدن ، وهو اول ـ السلع التى تختفى عند استشعار حدوث المجاعه وطبيعى أن يمتد ذلك الى مشتقات القمح من الدقيق والخبز ٠

ويعنينا بداية أن نصل الى تحديد سعر تقريبى للقمح فى خلال العصر الفاطمى فى غير اوقات المجاعات ،اذلم تشر المصادر التاريخيه الى سعر القمح فى الاوقات العادية ، وان كان لدينا ثلاثة اسعار للقمح أحدهما قبل العصر الفاطمى والثانى فى العصر الأيوبى والأخير فى العصر المملوكى السعر الأول ورد فى بردية نشرها Grohmann وترجع الى صفر عام ٢٨٨هـ/٩٠١م ،وهى تتضمن بعض الأسعار الخاصة بسلع اشتراها كاتب البردية ، يهمنا منها أن متوسط سعر القمح كان $\frac{1}{3}$ ٢ أرد ب لكل دينار (١) ، وباستخدام القياس المترى (٢) ،نجد ان هذه الكمية توازى ١٧٠،٤٠٠ كليو جرام٠

---

(١) Grohmann (A.), Arabic Papyri in the Egyptian library, Vol. VI, Cairo 1962, PP. 35 - 36 , Pls. III- IV.

ففى السطر ١٧ بـ $\frac{1}{3}$ ٢ أرد ب لكل دينار ، وفى السطرين ٢٠ ، ٢١ ـ $\frac{1}{3}$ ٣ دينار عن ثمن ٨ أرد ب وهو ما يعنى أن كل دينار يشترى ٢،٢٨ أرد ب أى $\frac{1}{4}$ ٢ ارد ب ٠

(٢) انظر هنتس (فالتر) : المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها فى النظام المترى ترجمه عن الالمانية د ٠ كامل العسلى :عمان ١٩٧٠ ص٥٤،الارد ب يوازى ٧٣،١٢٥ كليو جرام ٠

اما السعر الثاني فقد أورده المقريزي نقلا عن القاضي الفاضل الذي ذكر أن سعر القمح اثناء شدة الرخاء الذي عم البلاد عام ٥٨٧هـ بلغ مائة ارد ب بثلاثين دينارا (١) • ومعنى هذا أن الأرد ب الواحد كان بثلث دينار أي بنحو ٠٠٤٥, من الدينار للكيلو جرام • والسعر الأخير ينقله القلقشند ى (٢) عن كتاب مسالك الأبصار للمقر الشهابي ابن فضل الله ، الذ ى ذكر ان اواسط سعر ارد ب القمح ايامه ١٥ د رهما (٣) •

واذا ما أخذنا في الاعتبار استمرار ارتفاع قيمه الذهب (الدنانير) مقارنة بالفضه (الدراهم) نتيجه لعامل الندرة ، حيث بلغ سعر الدينار بعد موت الناصر فرج ثلاثين د رهما (٤) ، نجد ان سعر الارد ب الواحد حوالى نصف دينار أى ان ثمن الكليو جرام هو ٠٠٦٨ر من الدينار •

فاذا اعتبرنا من الناحية الحسابية فقط أن الدينار يوازى مائة قرش فان هذه الاسعار تكون على النحو التالي :—

١— سعر عام ٢٨٨هـ .... ٥,٨ مليم للكيلو جرام (سعر للأجل)

٢ — سعر عام ٥٨٧هـ .... ٤,٥ مليم للكيلو جرام

٣ — سعرها قبل عام ٧٤٩هـ .... ٦,٨ مليم للكيلو جرام

---

(١) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٢٤ •

(٢) هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى فضل الله العمرى المتوفى ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م ومؤلفه هو مسالك الابصار في ممالك الامصار :انظر : د • احمد عبد الرازق • د راسات في المصاد ر المملوكية المبكرة — القاهرة ١٩٧٤ ص٤٧ •

(٣) القلقشند ى : صبح الأعشى ج ٣ ص٤٤٧ •

(٤) المقريزي : اغاثه ص٧٢ •

ويكون متوسط هذا السعر ٥,٧٣ مليما للكيلو جرام الواحد ، وهو لايبتعد كثيرا عن سعر عام ٢٨٨هـ وهو ما اتخذناه اساسا للسعر العادى اثناء العصر ـ الفاطمى مع الأخذ بالاعتبار اسعار تحويل الدنانير دراهم طوال العصر الفاطمى كما هو مبين بلوحه الاسعار ، وباعتبار ان سعر الدينار بالدراهم تراوح ما بين ١٥,٥ درهما و١٦ درهما فان السعر المعتاد للقمح بالدراهم بالنسبه للكيلوجرام يكون ٠,٠٩ من الدرهم .

واذا ما بدأنا دراسه تطور سعر القمح قبل العصر الفاطمى فانننا سنجد ان سعر الكيلو جرام منه بلغ ٠,٤٩٧ من الدرهم عام ٣٤٣هـ[1] . ثم ارتفع بعد تسعه اعوام اى عام ٣٥٢هـ[2] الى ٠,٦١٦ من الدرهم وتضاعف فى المدة من ٣٥٦ ـ ٣٥٧هـ[3] ليبلغ ١,٢٣٥ من الدرهم وما ان أصبحت مصر على أعتاب الغزو الفاطمى بلغ سعر الكيلوجرام عند فتح جوهر لمصرعام ٣٥٨هـ[4] ٢,٣٢٥ درهما .

اما فى خلافة الحاكم فان اقصى سعر وصل اليه القمح كان خلال عام ٣٩٧هـ/١٠٠٦م[5]

---

(١) ٢,٥ ويبه بدينار . المقريزى : اغاثة ص ١١ .
(٢) ٢ ويبه بدينار . المصدر نفسه والصفحه نفسها .
(٣) ويبه بدينار : المصدر نفسه ص ١٢ .
(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص١٦٨ (٩ اقدواح بدينار) .
(٥) المقريزى : اغاثة ص١٦ .

حيث بلغ سعر الكيلو جرام ٧٣٨, من الدرهم ، وكان سعر التسعير الذى قرره الحاكم فى عام ٣٩٧هـ للكيلو جرام هو ٢٣٥, من الدرهم اى أقل قليلا من الثلث (١) . ويهمنا هنا ان نذكر بعبارة للمقريزى وردت عند حديثه عن مجاعات العصر الاخشيدى (٣٥٢هـ) من ان الاسعار تضاعفت ثلاث مرات عما هى عليه (٢) ، ومع ذلك يبقى هذا التسعير دون مستوى السعر العام حيث ان نسبه التضخم به تبلغ نحو ٢٦٥٪ من السعر العادى ، ومعنى ذلك ان معدل التضخم فى سعر القمح خلال عصر الحاكم يصل الى ٨٢٠٪ من السعر العادى واتخذ التضخم فى سعر القمح شكل التضخم الزاحف Greeping Inflation. (٣)
بمعنى تزايد السعر من فترة لاخرى فى خلال المجاعه التى وقعت فى عهد الظاهر ٤١٤-٤١٥هـ/٢٣-١٠٢٤م ففى خلال جمادى الآخر ٤١٤هـ بلغ (٤) سعر الكيلو جرام ١٦٤, من الدرهم وتضاعف بعد نهاية هذا الشهر الى (٥) ٣٢٨٢, من الدرهم ثم تضاعف للمرة الثالثة فى ربيع الأول (٦) ليصل الى ٤٩٥, من الدرهم اى ان السعر تضاعف بنسبه ٣٠٠٪ فى المدة من جمادى الآخر ٤١٤ الى ربيع الأول ٤١٥هـ اى خلال ٩ شهور فقط ، وقد ظل هذا السعر

---

(١) المقريزى: اغاثه ص ١٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ١١ .
(٣) د . رمزى زكى : التضخم فى مصر ص ٢٣ .
(٤) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص١٢-١٣ .
(٥) المصدر نفسه والصفحه نفسها .
(٦) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص١٤٢ .

قائما حتى ١٧ من ذى القعدة[١] فوصل سعر الكيلو جرام الى ٥١٢, من الدرهم ليقفز فى ذى الحجه الى ٧٠٧, من الدرهم[٢] . ومعنى ذلك أن نسبه التضخم فى سعر القمح خلال عهد الظاهر وصلت الى ٧٨٥٪ من السعر العادى[٣] اما التسعير الذى عمل به لمدة يوم واحد وهو ١٦ ذى القعده عام ٤١٥هـ فقد جعل سعر الكيلو جرام ٤١٠, من الدرهم اى بنسبه تضخم ٤٥٥٪ .

اما فى خلافة المستنصر بالله فان سعر القمح سجل اعلى معدلات التضخم المعروفه فى العصر الفاطمى وربما فى مصر الاسلامية على الاطلاق ففى مجاعه عام ٤٤٦ـ٤٤٧هـ/١٠٥٤ـ١٠٥٥م[٤] بلغ سعر الكيلو جرام ٣١٢, ١ درهما اى بنسبه تضخم قدرها ١٤٥٧٪ فى حين ان التسعير الذى طالبت الدولة ان يبيع التجار على اساسه جعل سعر الكيلو جرام ٤٩٥, من الدرهم[٥] اى ان نسبه التضخم به بلغت ٥٥٠٪ .

يبدو ان نسب التضخم هذه تتضاءل بجانب ما كان عليه الحال اثناء الشدة المستنصرية (٤٥٧ـ٤٦٤هـ/١٠٦٤ـ١٠٧١م) وان كانت هذه الأسعار تؤخذ بجانب من الحذر لما فى بعضها من مبالغات واضحه خاصة من قبل المؤرخين المتأخرين[٦] . وأقل تقدير لسعر القمح كان عام ٤٦٤هـ حيث بلغ

---

(١) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص٨٦ .
(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٩ .
(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ص٧٤ـ٧٥ ، المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص١٦٥ .
(٤) ابن منجب الصيرفى : الاشارة ص٤٣ ، المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص٢٢٦ .
(٥) المقريزى : اغاثة ص٢٠ ـ ٢١ .
(٦) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص٣٠٧ .

سعر الكيلو جرام ٤,٠٦٣ درهما اى بنسبه تضخم قدرها ٤٥١٤,٤٪ يليه تقدير آخر فى نفس العام يجعل سعر الكيلو جرام من ١,١٢٦ درهما (١) الى ١٢,١٩٠ درهما . اما تقديرات الاسعار خلال عام ٤٦١هـ فمتباينه اقلها يصل بسعر الكيلو جرام الى ١٥,٣١٦ درهما (٢) وقريب منه تقدير ابن الزيات (٣) لسعر الكيلو خلال الشدة المستنصرية بـ ١٥,٥٣٥ درهما اى بنسبه تضخم تصل الى ١٧٠٧٣٪ ثم تقدير آخر (٤) يجعل سعر الكيلو ١٧,٥٠٤ درهما وبالتالى ترتفع نسبه التضخم الى ١٩٤٤٨٪ (٥) واعلى سعر لنفس العام ورد فى النجوم الزاهره وهو ٢١,٨٨ درهما للكيو جرام . اى بنسبه تضخم قدرها (٦) ٢٤٣٢٠٪ اما اقصى سعر للكيلو جرام من القمح فقد وصل فى تقديرات البعض الى ٤٣,٧٦٠ درهما للكيلو جرام الواحد اى بنسبه تضخم ٤٨٦٤٠٪ .

وهذه الاسعار حتى فى حدها الادنى تشكل اكبر نسب التضخم فى اسعار العصر الفاطمى وهى ولا شك تتناسب مع حالة الانحدار والشلل الكامل الذى اصاب اقتصاد البلاد والتحلل الذى كف يد الادارة عن التدخل فى الاسعار او القضاء على الفتن والثورات واضطرابات الأمن الداخلى .

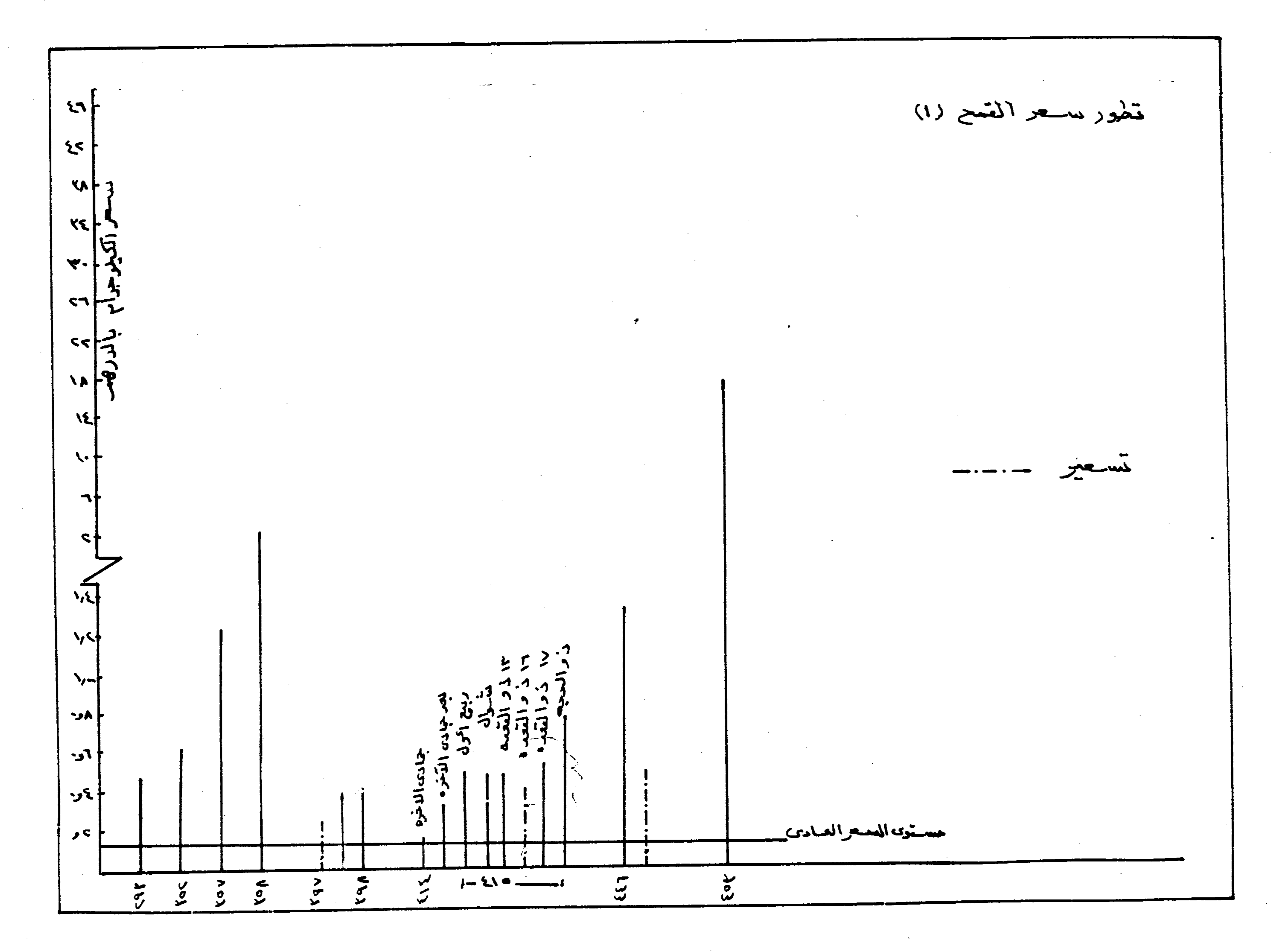
---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص٣٠٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٩ .
(٣) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص١٧٧ .
(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص٢٦٧ ، كذلك ورد نفس السعر عند الحديث عن سعر القمح اثناء الشده فى المقريزى : اغاثه الامه ص ٢٣ ، الخطط ج ١ ص٣٣٧ نقلا عن الجوانى ، ابن اياس : بدائع ج ١ ص٦٠ وهو نفس التقدير الذى اورده ابو المحاسن لعام ٤٥٩هـ ـ النجوم ج ٥ ص ٧٩ .
(٥) ابو المحاسن : النجوم ج ٥ ص٨٣ .
(٦) وهو ٢٠٠ دينارا للاردب ـ انظر ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص٣٤ ، د . راشد البراوى : حالة مصر ص٩٤ نقلا عن النويرى .

فى مجاعه ٤٩٧هـ/١١٠٣م بلغ سعر الكيلو ٦,٥٦٤ درهما لمدة ٦ اشهر (١)
اى ان نسبه التضخم وصلت الى ٧٢٩٣٪ وهو رقم يبعث على التشكك خاصه
وان البلاد لم تكن فى حالة قحط شديد يضاف الى ذلك البعد الزمنى
لابن اياس عن العصر الفاطمى ، ولدينا تقدير آخر لسعر القمح خلال هذه السنه
أورده العلامه المقريزى (٢) وهو ٢٨٤, من الدرهم لكل كيلو جرام وتكون نسب التضخم
فى هذه الحالة ٣١٥,٥٪ فقط أى نحو ثلاثة اضعاف السعر الطبيعى.
وقد نزل التسعير بثمن الكيلو الى مادون السعر العادى فبلغ سعر الكيلو
٠٦٥, من الدرهم (٣) ، والغريب أنه بعد ان تم البيع على اساس هذا السعر
للطحانين فقط منعا للوساطة ، تسربت كميات الى ايدى الناس فباعوها فى السوق
السوداء على ابواب المخازن بسعر ٢١٨, من الدرهم (٤) للكيلو جرام اى بأكثر من
ثلاثة اضعاف سعر الشراء . وذات السعر كان للكيلو جرام من القمح اثناء مجاعه
٥٢١هـ/١١٢٧م (٥) . ثم تضاعف ذلك الرقم ثلاث مرات فى عام ٥٣٣هـ فبلغ سعر
الكيلو ١٥٦٤, من الدرهم (٦) ووصل الأمر الى حد بيع الغلال الفاسده فى نفس

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص٦٣ .
(٢) المقريزى : اغاثه ص٢١ .
(٣) المصدر نفسه ص٢٦ ، وهو يماثل تقدير القاضى الفاضل لسعر القمح فى عصره — انظر المقريزى : الخطط ج ٢ ص٢٤ .
(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ص٦٦ ، ٦٧ هامش ٤ .
(٥) المصدر نفسه ص١٣٣ .
(٦) المصدر نفسه ص١٦٨ .


تطور سعر القمح (١)
سعر الكيلوجرام بالدرهم
٤٦
٤٢
٣٨
٣٤
٣٠
٢٦
٢٢
١٨
١٤
١٠
٦
٢
١,٤
١,٢
١,٠
٠,٨
٠,٦
٠,٤
٠,٢
تسعير
مستوى السعر العادي
جمادى الاخره
بعد جمادى الآخره
ربيع الاول
شوال
١٣ ذو القعدة
١٦ ذو القعدة
١٧ ذو القعدة
ذو الحجة
٢٩٢
٢٥٢
٢٥٧
٢٥٨
٢٩٧
٢٩٨
٤١٤
٤١٥
٤٤٦
٤٥٢

تطور سعر القمح (٢)

سعر الكيلوجرام بالدرهم

٤٥٧
٤٥٨
٤٥٩
٤٦٠
٤٦٢
٤٦٣
٤٦٤
٤٩٣
تسعير
٥٢١
٥٢٢
غلا فاحش
٥٢٦
٥٥١

الشدة
التسعير

المستوى العادي للسعر

السنة الهجرية

العام مع اشتداد الازمة بسعر ٠٨٧٥٢, درهما للكيلو جرام (١) .

وواصل التضخم الزاحف لسعر القمح نموه ، فبلغ سعر الكليو جرام عام ٤٣٦هـ/ ١٠٤١ـ١٠٤٢م ١,٢٣٠ درهما أى بنسبه تضخم قدرها ١٣٦,٦% (٢) ، وانخفض عام ٤٥١هـ الى ١,٠٩٤٠ درهما للكيلو جرام (٣) وقلت بالتبعيه نسبه التضخم الى ١٢١,٥% .

سعر الدقيق :

الدقيق هو طحين القمح ، ولذا فان ارتفاع سعر القمح اثناء المجاعات يؤدى الى رفع سعره بالتبعيه ، اضافة الى تزايد اجور الطحانين ، باعتبار العمل المبذول فى الطحن سلعه خاضعه للتغيير ، ولدينا اشارة واضحة لقيام الطحانين برفع اجور الطحن اذ أخذ الطحانون فى ذى القعده عام ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م " فى طحين القفه القمح خمسه دراهم " (٤) وهو ما يعادل سعر أكثر من ١٠ كيلو جرامات من القمح وقتها (٠٢١٨, من الدرهم لكل كيلو) .

واذا كانت الدولة تستطيع ان تتحكم فى سعر القمح عن طريق محاصرة السواحل التى ترد اليها الغله أو البيع من مخازنها بالسعر الذى تحدده ،

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج٣ ص١٦٨ .
(٢) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص٨٥ .
(٣) المقريزى : اغاثة ص٢٧ .
(٤) السبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص٧٣ .

فان التحكم فى سعر الدقيق - مرحلة ما قبل الخبز - كان يتم عن طريق قصر بيع القمح للطحانين والتشديد عليهم بالبيع بالسعر المنخفض (١) .

ولم تشر المصادر التاريخيه الى سعر للدقيق قبيل أو خلال العصر الفاطمى فى الاوقات العادية وأول ما وصلنا عن أسعار الدقيق كان فى عهد الحاكم بأمر الله عندما استشعر الناس توقف زيادة النيل عام ٣٩٧هـ ولجوء الحاكم الى أخذ ما فى مخازن الغلال والمطاحن والمخابز وتفريغه بالسعر الرسمى ، فبلغ سعر الكيلوجرام من الدقيق فى البداية ٣٧٧, من الدرهم (٢) . وسرعان ما أرتفع فى نفس السنه ليصل الى ٨, من الدرهم (٣) . واستمر نفس السعر خلال عام ٣٩٨هـ (٤) .

أن العلاقة بين سعر القمح والدقيق خلال هذين العامين تتميز - بثبات سعر كل منهما سعر الكيلوجرام من القمح كان ٧٣٨, من الدرهم ومعنى ذلك أن سعر العمل اللازم للطحن لكل وحده (كيلوجرام) كان ٠٦٢, من الدرهم . أى ان الزيادة فى السعر أقل قليلا من $\frac{1}{12}$ من سعر القمح (٥) . وبلغ سعر الدقيق أقصى ارتفاع له فى خلافة الحاكم بأمر الله عام ٤١٠هـ/ ١٠١٩م فبلغ سعر الكيلوجرام من الدقيق ٢,٣٠٦ درهما وهو سعر مرتفع للغاية ولكننا فيه أسرى للمقريزى الذى لم يورد أحد من المؤرخين غيره شيئا آخر

---

(١) مثلما حدث فى عهد المعز لدين الله عام ٣٥٩هـ والحاكم بأمر الله عام ٣٩٧هـ ، ٣٩٨هـ - انظر المقريزى : اغاثه ص ١٢ - ١٧ .

(٢) المقريزى : اغاثه ص ١٦ .

(٣) المصدر نفسه والصفحه نفسها .

(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٧٤

(٥) المصدر نفسه ص ١١٥ .

عن مجاعه هذا العام ٠

ولدينا زخم من الاسعار الخاصة بالدقيق نقلها الينا مؤرخ قريب عهد بالمجاعه التى وقعت فى خلافة الظاهر لاعزاز دين الله فيما بين عامى ٤١٤ ، ٤١٥هـ وهو المسبحى ،ففى جمادى الآخر ٤١٤هـ بلغ سعر الكيلوجرام (١) من الدقيق ٢٦٦, من الدرهم مقابل ١٦٤, من الدرهم للكيلوجرام من القمح أى بزيادة قدرها ١٠٢, من الدرهم أى أن سعر العمل اللازم لطحن كيلوجرام من القمح كان $\frac{٥}{٨}$ سعر القمح (٢) ثم أرتفع سعر الكيلوفى شوال ٤١٥هـ الى ٩١٤, من الدرهم مقابل ٤٩٥, من الدرهم لكيلو القمح فى نفس الشهر وكان سعر العمل ٤١٩, من الدرهم اى ما يوازى ٨٤,٦٪ من سعر القمح ثم انخفض سعر الدقيق فى ١٣ ذى القعده عام ٤١٥هـ (٣) فبلغ سعر الكيلوجرام ٥٥٥, من الدرهم مقابل ٤٩٥, من الدرهم للكيلوجرام من الدقيق وهو نفس سعر القمح فى شهر شوال مما يعنى انخفاض سعر العمل ليصل الى ٠٦٠, من الدرهم لكل كيلوجرام من القمح اى بنسبه $\frac{١}{٨}$ من سعرالقمح الا أنه نتيجه لمصادره مخازن الغلال وقله المعروض فى الأسواق أرتفع سعر الدقيق فى ١٥ ذى القعده (٤) الى ١,٥٢٣ درهما لكل كيلوجرام وأن لم يرد لدينا سعر للقمح فى هذا اليوم ولعل ذلك كان بسبب

---

(١) المسبحى : اخبار مصرج ٤٠ ص١٢ ــ ١٣ ٠
(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص١٦١ ــ ١٦٢ ٠
(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص٧٢ ٠
(٤) المصدر نفسه ص٧٤ ٠

عدم بيع القمح على الاطلاق فى الاسواق (١) .

أما السعر الذى قررته الدولة كتسعيرة لبيع الدقيق فى ١٦ ذى القعده (٢) فقد جعل سعر الكيلوجرام من الدقيق ٤٧٤, من الدرهم مقابل ٤١٠, من الدرهم لنفس المقدار من القمح أى أنه سعر قوه العمل ضمنا بما يوازى ٠٦٤, من الدرهم لكل كيلوجرام أى نحو $\frac{1}{7}$ من سعر القمح .
الا ان ثمن التسعير هذا لم يعبئ به أحد طويلا فواصلت الأسعار ارتفاعها حتى وصل سعر الكيلوجرام من الدقيق فى شهر ذى الحجه ٤١٥هـ/١٠٢٤م (٣) الى ٧١١, من الدرهم مقابل ٧٠٧, من الدرهم لنقل الكميه من القمح ويلاحظ هنا انخفاض سعر العمل الى ٠٠٤, من الدرهم أى حوالى $\frac{1}{175}$ من سعر القمح .

أما أسعار الدقيق خلال الشده المستنصرية فلدينا منها تقديرين متباينين وكل منهما لايتعلق بسعر متداول نقديا بالسوق وانما بسعر مقايضه الأول ورد فى حادثه المرأة التى باعت عقدا من الجوهر قيمه ١٠٠٠ دينار لتشترى به ٩٧,٥ كيلوجرام من الدقيق (تلّيس) (٤) وسعر الكيلوجرام فى هذه

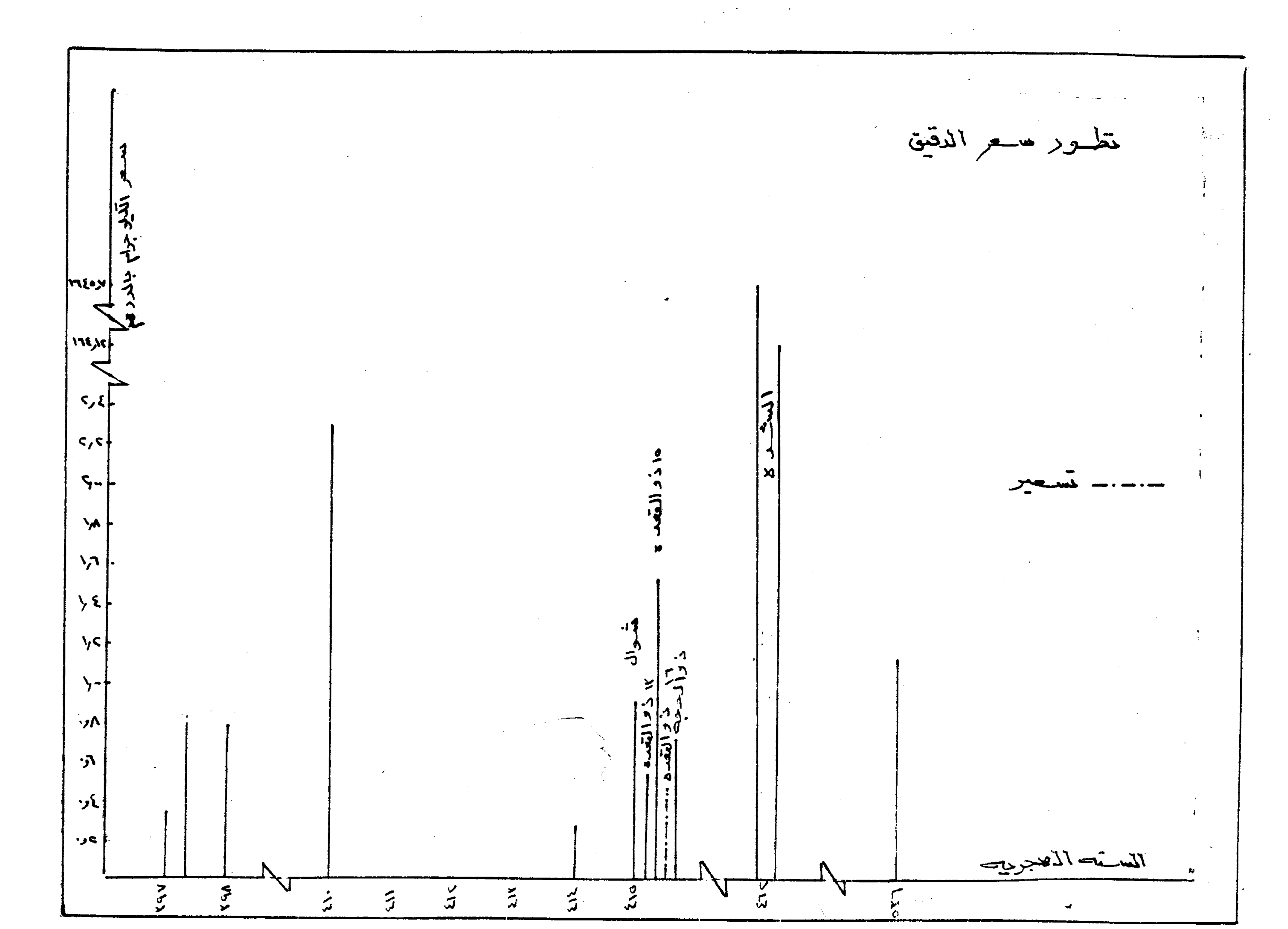
(١) يذكر المسيحى ان الطحانين اخذوا فى طحين القفه من القمح فى شهر ذى القعده خمسه دراهم ٥ ج ٤٠ ص٧٢ ولعل ذلك يفسر سر ارتفاع اجر العمل فى هذا الشهر .
(٢) المقريزى :اتعاظ ج ٢ ص ١٦٥ .
(٣) المسيحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص٨٦ ، المقريزى :اتعاظ ج ٢ ص١٦٩ .
(٤) المقريزى : اغاثه ص ٢٤ .

الحالة يبلغ ١٦٤,١٠٢ درهما ، اما السعر الثانى فنجده فى واقعه المقايضه بمنزل قيمته ٩٠٠ دينار بعشرين رطلا من الدقيق[(١)] (٨,٧٥٠ كيلوجرام)[(٢)] أى أن سعر الكيلوجرام ١٦٤٥,٧١ درهما . وهى كما نرى ارقام ضخمه تتناسب مع حجم التضخم الهائل فى أسعار القمح التى أشرنا اليها خلال الشده المستنصرية . والتقدير الوحيد لسعر الدقيق أثناء الشده العظمى كان لعام ٤٦٢هـ وهو يقدر سعر الحملة من الدقيق (١٣٥ كيلوجرام) بثلاثمائة دينار[(٣)] ومن شأن هذا التقدير أن يجعل سعر الكيلوجرام ٣٥,٥٥٥ درهما .

وآخر أسعار الدقيق فى العصر الفاطمى ورد عند ذكر مجاعه عام ٥٣٦هـ/ ١١٤١م حين بلغ سعر الحملة (١٣٥ كيلوجرام) ١٥٠ درهما[(٤)] أى أن سعرالكيلوجرام من الدقيق كان ١,١١١ درهما مقابل ١,٢٣٠ درهما للكيلوجرام القمح وهو ما يدفعنا الى التشكك فى صحه هذه الارقام اذ ليس من المعقول أن ينخفض سعر الدقيق عن سعر القمح اللهم الا اذا وضعنا فى الاعتبار

---

(١) أبو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ١٧ .
(٢) هنتس (ڤالتر) : المكاييل والأوزان الاسلامية ص ٣١ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٥٧ .
(٤) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥.



تطور سعر الدقيق
سعر الكيلوجرام بالدرهم
٠,٢
٠,٤
٠,٦
٠,٨
١,٠
١,٢
١,٤
١,٦
١,٨
٢,٠
٢,٢
٢,٤
شوال
١٢ ذو القعدة
١٥ ذو القعدة
١٦ ذو القعدة
ذو الحجة
الشدة
شعير
السنة الهجرية
٢٩٧
٢٩٨
٤١٠
٤١١
٤١٢
٤١٣
٤١٤
٤١٥
٤٦٢
٥٢٦

أن سعر بيع القمح كان يشمل العبوه أو الجوال الذى يوضع فيه (١) .

الخـــــــبز :

كان اختفاء الخبز هو أقبح مظاهر المجاعه التى تمس الناس مباشـــرة ، حيث يتزاحم الناس على الافران بغيه الحصول على احتياجاتهم ويكثر التلاعب فى أســعاره عن أى سلعه أخرى وذلك لتعدد هذه الطرق فانتقـــال الخبز من الافران الى دكاكين بائعى الخبز (٢) كان يزيد من كلفته نتيجــــه لزيادة هوامش الربح الخاصـــه بتجار الخبز فضلا عن أجره الافران . ولمـا كان الخبز يباع وقتها بالوزن فان الافران كانت تلجأ الى الغش عن طريق اخراج الخبز قبل نضجه مما يزيد من نسبه الماء به فيزيد وزنه (٣) ، وفى بعـض

---

(١) ذكر المسبحى ان سعر القمح فى شوال ٤١٥هـ كان ثلاثة دنانير للتليـــس غير ثمن التليس ، ج ٤٠ ص٦٧ـ٦٩ . ويستبعد هنا ان يكون سبب ارتفاع سعر القمـح عن الدقيق هو عادة اهل مصر فى استعمال القمح لعمل المزر الابيض الأمر الذى كان يؤدى الى ارتفاع اسعاره ، اذ ان ارتفاع السعر رهن بقوانين العرض والطلب وليس الاستخدام . انظر المقريزى : الخطط ج ١ ص٣٦٨ .

(٢) كان للخبز دكاكين يباع فيها وكان لبائعى الخبز عريف يعاون المحتسب أنظـر: المقريزى : اغاثه ص ١٨ ـ ١٩ .

(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ١٥ ـ ١٦ ، المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص١٣٥ وكانت الافران تجد فى ازدحام الناس وتكالبهم سببا يدعوهم الى ذلك .

الأحوال كان الخبازون يخلطون الخبز بالطفل (١) فيزداد سواده . مستغلين فى ذلك تكالب الناس على الخبز وسرعه شرائه بعد خروجه من الافران مباشرة ، اذ أن غش الخبز كان يظهر بشكل واضح بعد ان يبرد الخبز (٢) ولذا فان سعر الخبز البايت كان دوما أرخص سعرا كما يتضح مما أورده المقريزى نقلا عن القاضى الفاضل (٣) .

ويلاحظ من كتابات المؤرخين ان الخبز فى مصر كان على نوعين رئيسيين :

النوع الأول : أسمر اللون وهو من دقيق أسمر أقل نقاوه وهو أرخص الأنواع سعرا ويسمونه بالخبز الاسود (٤) ، أو الخشكار (٥) أو خبز الافران (٦) .

النوع الثانى : وهو الخبز الابيض وهو على نوعين الحوارى ثم السميذ (٧) الاكثر جودة وثمنه أكثر ارتفاعا من سابقة الاسمر ويمكن اعتبار أسعار الخبز الوارده فى المصادر التاريخيه مشيرة الى خبز الافران الاسمر مالم ينص صراحه على انها تتعلق بالانواع الفاخره من الخبز كما فى بعض الحالات .

---

(١) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٢٧٦ ، المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٦ .

(٢) المقريزى : اغاثه ص ١٨ .

(٣) ذكر القاضى الفاضل ان الخبز البايت فى عام ٥٨٧ هـ كان يباع بسعر سته ارطال بدرهم ــ المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٤ .

(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٧٤ .

(٥) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٤٧ ــ ٤٨ .

(٦) المصدر نفسه ص ٤٨ .

(٧) المصدر نفسه ص ٤٨ ، ٧٢ .

اما السعر العادى للخبز فى غير أوقات المجاعات خلال العصر الفاطمى فانه كما أورد المقريزى ١٦ رطلا بدرهم وذلك عند حديثه عن الاسعار فى حالة رخاء البلاد عام ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م (١) أى أن المستوى الطبيعى لسعر الكيلو جرام من الخبز هو ١,٤٢٨ من الدرهم ٠

تطور سعر الخبز فى العصر الفاطمى :

عندما دخل جوهر مصر عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م كان سعر الكيلو جرام من الخبز يبلغ ٤,٥٧١ درهما (٢) أى بزيادة عن السعر العادى تقدر بنحو ٣٢٠٠٪ ٠ واذا ما قارنا هذا السعر بسعر الكيلوجرام من القمح (٣) فى هذه السنه وهو ٢,٣٢٥ درهما سنجد أن طحن هذه الكمية ثم خبزها تكلف تقريبا مثل السعر أى ١٠٠٪ ٠

أما أسعار الخبز التى وردتنا عن مجاعات الحاكم بأمر الله فأولها سعر الخبز عام ٣٨٧هـ/ (٤) الذى يصبح بمقتضاه سعر الكيلو جرام ٥٧١, من الدرهم أى بنسبه تضخم قدرها ٤٠٢,١٪ وخلال المجاعه التى استمرت خلال أعوام ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨ هـ اتخذ أرتفاع اسعار الخبز شكل التضخم الزاحف المطرد ٠ ففى بدايه المجاعه عام ٣٩٦هـ/ ٥-١٠٠٦م (٥) بلغ سعر الكيلو جرام ٢٢٨, من الدرهم أى بنسبه تضخم

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٥٠

(٢) ابن الاثير :الكامل ج ٧ ص ٣١ ٠

(٣) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٨٠

(٤) المقريزى : اغاثه ص ١٣ ٠

(٥) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٦٢ ٠

قدرها ٦٠٪ فقط الا ان هذا السعر سرعان ما واصل تضخمه ليصل فى نفس العام الى ٣٨٠, من الدرهم للكيلوجرام أى بنسبه تضخم قدرها ٢٦٧٪ من السعر العادى (١) ·

وحاول الحاكم أن يوقف هذا التسارع فى أرتفاع الاسعار فقرر فى عام ٣٩٧هـ تسعير الخبز (٢) فانخفض نصيب الكيلو جرام من الدراهم الى ١٩٠, من الدرهم أى نصف السعر الذى فى عام ٣٩٦هـ بنسبه تضخم ١٣٣,٥٪ وجدير بالملاحظة أن هذا السعر ينخفض عن تسعير نفس وحده الوزن من القمح فى هذا العام وهو ٢٣٥, من الدرهم وهو التسعير الذى اقر فيما بعد بسبب استمرار انخفاض النيل وارتفاع الاسعار (٣) · ويبدو أن هذه التسعيرة لم يعمل بها طويلا فقد عاد سعر الكيلوجرام من الخبز الى ما كان عليه فى عام ٣٩٦هـ وهو ٣٨٠, من الدرهم فى نفس عام ٣٩٧هـ (٤) وكان سعر الدقيق فى هذه الفترة ٣٧٧, من الدرهم للكيلو جرام أى ان الفارق لم يتعد ٠٠٣, من الدرهم ومع اقتراب نهاية عام ٣٩٧هـ تضاعف السعر ليصل نصيب الكيلوجرام من الدراهم ٧٦١٩, من الدرهم بنسبه تضخم ٥٣٥,٩٠٪ (٥) وهو نفس السعر الذى استمر التعامل به فى عام ٣٩٨هـ (٦) · وبشكل عام فان الثبات فى أسعار الخبز فى نهاية

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٦٢ ·
(٢) المقريزى : اغاثه ص ١٥ ·
(٣) المصدر نفسه والصفحه نفسها ·
(٤) المصدر نفسه ص ١٦ ·
(٥) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٦٩ ·
(٦) المصدر نفسه ص ٧٤ ·

٣٩٧هـ ، وعام ٣٩٨هـ نجده كذلك فى اسعار كل من القمح والدقيق الا أن الملفت للنظر هو انخفاض سعر الكيلو من الخبز (٧٦١, من الدرهم) عن سعر الكيلو من الدقيق وهو ٨, من الدرهم ، ولعل ذلك الانخفاض يفسر سوء حالة الرغيف وزيادة نسبه الماء فيه أو خلطه بمواد أخرى حتى أسود لونه حسبما يذكر المقريزى (١) . ولعل ذلك هو الذى دفع الدولة الى القيام بدور ايجابى فى حصر كميات القمح وتحديد وصولها الى الطحانين على ان يقوم كل تاجر بأداء قطعيه أو فريضه للمطاحن والمخابز التى قدرت حاجاتها فى كل يوم (٢) .

وكما هو الحال فى اسعار القمح والدقيق فقد أمدنا المسبحى بفيض من الأرقام حول تطور سعر الخبز خلال مجاعه عام ٤١٤-٤١٥ هـ . بدأها بسعر ٩ رجب عام ٤١٤هـ عند بداية استشعار انخفاض النيل اذ بلغ سعر الكيلو جرام من الخبز (المبلول) غير كامل النضج ٧٦١, من الدرهم (٣) وانخفض هذا السعر فى جمادى الآخر ليبلغ ٦٤٢, من الدرهم (٤) أى بنسبه تضخم قدرها ٤٥٢٪ من السعر العادى وبفارق ٣٧٦, من الدرهم عن سعر الكيلوجرام من الدقيق فى نفس الشهر .

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٧٤ .
(٢) المقريزى : اغاثه ص ١٧ .
(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ١٥ - ١٦ .
(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٣٥ ، المسبحى ج ٤٠ ص ١٢ - ١٣ .

فى ربيع الأول ٤١٥ هـ ارتفع سعر الكيلوجرام الى ٩١٤, من الدرهم (١) أى نسبه التضخم ارتفعت ٦٤٣٪ من السعر الطبيعى وبفارق ٤١٩, من الدرهم عن سعر الكيلوجرام من القمح فى نفس الشهر • ومنذ رجب ٤١٥هـ يبدأ المسبحى فى التميز بين أسعار أنواع الخبز الرديئة والفاخرة (٢)، ففى ٤ رجب نجد أن سعر الكيلوجرام من الخشكار (الاسمر) ٤٥٧١, من الدرهم مقابل ٥٧١٤, من الدرهم للخبز الحوارى • أى أن الفارق بين كلا النوعين هو ١١٤٣, من الدرهم واستمر سعر الخبز الخشكار أو خبز الافران على ما هو عليه حتى يوم ٦ رجب (٣) ليرتفع بعد ذلك الى ٧٦١٩, من الدرهم (٤) بينما يصل سعر الكيلوجرام من الخبز الفاخر (السميذ) الى ٩١٤٥, ومعنى ذلك ارتفاع الفارق بين السعرين الى ١٥٢٦, من الدرهم • وفى شوال واصل التضخم الزاحف فى أسعار الخبز نموه فوصل سعر الكيلوجرام (٥) ١,١٤٥٨ درهما (ولعل ذلك كان فى خبز الافران الاسود) وبنسبه تضخم قدرها ٨٠٦٪ من مستوى السعر العادى • وبزيادة قدرها ٢٣١, من الدرهم عن سعر الكيلو جرام من الدقيق فى هذا الشهر •

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢ •
(٢) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٤٧ ــ ٤٨ •
(٣) المصدر نفسه ص ٤٨ •
(٤) المصدر نفسه والصفحه نفسها " كل الانواع عدا السميذ وهو افضل من الحوارى "
(٥) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦١ ــ ١٦٢ •

فى ١٣ ذى القعده ٤١٥هـ سجل السميذ الفاخر ارتفاعا جديدا فى سعره فوصل سعر الكيلو جرام الى ١,٤٢٨ درهما فى حين طرأ على الخشكار انخفـاض (١) طفيف هبط بالسعر الى ١,١٤٢ درهما . الا أن الخشكار أبى سعره الا أن يلحق بالسميذ بعد يومين فى ١٥ ذى القعده (٢) فأصبح ١,٤٢٨ درهمـا للكيلو جرام أى بنسبه تضخم قدرها ١٠٠٥٪ من السعر العادى وان كـان يقل عن سعر الكيلو جرام من الدقيق فى نفس اليوم بمقدار ٠٩٥, من الدرهم ولعل فى وصف المسبحى للخبز بأنه أسود اشارة كافية لسوء حالة الرغيـف وخلط دقيقة بمواد أخرى .

ولم يتمخض جبل سعر التسعير فى اليوم التالى ١٦ ذى القعده (٣) الا عن فأر ، فاضحى سعر الكيلو جرام ٩١٤, من الدرهم أى بنسبه تضخم قدرها ٦٤٣٪ من السعر العادى . وقد استثنيت الانواع الفاخرة من التسعير فبلغ سـعر الكيلو جرام من السميذ ١,٤٢٨ درهما ومن الحوارى ١,١٤٢ درهما فى ١٧ ذى القعده (٤) . ويبدو أن الالتزام بسعر الخبز الخشكار لم يستمر طويلا فنعرف أن فى ذى الحجه (٥) وصل سعر الكيلو جرام من الخبز الى ١,٨٢٨ درهما ونسـبه تضخم ١٢٨٧٪ ويفارق ١,١١ درهما عن سعر الكيلو جرام من الدقيق فى هذا الشـهر .

---

(١) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٧٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ٧٤ .
(٣) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٥ .
(٤) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٧٥ . (٥) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٩ .

الا أن هجوم العبيد على الأسواق أدى الى ارتفاع الأسعار مرة أخرى في نفس الشهر فبلغ سعر الكيلوجرام ٢,٢٨٥ درهما (١) وارتفعت بالتبعيه نسبه التضخم الى ١٦٠٩٪ وهى أعلى نسبه فى هذه المجاعه .

وفى اثناء الشده المستنصرية أوردت مصادر تاريخيه عده واقعه بيع رغيف خبز وزنه رطل واحد كبيع الطرف عن طريق المزايدة وان اختلفت في تقدير ثمنه ما بين ١٤ درهما (٢) أو ١٤ دينارا (٣) أو ١٥ دينارا (٤) ومعنى ذلك أن سعر الكيلوجرام يكون على التوالى ٣٢ درهما ، ٥١٢ درهما ، ٥٢٨ درهما .

وقد أورد أبو المحاسن سعرا للخبز عام ٤٦٣هـ أثناء حصار ابن حمدان للقاهرة يصبح بمقتضاه سعر الكيلوجرام من الخبز ٢,٨١٣ درهما (٥) أى بنسبه تضخم قدرها ١٩٨٠٪ من السعر العادى .

وآخر تقديرات اسعار الخبز فى العصر الفاطمى ترجع الى عام ٥٣٦هـ (٦) حيث بلغ سعر الكيلوجرام من الخبز ٧٦١, من الدرهم اى بنسبه تضخم ٥٣٥٪ — ويلاحظ على تقديرات الأسعار الخاصة بهذا العام استمرار تناقص نصيب الكيلو

---

(١) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص٨٨ (٢) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص٣٤ .
(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٣٧ .
(٤) المقريزى : اغاثه ص٢٣ ، ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٦٠ .
(٥) ابو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ١٥ .
(٦) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص٨٥ .

تطور سعر الخبز

تسعير

سعر الكيلوجرام بالدرهم

٠,١ ٠,٢ ٠,٣ ٠,٤ ٠,٥ ٠,٦ ٠,٧ ٠,٨ ٠,٩ ١,٠٠

السنة الهجرية

٢٥٨ ٢٨٧ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٥٢٦

تطور سعر الخبز خلال الطاعون

سعر الكيلوجرام بالدرهم

رجب

جمادى الآخرة ٧٤٨

ربيع أول

٤ رجب

٦ رجب

بعد رجب

شوال

ذى القعدة

١٢ ذى القعدة

١٦ ذى القعدة

١٧ ذى القعدة

ذو الحجة

ذى الحجة بعد هجوم العبيد

٧٤٩

السنة الهجرية

تسعير

مقبول

السميد

الحوارى

الأسود

جرام من الدرهم من القمح ١,٢٣٠ الى الدقيق ١,١١١ الى الخبز ٧٦١,

والخلاصـــــــــــة :

١ - ان قوائم الأسعار التي تتعلق بمجاعات الحاكم بأمر الله ومجاعه ٤١٤ـ ٤١٥هـ تتسم فى مجملها من حيث النسب بين أسعار القمح والدقيــق والخبز بقدر من الواقعيه يجعلنا أكثر اعتقادا بصحتها مما يشير الـــى أقترابها من الحقيقة التاريخيه .

٢ - ان نسب التضخم فى الأسعار فى عصر الحاكم بأمر الله أقل عن مثيلاتها فى عصر الظاهر لاعزاز دين الله وذلك يعد انعكاسا دقيقا لقوة الادارة المركزية فى عهد الحاكم بأمر الله وسطوتها وقدرتها على التأثير فـــى الحد من ارتفاع الأسعار ، وفى ذات الوقت تأكيد لروايات المؤرخيـــن عن ضعف الظاهر وانصرافه الى اللهو عن رعاية مصالح المسلمين فضـــلا عن اتجاه رجال دولته الى الاتجار بأقوات الشعب .

رغم ان أعلى نسبه تضخم فى سعر القمح فى عصر الحاكم كانت ٨٢٠٪ ـ من السعر العادى مقابل ٧٨٥٪ فى عهد الظاهر نجد أن أعلى نسبه تضخم فى سعر الخبز فى عصر الحاكم كانت ٥٣٥,٩٪ من السعر العـــادى مقابل ١٦٠٩٪ فى عهد الظاهر .

ان هذه النسب المتباينه فى سعر القمح وسعره فى صورته النهائيــــة

(الخبز) يعكس طبيعة السياسات التى اتبعها الحاكم بأمر الله والتى ارتكزت على منع الوسطاء من السماسرة والتجار وفرض الرقابة على المطاحن حتى لايخرج الدقيق منها الا الى المخابز وقد أدت هذه السياسة الرشيده الى تقليص هامش الربح النتائج عن دخول أكثر من تاجر فى عملية تداول السلعه • ويتضح ذلك من الجدول (١) اذ لم تتعد نسبة تكلفه تحويل القمح الى خبز وهوامش الربح التجارى ٣٢٪ من سعر القمح فى خلال عصر الحاكم • وعلى العكس من ذلك نجد ان هوامش الربح قد ازدادت فى مجاعه ٤١٤هـ – ٤١٥هـ وخاصة فى عام ٤١٥ حيث توالى ارتفاعها من ١١٨٪ ، ١٣١٪ ، ١٨٨٪ ثم انخفضت الى ١٥٨٪ الا أنها سرعان ما عادت الى الاتفاع الى – ٢٢٢٪ ويدل ذلك التضخم الزاحف على مدى شراسه الدور المخرب الذى لعبه الوسطاء والسماسرة •

٣ – ان التسعير الذى قررة الحاكم بأمر الله وان لم يعد بالسعر الى مستواه العادى الا أنه كان فى حدود أقل من ثلاثة أضعافه وهو سعر الاختناق الأولى فى المجاعات والناجم عن الاحجام عن عوض السلع لمجرد استشعار خطر المجاعه ،وتسعير الحاكم كان ساعيا لخدمه المستلكين فى حين نجد ان التسعير فى عهد الظاهر وان لم يستمر طويلا كان مجرد تعديل بسيط فى الأسعار لم يقدم شيئا فعالا على طريق

التاريخ	سعر القمح	سعر الدقيق	سعر الخبز	الفارق	نسبة التضخم
٣٩٧ هـ ٣٩٨	٧٣٨ر	٨ر	٧٦١٩ر	٠٢٣ر	٣٢ ٪
جمادى الأخر ٤١٤ هـ	١٦٤ر	٢٦٦ر	٦٤٢٨ر	٤٧٨ر	٢٩١ ٪
ربيع الأول ٤١٥ هـ	٤٩٥ر	—	٩١٤٣ر	٤١٩ر	١١٨ ٪
شوال ٤١٥ هـ	٤٩٥ر	٩١٤ر	١ر١٤٥٨	٦٥٠ر	١٣١ ٪
١٣ ذو القعدة ٤١٥هـ	٤٩٥ر	٥٥٥ر	١ر١٤٥٨	٦٥٠ر	١٣١ ٪
١٤ ذو القعدة ٤١٥ هـ	٤٩٥ر	١ر٥٢٣	١ر٤٢٨	٩٣٣ر	١٨٨ ٪
ذو الحجة ٤١٥ هـ	٧٠٧ر	٧١١ر	١ر٨٢٨	١ر١٢٠	١٥٨ ٪

جدول (١) الأسعار بالكيلوجرام للدرهم والفارق ونسبة التضخم بين سعر القمح وسعر الخبز .

التاريخ	السعر للقمح نسبة تضخمة للسعر العادى	السعر للدقيق نسبة تضخمة للسعر العادى	السعر للخبز نسبة تضخمة للسعر العادى
٣٩٧ هـ	٢٣٥ ر	—	١٩٠ر
	٢٦٠ ٪	—	١٣٠ ٪
١٦ ذو القعدة ٤١٥ هـ	٤١٠ ر	٤٧٤ر	٩١٤ ر
	٤٥٥ ٪	—	٦٤٣ ٪

جدول (٢) أثمان التسعير بالكيلوجرام للدرهم ونسب التضخم بهـا

رفع المعاناه عن الشعب فضلا عن تراخى الحكومة وازدياد سطوه التجار الذين نجحوا فى فرض اسعارهم .

ويلاحظ ان الحاكم لم يسعر الدقيق لانه كان غير قابل للتداول فى الأسواق بالمره اذ كان يخرج من المطحن الى المخابز باشراف الحكومة ويظهر من الجدول (٢) ان نسبه السعر العادى فى القمح الى تسعير الحاكم كانت ١ : ٢,٦ وفى الخبز ١ : ١,٣ فى حين انها فى ٤١٥هـ بالنسبه للقمح ١ : ٤,٥ والخبز ١ : ٦,٤٣ .

٤ _ ان التسعير كان نهاية لمجاعه الحاكم فى عام ٣٩٨ هـ (١) فى حين انه لم يعنى شيئا بالنسبه لمجاعه الظاهر ٤١٤ _ ٤١٥هـ .

ثانيا : الشعير والأرز :

كان للأرز الذى يزرع فى دلتا وادى النيل ءأهميه خاصه فى غذاء المصريين فى المدن كما يتضح من اهتمام المؤرخين بايراد أسعار الأرز وقت الازمات خاصه وأنه كان يمثل بديلا مقبولا للقمح وخاصه فى صورته الأولى قبل عملية التدزية وهو الشعير . والارز بطبيعته يحتاج الى ماء وفير لاجل زراعته ولذا فان انخفاض الفيضان كان يعنى فى التحليل النهائى انحسار مساحه الاراضى المزروعه به .

---

(١) المقريزى : اغاثة ص ١٧ وان لم يورد المقريزى الأسعار .

وأقرب سعر للشعير ورد فى برديه عربية ترجع الى عام ٢٨٨هـ/ ٩٠١م وهـو يجعل سعر ٢ ١/٢ أردب دينارا واحدا وثلث (١) وهى كميه توازى بالقياس المترى ١٨٢,٨١٢ كليو جرام ويكون سعر الكيلو جرام ٠٠٧٤٩, من الدرهم . ولـم يرد الينا سعر الأرز فى الاوقات العادية اذ لم يتزامن سعر للأرز مـع آخر للشعير حتى تتسنى لنا المقارنه .

وفى عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م والبلاد تعانى من ضائقه شديده (٢) كان سـعر الكيلو جرام من الشعير ١,٤٧٩ درهما أى أن نسبه التضخم تعادل أكـثر من ١٩٧ ضعفا .

اما فى خلافة الحاكم فقد وصلنا سعر للشعير يرجع الى عام ٣٩٧هـ (٣) . وهـى

---

(١) Grohmann (A.); OP. Cit: Vol. VI. PP. 37 - 38.
ترجع البردية فيما يبدو لبيع بالأجل وهو ما يعنى ارتفاع السعر نوعا ما وقد استبعدنا سعر اورد فى بردية ترجع الى القرن ٤هـ Vol.V PP. 134 - 136. تجعل سعر الخمس ويبات يتراوح ما بين دينار ودينار ونصف وقيراط ويكون سعر الكيلو جرام على ذلك ٢٦٢, من الدرهم وهو رقم يرتفع عما ورد من أسعار فى بعض المجاعات بل أنه يرتفع عن ثمن الشعير فى اوائل العصر المملوكى التى أوردها العمرى . حيث كان سعر الأدرب من الشـعير ١٠ درهم (القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص٤٤٧) وهو ما يجعل سعر الكيلو جرام ١٣٦, من الدرهم ويبدو ان برديه القرن ٤هـ ترجع الى احدى سنوات المجاعه أو ربما تكون متعلقة ببيع بالأجل وهو ما يعنى ارتفاع السعر عن المتعاد .
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ٣١ .
(٣) المقريزى : اغاثه ص ١٥ .

ضمن التسعير الذى قام به الحاكم وهذا التسعير يجعل سعر الكيلو جرام ١٣١٤, من الدرهم ونسبه التضخم ١٠٧٥٪ ووصلنا من نفس السنه سعر آخر للارز بعد انهيار هذا التسعير يصبح بمقتضاه سعر الكيلو من الارز ٣١٤٥, (١) درهما • وهو نفس السعر الذى كان قائما مع بداية عام ٣٩٨هـ • (٢)

وفى خلال مجاعه ٤١٥هـ بلغ سعر الكيلو جرام من الشعير فى ربيع الأول ٤١٥ هـ (٣) ٣٢٨٧, من الدرهم وانخفض فى شوال الى ١٦٤, من الدرهم ليعاود (٤) الارتفاع بعد شوال الى ٢١٩١, من الدرهم (٥) وآخر سعر للارز يرجع الى عام ٥٥٣هـ/١١٥٨م وهو ارز فاسد وصل سعر بيع الكيلو جرام منه الى ٠٢١, من (٦) الدرهم • وبالمقابل فان آخر سعر للشعير فى العصر الفاطمى يعود الى عام ٥٣٦هـ (٧) وعلى اساسه فان سعر الكيلو جرام يبلغ ٢٧٥٢, من الدرهم •

---

(١) المقريزى : اغاثه ص ١٥ •

(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٧٤ •

(وهى نفس ظاهرة استقرار اسعار ٣٩٧هـ، ٣٩٨هـ فى اسعار القمح والخبز فى هذه السنه) •

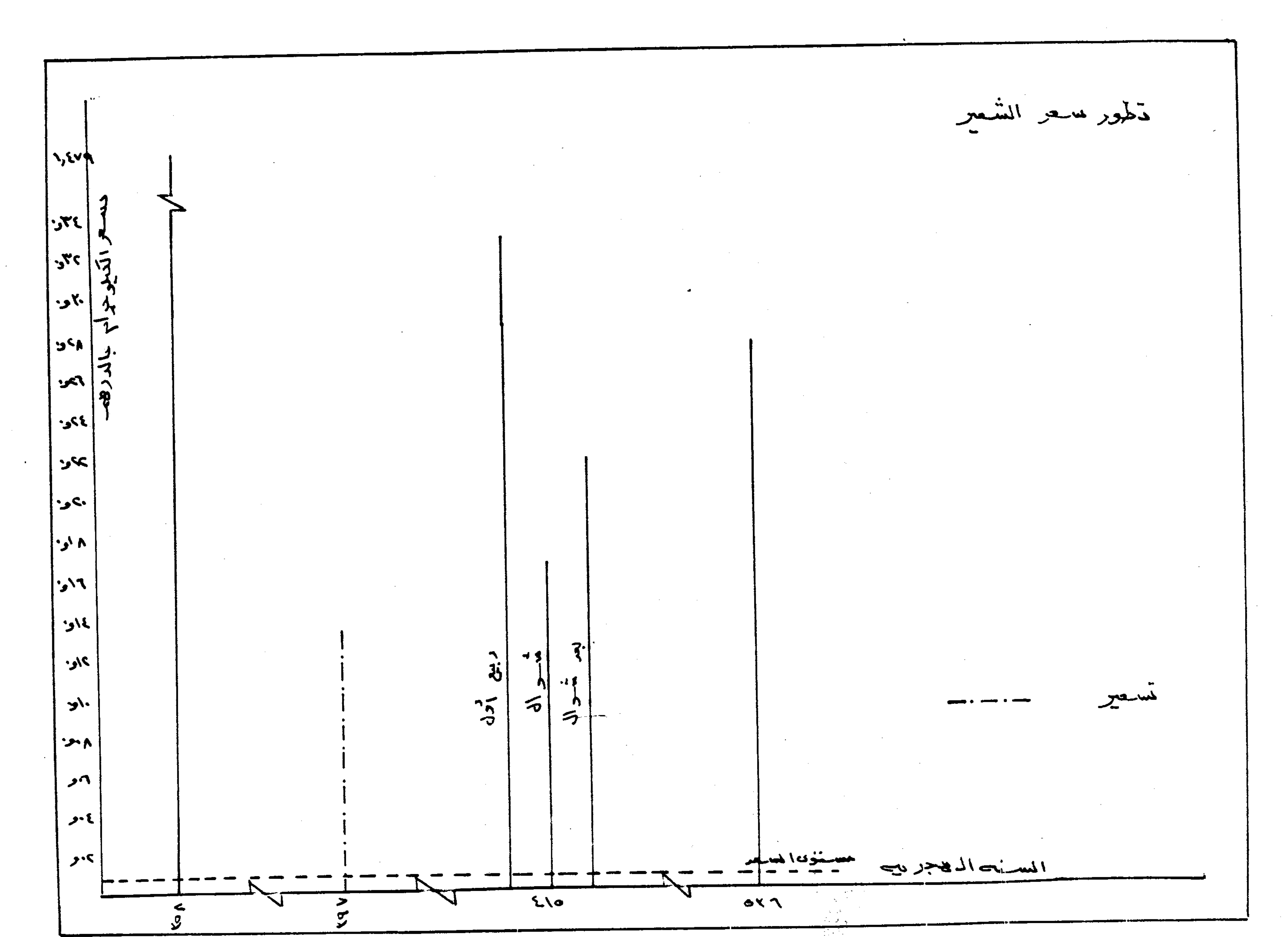
(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٣٢ •

(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ •

(٥) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٦٧ •

(٦) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ص ١٦٨ •

(٧) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥ •



تطور سعر الشعير
سعر الكيلوجرام بالدرهم
١٫٤٧٩
٠٫٣٤
٠٫٣٢
٠٫٣٠
٠٫٢٨
٠٫٢٦
٠٫٢٤
٠٫٢٢
٠٫٢٠
٠٫١٨
٠٫١٦
٠٫١٤
٠٫١٢
٠٫١٠
٠٫٠٨
٠٫٠٦
٠٫٠٤
٠٫٠٢
ربيع أول
شوال
بعد شوال
تسعير
مستوى السعر
السنة الهجرية
٢٥٨
٢٩٧
٤١٥
٥٢٦

تطور سعر الأرز

سعر الكيلوجرام بالدرهم

١٫٥ ١٫٤ ١٫٣ ١٫٢ ١٫١ ١٫٠ ٠٫٩ ٠٫٨ ٠٫٧ ٠٫٦ ٠٫٥ ٠٫٤ ٠٫٣ ٠٫٢ ٠٫١

السنة الهجرية

٧٩٢

٧٦٨

٥٤٢

ثالثاً : أسعار اللحوم والحيوانات :ـ

يعد البروتين الحيوانى احد المصادر الهامة لغذاء الانسان ، بل ان معدلات استهلاكه يمكن ان توضح الى مستوى الدخل فى دول العالم ،(١) ويأتى البروتين الحيوانى من حيوانات كالبقر والغنم او من الطيور كلحوم الدواجن وبيضها .(٢) وتتأثر أسعار الحيوانات واللحوم اثناء المجاعات بعدة عوامل :ـ

ا ـ قلة الكلا الناجم عن عدم وفاء الفيضان او زيادته المفرطه مما يؤدى الى موت الماشيه .(٣)

ب ـ انتشار الأوبئه بين الحيوانات وفناء اعداد هائلة منها حتى اننا نجد الحاكم بامر الله يامر بعدم ذبح الاناث من الأبقار للحفاظ على نسلها .(٤) وكذلك ابنه الظاهر لاعزاز دين الله .(٥)

وذلك للحفاظ على الحيوانات التى كانت تعد أداه رئيسية من أدوات العمل فى الحقول .

جـ ـ مع تفاقم ازمة المواد الغذائية المزروعه ، تتجه الأنظار الى الثروة الحيوانية ويزداد الطلب عليها فترتفع الاسعار ويظهر من أسعار

---

(١) مورلابيه (فرانسيس) وكولينز (جوزيف) : صناعة الجوع ترجمة احمد حسان سلسله عالم المعرفه العدد ٦٤ الكويت ١٩٨٣ ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

(٢) كان فى مصر الفاطمية تربية للدواجن بالمنازل ويبدو انها كانت على نطاق واسع اذ كانت تفرض عليها المكوس انظر : المقريزى : الخطط ج ١ ص حيث ذكر ضريبه بيوت الفروج ٣٠ دينارا .

(٣) كان فى استيجار جزء من الارض ضرر للحيوانات لعدم المراعى : انظر : احمد الغزالى : تحفه الخليل ورقة ١٢٣

(٤) د. ماجد : الحاكم ص ٦٤ .

(٥) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٤٩ .

اللحوم انها كانت تشمل بالأساس لحوم الابقار ولحم الضان وان سعر الاخيركان اكثر ارتفاعا بعض الشيء .(١)

ولم يرد في المصادر أسعار للحوم في العصر الفاطمي في حالة الرخاء ، وانما لدينا سعر يرجع الى العصر المملوكي نقله القلقشندي عن العمري (ت٧٤٩هـ) وهو يجعل اقل سعر للحم " الرطل بنصف درهم وفي الغالب اكثر من ذلك "(٢)

وفي خلافة الحاكم ومع اشتداد المجاعة عام ٣٩٧هـ وصل سعر الكيلو جرام من لحم البقر ٥٢ر١ درهما ومن لحم الضأن الى ٢٨ر٢ درهما (٣) فسارع الحاكم الى استخدام سلاح التسعير ليصل بسعر الكيلوجرام الى ١٤ر١ أي الى النصف من سعر لحم الضأن .(٤) واستمر هذا السعر ثابتا ، كبقية السلع خلال عام ٣٩٨هـ(٥) ويبدو أن ذلك كان بالنسبة للحم الضأن إذ أن لحم البقر كان يباع في عام ٣٩٨هـ بواقع ٥١٦ ومن الدرهم للكيلوجرام (٦) أي أن النسبة بين سعر لحم البقر والضأن ظلت ثابته وهي تقريبا نسبة ١ : ٢ وهو ما يعطي مصداقية أكثر لصحه هذه الاسعار.

---

(١) المقريزي : اغاثه ص١٦.
(٢) القلقشندي: صبح الاعشى ج ٣ ص٤٤٧.
(٣) المقريزي : اغاثه ص١٦.
(٤) المقريزي : اتعاظ ج ٢ ص٦٩.
(٥) المقريزي : المصدر نفسه ص٧٤.
(٦) المصدر نفسه ص٧٤.

اما فى اثناء مجاعة ٤١٠هـ والتى رجحنا ان يكون سببهـــــا الزيادة المفرطـه للنيل الامر الذى كان يؤدى الى غرق أراضى الكـــلا الخاصـه بالمواشى فقد ارتفعت اسعار اللحوم نظرا لندرة غذاء الحيوانـات فوصــل سعر الكيلوجرام منهـا الى ٦٧ر٦ درهما . (١)

ونظرا لانخفاض النيل عام ٤١٤هـ وتفشى الأوبئة بين الحيوانـــات فى نفس العام والعام التالى له فان اسعار اللحوم سجلت ارتفاعا ملحوظـــا اثناء المجاعة التى حدثت فى عهد الظاهر. فبلغ ثمن الرأس من البقـــــر ٥٠ دينارا. (٢) فى شوال من عام ٤١٥هـ فى حين ان سعر الكيلوجــــــرام من اللحم فى هذا الشهر (٣) ٨٥ر٦ درهما انخفض قليلا فى ١٣ ذى القعده (٤) ليبلــغ ٦٧ر٦ درهما الكيلوجرام .

وخلال الشده المستنصرية سجلت أسعار اللحوم أقصى ارتفاع لهـــا فبلــغ سعر الكيلوجرام منها عام ٤٦٤هـ ٧٠ر٢٦ درهما فى ذات الوقـــــت اضطـــر الجوع الناس إلى طبخ جلود البقر وبيع الكيلوجرام منها بما يـــــوازى

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١١٥ .
(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .
(٣) للمقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦١ ـ ١٦٢ .
(٤) المسبحى : اخبار مصر ج ٤ ص ٧٢ .

٥٧ر٤ درهما[١]

وقد قدر المقريزى سعر بيض الدجاج عام ٤٦١ هـ بعشـــــرة قراريـط للواحده[٢] فى حين جعل ابو المحاسن سعر الواحده دينـــــارا كامــلا[٣]

والجأت المخمصـه الناس الى أكل الكلاب والقطط بل وبيعهـــــا حيث وصل سعر الكلب الى ٥ دنانير والقط ثلاثة[٤] ، ولما كانت الجبـــن من منتجات الألبان فان سعرها كان يتأثر ايضا بالمجاعات ففى اثناء مجاعـــة ٣٩٧هـ وصل سعر الكيلوجرام من الجبن الى ٣٣٨ر٣ درهما[٥] فى خـــلال مجاعة ٥٣٦هـ /١١٤١م[٦] وصل سعر الكيلوجرام الى ٥٧ر٤ درهما ٠

رابعا : اسعار الزيــوت :

تأتى الزيوت سواء المستخدمه فى الاكل أو الوقود من بــــذور نباتــات كبذر الكتان ومن السمسم ومن نبات الخس والزيتون وقد تعرضت كلها للتغيير بسبب ازمات الغذاء ٠

سجل سعر الكيلوجرام من زيت الطعام عام ٣٩٧ هـ سعرا يبـــلغ حوالى ٣٣٨ر٣ درهما فى حيــن كان سعر الكيلوجرام من زيت الوقــــود

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧٠

(٢) المقريزى : المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٩٦ ٠

(٣) ابو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ١٧ ويذكر د ٠ راشد البراوى نقلا عن السلاوى ان سعر البيضه كان عشرة دراهم ــ انظر حالة مصر ص ٩٤٠

(٤) المصدر نفسه: ص ١٦٠

(٥) المقريزى : اغاثة ص ١٦ ،

(٦) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥ ٠ وكانت الجبن ضمن الصناعات التى يحصل عليها ضريبه تعرف بمكس دار الجبن وكان مقدارها الف دينار ٠ المقريــزى الخطط ج ١ ص ١٠٤٠

٢٫٢٨٥ درهما ،[١]. ونعلم من نص وقفية الحاكم بأمر الله على جامع الازهر عام ٤٠٠هـ أنه رصد لهذا الجامع من زيت الوقود فى العام الف رطل ومئتا رطل ثمنها مع أجره الحمل سبعه وثلاثون دينارا ونصف ،[٢] ومعنى ذلك ان مجمل الوزن ٥٢٥ كيلو جراما ثمنها ٦٧٥ درهما أى أن ثمن الكيلوجرام بأجره حملة تبلغ ٧٧ر من الدرهم وبذ تكون نسبة التضخم فى سعر زيت الوقود ٢٩٤٪.

وبلغ سعر الزيت (زيت الطعام فيما يبدو) سعرا خياليا فى عام ٤٦٤هـ[٣] اثناء الشدة المستنصرية حيث وصل الى ٥٣٫٤١ درهما ولدينا من عام ٥٣٦هـ وسعر للزيت الطيب (زيت الزيتون) يجعل ثمن الكيلوجرام ١٦ درهما فى الوقت الذى يصل فيه سعر الزيت الحار (بذرة الكتان) ٣٫٤٢ درهما.[٤]

خامسا : اسعار خضروات ومنتجات نباتيه :-

يبلغ سعر البصل خلال عام ٣٩٧ - ٣٩٨هـ / ١٠٠٦ - ١٠٠٧م ٢٫٢٨٥ درهما للكيلوجرام ،[٥] اما القلقاس (وهو نبات درنى) فلدينا تقديران مختلفان لسعره خلال عام ٥٣٦هـ اولهما يجعل سعر الكيلوجرام

---

(١) المقريزى : إغاثه ص ١٦.

(٢) د. صلاح البحيرى : عالمية الحضارة الاسلامية ومظاهرها فى الفنون - حوليات كلية الاداب - جامعة الكويت الحولية الثالثة ١٩٨٢.

(٣) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧.

(٤) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥.

(٥) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٧٤ ، اغاثة ص ١٦.

٢٨٥ر٢ درهما [١] والثانى ينخفض به الى ١٤ ر١ درهما.[٢]

اما السكر وهو أحد المنتجات النباتية — فقد ذكر ابن الجوزى أنه كان يباع بوزن الدراهم[٣]، أثناء الشدة المستنصرية وان كان ذلك القول به بعض المبالغه لان السكر ليس طعاما أساسيا كالخبز أو اللحم الا أنه يدل على مدى ارتفاع سعر السكر خاصة اذا ما عرفنا ان متوسط سعر الكيلوجرام من السكر فى منتصف القرن الثامن الهجرى[٤] فى مصر المملوكية كان ٤٢ر٢ درهما. ولم تنج مخلفات النباتات كالاحطاب والتين الذى يستعمل فى اطعام الحيوانات من موجه الغلاء اثناء المجاعات حتى ان الحاكم أمر فى عام ٣٩٧هـ بتسعير الحطب.[٥] على اساس دينار واحد للعشر حملات أى بواقع ٠٦٤ر٠ درهما للكيلوجرام.

اما التبن فقد وصل سعر الكيلوجرام منه فى جمادى الاخر ٤١٤هـ [٦] الى ٠٨ر من الدرهم وانخفض قليلا فى ربيع الاول ٤١٥هـ[٧] فبلغ

---

(١) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥.
(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ص ١٧٦.
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٥٧.
(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤٧.
(٥) المقريزى : اغاثه ص ١٥.
(٦) المسبحى : اخبار مصر ج ٤ ص ١٢ — ١٣.
(٧) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢.

٠٦٤ر٠ من الدرهم وقد افادتنا وقفية الحاكم على الجامع الازهـــــر (٤٠٠هـ) بأن عشر مائة وخمسين حمل تبن ونصف حمل يبلغ ثمانية دنانير ونصف وثلث ديناره[1] ومعنى ذلك ان السعر العادى للكيلوجرام من التبن ٠٠٤٢ر من الدرهم اى ان نسبة التضخم تبلغ نحو ١٢٠٠٪ من السعـــر العادى٠

وفى الاوقات التى كانت المجاعات مصحوبة بالوباء ، كانت اسعـــــار الاغذية التى تستعمل كدواء للمرضى تسجل ارتفاعا خاصا من حيث انهـــا غذائى ودواء بذات الوقت٠ فالرمان بلغت الثمرة الواحدة منه فى شـــوال ٤١٥هـ ٣ دراهم[2] مع اننا نعرف مما ذكره القاضى الفاضل عن اسعـــار عام ٥٧٨ هـ ان المائة حبه من الرمان الجيو كانت بدرهم واحد[3] وفـــى ذات الشهر شوال ٤١٥ هـ وصل سعر البطيخه البرلسى الواحدة الـــــى ٣٠ درهما وأوقيه الشراب (الدواء) الى درهم واحد[4]

سادسا : سعر الماء :

حتى ماء الشرب كانت اسعاره تتعرض للارتفاع اثناء المجاعات متأثــره فى ذلك بثلاثة عوامل قد تجتمع سويا فى مجاعة واحده هى :ـ

---

(١) د٠ صلاح البحيرى : عالم الحضاره ص ٨١٠

(٢) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٦٩٠

(٣) المقريزى : الخططج ٢ ص ٢٤٠

(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٢٠

١ـ أولها انخفاض منسوب المياه النيل مما يعنى زيادة الجهود المبذول لرفع الماء ·

٢ـ قلـه حيوانات الحمل كالجمال والبغال بسبب نفوقها أو ذبح بعضهـا للاكـل ·

٣ـ ان الارتفاع العام فى اسعار الماكولات كان يوءدى الى ارتفاع الاجـور حتى يتمكن الاجراء من شراء غذائهم ·

فى عام ٤١٥ هـ ارتفعت أسعار الماء وذلك على الارجح يرجع الـى العاملين الاخيرين لان الفيضان كان قدوفى فى هذا العام فبلغ سعر راويـة البغل (المحمولة على البغل) درهمين وراويـه الجمل ثلاثة دراهم (١) ·

وارتفعت اسعار الماء خلال الشدة العظمى فبلغ سعر الراويـه عام ٤٦١ هـ دينارا واحد ،(٢) وبلغ اثناء عام ٤٦٣ هـ ١٣ قيراطا ·(٣)

(ب) انخفاض اسعار العقارات والسلع غير الغذائيه :

على عكس حال السلع الغذائية كانت ما عداها من الاملاك والسلـع التى كانت تعد مخزنا للقيمة كالجوا هر والعقارات ـ يتعرض سعرهـا للانخفاض السريع فى قيمته حتى اذا ما رغب اصحابه فى عرضه للبيع من أجـل

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ ·

(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٩٦ ·

(٣) ابو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ١٥ ·

النقـود لشراء الغذاء لم يجدوا من يشتريـه.

ففى ابان مجاعة ٤١٤ هـ ـ ٤١٥ هـ كانت الثياب والامتعـه تعـرض فى الاسواق وينادى عليها فلا يوجد من يدفع درهما فما فوقه. [(١)] وفى خلال الشدة المستنصرية تعرضت قيمة العقارات للهبوط العنيف ، فأصبح المنزل يباع مقابل عشرين مكيالا من القمح. [(٢)] وبيعت فى عام ٤٦١ هـ دار ثمنها ٩٠٠ دينارا بأقل من تليس دقيق (التليس ٩٧٫٥ كيلوجرام) وفى نفس العام بيعت حارة بمصر (الفسطاط) بطبق خبز حسابا عن كل دار رغيف فصارت تعرف بحاره الطبق حتى دثرت فيما دثر من خطط مصـر. [(٣)] ويذكر أن امراه خرجت تروم بيع جواهرها فلم تجد من يشتريها فألقت بهـا فى الطريق فلم يلتفت اليها أحد. [(٤)].

وتحفل مصادر تاريخية شتى بأوصاف لاحصر لها لما أخرج من خزانـه المستنصر من كنوز على يدابن حمدات بأسعار نورد منها أن سبعه أمداد من الزمرد تقدر قيمتها بـ ٣٠٠٫٠٠٠ دينار [(٥)] بيعت بخمسمائة أى $\frac{1}{600}$ من

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٢ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٤.

(٢) د. محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ص ١٠٥.

(٣) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٤) ابو المحاسن : النجوم ج ٥ ث ١٧.

(٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤١٤.

قيمتها وبيع عقد جوهر تقدر قيمته بحوالى ٨٠٫٠٠٠ دينارا بالف دينـار[١] اى بما يعادل $\frac{١}{٨٠}$ من قيمتـه الحقيقيـه.

علاقـه الاسعار بالمرتبـات :

من خلال الاستعراض السابق لاسعار المواد الغذائية فاننا يمكـن ان نطمئن الى أن الاسعار المعطاه فى عهدى الحاكم والظاهر تتسـم بقدر كبير من التناسق فيما بينها وخاصة ما بين القمح والدقيق والخبـز وعلى الأخص أرقام مجاعة ٤١٤ ـ ٤١٥ هـ حيث ان مصدرها الرئيسـى كان تاريخ المسبحى القريب عهد بأحداثها.

ولما كانت المصادر التاريخية قد أمدتنا برواتب لبعض الموظفيـن فى الدولة فانه با مكاننا تلمس مستوى الحياة الاقتصادية لبعض افـراد الطبقات الوسطى والصغيره فى المجتمع المصرى لمعرفة مدى تأثر قوتهـا الشرائية بأسعار المجاعات وتحديد مستوى معيشتها خلال هذه الاوقـات وسنجعل من القمح مرجعنا الرئيسى للاسعار حيث انه اكثر المواد تـداولا فى غذاء الشعب الأساسى.

---

(١) ابن الزبيـر: الذخائر والتحف ص ٢٥٣.

وبداية فان متوسط ما يحتاجه الانسان من الحبوب ليبقى على قيد الحياه يقدر برطل واحد من الحبوب (١) وهو ما يعادل ٤٣٧٫٥ جرام . واذا ما افترضنا ان الموظف الواحد يعول اسرة تتكون من زوجة وابنين اى اربعه افراد فان ما يحتاجه يوميا من الحبوب لتامين حياتهم يبلغ ١٫٧٥٠ لكيلوجرام اى ان حصيلة الكمية الشهرية تبلغ ٥٢٫٥ كيلوجرام.

وسنبدأ برواتب الموظفين بالجامع الازهر الذين حددتهم وقفية للحاكم بامر الله عام ٤٠٠هـ (٢) ولا نعتقد ان هذه المرتبات قد تعرضت للزيادة حتى نهاية العصر الفاطمى حيث انها كانت محدده فى وقفية

اولا : خطيب الجامع : (٣)

وهو على قمة السلم الوظيفى ويعد من الشرائح العليا للطبقة المتوسطه وراتبه الشهرى ٧ دنانير اى ما يوازى ١٦٢ درهما حسب الاصلاح النقدى الذى اصبح بمقتضاه سعر الدينار ١٨ درهما فى عهد الحاكم ، ١١٢ درهما حسب سعر الصرف ١٦ درهما للدينار منذ

---

(١) وهو ما يعادل ١٥٠٠ سعر حرارى ـ انظر مورلاييه (فرانيسيس) : صناعة الجوع ص١٨ ، ٢٦ وحسب احصاءات الامم المتحده الاخيره فان نصيب الفرد من الحبوب فى الدول الفقيرة يوازى ١٣٦ كيلوجراما فى العام اى ٣٧٧ جراما يوميا ، انظر : د. محمد على الفرا : مشكلة انتاج الغذاء فى الوطن العربى : سلسلة عالم المعرفة العدد ٢١ الكويت ١٩٧٩ ص٢٢

(٢) د. صلاح البحيرى : عالة الحضارة ص٧٩ ، ٨١.

(٣) عن الخطيب فى العصر الفاطمى انظر : د. حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية دار النهضه العربية ١٩٦٥ ج ١ ص ٤٨٢.

تطور متوسط سعر احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم إلى نهاية عهد الظاهر مقارنا بالمرتبات

سعر احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم

١٧٠
١٦٠
١٥٠
١٤٠
١٣٠
١٢٠
١١٠
١٠٠
٩٠
٨٠
٧٠
٦٠
٥٠
٤٠
٣٠
٢٠
١٠

مرتب خطيب الجامع الأزهر

تسعير — — —

مرتب خازن دار العلم

مرتب امام الصلاة

مرتب المؤذنين والقومة والمشرف على الأزهر

مرتب فراش دار العلم

مرتب عامل مسجد

السنة الهجرية

٣٩٧
٣٩٨
جمادى الآخر
٤١٤ بعد جمادى الآخر
ربيع الأول ٤١٥
ذو القعدة
ذو الحجة

تطور متوسط سعر احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم بعد عهد الظاهر مقارنا بالمرتبات

عام ٤٣٦ هـ حتى عام ٤٤١ هـ عندما ضربت دراهم جديدة كل ٣٥ منهـــا بدينار (١) الا أن سعر الدينار عاد الى ١٦ درهما ايام الشده.(٢)

فى خلال اعوام ٣٩٧ ـ ٣٩٨هـ يكون سعر ٥٢,٥ كيلوجرام يــوازى ٦٧,٨٣ درهما من مجمل ١٦٢ درهما هى راتبه الشهرى ومعنى ذلك أن خطيب الجامع الازهر كان فى مجاعة ٣٩٧ ـ ٣٩٨ هـ فوق خط الفقر والحاجه.

اما فى مجاعة الظاهر لاعزاز دين الله فان سعر القمح فى جمــادى الاخــر ٤١٤ هـ يجعل ثمن ٥٢,٥ كيلوجرام يوازى ٨,٦١ درهما وبعـــد جمادى الاخر يتضاعف السعر الى ١٧,٢٢ درهما وفى ربيع الاول ٤١٥ هـ يبلــغ سعر هذه الكميــه ٢٦ درهما . وفى اقصى ارتفاع للسعر فى هذه المجاعـــة فى ذى الحجه ٤١٥ هـ يصل سعر للكميــه اللازمة للأسره شهريا الى ٣٧,١٤ درهما وبذا يظل خطيب الجامع الازهر فوق خط الفقر فى عهد الظاهــــر لاعزاز دين الله حتى وقت اشتداد الازمات واذا ما توغلنا الى عهد المستنصر بالله فان مرتب الخطيب ينخفض الى ١١٢ درهما لان سعر صرف الدينـــار صار ١٦ درهما ، فى مجاعة ٤٤٦ هـ بلغ سعر ٥٢,٥ كيلوجرام ٦٨,٨٨ درهما اى أن غذاء الحد الادنى من الحبوب وحده يلتهم اكثر من ٦٠٪ من الراتب

---

(١) Balog (P.) History of the Dirham in Egypt from the Fatimid conquest until the collapse of the Mamluk Empire, R.N. Vie Série 1976 P. 115.

(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤١٦.

الشهرى لخطيب الجامع الازهر ، الا ان مجاعة المستنصر الكبيره أدخلت خطيب الجامع الازهر فى دوامه الفقر ودفعت به الى ما أسفل خط الفقر فأقل تقدير لسعر القمح وهو فى عام ٤٦٤ هـ [1] يجعل ثمن هذه الكميه من القمح يوازى ٢١٣٫٣ درهما ناهيك عن التقديرات المرتفعه الاخرى ومعنى ذلك أن راتبه يشترى ما يقدر وزنه بـ ٢٧٫٥٦ كيلوجرام اى احتياجات ١٦ يوما فقط ، وفيما عدا الشدة المستنصرية ومجاعة عام ٤٩٧ هـ – التى يبلغ سعر ما يحتاجه من القمح خلالها ٣٤٤٫٦١ درهما -اى اكثر من ثلاثة اضعاف راتبه الشهرى – يظل فى مقدور خطيب الجامع الازهر ان يقوم بأعبائه الأسرية فى شراء الغذاء ،هذا اذا لم تتاخر الدوله او تنقطع عن تسديد راتبه الذى ياتى من أوقاف،بعضها اطيان زراعيه،خلال المجاعات والازمات.

ثانيا: امام الصلاه بالجامع الازهر :[2]

وراتبه دينارين $\frac{٢}{٣}$ دينار + $\frac{١}{٨}$ دينار شهريا فاذا كان سعر الصرف ١٨ درهما يكون راتبه ٥٠٫٢٥ درهما وفى حالة سعر الصرف ١٦ درهما يكون ٤٤٫٦٦ درهما مع أقصى سعر لمجاعات عام ٢٩٧ – ٢٩٨ يكون ثمن الـ ٥٢٫٥ كيلوجرام ٢٨٫٦٧ درهما اى يتبقى له من راتبه ١١٫٥٨ درهما لمتطلبات الحياة الاخرى . ويظل امام الصلاه فى عهد الظاهر لاعزاز دين

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧.

(٢) امام الصلاه هو الذى يؤم المصليين فى الجامع وكانت توليته للوظيفة تصدر عن الخلفاء انظر: د. حسن الباشا : الفنون والوظائف ج ١ ص ١٠٨.

الله أفضل حالا حيث يصل سعر الكميه المطلوبه لعيش اسرته الصغيره ١٤ر٣٧ درهما فى حالة أقصى سعر وصل إليه القمح فى مجاعة ٤١٤ هـ — ٤١٥هـ وفى مجاعة ٤٤٦ هـ كان مرتب امام الصلاه كافيا فقط لشراء احتياجات ٢٠ يوما من القمح تقريبا .

وبالنسبة لأدنى سعر للقمح فى الشده العظمى فان راتب امام الصلاه يكفى فقط لشراء ١١ كيلوجرام تقريبا اى احتياجات أقل من اسبوع . وفى بدايات ٤٩٧ هـ لم يعد يكفى راتب امام الصلاه الا لشراء ٦ر٨ كيلوجرام أى احتياجات أربعه ايام فقط وبعد ذلك يقفلت أمام الصلاه من خط الحاجه والعوز فى المجاعات الاخرى عدا عامى ٥٣٦هـ ، ٥٥١هـ ففى عام ٥٣٦هـ يبلغ سعر احتياجاته من القمح ٦ر٦٤ درهما ويغطى مرتبه فقط ما يزين ٢٨ر٣٦ كيلوجرام اى احتياجات ٢٠ يوما تقريبا من الشهر . اما فى عام ٥٥١ هـ فان ثمن ما يحتاجه لاسرته من القمح يبلغ ٤٣ر٥٧ درهما بينما يغطى راتبه ما يزن ٨ر٤٠ كيلوجراما اى احتياجات ٣ر٢٣ يوما من الشهر .

ثالثا : المؤذنون والقومه والمشرف على الجامع :

ويحدد راتبهم بدينارين شهريا أى من ٣٦ الى ٣٢ درهما . لم يفلت أى من هؤلاء الموظفين خلال مجاعات الحاكم من خط الفقر حيث يبلغ سعر ما تحتاجه اسره كل منهم من القمح ٦٧ر٣٨ درهما ، بينما يكفى مرتب كل منهم لتأمين ما يزن ٧٥ر٤٨ كيلوجرام أى احتياجات ٨ر٢٧ يوما وتعد هذه الفئات مستفيده رئيسية من سعر التسعير الذى قرره الحاكم عام

٣٩٧هـ وحيث يجعل هذا السعر ما يحتاجونه من القمح يقدر بـ ١٢٫٣٧ درهما .

وخلال مجاعة ٤١٤ ـ ٤١٥ هـ لم تدفع الاسعار بالقوة الشرائية للموذنين والقومة إلى قرب خط الفقر الا بعد شهر ذى الحجه عام ٤١٥هـ حيث بلغت سعر احتياجاتهم ١٤٫٣٧ درهما واصبح راتبهم قادرا على الوفاء باحتياجات اسرهم لمدة ٢٩ يوما من أيام الشهر .

وفى مجاعة ٤٤٦ هـ فى خلافة المستنصر لم يعد المؤذنون والمقومه بقادرين على شراء اكثر من ٢٤٫٣٩ كيلوجرام أى احتياجات ١٣٫٩٣ يوما من الشهر . فى ظل أدنى تقدير لأسعار القمح خلال الشدة العظمى لم يعد هؤلاء الموظفون بقادرين على شراء اكثر من ٧٫٨٧ كيلوجرام وهو ما يمثل احتياجات ٤٫٥ يوما .

وكان الحال اكثر سوءا بالنسبة لهم فى النصف الأول من عام ٤٩٧هـ وحيث اصبحت القوة الشرائية لراتبهم غير قادرة على الوفاء بأكثر من ٤٫٨٧ كيلو جرام أى احتياجات ٢٫٧٨ يوما . ولم يكونوا أحسن حالا فى عام ٥٣٦ هـ فقد تقلصت قوتهم الشرائية الى ٢٦ كيلوجرام أى احتياجات ١٤٫٨٥ يوما ولم يتغير الامر كثيرا فى ٥٥١ هـ الذى بلغت قدرتهم فيه على شراء القمح ٢٩٫٢٥ كيلوجرام أى احتيجات ١٦٫٧١ يوما .

رابعا : قيم الميضأه :

وراتبه كما حددته وثيقة الحاكم دينار واحد فى الشهر (١٨-١٦ درهم) وهو يقبع فى آخر السلم الوظيفى بالجامع الازهر. وطوال مجاعة ٣٩٧ - ٣٩٨ كان قيم الميضأه أسفل حظ الفقر حيث لم يكن راتبه بقادر على شراء اكثر من ٢٤٫٣٧ كيلوجرام أى احتياجات ١٣٫٩ يوم ، ويعد قيم الميضأه معنيا بالتسعيرة التى أقرها الحاكم حيث تجعل بمقدوره شراء كل احتياجاته من القمح بمبلغ ١٢٫٣٧ درهما ، وكذا تسعير ٤١٥هـ فى عهد الظاهر حيث بلغ ثمن احتياجاته ما يوازى ٢١٫٥٣ من مجمل راتبه ٢٢٫٥ درهما (سعر الصرف ١٨ درهم).

واستثناء سعر عام ٥٢١ هـ فان قيم الميضأه منذ عهد الظاهر لاعزاز دين الله كان غير قادر على تأمين احتياجات أسرته الاساسيه من القمح .

ولدينا رواتب الخازن والفراش بدار العلم التى أنشاها الحاكم فى القاهره والتى أقرو رواتبها منذ عام ٤٠٣هـ ويعطى للمخازن بهذه الدار ٤ دنانير شهريا وللفراش $\frac{1}{4}$١ دينار شهريا .(١)

---

(١) ايمن فؤاد سيد : نصوص ضائعه ص ٣١ ، المقريزى الخطط ج ١ ص ٣٥٩ .

أ ـ الخازن : (١)

ظل راتب خازن دار العلم يفي باحتياجاته من القمح حتى الشده العظمى ، فان أقل سعر للقمح وقتها كان يتيح له شراء ما يزن ١٥ر٧٥ كيلوجرام من القمح وهو ما يغطي احتياجات الأسره الصغيره في ٩ أيام فقط. ولم يلحق الضرر بعدها بخازن دار العلم الا في النصف الاول من عام ٤٩٧ هـ اذ تقدر قوة راتبه الشرائية خلاله بما يعادل ٩ر٧٥ ويكفي ذلك القدر باحتياجات ٥ر٥٧ يوما .

ب ـ الفراش :

يظل راتب الفراش غير كاف لمواجهة متطلبات اسرته من القمح طوال الازمات والمجاعات التي عصفت بمصر الفاطمية باستثناء .

١ ـ اسعار التسعير في ٣٩٧هـ ، ١٦ ذي القعده ٤١٥ هـ .

٢ ـ اسعار عام ٥٢١هـ .

ولم يستفد الفراش من تسعير عام ٤٤٦ هـ حيث لم يكن راتبه يكفي لشراء اكثر من ٦٥ر٤٠ كيلوجرام اي احتياجات ٢٢ر٢٣ يوما .

تلك كانت شريحه من الطبقات الوسطى للمجتمع المصري في العصر الفاطمي ومدى تأثرها بالمجاعات ونلاحظ انه كلما اقترب الموظف من الاعمال

---

(١) عن وظيفة الخازن انظر : د . حسن الباشا : الفنون والوظائف ج ١ ص٤٤٧ .

البدنية او غير الذهنية قل راتبـه.

على أنه لا ينبغى أن يتبادر الى الذهن ان ذلك كان حـال كل العاملين بمساجد مصر، فقد كان بمصر عام ٤٠٣هـ ثمانمائـه مسجـد أحصاها الحاكم كانت لا تتلقى نفقات من الدوله. (١)

وقد ورد فى أحد البرديات التى ترجع الى ٣٥٦هـ / ٩٦٧م إشـارة إلى خادم بمسجد(٢) أجره فى السنة ثلاثة دنانير ونصف(٣) لا يستبعـد أن يظل هذا الراتب قائما بالنسبة لقومة صغار المساجد فى العصر الفاطمـى (٢٥ر٥ دِرهما بسعر ١٨ درهما للدينار).

اما الصناع والحرفيون فان أجورهم كانت تتفاوت بحسب العمل الـذى يؤدونه فالخياط كان أجره عن عمل ثوب $\frac{١}{٨}$ دينار (درهمان) وعن خياطـة غلاله امرأه أربعه دراهم وربع.(٤)

ويستفاد من بردية عربية ترجع إلى القرن ٣ - ٤ هـ ان أجره بنائين كانت تبلغ سته دراهم فى اليوم وغداهم درهم واحد وأن ستة من أعوانهـم (رقاصين يحملون مقابل غداءلهم بدرهم ونصف.)(٥)

---

(١) ايمن فؤاد سيد : نصوص ضائعه ص ٣١.

(٢) عن وظيفة خادم المسجد انظر : د. حسن الباشا : الفنون والوظائف ج ١ ص ٤٤٦.

(٣) Grohmann(A.), Op. Cit. Vol. II.P. 104, Pl.XIII.

(٤) د. راشد البراوي : حالة مصر ص ١٥٠.

(٥) Grohmann(A.), Op. Cit. Vol. VI. PP. 81-82, Pl. XII.

وغنى عن البيان مدى ما يمكن أن يصيب هؤلاء الحرفيين من ضرر من جراء ارتفاع الاسعار خاصه وانهم لم يكونوا يعملون فى حرفهم بشكل يومى وكانت أعمالهم، وخاصة غير المتعلقه بالغذاء، تتعرض للتوقف أثناء المجاعات .

تأثير المجاعات على السكة الفاطمية

ظلت السكة المستخدمه فى مصر طوال عصر الولاه • هى ذات السكه الاسلامية المتداوله فى أرجاء الخلافه الاسلاميه[١].

وكانت قاعده النقد Etalon Monétaire بعد الفتح العربى هى الذهب ، أى أن مصر كانت تسير على نظام المعدن الفردى Monometallisme حيث كان للذهب قوة ابراء غير محدوده[٢]، حتى أن المقريزى يذكر أن نقد مصر كان دوما الذهب ، وأن أول ذكر للدراهم الفضه بمصر كان فى أيام الحاكم بأمر الله[٣] ، وهو ما يخالف الحقيقه ، اذ أن هناك أدله تثبت عكس ذلك سواء فى أوراق البردى العربيه أو صنج السكة الزجاجية فى عصر الانتقال[٤]. فقد كانت قاعده النقد هى الذهب ، مع استعمال الفضه والنحاس كعملات مساعدة وخاصه فى الصفقات والمعاملات الصغيره •

ومنذ خلافة هارون الرشيد (١٧٠ ــ ١٩٣هـ) كان اسم والى مصر يظهر على السكة وتدعم ذلك الحق بصورة أكثر قوة فى عهد والى مصر أحمد بن طولون الذى نقش اسمه على السكه بجانب اسم الخليفه العباسى[٥]

---

(١) د • سيده كاشف : مصرفى عصر الولاه • سلسلة الالف كتاب العدد ٢٤١ • القاهره ــ بدون تاريخ ص ٤٨ • ويقصد بالسكه " الدينار والدرهم المضروبين سمى كل منهما سكة لانه طبع بالحديدة المعلمه ويقال لها السكة وكل مسمار عند العرب سك وقال الفارابى فى ديوان الأدب السك المسمار والسكة بكسر السين سكة الدراهم " المقريزى : الاوزان والاكيال الشرعية ــ نشره 1800 Rostocku ; Lychsen ص ٣٩ •

(٢) د • عبد الرحمن فهمى : النقود العربيه ماضيها وحاضرها ــ المكتبة الثقافية ــ القاهره ١٩٦٤ ص ٢٠ ــ ٢١ •

(٣) المقريزى : اغاثه الامه ص ٦٤ •

(٤) د • عبد الرحمن فهمى : مجموع النقود العربيه وعلم النميات ــ فجر السكة العربيه ــ دار الكتب ــ القاهره ١٩٦٥ ص ٦٦ •

(٥) د • عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٥٠ ــ ٥٥ •

ومع استيلاء جيوش الفاطميين على مصر عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩م ، دخلت سكة مصر طورا جديدا ، فمن الناحية السياسية حل اسم الخليفه الفاطمي محل اسم الخليفه العباسي ومن الناحية الدينية ظهرت العبارات التى تشير الى عقيده الفاطميين الشيعية مثل " على أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين"[١] أما من الناحية الشكلية فقد اتسمت النقود الفاطميه بكمال استدارتها .[٢]

ويعد الفتح الفاطمى لمصر تدشينا جديدا وتأكيدا لعصر سيادة الذهب الذى كان النقد الرئيسى منذ ما قبل الفتح العربى وحتى قدوم الفاطميين .[٣] وان لم يستمر ذلك طويلا وقد أفاد الفاطميون من سيطرتهم على طرق الذهب الاتى من بلدان السودان الغربى اثناء سيطرتهم على المغرب ، فحصلوا على رصيد ذهبى ضخم أعانهم على أعمال الدعوة فى مصر ثم غزوها حتى أنهم حملوا معهم عددا ضخما من الدنانير المغربيه عند فتحهم مصر[٤] وتروى المصادر التاريخيه ان المعز لدين الله لما خرج من المغرب قاصدا مصر سبك من الذهب ثمانمائة رحاة وحملها بأحمال على

---

(١) Ziya (Ahmed) Catalogue of Islamic Coins. Constantinpole - 1910 .P. 140.

(٢) Porteous (John): Coins in History London 1969.P.36.

(٣) يرجع بعض المؤرخين الاقتصاديين ظاهره توفر النقد الذهبى ببلدان الشرق عامه الى أن ميزان المدفوعات كان يميل لصالح الشرق الذى كان يحصل على مبالغ كبيره من النقود الذهبيه خلال عملية التبادل التجارى مع الغرب — انظر

Ashtor (E.) Les Metaux Précieux et la Balance des Payements du Proche orient A.la Basse Epoque. Paris 1971. P. 65.

(٤) لومبار (موريس) : الأسس النقدية للسياده الاقتصادية — الذهب الاسلامى منذ القرن السابع الى القرن الحادى عشر الميلادى — ترجمة توفيق اسكندر ضمن بحوث فى التاريخ الاقتصادى — الجمعية المصرية للدراسات التاريخيه القاهره ١٩٦٦ — ص٦٣ .

أربعمائة جمل ، بل وأنه حمل أربعه عشر حملا من الاكسير الجيد الـــذى اذا وضع منه قليل على قنا طير نحاس صار ذهبا .(١)

ويدل الامان الذى أعطاه جوهر للمصريين على اضطراب حالـــة النقد بالبلاد عند الفتح ، اذ وعد جوهر بتجويد العمله ومنع الغش منها(٢) فى سبيل ذلك خصصت الدولة مكانا محددا للصيرفه يسهل الاشراف عليه سمى برحبه الصيارفه بجوار جامع عمرو بالفسطاط ،(٣) وكان المحتسب يتولــى مراقبــه الصيارفه عند وقوع أى خطأ منهم ، وعندما حاول الصيارفـــه اثاره الشغب عام ٣٦٢هـ لتأديب المحتسب لبعضهم ، هدد جوهر باحـــراق رحبة الصيارفـه(٤) .

وقد أكد الفاطميون سيادتهم السياسية ، بمنع تداول الدينـــار الراضى العباسى ، الذى أنخفض سعره نتيجه لاصرار الدوله على جبايـــه الخراج بالدينار المعزى وحده .(٥)

---

(١) ولعل فى هذه المبالغه الأخيره ما يشير الى ضخامه كميات الذهب ـ انظـر: مجهول : انسان العيون ـ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .
وقد قد ربعض المؤرخين هذه السبائك الذهبيه بثلاثة وعشرين مليـــون دينار ـ د. حسن الباشا (وأخرون) القاهره ـ ص ٥٣٩ .

(٢) د. عطيـه مشرفـه : نظم الحكم ص ٣٩٥ .

(٣) د. عبد الرحمن فهمى : النقود العربيه ص ٦٥ .

(٤) د. حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصـر ص ١٨٦ .

(٥) المقريزى : شذور العقود فى ذكر النقود ـ تحقيق محمد السيد على بحـر العلوم ـ العراق ـ ط ٥ ١٩٦٧م ـ ص ٢٧ ، وكانت عمله الفاطميين تضـرب من الدينار وأجزائه ويلاحظ كثرة أجزاء الدراهم بها ـ أنظر:
Lane - Pool(S.) The Coinage of Egypt. London. 1879, P. VII.

المجاعات وظاهرة الاكتنـــاز :

ليس الاكتناز الا نوعا من أنواع الطلب على النقود [١] ، وذلك باعتبار أن الذهب والفضه سلعا لها سعر للتداول فى السوق •

وقد كان من جراء ما يصاحب المجاعات من ارتفاع لأسعار السلع الغذائيـــه وهو ما يعنى من ناحية أخرى انخفاض القوة الشرائية للنقود فان النـــاس كانت تسارع الى اختزان الذهب (الدنانير) خوفا من خسارته وطمعـــــا فى الاستفاده من قيمته بعد انتهاء المجاعات وهو ما يشبه ما يحدث الآن اثناء الحروب من اختزان المعادن النفيسه رغم ارتفاع اثمانها خوفا من قيمـــــة النقد الورقى بعد انتهاء الحرب •[٢]

وقد ساعد على تفاقم ظاهر الاكتناز تلك الارباح الهائلة التى كـــان يجنيها تجار السلع الغذائية — على وجه التحديد — من جراء ارتفـــاع الأسعار ، فقد كانوا يحوزون حجما ضخما من النقد الذهبى الذى يضطـــر اصحابه للتخلى عنه من أجل شراء الطعام ، وبعد انتهاء الأزمة الاقتصاديـــه تستعيد النقود قوتها الشرائية وترتفع قيمتها ، واذا انطلقت المكتنزات التى كونها الأفراد فى الماضى نحو الانفاق لاى سبب من الأسباب فانها بلاشـــك

---

(١) د • رمزى زكى : مشكلة التضخم — ص ٥٥ •

(٢) د • راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٠٧

تمثل اضافة حقيقيه لكمية النقود المتداوله [1] ولكن درجه تطور المجتمع في فترة الدراسة وطبيعه احتياجات السكان واتجاهات الاستهلاك لم تكن بقادره على فك جزء كبير من هذه المكتنزات التى ظلت على حالتها كنقود ومنها ما وصلنا من نقود الفاطميين ، أو فى حالات أخرى تحولت الى حلى عن طريق ثقبها [2] أوسبكها واعادة صياغتها حليا ، كما أن ارتفاع الاسعار كان يدفع أصحاب المكتنزات الصغيره الى فكها dishoordings. وتداولها في السوق مما يزيد الطلب على المعروض من السلع فترتفع اسعارها [3] وكانت هذه المكتنزات الصغيره تؤول لصالح اصحاب المكتنزات الكبيره من التجار.

وكانت كل مجاعة تحدث تدفع بمزيد من الذهب الى ظلام الاكتناز خاصه وان الذهب كان يعتبر بالنسبة للدراهم " عمله جيده " وطبقا لقانون جريشام فان العملة الرديئه (الفضه) طردت العمله الجيده (الذهب) من السوق واخرجتها من دائرة التعامل الدائم. [4]

وقد أدى ازدهار التجارة الخارجية الى تدعيم مركز التجار المالي ومكنهم من الاحتفاظ بثرواتهم وتنميتها حتى أنهم كانوا يعدون قوة تمويليه

---

(١) د. رمزي زكي : مشكلة التضخم ـ ص ٥٠.

(٢) توجد قطع عديده بها ثقوب مثال ذلك دينار ضرب مصر عام ٣٦٠ هـ ومحفوظ بدار الكتب المصرية سجل ١٣٣٨ (لوحه ٥) ودينار من نفس المجموعه سجل ١٣٧٨ مؤرخ بعام ٣٧٣ هـ ضرب مصر (لوحه ١٣) ودينار ثالثا نشره Miles من ضرب الاسكندرية عام ٥٤٧ هـ . انظر :
Miles. (G.) Fatimid Coines, New York -1951, P.48.

(٣) د. رمزي زكي : المرجع السابق ص ٥٠.

(٤) Ehrenkreutz(A.), Arablic Dinars struck by the Crusaders, Journal of Economic and Social History of Orient Vol. VII Part II. 1964 P. 179.

ضخمه يمكن أن تقوم بتمويل الخليفه نفسه فى وقت الازمات حتى أن بعض رجال الدولة اقترح مصادرة التجار اثناء مجاعة الظاهر عام ٤١٥ هـ.[١]

وليس من المستغرب ان تكون بداية ظهور قاعده المعدنيين فى مصر تاليه لسلسلة المجاعات التى وقعت فى عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٧، ٣٩٥، ٣٩٨ هـ) فبعد ارتفاع الأسعار كان يزداد الطلب على الذهب وكلما بلغت المجاعة حدا خطيرا ارتفع سعر الدرهم[٢] وما ارتفاع سعر صرف الدراهم مقارنة بالدينار الى ٣٤ درهما فى عام ٣٩٧ هـ[٣] الا الوجه الآخر لارتفاع سعر الدينار نتيجه لزيادة الطلب عليه ولم تكن محاولة الحاكم اقرار سعر صرف رسمى للدراهم وضرب الدراهم الجديدة الجيدة الا محاولـه لوقف الطلب على الذهب عن طريق ادخال قاعده المعدنيين وهو ما سيأتى لاحقا عند الحديث عن النقود الفضيه.

ولاشك ان توالى المجاعات فى العصر الفاطمى وانخفاض القوى الشرائيه للنقود غير مرة أن يدفع بمزيد من الارباح الى جيوب التجار وهنا تتجاوز النقود وظيفتها من مجرد وسيط للتبادل لتصبح مخزنا للقيمة أداة من أهم الادوات التى يستخدمها المجتمع كشكل من اشكال الاحتفاظ بالثروة[٤] واضافة

---

(١) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص٨٦.

(٢) Balog (P.), Op. Cit. P. 115.

(٣) كان سعر الصرف فى عام ٣٩٥ هـ عندما بدأت المجاعة ٢٦ درهما ارتفع عام ٣٩٧ هـ الى ٣٤ درهما. المقريزى : اغاثة الامه ص ١٤.

(٤) د. رمزى زكى : المشكلة التضخم ص ٥٥.

الى مكتنزات التجار فان ظهور الوزراء النظام والعسكريين كقوة حاكمه فى البلاد واتساع عددهم هم وحواشيهم عن الخليفه وآل بيته واتجاه هؤلاء الى زيادة ثرواتهم بطرق شتى سعيا وراء لتوطيد نفوذهم قدأدى الى زيادة المكتنزات وهو ما تكشف عنه تركات الوزراء واملاكهم من الذهب والفضه .

وقد خلف الافضل بن بدر الجمالى ٦ مليون دينار عينا و ٢٥٠ أردبا دراهم من نقد مصر(١) واستغرق نقل تركته اربعين يوما ووجد بها أيضا ثلاثين راحله احقاق ذهب رمائه مسمار ذهب زنه كل مسمار ماءة مثقال ومناديل مذهبه(٢) ، هذا فضلا عما تركه من اوانى الذهب والفضه والتى كان من بينها سبعماءة طبقت ما بين ذهب وفضه (٣) وصندوقا من كبيران فيهما إبر ذهب برسم النساء ودواه ذهب فيها جوهرباثنى عشر الف دينار. (٤)

وعندما ألقى القبض على المأمون البطائحى وزير الامر باحكام الله عام ٥١٩ هـ وجد له سبعون سرجا من ذهب مرصع ووجد لاخيه الموتمن سرج محلى ذهب .(٥)

---

(١) ابن خلكان : المصدر السابق ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ ويذكر د . المناوى أن وزن الدراهم كان خمسين اردبا فقط وان الدنانير كانت ٢٥٠٠٠٠ر٦ مليون . انظر الوزاره والوزراء ص ٩٠ .

(٢) مؤلف مجهول : انسان العيون ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ويذكر المؤلف ان الافضل حصل كل هذه التحف من كنز وجده !!

(٣) د . المناوى : المرجع السابق ص ٩١ .

(٤) السيوطى : المصدر السابق ج ٢ ص ١١٧ .

(٥) د . المناوى : الوزاره والوزراء ص ٩٢ .

ورغم تدهور سلطان الخلفاء الا انهم ظلوا متحفظين بثروات ضخمه كان من ضمنها المصوغات الذهبيه والاوانى الفضية والنقود فذلك حتى عهد آخر خلفائهم العاضد (١).

ولم يكتف التجار بما حصلوا عليه من مكاسب نتيجه لارتفاع الأسعار بل حصلوا أيضا عن طريق الشراء على ما أخرج من خزانة المستنصر من التحف والذخائر وخاصة من الذهب والفضه والتى كانت تباع بثمن بخس (٢) فزدات بذلك مكتنزاتهم • كما حصل العسكريون على جزء من هذين المعدنين حيث كانت الالات المصوغه المجراة بالذهب تسبك وتفرق عليهم (٣) وكان من نتيجه الشدة العظمى ان مكتنزات الذهب والفضه التى جمعها الخلفاء والفاطميون خرجت من صورة الخليفة الى فئات كانت قادره على الاكتناز بعد حرم السوق من هذه الأرصده حيث كان فى مكنة الخليفة سبكها ودفعها الى الاسواق طالما كانت بحوزته • وما ازدهار صياغة الحلى فى القرنين الخامس والسادس بعد الهجره ١١/١٢م الا صورة أخرى للتعبير عن مكتنزات الذهب والفضة (٤)

---

(١) ابو شامه : المصدر السابق ج ١ ص ١٩٤ •

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ج ١ ص ٦١ •

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤١٥ •

(٤) تعود معظم الأمثله الفاطميه للحلى الموجوده بمتحف الفن الاسلامى الى القرن ٥ — ٦ هـ • انظر:
أحمد ممدوح حمدى : معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامى القاهرة ١٩٥٩م •

الانفاق الترفي :

يعد الانفاق الترفي تعبيرا عن تزايد حجم مكتنزات مياسير التجار والوزراء وحواشيهم ورجال الجيش الذين افادوا من ضعف سلطة الخليفة وتراخي قبضته السلطه المركزية من بعد خلافة الحاكم بأمر الله .

فقد تركزت ثروات البلاد من عوائد الاراضي والمكوس في ايدي الوزراء وحواشيهم والجنود في صورة رواتب نقدية وعينية واقطاعات بينما افاد التجار من استثمار اموالهم في تجارة العبور المزدهرة ومن المضاربه بأقوات الشعب بل أن بعض الوزراء مارس الاحتكار في السلع الغذائية مثل افعل الصالح طلائع بن رزيك .

وقد ازداد انفاق الدولة على الملابس او الكسوات وخيوط الذهب التى كانت تحلى بها هذه المنسوجات الى ٤٣ ألف دينار في خلافه الآمر بأحكام الله .(١)

---

(١) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص ٥١ ربما كان الحاكم اول من فطن الى خطورة التوسع في استعمال الثياب الذهبيه على رصيد البلاد من الذهب فأمر بالغاء مايصنع منها سواء اكان في خزائن الكسوات ام مصانع النسيج الحكومية المعروفه بالطراز الشريف . انظر : د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة ، ص ٤٠ .

الانفاق الترفى :

يعد الانفاق الترفى تعبيرا عن تزايد حجم مكتنزات مياسير التجار والوزراء وحواشيهم ورجال الجيش الذين افادوا من ضعف سلطة الخليفة وتراخى قبضته السلطه المركزية من بعد خلافة الحاكم بأمر الله .

فقد تركزت ثروات البلاد من عوائد الاراضى والمكوس فى ايدى الوزراء وحواشيهم والجنود فى صورة رواتب نقدية وعينية واقطاعات بينما افاد التجار من استثمار اموالهم فى تجارة العبور المزدهرة ومن المضاربه بأقوات الشعب بل أن بعض الوزراء مارس الاحتكار فى السلع الغذائية مثل افعل الصالح طلائع بن رزيك .

وقد ازداد انفاق الدولة على الملابس او الكسوات وخيوط الذهب التى كانت تحلى بها هذه المنسوجات الى ٤٣ ألف دينار فى خلافه الآمر بأحكام اللـه .(١)

---

(١) انصاف ريازى : الحالة الاقتصادية ص ٥١ ربما كان الحاكم اول من فطن الى خطورة التوسع فى استعمال الثياب الذهبيه على رصيد البلاد من الذهب فأمر بالغاء مايصنع منها سواء اكان فى خزائن الكسوات ام مصانع النسيج الحكومية المعروفه بالطراز الشريف . انظر : د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة ، ص ٤٠ .

مجالات الحاكم بأمر الله والتحول الى قاعدة المعدنين :

عرف الفاطميون ضرب نقود فضية منذ تأسيسهم خلافتهم فى أفريقيه ، (١) وهو ما يخالف ما ذهب اليه المقريزى من أن تداول الدراهم الفضية فى عصر الحاكم بأمر الله (٢) ، ويؤكد ما عثر عليه من مسكوكات فاطميه قيام الخلافه الفاطميه فى مصر باصدار عملات فضية منذ عام ٣٦٤ هـ على الأقل. (٣)

وقد أصدر الفاطميون عملاتهم الفضية على أساس الدرهم واجزائه من نصف الدرهم وربع الدرهم وثمن الدرهم ، وكان معظم التداول فى انصاف الدراهم لا الدراهم (٤) وكانت قيمة الدرهم منخفضه عند الفتح الفاطمى حيث كان سعر صرف الدينار المصرى ½ ١٥ درهما (٥) مما يدل على أنه كان فى حكم العملة المساعدة وظل الأمر كذلك حتى عام ٣٧١هـ فانخفض سعر الدرهم ليصل إلى عشرين درهما بدينار. (٦) وكانت هذه الدراهم

---

(١) أنظر ما نشره Balog عن الدراهم وأجزائها فى خلافة كل من المهدى بالله والقائم بأمر الله والمنصور بالله PP. 116 - 118 ، وما نشره Miles عن سكة المعز لدين الله الفضية قبل فتح الفاطميين لمصر ، op. cit. P. 12 .

(٢) المقريزى : اغاثه الأمه ص ٦٤ .

(٣) نصف درهم من ضرب مصر . انظر :ـ Miles: Op. Cit. P. 12.

(٤) محمد أبو الفرج العشى : المرجع السابق ص ٤٢ .

(٥) المقريزى : شذور ص ٢٧ ، انستاس الكرملى : المرجع السابق ص ٥٨ .

(٦) Balog: op. cit. P. 115.

تعرف بالقطع أى انها دراهم غير كاملة لذهاب جزء منها بسبب القطع والمزايده عن الدراهم الجيده فى الحجم وليس فى الوزن (١).

وكنتيجه لزيادة الطلب على اختزان الذهب بعد مجاعات الحاكم بأمر الله ارتفع سعر الدينار فى مواجهة الدرهم منذ بداية المجاعة فى عام ٣٩٥هـ/٤ - ١٠٠٥م فبلغ فى رمضان عام ٣٩٥هـ ستة وعشرين درهما بدينار (٢). ومع تفاقم المجاعة وامتدادها فى عام ٣٩٧هـ/٦ - ١٠٠٧م (أى تزايد الطلب على الذهب) تدهور سعر الدراهم ليصل الى ٣٤ درهما بدينار فى ربيع الأول من هذه السنة (٣)

وقد حاول الحاكم بأمر الله أن يعالج ازمة النقد الذهبى عن طريق تحسين وضع الدراهم الرديئة حتى لا تطرد الدنانير من التعامل بشكل نهائى فأمر بسحب الدراهم القديمة من التعامل والتى ربما يكون قد داخلها شىء من الغش فى الوزن والعيار وأنزل من القصر عشرين صندوقا فيها دراهم جدد فرقت فى الصيارفه وقرىء سجل بمنع المعامله بالدراهم الأولى

---

(١) المقريزى : اغاثة هامش (٢) ص ٦٥.

(٢) المقريزى : اتعاظ ٢ ص ٥٨ .

(٣) المقريزى : اغاثه ص ٦٥ ، اتعاظ ٢ ص ٦٩ وليس فى عام ٣٩٩هـ كما يذكر Balog: Op. Cit. P.115 الذى اعتمد فيما يبدو على كتاب شذور العقود حيث وردت فيه هذه الأسعار منسوبة الى عام ٣٩٩هـ ولعل تصحيف كلمة سبع الى تسع كان خطأ من الناسخ أو ناشر الكتاب انظر: المقريزى : شذور ص ٢٧.

وترك لمن فى يده شىء منها مهله ثلاثة أيام ليورده إلى دار الضرب وأدى ذلك الاجراء الى انخفاض سعر الدراهم القديمة بالنسبة للدراهم الجديده فبلغت أربعه دراهم بدرهم جديد .[١] وقرر الحاكم أن يكون سعر صرف الدراهم الجديدة ١٨ درهما بدينار .[٢]

وكان من شأن هذا الاصلاح النقدى الذى رفع من سعر الفضه فى مواجهة الدينار بل وقنن هذا السعر أن أصبحت مصر تعتمد فى نقدها على قاعده المعدنين Bimetallic System [٣] ولعل الحاكم أراد بهذا الاجراء مواجهة تيار اختزان الذهب وحتى يصبح للبلاد نقد شرعى من الفضه تواجه به أى ازدياد فى اتجاهات اكتناز الذهب[٤] ومن المستبعد أن يكون سبب هذا الاصلاح النقدى هو تيسير التعامل فى السلع القليلة الثمن[٥] إذ أنه من الملاحظ أن الأزمة النقدية كانت فى انخفاض نسبة ابدال الدراهم الناشىء عن تزايد الطلب على الدنانير .

---

(١) المقريزي : شذور العقود ص ٢٧ ـ ٢٨ ، اغاثة ص ٦٥ .

(٢) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ٣٠٥ .

(٣) د . حسن الباشا (واخرون) : القاهرة ص ٥٤١ .

(٤) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ٣٠٥ .

(٥) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ص ١٦٠ .

وينقل المقريزى عن المسبحى الذى توفى عام ٤٢٠هـ[١] / ١٠٢٩م أى فى عهد الظاهر أن الدراهم أصبحت هى نقد مصر والقاهره والاسكندرية وأنه أدرك الاسكندرية وأهلها لا يتعاملون الا بها ويسمونها الورق[٢].

ولعل فى تلك العبارة ما يؤكد تحول مصر الى قاعده المعدنيـــن وازدياد تداول الدراهم وتراجع الدنانير من المعامله خاصة بعد مجاعـة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م.

ورغم ما تشير اليه المصادر من أن مقادير العمله وتغييرها كـان يتم على حسب رأى الامام[٣] الا أن عامل زيادة الطلب على الذهـب كان يؤدى فى الواقع الى تحسين وضع الدرهم فى مواجهة الدينار ففـى عام ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م كان سعر الفضه ستة عشر درهما بدينار[٤] وان ذكـره Quatremére. أنه $\frac{1}{4}$ ١٦م[٥].

وقد ظل الدرهم حتى عام ٤٤١هـ / ١٠٤٩م محافظا على سعـر صرف تراوح ما بين ١٦ ، ١٨ درهما للدينار ومتوسط وزن متقارب (كان الوزن يقل بنسبة ١٠٪ عن الوزن الشرعى) ويرجع ذلك الثبات فى الـوزن ونسب الابدال الى عدم وجود اشارات إلى مجاعات حدثت خلال هـذه الفترة[٦].

---

(١) د • عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص ٢١ •
(٢) المقريزى : اغاثـه ص ٦٥ ـ ٦٦ •
(٣) د • المنعم ماجد : نظم ج ١ ص ١٢٩ •
(٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٧٩ •
(٥) Balog: Op. cit. P. 115.
(٦) Ibid: PP. 122 - 3.

ثم قام المستنصر فى عام ٤٤١هـ / ١٠٤٩م باصدار نوع جديد من الدراهم كل ٣٥ منها بدينار واحد ولم يفسر المؤرخون سبب هذا الانخفاض المفاجىء فى قيمة الدرهم ولكن ذلك بلا شك قد سبب خسارة كبيرة للعامه (١). وقد يكون سبب هذا الانخفاض هو العيار السىء لهذه الدراهم (كما نلاحظ فى هذا الجدول) . الا أن دراهم المستنصر الضعيفه العيار سرعان ما ارتفع سعرها أثناء الشدة العظمى ليبلغ ١٦ درهما بدينار (٢) وذلك بسبب تزايد الاتجاه الى اكتناز الذهب والفضه معا .

الخليفه	$\frac{1}{4}$ درهم	$\frac{1}{2}$ درهم	درهم
العزيز	٨١٪	٨٦٪	٨٨٪
الحاكم	٦٦٪	٦٦٪	٧٠٪
الظاهر		٤٨ ٪	
المستنصر (١) قبل ٤٤١هـ		٤٦٫٦٪	٤٨٪
المستنصر (٢) بعد ٤٤١هـ		٣٤ ٪	
العاضد	٢٥٪	٢٨٫٨٪	٣١٪

عيار الدرهم واجزائه نقلا عن Balog: Op. cit. P.122.

(١) Balog: Op. cit. P. 115.

(٢) المقريزي : الخطط ج ١ ص ٤١٦ .

وباطراد زيادة الطلب على النقود الذهبية وانخفاض عيار هذه النقود خاصة فى عهد الآمر قام الآمر بضرب الفضه السوداء المشهوره بالآمرية[١] وهى ضعيفه العيار[٢] حيث كان معظمها من النحاس وفيها اليسير من الفضه وظلت هى المتعامل بها حتى استولت دولة بنى ايوب على مملكتى مصر والشام[٣] .

والخلاصه أن تحول مصر إلى قاعدة المعدنين جاء نتيجه لاكتناز الذهب أثناء مجاعات الحاكم المتتاليه وأن سعر الذهب حقق ارتفاعا واضحا بالقياس للدراهم التى قلت بها نسبة الفضه منذ الشدة العظمى وان الفضة زاد التعامل بها حتى أصبحت هى نقد البلاد كما لاحظ المسبحى .

---

(١) السيوطى : حسن المحاضره ج ٢ ص ١٥٤ .

(٢) محمد أبو الفرج : المرجع السابق ص ٤٧ .

(٣) المقريزى : إغاثة ص ٦٦ ، الخطط ج ١ ص ١١٠ .

تأثير المجاعات على النقد الذهبي (الدينار واجزاءه) :ـ

كان ذهب المعز كفيلا بأن يعطى ايحاءا قويا بأن التعامل النقدى فى مصر سيظل يعتمد على قاعده المعدن الواحد Monomettalisme التى كان الذهب ركنها الركين منذ ما قبل الفتح الاسلامى ألا أن رياح الأحداث جاءت بما لا تشتهى السفن ، اذ سرعان ما تخلت البلاد عن قاعدة المعدن الواحد ، وأصبح التعامل يتم على أساس معدنى الذهب والفضه منذ تحولت مصر الى قاعده المعدنين Bimetallic System فى عهد الخليفه الحاكم بأمر الله الذى ضرب دراهم جديدة حددت قيمتها بالنسبة للدينار ، فاكتسبت الدراهم بذلك الصفة القانونية .(١)

وقد أخذ هذا التحول الجنينى فى النمو طوال العصر الفاطمى وعندما سقطت خلافة الفاطميين كانت الدراهم السود التى فيها قليل من الفضه ومعظمها من النحاس هى السائدة فى التعامل ، وظلت كذلك حتى ضرب محمد الكامل بن العادل الأيوبى الدرهم الكاملى فى ذى العقده عام ٦٢٢هـ .(٢)

---

(١) د . حسن الباشا : (وأخرون) : القاهره ص ٥٤١ .

(٢) المقريزى : اغاثه الامه ص ٦٦ وكانت الدراهم الفاطمية تعرف بالعتق (القديمة) والورق أما الكاملى " فقد كان ثلثه من النحاس والثلثين من الفضه ـ انظر المقريزى : الخطط ج ١ ص ١١ .

ورغم ذلك فان Hennequin يعتقد أن العصر الفاطمي كان عصر سيادة الذهب في التعامل النقدي[١] ، كما يري • د • عطيه القوصي ان "الدينار الفاطمي ظل محتفظا بمركزه القوى ولم يتأثر بالشده العظمى أو بالحروب الصليبيه" وهذا يرجع في المقام الأول الى قوة اقتصاد مصر الذى كان يرتكز على تجارة الشرق[٢].

ورغم الاعتراف بأن الشده المستنصرية وغيرها من الأزمات لم توثر كثيرا في وزن الدينار الفاطمي حيث ظل محافظا على وزن قريب من وزن الدينار الشرعي[٣] ، كما نلاحظ في الدنانير المحفوظه بدار الكتب المصرية وترجع في تواريخ ضربها الى سنوات مجاعات او سنوات لاحقه لها والملحقه بهذا البحث ، الا أن الامر لم يكن كذلك بالنسبة لعيار الدنانير الفاطميه•

ويستفاد مما ذكره Ehrenkreutz أن الدنانير الفاطمية المضروبة في مصر فيما بين ٣٥٨ هـ و ٤٨٧هـ / ٩٦٩هـ ـ ١٠٩٤م تتسم في مجملها بارتفاع العيار ، فمن بين ١٢٦ قطعه تم فحصها كان هناك

---

(١) Hennequin(G.), Points de vue sur L'Histoire Monetaire de L'Egypte Musalmane au Moyen Age.(AI13,1977) P.2.

(٢) د • عطيه القوصي : تجارة مصر ص١٢٢ ـ ١٢٣•

(٢) الوزن الشرعي للدينار هو ٢٥ر٤ جرام ـ د • عبد الرحمن فهمي : مجموعه النقود العربيه ص٣٠•

٣ قطع فقط عيارها دون ٩٠٪[١] أى بنسبة ٢٫٣٨ ٪ من عدد القطع التى فحصت . أما دنانير المستنصر المضروبة فى مصر فان ٣ قطع من بين ٧٣ قطعه منها يقل عيارها عن ٩٠٪[٢] (بنسبة ٤٫١ ٪) .

وتدهور العيار بشكل واضح فى دنانير المستعلى بالله والآمر باحكام الله التى تعتبر من أردأ الدنانير التى ضربت فى العصر الفاطمى[٣] وآيه ذلك أن ١٥ قطعه من مجموعه ٩١ قطعه تم فحص عيارها (أى حوالى ١٦٫٥٪) كان عيارها دون ال ٩٠٪[٤]

واجمالا فان من بين ١٤٢ عينة فاطميه ضربت فى مصر قبل عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٣م كان هناك ١٢١ قطعة (بنسبة ٨٥٫٢٪) تبين ان دقة عيارها يزيد على ٩٨٪ بينما نجد أن نسبة ما يزيد عياره عن ٩٨٪ من بين ٩١ قطعه ترجع الى عهد الآمر باحكام الله لا تزيد عن ٦٣٫٧٪.[٥]

ان هذا الانخفاض التدريجى فى عيار الدنانير الفاطمية كان أمرا ملحوظا من قبل الحكومة ، التى حاولت فيما يبدو التغلب على هذه المشكله ، فقد حاول الأفضل بن بدر الجمالى أن "يحرر" عيار الدينار في المحرم من عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م[٦] ، الا أن تلك المحاولة وغيرها قد ذهبت أدراج

(١) Ehrenkreutz (A.) Op. Cit. P. 174.

(٢) Ibid . P. 177.

(٣) Ashtor (A.), Op. Cit . P.17.

(٤) Ehrenkreutz (A.).Op.cit. P.177.

(٥) Ibid . PP. 174-177.

(٦) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص١٣٦ .

الرياح كما يبدو من هذا الجدول [١] . الذى يوضح نتيجه فحص عيار دنانير الآمر .

التاريخ	مكان الضرب	نسبه للعيار
٥٠٨ هـ	مصر	٨١٪
٥١٠ هـ	مصر	٨٠٪
٥١٠ هـ	مصر	٨٢٪
٥١٤ هـ	الاسكندريه	أقل من ٥٠٪
٥١٨هـ	القاهره	٧٧٪

ان ظاهره انخفاض عيار الدنانير فى النصف الأخير من حكم الفاطميين وسيادة النقد الفاطمى الفضى المتداول فى الأسواق ، يعكس قلة ما يرد إلى دور الضرب من الذهب ، وقد حاولت دراسات مختلفة أن تتصدى لتفسير هذه الظاهرة على أساس تأثر مصادر الذهب الفاطمى بعوامل طبيعيه وسياسية ، مثل نضوب مناجم التعدين [٢] المصرية ، أو قلة الذهب الوارد لمصر من شمال أفريقيا بسبب الانقسام الحادث بين الفاطميين والزيريين وقتذاك أو بسبب الغزوات الهلالية وقطعها طرق القوافل بين الشمال الأفريقى وجنوب السودان [٣] . ولذا فانه من المفيد أن نشير بشكل

(١) نقلا عن : Ehrenkreutz(A.), Op. cit .PP. 180-181.

(٢) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٠٧ .

(٣) لويس (أرشيبالد) القوى البحرية والتجارية فى البحر المتوسط ـ ترجمة أحمد محمد عيسى ـ النهضه المصرية بالقاهرة ١٩٦٠ ص ٣٨٧ .

موجز الى علاقة مصادر الذهب الفاطمى بنقص كميات الذهب اللازمة لضرب الدنانير .

أ — المصادر المحلية :

اعتمد الفاطميون على جماعات الأرقاء المشتغلين باستخراج الذهب فى إعادة العمل الى بعض المناجم المصرية ، وذلك تحت إشراف عمال الخليفة ، فعادت المناجم إلى ماكانت عليه من إزدهار استغلال ذهبها فى عهد البطالمه .(١) وقد ظلت مناجم وادى العلاقى بالصحراء الشرقيه تدر كميات من الذهب حتى القرن ٤هـ / ١٠م ، ولم تقل أهميتها إلا منذ القرن ٧هـ / ١٣م ، وأصبحت المناجم الأخرى فى مصر العليا غير منتجه ايضا .(٢)

ومعنى ذلك أن مناجم الذهب المصرية وان قل انتاجها فى القرن ٤هـ / ١٠م الا أنها لم تتوقف عن الانتاج طوال العصر الفاطمى .

المصدر الثانى للذهب المصرى كان كنوز فراعنة مصر القديمة . فمنذ عهد أحمد بن طولون أصبحت أعمال البحث عن الكنوز تتولاها السلطة الحاكمه .(٣) وفى عهد الحاكم بأمر الله كان الخليفة يأمر باستخراج كنوز مصر من الآثار القديمة لصرفها على الناس.(٤)

---

(١) لومبار (موريس) الأسس النقدية ص٦٢ .

(٢) Ashtor . Op. Cit. P. 16.

(٣) لومبار : المرجع السابق ص ٦٠ وتذكر الروايات التاريخية أن أحمد بن طولون ضرب دنانيره الأحمدية العاليه العيار مما عثر عليه من الذهب فى أحد المطالب الفرعونية انستاس الكرملى : النقود العربيه وعلم النميات — القاهره ١٩٣٩ ص ٧٤ — ٧٥ .

(٤) د . عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله ص ٦٢ .

ويبدو ان كميات الذهب التى كان يعثر عليها بلغت حدا رأت معه الدولة تنظيم عمليات البحث ، فتكونت طائفة للمطالبين يترأسها رجل يعرف بأمير المطالبين ويمدنا ناصر خسرو بمعلومات هامة عن هذه الطائفة ورئيسها عام ٤٤١هـ / ١٠٤٩م ، فيذكر أن أمير المطالبين كان يعرف بلقب عمدة الدولة (١) وأنه أوفد على رأس جيش فى هذا العام الى حلب ، وأن أمير المطالبين كان عظيم المال والجاه حتى أنه لما قتل أستغرق نقل خزائنه إلى خزائن الخليفة شهرين ، ويستفاد مما ذكره الرحالة الفارسى أيضا أن رجال المطالب من المغرب وديار مصر والشام كانوا مغامرين يتحملون المشاق وينفقون المال الكثير فى تلال مصر ومحاجرها لأجل الحصول على الذهب ، الذى كان الخليفه يحصل على خمسه (٢).

ولا ينبغى أن تقلل من قدر ذهب المطالب ، خاصة وأن مقدار ما عثر عليه من الذهب فى مقبرة توت عنخ أمون وهو من الفراعنه الضعاف ،كان يقدر بضعف الغطاء الذهبى فى البنك الأهلى المصرى عند اكتشاف هذه المقبرة فى بدايات هذا القرن (٣).

---

(١) العمدة فى اللغه ما يعتمد عليه وقد أضيف إلى هذا اللفظ بعض كلمات لتكوين ألقاب مركبه مثل عمدة الأحكام "وعمدة الأنام" وعمدة الامام" وعمدة الملوك والسلاطين" انظر : د. حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٤٠٨ .

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٦٩ .

(٣) لومبار : الأسس النقدية ص ٦٠ .

ب ـ المصادر الخارجيه :

كان المعين الأساسى للذهب الفاطمى هو ذهب السودان الغربى من غانا وسلجماسه وكان ذلك الذهب يأتى عن طريق التجارة من الجنوب الغربى لمراكش .(١)

وكانت تجارة الذهب تمر عبر عدة طرق رئيسيه تخترق الصحراء من مراكش وتونس وطرابلس وليبيا الى أعالى السنغال والنيجر وحيرة تشاد .(٢) وأهم هذه الطرق ثلاثة طرق رئيسية ، الطريق الأول يمر بمدينة سجلماسه التى أسست باقليم تافيللت والطريق الثانى من ورجله الى منحنى نهر النيجر مارا بتيديكلت . أما فى الشرق إلى هذين الطريقين فقد قامت الطرق التى تربط ما بين الجريد وطرابلس من ناحية وغدامس وغاير والسودان من ناحية أخرى . وقد سيطر الفاطميون على هذه الطرق منذ تأسيسهم الخلافة بأفريقية ، وقضوا على أمارة تهرت واحتلوا سجلماسه فأصبحوا سادة طرق الذهب كلها الى أن تمكن الأمويون فى الاندلس من إستعادة الإشراف على الطريق الصحراوى الغربى (طريق سجلماسه) فى القرن ٤هـ/ ١٠م (٣) ثم

---

(١) Ashtor (A.) Op. cit. P.17.

ولم تكن غانا هى المنتجه للذهب بل كانت هى الوسيط فى نقل الذهب بين منتجيه فى أعالى السنغال وبين شمال افريقيا ، وكان الغانيون يحصلون عليه عن طريق التجارة الصامته Silent - Trade. بتبادل الذهب مع الملح والمسابح ـ انظر : د . ابراهيم طرخان : امبراطورية غانه الاسلاميه القاهره ١٩٧٠ ص ٧٠.

(٢) Lewis(B.), The Camb. History . Vol. I. P. 345.

(٣) لومبار : الأسس النقدية ص ٦٢ ـ ٦٣.

فقد الفاطميون فى منتصف القرن ٥هـ / ١١م سيطرتهم على طريق الصحراء الشرقيه الكبرى والجريد وطرابلس الذى كانوا ينقلون عبره ذهب السودان الغربى إلى مصر ووقع هذا الطريق فى قبضه الزيريين .(١)

الا أن صلة مصر لم تنقطع نهائيا بغانه وغيرها من بلاد السودان الغربى والأوسط، لأن مصر كانت تقع على طريق الحج ، وظلت أهمية مصر قائمه بالنسبة لبلاد غربى أفريقية رغم أضطراب أحوال الشرق منذ أواخر القرن ٥هـ / ١١م(٢) . وظلت غانا المصدر الرئيسى للذهب الذى تضرب منه الدنانير المصرية حتى عصر القلقشندى وابن خلدون فى العصر المملوكى.(٣) وكان الحجاج من مناطق غرب أفريقيا يحملون معهم الذهب ، وليس من المستبعد ان يقوموا ببيعه فى مصر ، وقد قام سلطان مالى منسابن موسى باهداء بعض من ممتلكاته الشخصية من الذهب للسلطان المملوكى اثناء مروره بمصر فى طريقه للحج عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م(٤) .

وتشكل التجارة الخارجية مصدرا هاما من مصادر الذهب فى العصر الفاطمى ، حيث أزدهرت تجارة العبور (الترانسيت) التى كانت تمر بمصر

---

(١) Ashtor (A.), Op. Cit. P.17.

(٢) د . ابراهيم طرخان : امبراطوريه غانه ص٨٤ .

(٣) Ashtor (A.), Op. Cit. P.18.

(٤) Lewis (B.), Islam, Vol. II. P. 22.

وخاصة تجارة الكارم حتى أصبحت هذه التجارة تمثل النشاط الاقتصادي الرئيسي للبلاد وخاصة في أواخر الدولة الفاطمية ، ومن المعروف ان ميزان المدفوعات التجاري كان يميل لصالح بلدان الشرق العربي على حساب الأطراف الأخرى وخاصة الدولة البيزنطية حيث كان هناك نزيف مستمر من الذهب البيزنطي لصالح الشرق الاسلامي . (١)

والخلاصه أن مصادر الذهب طوال العصر الفاطمي لم يطرأ عليها تغييرات جوهرية تؤدي إلى نقص كميات الذهب بشكل مؤثر ، خاصة وأن الذهب المضروب لم يكن سلعه تستهلك طالما كان يعاد ضربه في دور الضرب الفاطمية التي تقوم بصهر الذهب وضربه لحساب أصحابه نظير أجر رمزي .(٢)

لقد كانت كمية الذهب المتداولة في السوق المصرية ، وما حمله الفاطميون من ذهب غرب أفريقيا وما كانوا يحصلون عليه عبر طرق الذهب ، بجانب ما يستخرج من ذهب المناجم المصرية وكنوز الفراعنه ، وحاصل الفائض في ميزان التبادل التجاري ، كل كميات الذهب هذه ، كانت كفيلة بابقاء مصر على قاعدة المعدن الواحد (الذهب) . ولذلك فانه من المستبعد أن يكون نضوب مصادر الذهب الفاطمي هو السبب الرئيسي وراء تراجع الدينار الذهبي عن موقعه كقوة ابراء غير محدودة ليفسح المجال لظهور الفضة إلى جواره خاصة وأن تحول مصر إلى قاعدة المعدنين تم في نهاية القرن ٤هـ / ١٠م وقبل

---

(١) لومبار (موريس) : الأسس النقدية ص٦٨ ، Ashtor (A.), Op. Cit. P. 65.

(٢) د . عبد الرحمن فهمي : إضافات جديدة في مسكوكات الفاطميين مستخرج من مجلة المجمع العلمي المصري للمجلد ٥٢ — موسم ١٩٧١/٧٠ م ص٢٠ .

الغزوات الهلالية بوقت كبير .

ولذا فان البحث يجب أن يتجه الى عوامل داخلية ،أثرت على مركز الدينار الذهبى ، وهى عوامل تتعلق بالمجاعات وما ترتب عليها من ظواهر اقتصادية أهمها اختزان الذهب واستعماله فى أدوات الترف والزينه (١) اضافة الى العوامل السياسية التي نجمت عن المجاعات وعلى رأسها تزايد نفوذ الوزراء والعسكريين .

---

(١) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٠٧

اثر العملات التذكارية على الطلب على الذهب :ـ

ابتدعت الدولة الفاطمية فى القاهره نقودا تذكارية من معادن وأحجام مختلفه قصد الإنعام بها على الشعب فى بعض المواسم والأعياد وذلك لامتصاص سخط أعدائهم وكسب موده شعوبهم (١). فمن هذه النقود دنانير الغره التى كانت تضرب فى العشرة الأخيرة من ذى الحجة بتاريخ السنة التى ركب بها الخليفه وتشمل جملة من الدنانير والرباعية والدراهم المدورة ويذهب جزء من ذلك للوزير وأولاده واخوته ويبلغ الغرة التى ينعم بها فى أول العام من الدنانير والرباعية والقراريط ما يقرب من ثلاثة الآف دينار. (٢)

كما كان من جملة رسوم الدولة الفاطمية فى خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهبا عشرة آلاف خروبه وتفرقها على جميع أرباب الرسوم (٣) ثم ارتفع مقدار ما يضرب من هذه الخراريب إلى ألف دينار فى عهد المأمون البطائحى تضرب ٢٠،٠٠٠ خروبه. (٤)

وكانت هذه النقود التذكارية التى تضرب سنويا تخرج من دائرة التعامل النقدى لتضاف إلى رصيد الاكتناز سواءا كانت بدافع الاحتفاظ بهبة الخليفة

---

(١) د. حسن الباشا (وأخرون) : القاهره ص ٥٤١.
(٢) المقريزى : الاوزان والمكاييل ص ٥٠ ـ ٥١.
(٣) المقريزى : المصدر نفسه ص ٥٣ ، الخطط ج ١ ص ٢٦٦.
(٤) انصاف رياض : المرجع السابق ص ١٤١.

على سبيل التبرك [١] أم بهدف الانتفاع بقيمتها الذهبيه خاصه وان هـــذه النقود كانت تذهب الى أرباب الوظائف ممن يحوزون مكتنزات ذهبيه أى أنهـــم لم يكونوا بحاجه إلى فك اكتناز هـذه النقود التذكاريه.

فعندما كانت قيمة ما يضرب فى خميس العدس ٥٠٠ دينار كان الأفضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفه مائتى دينار ويحتفظ هو بالباقى ، وعند تضاعــف هذا المقدار إلى ١٠٠٠ دينار لم يزد ما يحصل عليه الخليفه عن ثلثمائة دينـــار [٢] وكان الوزير يحصل من نقود الغرة على ٣٦٠ دينارا و ٣٦٠ رباعيا و ٣٦٠ قيراطـــا وإلى أولاده وأخوته من كل صنف من ذلك خمسون [٣].

وكان من نتيجة ازدياد الاتجاه نحو اكتناز الذهب فى النصف الأخيــر من عمر الخلافة الفاطمية وقلة كمية الذهب المتداول فى الأسواق أن عجزت الخلافـــة عن الإستمرار فى ضرب هذه النقود التذكارية فلم تضرب فى فترة خلافه الحافـــظ لدين الله غير سنة واحده ونسى ذكرها بعد ذلك [٤].

كما كان سقوط أى جزء من ممتلكات الخلافة فى أيدى الصليبيين أو السلاجقة او النورمانديين يؤدى إلى فقد الدولة لجزء من ذهبها المتداول فى هذه الممتلكات

---

(١) د. حسن الباشا (واخرون): القاهره ص ٥٤٢.
(٢) المقريزى : الخطط ١ ص ٤٥٥.
(٣) المقريزى : الأوزان والمكاييل ص ٥٠ ـ ٥١.
(٤) المقريزى : المصدر نفسه ص ٥٢.

سواء استولى عليها الاعداء او قام السكان هناك باكتنازها. (١)

وإضافة إلى تلك العوامل التى أدت إلى ضعف الوارد الى دور الضرب المصرية من الذهب فان ضعف الخلافة الفاطمية العام منذ ما بعد الشدة العظمى أدى الى إستنزاف جزء من رصيدها الذهبى سواء فى شكل أعباء ماليه متزايده فى نفقات مواجهة الحملات الصليبيه أو دفع غرامات للصليبين، (٢) كما أدى الى فقدان الدولة جزءا من مواردها الذهبيه التى كانت تحصل عليها من بيع منسوجات تنيس للبيزنطيين والتى كانت تبلغ ٢٠ ألف دينار سنويا وذلك بعد قيام الصليبيين بتدمير المدينة ونهبها. (٣)

والخلاصة ان نتائج المجاعات الاقتصادية (ارتفاع الأسعار والاكتناز) والنتائج السياسية (تزايد نفوذ وزراء التفويض والعسكريين) وضياع أملاك الخلافة وخاصة فى الشام، كلها عوامل أدت مجتمعه إلى قلة الذهب المتداول فى الأسواق.

---

(١) مثلما حدث عند إستيلاء النورمانديين على جزيرة صقلية. د. عبد الرحمن فهمى: إضافة جديدة ص ١٩ — ٢٠.

(٢) د. حسن الباشا وآخرون: القاهره ص ٥٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٤٣.

تأثير المجاعات على دور الضرب الفاطميه :

كانت دار الضرب بمصر ـ الفسطاط ـ هى دار الضرب الرئيسية فى مصر الفاطمية ، وإلى جانبها دار الاسكندرية القديمة . ويظهر أن دار الضرب بالفسطاط كانت معطلة عند دخول جوهر لمصر ، إذ أنه أمر بفتح هذه الدار وضرب بها مسكوكات المعز لدين الله . (١)

وإلى جانب دار الضرب بمصر ودار الاسكندرية أنشا الفاطميون دار ضرب بقوص وأخرى بالقاهره فى أواخر خلافتهم (٢) . فقد رأى الوزير الفاطمى المأمون البطائحى أن تقام بالقاهره دار الضرب فتم تشييدها فى شوال عام ٥١٦هـ بالقشاشين قبالة بيمارستان قلاوون وعرفت بالدار الآمرية (٣) . ورغم أن هذه الرواية قد توحى بأن النقود الفاطمية لم يرد عليها اسم القاهره قبل عام ٥١٦هـ (٤) ، الا أن الواقع يثبت عكس ذلك ، فلدينا دينار مؤرخ بعام

---

(١) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهره ص ٥٥٢ .

(٢) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١١٠ ويذكر المقريزى أن الإشراف على دار الضرب فى العصر الفاطمى كان من مهام متولى وظيفة قاضى القضاه أو من يستخلفه أما عن وظائف دار الضرب وطريقة العمل بها فانظر :ـ
تحقيق ونشر الدكتور عبد الرحمن فهمى لكتاب ابن بعرة الذهبى الكاملى : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ـ القاهره ١٩٦٦م .

(٣) المقريزى : الأوزان والأكيال ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٤) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٠٨ .

٣٦٢هـ من ضرب " مدينة المعز " وهى القاهرة ، وهو أول دينار ضربة المعز بعد انتقاله من المنصورية .(١) كما ظهر اسم المعزية على درهم مؤرخ بعام ٤٧٠هـ ، وورد اسم المعزيه القاهره على دينار ضرب فى عام ٥٠٨هـ .(٢)

أما مدينة قوص (٣) بصعيد مصر فقد انشئت بها دار ضرب فى عام ٥١٦هـ بعد أن تولى ولايتها الأمير مؤيد الملك (٤) ، وبدأت انتاجها بعد تأسيس دار القاهره بنحو عام .(٥)

واذا كانت الروايات التاريخية تقرن رغبة المأمون فى انشاء دار ضرب القاهره بضرورة وجود دار فى عاصمة الخلافة وموطن الامامه (٦) . فان ذلك

---

(١) د . عبد الرحمن فهمى : اضافات جديدة فى مسكوكات الفاطميين — مستخرج من مجلة المجمع العلمى المصرى المجلد ٥٢ موسم ١٩٧٠ / ١٩٧١ ص ١٥ .

(٢) محمد أبو الفرج العشى : مصر القاهرة على النقود العربيه الاسلاميه ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهره — القاهره ١٩٧١ ص ٦ .

(٣) عن مدينة قوص وتاريخها فى العصر الاسلامى أنظر : محمد عبده الحجاجى : قوص فى التاريخ الاسلامى — الهيئة المصرية العامه للكتاب — القاهرة ١٩٨٢ .

(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ص ٩٣ .

(٥) Miles(G.), Fatimid Coins -New York 1951, P. 51.

(٦) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٤٥ .

التبرير يمكن مواجهته بأن القاهره كانت موطنا للامامه منذ عام ٣٥٨هـ ، كما أن قوص لم تكن قط عاصمه للخلافه .

والواقع ان الفاطميين قاموا بانشاء دار ضرب القاهره ودار ضرب قوصى لتعويض خسارة دور الضرب السورية .[١] وحتى تقوم هذه الدور الجديده بتزويد ولايات الخلافة بالنقود وقد سبق الإشارة إلى تقلص أملاك الدولة الفاطمية فى أوقات المجاعات نتيجه للضغط السلجوقى والغزو الصليبى للشام . فخرجت دمشق عام ٤٦٨هـ نهائيا وأصبحت بحوزة السلاجقه[٢] ، وخطب للعباسيين فى حلب منذ عام ٤٩٢هـ[٣] ، كما أن طبرية لم تعد خاضعه للفاطميين منذ الشده المستنصرية[٤] . أما عكا فقد خرجت من يد الفاطميين على يد تتش السلجوقى عام ٤٨٣هـ[٥] .

وسقطت أيضا طرابلس الشام ودار الضرب بها فى أيدى الصليبيين عام ٥٠٢هـ[٦] ، كما أن الفاطميين خسروا بعد إنشاء دار ضرب القاهره دار الضرب

---

(١) Ehrenkreutz (A.), Arabic Dinars Struck by the Crusaders. Journal of Economic and Social History of Orient Vol. VII. part II 1964, P. 179.

(٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٣٢٤ . وكانت بدمشق دار للضرب ظهر اسمها على النقود الفاطمية — انظر Miles, Fatimid Coins P. 50.

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٩٠ — ٩٣ وقد ظهر اسم دار ضرب حلب على نقود الفاطميين أنظر Casanova (P.) Inventaire Sommair de la Collection des Monnoies Musulmans . Paris 1890, P. 57.

(٤) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٢٣ وكان بها دار ضرب أنظر . Miles, Fatimid Coins . P. 50.

(٥) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص ١٢٨ — ١٣٠ وكانت عكا من دور الضرب الفاطميه انظر Lavaix(H.),Catalogue de Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque National . Paris 1890 . Vol III, P. 155.

(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٨٤ وكان بها دار الضرب أنظر Casanova (P.), Inventoire S. P. 58.

بمدينة صور التى خضعت للصليبيين عام ٥١٨ هـ/ ١١٢٤م.(١)

ويضاف الى ضياع دور الضرب بالشام ، أن مدينة المهدية بالمغرب لم يضرب بها نقود فاطمية منذ الشده المستنصرية (٢)

وقد أدى فقدان هذه الدور الى انشاء دار القاهره ودار قوص لسد احتياجات ممتلكات الخلافة من النقود . واذا كانت القاهره باعتبارها دار الخلافة قد اختيرت ليكون بها أحدى الدور الجديدة فان قوص اكتسبت جدارتها بهذه الدار بحكم النشاط التجارى الكثيف الذى كان بها بعد تحول طرق الحجج والقوافل اليها منذ الشدة العظمى ، فحلت من حيث الاهميه مكان مدينة قفط التى اضمحلت نتيجه لذلك.(٣) وقد زودت هذه الدار عند بداية انتاجها بعشرين ألف دينار وعشرين ألف درهم وفضلا عن أن دار قوص كان منوطا بها ضرب ما يصل من اليمن والحجاز من الدنانير العدنية على طراز السكة الفاطمية(٤) . ولعل فى ذلك ما يوحى إلى قلة الذهب المتداول فى الأسواق المصرية حتى ان الدولة حاولت زيادة كميته عن طريق اعادة ضرب الدنانير العدنية (أى المضروبة فى عدن) ويبدو أن قلة الذهب وفشل دار الضرب فى أمتصاص الدنانير العدنية كان وراء اغلاق هذه الدار بعد وقت يسير.(٥)

---

(١) Ehrenkreutz(A.), Op. cit. P.179.
Lane -Pool(S.) Catalogue of the Collection of Arabic Coins London 1897. P.150.

(٢) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٧١ – ٢٧٢ والمهدية من أقدم دور الضرب الفاطمية انظر.
Miles . Op. cit. P. 51.

(٣) د . عطيه القوصى : تجارة مصر ص١٠٨ .

(٤) Ehrenkreutz (A.), Op. cit. P. 179.

(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٩٣ – ٩٤ .

الفصل الرابع

تأثير الجماعات على العمارة والفن

يعد تاريخ العمارة الاسلامية فى مصر الفاطمية ، المرآه التى عكست بصدق كل تضاعيف وملامح صورة الحياة السياسية والاقتصادية والى مدى ارتباطها الشديد بالمجاعات ، وليس من قبيل المبالغة أن ننظر لدراسة عمائر الفاطميين من نفس منظور دراسة تطور سلطات الخليفة ومنازعته الوزراء اياها ، والتى لعبت المجاعات وماصاحبها من أحداث دورا رئيسيا فى نقل غالبية هذه السلطات الى الوزراء .

وبصورة عامة فانه يمكن التمييز بين فترتين متباينتين فى تاريخ العمارة الفاطمية ، أولاهما تشمل فترة ماقبل الشدة المستنصرية والثانيه تستوعب الفترة التى أعقبت الشدة حتى سقوط الخلافة الفاطمية .

وتوضح عمائر الفترة الأولى مدى ماكانت تتمتع به مصر من رخاء وازدهار قبل أن تدهمها أحداث مجاعة السبع سنوات العجاف فى خلافة المستنصر ، وأيضا مقدار نفوذ الخلفاء وتعاظم ثرواتهم ، فقد كانوا هم الذين تنشأ المبانى بأوامرهم وبأسمائهم وهى مبانى تميزت فى مجملها بالضخامة من حيث المساحة وبالفخامة ودقة البناء وتركزت هذه العمائر -غالبا- فى محيط القاهرة والفسطاط ورغم أنها شملت أنواعا عديد من المبانى الدينيه والمدنية ، الا أن المبانى ذات الوظائف الدينية كان لها الغلبة .

أما الفترة الثانية فقد عكست حالة البلاد سياسيا واقتصاديا بعد أحداث الشدة المستنصرية . فمن الناحية السياسية أصبح الوزراء هم أصحاب اليد الطولى فى التشييد والبناء وقلت مبانى الخلفاء . وظهر الاهتمام بالعمائر

الحربية نتيجة لضعف الخلافة وعجزها عن حماية ممتلكاتها خارج مصر . كما عبر الوزراء العظام من السنيين عن رغبتهم الكامنة فى ازالة المذهب الشيعى بانشاء المدارس السنية . وعلى عكس الحال فى الفترة الأولى صغرت أحجام المبانى وخاصة المساجد نتيجة لضعف الحالة المالية للدولة بعد الشدة وتفتت ثروة البلاد بين الخلفاء والوزراء والعسكريين وكانت معظم الأعمال المعمارية عبارة عن تجديدات فى مبان قائمة . ويلاحظ فى هذه الفترة أيضا ميل الوزراء إلى تقليد الخلفاء فى إنشاء القصور والمناظر .

وكما عبرت المركزية فى الفترة الأولى عن نفسها بتمركز معظم الانشاءات فى حدود القاهرة والفسطاط ، عبرت حالة اللامركزية التى ميزت مابعد الشدة المستنصرية عن نفسها فى تزايد حركة التشييد والبناء فى الأقاليم التى تمتع حكامها بقدر أكبر من الاستقلالية والنفوذ حتى تولى بعضهم منصب الوزارة وتنطق النصوص التأسيسية التى ترجع إلى مابعد الشدة العظمى بمدى التغيير الذى تركته هذه الأزمة الطاحنة على خريطة القوى السياسية فى الدولة الفاطمية إذ صار أمر التشييد منسوبا فى معظم الأحوال إلى الوزراء وتضاءلت ألقاب الخلفاء إلى جوار الألقاب التى تسمى بها الوزراء .

عمائر الخلفاء الأقوياء قبل الشدة المستنصرية :ـ

وتمتد فترة إنشاء هذه العمائر فيما بين الفتح الفاطمى لمصر عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م ونهاية عصر الخليفة الحاكم بأمر الله (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) .

فقد كان لعصر الخلفاء الأقوياء (المعز ـ العزيز ـ الحاكم) سماته الخاصة التى تميزه عن عصر الوزراء العظام التى بدأت بوادره منذ خلافة الظاهر لاعزاز دين الله وكانت الشدة المستنصرية وماسبقها من اضطراب داخلى تتويجا له .

فمن الناحية السياسية كانت السلطة المركزية وعلى رأسها الخليفة الفاطمى تسيطر بشكل كامل على كافة أجزاء الخلافة ، كما كانت الحالة الاقتصادية للدولة الفاطمية فى عنفوان قوتها ، معتمدة على ايرادات الأرض الزراعية (الخراج)ومايتحصل عليه من ضرائب التجاره الخارجية والداخلية (المكوس) وتمتعت البلاد فى عصر الخلفاء الأقوياء بحالة من الاستقرار مكنتهم من القيام بانشاء عمائر ضخمة تعكس هذه الأحوال السائدة . فكان الخلفاء (الدولة) هم الذين يقومون بتمويل انشاء العمائر ، ولايخفى مدى تأثير رخاء الدولة على حجم الانتاج الفنى وأنواعه وقيمه (١) .

ويمكن تصنيف العمائر التى وصلتنا من بناء هؤلاء الخلفاء (سواء آثار باقية أو مندثرة) حسب أغراض نشأتها الى :

---

(١) د . فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية ـ المجلد الاول ـ عصر الولاة ـ القاهرة ١٩٧٠ ـ ص ٢٣٣ .

أ – **العمائر الحربية :-**

يعد سور القاهرة الذى بناه جوهر الصقلى من اللبن عند بدأ تأسيسه لمدينة القاهرة عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩م (١) ، المشروع الحربى الكبير فى عهد الخلفاء الأقوياء ، وان لم تكن كل أغراضه دفاعية ، فقد كان السور يقوم بوظيفة عزل الخليفة وجنوده ورجال البلاط عن عامة الشعب حيث كان الدخول من أبواب السور الثمانية التى أنشأها جوهر يتم وفق تصريح خاص (٢) .

ب – **العمائر المدنية :-**

تأتى القصور الفاطمية وعلى رأسها القصر الشرقى الكبير الذى أسسه جوهر القائد فى مقدمة عمائر الفاطميين المدنية ، ليس فقط باعتبار الأسبقية التاريخية (٣) ، ولكن أيضا لاتساع مساحاتها وروعة بنيانها فقد أشتمل القصر الشرقى على عدة مناظر وقاعات وقصور صغيرة أهمها قاعات وقصور الذهب والإقبال والظفر والشجرة وقصر الشوك والنسيم والبحر والحريم ، وأضاف اليه العزيز بالله قاعة الذهب والديوان الكبير (٤) وقد أضيف الى هذه القصور اضافات كثيره فى كل عهود الخلفاء الفاطميين ، كانت كلها أعمالا فنية رائعة

---

(١) د . حسن الباشا : المدخل إلى الآثار الإسلامية – القاهره ١٩٧٩ – ص١٨٧

(٢) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهرة ص ٤٦٩ .

(٣) د . عبدالرحمن زكى : الأزهر وماحوله من الاثار – القاهره ١٩٧٠ – ص١٣ .

(٤) د . عبدالرحمن زكى : القاهره ، تاريخها واثارها – القاهره ١٩٦٦ – ص١٩ .

فيذكر ناصر خسرو أن جدران القصر الفاطمي كانت من الحجر المنحوت بدقة كما لو كانت قطعة صخر واحدة (١) . وليس هناك ماهو أدل على مابلغته هذه القصور من شأو مما نقله غليوم رئيس أساقفة صور عن زيارة رسولي الملك عموري للقاهرة عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، وعن مدى أعجابهما بقصور الفاطميين (٢) .

ومن المباني المدنية أيضا قصر اللؤلؤة الذى بناه العزيز بالله على النيل (٣) ومنازل العز وهى من بناء السيدة أم العزيز بالله على النيل ، فكان لايحجبها عنه شيء وكان الخلفاء الفاطميون يتخذونها متنزها لهم (٤) . ويذكر ابن خلكان فى ترجمته للعزيز أنه أنشأ قصورا بعين شمس (٥) .

ج ـ المباني الدينية :ـ

١ ـ المساجد : وهى تمثل الجزء الأكبر من منشآت الخلفاء ، وان كانت قد تركزت فى إطار القاهرة والفسطاط وماحولهما .

ويأتى الجامع الأزهر فى طليعة المساجد الفاطمية ، اذ بدأ جوهر القائد فى تشييده يوم السبت لست بقين من جمادى الأول عام ٣٥٩ هـ وأتم بناءه لسبع

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٩ .

(٢) د . زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين . القاهره ١٩٣٧ ص ٧٤ ـ ٧٥

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ـ ج ٣ ص ٨١ ، هامش (١) وان كان أبوالمحاسن يذكر خطأ ان الظاهر هو الذى بناه وقد ذهب هذا القصر ضمن ماذهب من محاسن القاهرة أيام الشدة المستنصرية ـ النجوم الزاهرة ـ ج ٥ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٠ ٢ هامش (٢) .

(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٤ ص ٨ .

خلون من رمضان سنة ٣٦١ هـ [١] ، ثم أدخل الخلفاء من بعد ذلك اضافات عديدة على الجامع ، وقد قدرت مساحته وقت الفراغ منه عام ٣٦١ هـ/ ٩٧٢ م — بنحو ١٦٠٠ م٢ [٢] .

ويبدو أن المعز لدين الله قد أنشأ مسجدا آخر خارج القاهرة على النيل اذ يعده ناصر خسرو ضمن أربعة جوامع تقام بها الخطبة وقت زيارته لمصر وقد سماه جامع المعز [٣] . وينسب للسيدة تغريد زوجة المعز وأم العزيز بالله بناء جامع القرافة [٤] ، وقد عرف هذا الجامع الذى بنى عام ٣٦٦ هـ بهذا الاسم فى العصر المملوكى ، وقبل ذلك كان يعرف بمسجد القبة وجامع الأولياء [٥] و تولى بناءه يحيى بن طلحه مولى عامر بن لوى [٦] .

أما العزيز بالله فقد مات قبل أن يتم مسجده الضخم الذى بدأ فى بنائه خارج السور الشمالى للقاهرة ، وأكمله بعده ابنه الحاكم بأمر الله الذى أطلق اسمه على الجامع [٧] . وكان الجامع يعرف أولا بجامع الخطبة وعرف أيضا

---

(١) السيوطى : حسن المحاضره ج ٢ ص ١٣٨ .
(٢) د . حسين مؤنس : المساجد — سلسلة عالم المعرفة العدد ٣٧ — الكويت يناير ١٩٨١ — ص٢٠٤ راجع تجديدات المسجد فى : د . عبدالرحمن زكى : الازهر وماحوله من الاثار .
(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٥١ .
(٤) ابن خلكان : المصدر السابق ج ٤ ص ٨
(٥) ابن الزيات : الكواكب السياره ص ١٧٤ ويذكر المقريزى ان موقع المسجد كان به مسجدا أقدم وهو مسجد بنى عبدالله بن مانع بن مودع ويعرف بمسجد القبة — الخطط ج ٢ ص ٣١٨ .
(٦) د . سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون القاهرة ١٩٧١ ص٢٩٥
(٧) Hautecoeur (L.) et Wiet (G.) Les Mosqueés du Caire- Paris 1932. Tome I, P.220.

باسم الجامع الأنور وقد أوقف الحاكم عليه عدة قياسر وأملاك بباب الفتوح (١) : وقدرت نفقات اتمام البناء فى عهد الحاكم بأربعين الف دينار (٢) .

ويعد الجامع الحاكمى أضخم مساجد مصر بعد جامع ابن طولون (٣) ، اذ تبلغ مساحته نحوا من ١٤ ألف متر مربع ويتوسطه صحن مستطيل تبلغ مساحته ٥١٤٨ م٢ فقط وباقى المساحة مشغولة بالجدران والدعامات الضخمة (٤) . ورغم أن الجامع فى مجموعه مبنى من الطوب الاحمر ، الا أنه أقدم مساجد مصر الباقية والتى استخدم الحجر فى بنائها ، حيث استخدم فى بناء السور والمدخل الغربى للجامع (٥) . ومن الملاحظ ان الحجر كان مستخدما أيضا فى جدران القصر الفاطمى .

ومن منشآت الحاكم بأمر الله الهامة فى مصر جامع راشدة جنوبى الفسطاط الذى بدأ فى انشائه فى ١٧ ربيع الآخر عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م وكان متولى البناء الحافظ " أبو محمد عبد الغنى ابن سعيد والمصحح لمحرابه على بن

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٩ .
(٢) أيمن فؤاد سيد : نصوص ضائعه من المسبحى ص ٢٠
(٣) د . أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ـ دار المعارف ـ القاهره ١٩٦٥ ـ ج ١ ص ٦٣ ـ ٦٥ .
(٤) أنظر Berntjes (B.), Die Araber. West Germany 1971. S. 136.
(٥) Hautecoeur (L.) et Wiet (G.) . Op. cit. P 221.

يونس المنجم (١) . وكان فى موقع المسجد ، كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى (٢) . وقد عرف بجامع راشدة لانه كان بالمكان الذى أنشأ به عرب نازلة يقال لهم "بنو راشدة" ، اختطوا بهذا المكان جامعا وبنى الحاكم جامعه على أثره فسمى بجامع راشدة (٣) . بينما نجد القلقشندى يذكر أن جامع راشدة الذى بنته قبيلة تعرف بهذا الاسم كان على مقربة منه فعرف جامع الحاكم بنفس الاسم (٤) .

وقد فرش هذا الجامع فى رمضان عام ٣٩٥هـ (٥) وصلى فيه ، وخطب الحاكم فى المسجد فى رمضان ٣٩٨ هـ (٦) ، وبعد ذلك بعامين فى رمضان عام ٤٠٠هـ علقت بجامع راشدة قناديل وتنور من فضه (٧) الا أن الحاكم هدم المسجد فى عام ٤٠١ هـ وأعاد بناءه بالحجر بعد أن كان مبينا بالطوب (٨) ، وفى شهر رمضان عام ٤٠٣ هـ صلى الحاكم بأمر الله صلاة الجمعه فى جامعه الجديد (٩) .

---

(١) ابن خلكان : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٨٢ .
(٢) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ص ١٩ .
(٣) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٨٣ ويستبعد ابن الزيات ان يكون قد سمى براشدة نسبة الى خظية للحاكم بينما يذكر د . ماجد ان راشدة كانت عمة للحاكم وتوفيت فى أيامه وخلفت ثروة هائله – الحاكم بأمر الله ص ٨١ .
(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٤٥ .
(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٥٨ .
(٦) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ص ٢٥ .
(٧) المرجع نفسه ص ٢٩ .
(٨) ابن دقماق : الانتصار لواسطه عقد الامصار – ج ٤ ص ٧٨ – ٧٩
(٩) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ص ٣١ .

ويبدو أن الحاكم قد وجه عناية خاصة لهذا الجامع . فبناه بالحجر ووضع فيه قناديل الفضه وأقام الخطبة فيه رغم وجود جامع عمرو بالفسطاط أيضا . ومن المستبعد تفسير اهتمام الحاكم بهذا الجامع على أنه محاولة للقضاء على مركز جامع عمرو بن العاص اذ أننا تعرف ان الحاكم اشترى جامع عمرو من أبناء عمرو بن العاص بمائه الف دينار وأدخل عليه عمارات كثيرة وعجيبة منها ثريا من الفضة ، أطنب فى وصفها ناصر خسرو (١) .

كما ينسب الى الحاكم بناء ثلاثه مساجد معلقة (٢) ، وجامع بمدينة الاسكندرية أمر ببنائه عام ٤٠٤ هـ (٣) / ١٨٣ م .

وللحاكم بأمر الله جامع عرف بجامع المقس على شاطئ النيل بدأ فى بنائه عام ٣٩٣ هـ (٤) / ١٠٠٣ م وأوقف على هذا الجامع أوقافا عديدة وقد جدد هذا المسجد فى العصر المملوكى عام ٧٧٠ هـ (٥) / ١٣٦٨ م .

وقد شيد الحاكم دار العلم بالقاهرة بجوار القصر الغربى وافتتحت فى جمادى الآخر عام ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م (٦) ويضاف الى ذلك ان الحاكم كان يتحمل

---

(١) ناصر خسرو : المرجع السابق ص ٥٩ .

(٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٥٤ ويذكر على مبارك انها كانت بخط ابن طولون منها مشهد محمد الاصغر والمسجد المعروف عند العامة بمسجد الشيخ عبد الرحمن الطولونى اما الثالث فلعله كان بالقرب منهما .
على مبارك : الخطط التوفيقية الجديده لمصر والقاهره ومدنها وبلادها القديمة بولاق ١٣٠٥ هـ جـ ٢ . ص ٤٢ .

(٣) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٠٠ .

(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٦٥ .

(٥) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٩ .

(٦) د . عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ٢٠ وقد اشرنا الى وظيفتها عند الحديث عن الرواتب .

نفقـات ٣٦ ألف مسجد بمصر ويحمل اليها القناديل والتنانير والمصاحف والبخـور والستـور والحصر والإضاءة الخاصة فى شهر رمضان فى مواكب شعبية (١) .

وبانتهاء عصر الحاكم بأمر الله انتهى عصر الخلفاء المشيديـن إذ تكـاد تخلو فـترة خلافـة الظاهر والنصف الأول من عصر المستنصر (قبل الشدة) من مبـان ذات خطـر ، وكما كان عصرهما فترة انتقال مهـدت من الناحية السياسية لعصـر الوزراء العظـام ، كان الأمر كذلك من الناحية المعماريـة .

فلـم يـرد فى المصادر التاريخية ذكر عن منشآت للظاهر لاعزاز دين اللـه اللهـم الا حظير دائـر على مقياس النيـل بالجزيرة فى ربيع الأول ٤١٥هـ /١٠٢٤م ووكـل به الشريف "أبو طالب محمد بن العجمى" متولى الصناعة فبناه بالحجر الأبيـض وأنفق عليـه مالا كثيرا ونقل اليه الحجر من حظير كبير كان مبنيا على الشاطىء (٢) .

عمائر الخلفاء بعد الشدة :

اما المستنصر بالله فانـ سجله المعمارى خال من الأعمال الهامة فلا يحـوى الا تجديد قصر الذهب بالقصر الكبير عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م وقبله تجديـد بالجامع الأزهر فى عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٣٦ م (٣)

---

(١) د . عبدالمنعم ماجد : الحاكم بأمر الله ص ٨١ .

(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢ .

(٣) د . عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ١٣ ، ٢٥ ، ذهبت آثار القصر الكبـير الان ولازالت بقايا تجديد الأزهر قائمـه .

ويتميز العصر الفاطمى بعد الشدة العظمى بقلة منشآت الخلفاء ويلاحظ ان معظم منشآتهم تركزت فى فترات حكموا فيها بدون وزراء . فالخليفة الآمر باحكام الله بنى قصرا بالروضة لزوجته البدوية حتى لاتبتعد عن جو الصحراء [(١)] ، وبنى أيضا منظرة من خشب ببركة الحبش كانت مزوقة بصور شعراء وابيات لهم [(٢)] وربما يكون الآمر قد شيد هذه المنشآت فى الفترة التى تولى فيها الأمور بالبلاد بدون وزارء [(٣)] وهى عامة ليست بالمنشآت الضخمة .

ويرجع انشاء الجامع العتيق بسوهاج إلى المحرم عام ٥٢٩ هـ / ١٠٣٧م كما يدل على ذلك لوح تذكارى من الرخام (٨٠ × ٥٠ سم) وينسب البناء الى " ولى عهد أمير المؤمنين ابن الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين " [(٤)] . وهى فترة كان الحافظ يحكم بها بدون وزراء من ٢٦ ذى الحجة ٥٢٦ هـ الى ١١ جمادى الاخرة ٥٢٩ هـ [(٥)] / ١٠٣٨ م .

ويذكر ابن الزيات أن الحافظ انشأ مشهد النور الذى دفنت به الشريفه مريم ابنة عبد الله ابن محمد بن احمد بن اسماعيل بن القاسم الرس بن طباطبا وبنى ايضا مشهد السيدة رقية وهو مشهد رؤيا ، وبنى أيضا مشاهد ومساجد

---

(١) انصاف رياض : المرجع السابق ص ١٦٨ وقد أندثر هذا القصر .

(٢) د . حسن الباشا : فنون التصوير الاسلامى فى مصر القاهره ١٩٧٣ م ص٥٧ وهى أيضا منظرة مندثرة .

(٣) تبدأ هذه الفترة بمقتل المأمون عام ٥١٩ هـ وحتى وفاة الآمر عام ٥٢٤هـ — أنظر : د . المناوى : الوزراء والوزراء ملحق ٣ ص ٣١٢ .

(٤) د. سعاد ماهر : محافظات ص ٢٤١ لوحه ١٦ . والمسجد مجدد ولايرجع بناؤه الحالى للعصر الفاطمى .

(٥) د. المناوى : ص ٣١٢ . وفترة اخرى من ٥٤٢ هـ الى ٥٤٣ هـ .

أخـرى (١) وربما كان ذلك فى فترات الحكم المنفـرد •

وليس من قبيل المصادفة أن آخر منشآت القاهرة التى تنسب الى خليفـــة فاطمـى وهو الجامع الظافرى يرجع تاريخ بنائـه الى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م (٢) وهى فترة حكم فيها الظافـر بدون وزراء من بعد وفاة الحافظ لدين الله (٣) •

وقد بنى الظافر باعداء الله اسماعيل مسجده الذى وقف عليه اوقافا كثيـرة (٤) داخل باب زويلة على الشارع الاعظم بالقرب من حارة الديلـم (٥) وقد عرف الجامع باسم الجامع الأفخـر ويعرف منذ عصر المماليـك على الاقل بجامع الفاكهييـن (٦) ومكانـه الآن على رأس حارة خوشقدم بالجزء الجنوبـى من شارع المعز لدين اللـه ولا يعود بنائـه الحالى للعصر الفاطمـى •

عمائـر عصر الوزراء العظام (بعد الشدة المستنصرية) :-

ويعد عصر الوزراء المشيدين انعكاسا صادقا لكل سمات عصر الوزراء العظـام التى تتلخص فــى :

١ ـ تزايد نفوذ الوزراء من العسكريين حتى اصبحوا هم الحكام الفعليين للبـلاد واصحاب اكبر الثروات ومنهم من كان على مذهب السنة وعمل على ازالة الخلافة.

---

(١) ابن الزيات : المصدر السابق ص١٨٤ • الباقى منها هو مشهد السيده رقية
(٢) القلقشندى : صبح الاعشـى ج ٣ ص ٣٦٥ •
(٣) د.المنـاوى : المرجع السابق ص ٣١٢ •
(٤) ابن خلكان : المصدر السابق ج ١ ص٢١٥ ، عبدالله الشرقـاوى : تحفـة الناظريـن ص ٣٥ •
(٥) ابوالمحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ٢٩٠ •
(٦) المقريـزى : الخطط ج ٢ ص٢٩٣ •

٢ ـ الضعف العام للدولة الفاطمية وقلة متحصلها من خراج الأرض (الايرادات)

٣ ـ تعرض مصر لاطماع القوى الخارجية التى شجعها ضعف مصر .

٤ ـ تزايد أهمية حكام الاقاليم وخاصة حاكم قوص الذى كان يعد الرجل الثانى بعد الوزير وقوى بعض حكام هذا الاقليم بمنصب الوزارة .

ولذا فاننا نجد أن معظم المنشآت التى قام بها الوزراء وحكام الأقاليم كانت عبارة عن تجديدات او ترميمات فى مبان قائمة سواء فى المساجد أو القصور والمناظر وتميزت منشآتهم بضآلة الحجم بالقياس الى مبانى الخلفاء الاول وقد أعطى الوزراء اهمية متزايدة لحركة البناء فى الاقاليم .

وشهدة العمارة الحربية اهتماما مكثفا إلى جانب تزايد أعداد المدارس السنية التى أنشئت لمقاومة مذهب الدولة الشيعى وخاصة فى أواخر العصر الفاطمى .

أ ـ العمارة الحربية :ـ

كان من نتيجة الضعف الذى انتاب الخلافة بعد الشدة أن استطاع الصليبيون والسلاجقة الإستيلاء على معظم ممتلكات الفاطميين بالشام بل وزحفوا بجيوشهم صوب مصر مقر الخلافة نفسها ، ومن المعروف أنه فى أوقات الحرب والتهديد بها فان العمارة والفنون تخضع للاتجاه نحو خدمة الأغراض الحربية (١) .

ولاغرو أن كانت أسوار القاهرة وبواباتها هى أهم المنشآت المعمارية للوزير بدر الجمالى فما ان استقر له الامر فى مصر واستعادت البلاد بعض قوتها

---

(١) د . فريد شافعى : العمارة الحربية ص ٢٣٣ .

الاقتصادية ووحدتها السياسية التى فقدتها اثناء الشدة العظمى حتى بدأ بدر الجمالى فى بناء السور الجديد للقاهرة عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م (١) .

وقد أقام بدر الأسوار الجديدة موازية لأسوار جوهر القديمة وان زاد فى رقعة مساحة القاهرة بمقدار ١٥٠ مترا الى شمال السور القديم ، وحوالى ٣٠ مترا الى الشرق ومثلها الى الجنوب (٢) .

وقد استعمل بدر فى بناء السور الطوب اللبن بينما كانت الأبواب من الحجارة (٣) ولازالت أجزاء من أسوار بدر والبوابات الثلاثة الرئيسية باقية للآن - كشاهد عيان على عظمة بنائها وكثرة النفقات التى مولت هذا المشروع الحربى الضخم والذى استمر بناؤه نحوا من ثمان سنوات اذا انتهى السور الشمالى وبوابتيه باب الفتوح وباب النصر عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧م (٤) ، بينما تم بناء السور الجنوبى وباب زويلة عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م (٥) ويظهر فى الأسوار والبوابات تأثير العمائر السوريه (٦) .

وعندما تولى صلاح الدين الوزارة للعاضد آخر خلفاء الفاطميين عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٩ م كانت مصر قد مرت بأحداث عاصفة عرضتها لخطر الصليبيين غير مرة

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ٣٢١ .
(٢) د . حسن الباشا (واخرون): القاهرة ص ٤٧٢ .
(٣) د . حسن الباشا : المدخل ص ١٨٧ .
(٤) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe , Tome 6, Le Caire MC M XXXVI, P. 238.
(٥) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩ .
(٦) Hautecoeur et Wiet: Op. cit. P 232.

وإزاء استمرار التهديد الصليبي للخلافة المحتضرة بدأ صلاح الدين في تجديد سور القاهرة ليضم الفسطاط داخله حتى يتسنى له الدفاع عن العاصمة الممتدة ضد الهجمات المحتملة من الصليبيين (١) وبدأ عمله ذلك في عام ٥٦٦ هـ أي قبيل سقوط الخلافة الفاطمية (٢) .

وحظيت الأسكندرية أيضا بعناية الوزراء من الناحية الحربية ، إذ كانت أهم موانى مصر التجارية على المتوسط وكانت تتعرض لهجمات الصليبيين من البحر .

ففي أواخر عهد الآمر عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣م تولى أبو تراب حيدرة أخو الوزير المأمون الاسكندرية فقام بتعمير سور الاسكندرية وتجديده (٣) .

وفي أواخر العصر الفاطمي عام ٥٥٧ هـ شيد الوزير أبو الأشبال ضرغام بن سوار البرج عند باب البحر بالاسكندرية فعرف ببرج ضرغام وقد لعب هذا البرج دورا كبيرا في الدفاع عن المدينة ضد كل المغيرين الذين حاولوا الهجوم عليها (٤) .

---

(١) د . احمد فكرى : مساجد القاهره ومدارسها القاهره ١٩٦٩ م ج ٢ ص٧

(٢) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ص ٣٢١ .

(٣) د . السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ص ٢١٤ .

(٤) د . جمال الدين الشيال : تاريخ مدينة الاسكندرية ص ٤٥ .

أما عمائر عصر الوزراء العظام الدينية والمدنية فانها غالبا ماكانت منشآت صغيرة لاترتقى إلى مستوى المشاريع المعمارية الضخمة وكثير منها كان مجرد تجديدات فى آثار قائمة وتعكس المبانى المدنية ميل الوزراء الى الترف ومحاكاة الخلفاء الأول فى بناء المنازل الضخمة والمناظر وتومىء كثرة منشآت الوزراء المدنية فى مدن الأقاليم إلى اللامركزية التى ميزت العصر الفاطمى الأخير والأهمية المتزايدة التى اكتسبها حكام وولاة الأقاليم وقد أدى تسلط وزراء من السنة على الخلفاء وسعيهم نحو اضعاف الخلافة الشيعية الى تزايد حركة انشاء المدارس السنية خاصة وأن الأفضل بن بدر الجمالى كان قد اغلق دار العلم التى أنشأها الحاكم بأمر الله (١) .

(١) د ٠ عبدالرحمن زكى : القاهرة ص ٢٠ ٠

العمائر المدنيـــة :

عمل الوزراء العظام على محاكاة حياة الخلفاء فلم تعـد تقنعهـــم الا الـــدور الفاخرة ، وقد سكن بدر الجمالي في دار عرفت بـدار المظفر بحـارة برجـوان . ولم تشيد دار للوزارة يسكنها الوزراء على تعاقبهم الا في عهـــد الأفضـل بن بـدر الجمالي ، ولم تكن دار الوزارة الا قصرا كبيرا ، حيث كانـت تشتمـل على عدة قاعـات ومساكـن وبستـان وغيره وكان فيها مائـه وعشرون مقسما للمـاء الذي يجـرى في بركها ومطابخهـا (١) .

وبنى الأفضل دارا أخرى على شاطئ النيل بالفسطاط عرفت بدار الملـــك وانتهـى من بنائهـا عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م وسكن بهـا وقد مدحهـا الشعراء لحسنهـا (٢) وللافضل تنسـب أيضا منظـرة الخمس وجوه والمتنزه المعروف بالتاج (٣) .

ولم يكن خلف الافضل الوزير المأمون البطائحي بأقل حماسـة لبناء المناظر والقصـور من سلفـه فبنى ثلاثـة مناظر بالقاهره اندثرت جميعها الآن أحداهـن بين باب الذهـب وباب البحر ، والأخرى على قوس باب النصر ، ومنظرة ثالثـــه تعرف باسم الزاهرة أو الفاخـرة او الناضرة وكان يجلس الخليفة فـــي إحداهـــا

---

(١) المقريزي : الخطط ج ١ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ . اندثرت هذه الدار أيضا .

(٢) ابن ميسـر : المصدر السابق ج ٢ ص ٤٢ ويذكر أنها اصبحت دار متجـر في أيام الملك الكامل محمد الأيوبي ثم عملت وكالة في أيام الظاهر بيبرس ولاأثـر لهـا الان .

(٣) المقريزي : الخطط ج ٣ ص ٧٤ . زالت معالم هذه المنظره ولا وجود لها .

لعرض العساكر يوم عيد الغدير ويقف الوزير فى قوس باب الذهب (١) .

وفى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م أنشأ المأمون منظر بجزيرة مصر بعد أن نقل المراكب الحربية من الصناعة التى بها الى الصناعة القديمة بساحل مصر (٢) .

كما اعاد المأمون بناء منظرة اللؤلؤة (٣) التى كانت من انشاءات العزيز بالله وتشعثت اثناء الشدة العظمى .

ولم يخل سجل المأمون المعمارى من مبان ذات اغراض تجارية فقد أمر فى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م ببناء دار وكالة بالقاهرة لمن يصل من العراق والشام من التجار (٤) . ومما يؤسف له أن الزمن لم يبق على أى من هذه المنشآت المدنية .

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٠٤ .

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٣ .

(٣) المقريزى : اتعاظ هامش ١ ج ٣ ص ٨١ .

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٢ . كانت هذه الوكالة بجوار دار الضرب التى انشأها المأمون بالقشاشين وقد حدد المقريزى مكانها فى عصره بأنها على يمنة السالك من رأس الخراطين الى سوق الخيميين والجامع الازهر . المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٥١ .

العمائــر الدينيـــة :

لم تذكـر المصادر التاريخيـة منشآت دينيـة للوزير بـدر الجمالـى فـى اطـار القاهرة ومصر الا مسجـد الجيوشى الذى شيد على هضبـة المقطـم فـى عـام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م وبالرغم من صغـره الا أنـه يعتبر من أجمل الاثـار الفاطميـة(١) ، وهو فريـد فى تصميمـه وبناء قبتـه عما هو معروف بمصـر الفاطميـة(٢) وعـدا ذلك فان اعمال بدر الجمالى المعماريـة تقع كلهـا خـارج القاهرة وكلهـا تقريبـا اعمال اضافـات وترميمـات بآثار قائمـة .

جامـــع العطاريـــن :

تكـاد المصادر التاريخيـة التى أشارت الى الوزير بدر الجمالى أن تجمـع علـى أنـه قد بنـى هذا الجامع بالأسكندرية عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م بعـد أن نجح فى الاستيـلاء على المدينـة والقضـاء على تمـرد ابنـه الأوحـد وأخذه أسيرا(٣) وأنه بنى هذا الجامع من أموال أخذها من الأسكندرانيـين وفـرغ منـه فى شهر ربيع الأول من عام ٤٧٧ هـ(٤) / ١٠٨٤ م أى انه لم ينفق على عمارتـه

---

(١) د . عبد الرحمن زكى : قلعة صلاح الدين وماحولها من الاثار القاهـره ١٩٧١ ص ١١٦ .

(٢) Répertoire : Op. cit. Tome I. P. 230.
Hautecoeur(L.) et Wiet (G.) Op. cit. P. 232,
Glück(H.) Und Diz (E.): Die Kunst des Islam, Berlin 1925,S. 163.

(٣) ابوالمحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ١١٩ .

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦ ــ ٢٧ ، ويذكر ابن خلكان خطـأ أنه بنى جامع العطارين عام ٤٧٩ هـ وفيات ج ٢ ص ١٦٠ .

وقد ظلت الخطبة بالاسكندرية تقام بهذا الجامع حتى دخل صلاح الدين الأيوبي فنقل الخطبة منه (١) .

ورغم تأكيدات المؤرخين بأن منشيء هذا الجامع هو بدر الجمالي فان النص التأسيسي يكذب ماذهبوا اليه ، فأعمال بدر في الواقع كانت تجديدات قرر اقامتها " عند حلول ركابه بثغر الاسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خراب فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفى إلى الله تعالى " وذلك كما ورد في لوح من الرخام لازال في الجامع إلى اليوم أسفل المئذنة إلى يسار الداخل من الباب الشمالي الشرقي ، وكان المسجد القديم قد أنشيء على انقاض كنيسة قديمة (٢). وقد بلغ ماجمعه بدر من أهل الاسكندرية — على سبيل الغرامة فيما يبدو — ١٢٠ ألف دينار خصصها للانفاق على الجامع (٣) والبناء الحالي للجامع لايرجع الى العصر الفاطمي .

ولبدر الجمالي عدة أعمال تجديدية في صعيد مصر منها المسجد العتيق بإسنا الذى تهدم وجدد عدة مرات حتى ذهبت معالمه الأصليه (٤) ويشير النص التأسيسي المثبت على لوح رخامي إلى يمين المحراب إلى أن بدر الجمالي أمر بعمارة الجامع فأسس على يد القاضي أبي الحسن على بن احمد بن النضر في ذى الحجة سنة ٤٦٩ هـ وكمل سقفه عام ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م . الا أن حوادث التاريخ تثبت أن الذى عمر هذا الجامع هم بنو النضر عام ٤٢٠ هـ ثم زادوا في

---

(١) المقريزي : اتعاظ ج ٢ ص ٣٢١ .
(٢) د . جمال الدين الشيال : تاريخ الاسكندرية ص ٤٢ .
(٣) د . السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينه الاسكندرية ص ٢٢٠ .
(٤) د . سعاد ماهر : المحافظات ص ٣٠ .

عمارتـه عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧ م ولذلك فان أعمـال بدر الجمالى لاتعدوا ان تكون بعـض التجديـدات (١) .

ومئذنـة الجامع الباقيـة الى الان فى ركـن منـه ترجع الى عهد بدر الجمالى (٢) وان كان منشأهـا كما جاء فى النص التأسيسى الخاص بها هو " الأجل المنتخـب فخـر الملك سعـد الدولة تاج المعالى ذو العـز بن حسام امير المؤمنين ابـو منصـور سارتكين الجيوشى " فى عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م (٣) وعلى اساس طراز هـذه المئذنـة فان د . فريد شافعى يرجع مئذنـة جامع أُبى الحجاج بالاقصـر الـتى شيدت باللبـن فوق السطح العلوى لأُعمـدة معبد الاقصر ومئذنة المشهد القبلـى بأسوان الى عصر بدر الجمالـى (٤) .

ينسب للأفضل بن بدر الجمالى بناء مسجدين بمصر أُولهما مسجـد الفيلـة بالقرافـة الكبرى (٥) وهو بسطـح الجرف المطـل على بركة الحبش وبنـاه فـى شعبان عام ٤٧٨ هـ وبلغت نفقات بنائه ستة آلاف دينار وهو مايدل على صغـر حجمـه و سمى بجامع الفيلـة لأن فى قبلته تسع قباب فى أعلاه ذات قناطـر إذا رآها الانسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيله كالتى كانت تعمل فى المواكب أيام الأعياد وكان هذا المسجد خربا فى أيام المقريـزى (٦) .

---

(١) د . سعاد ماهر : مساجد مصر ص ٢٧٤ ، ٢٧٦ .
(٢) د . فريد شافعى : المرجع السابق ص ٣٣٠ .
(٣) د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٢٧٦ .
(٤) د . فريد شافعى : المرجع السابق ص ٣٣٠ .
(٥) ابن الزيـات : المصدر السابق ص ١٨٣ .
(٦) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ويذكر ابن خلكان أن المأمـون أكمل هذا المسجد فى وزارته . المصدر السابق ج ٤ ص ٣٨٦ .

أما المسجد الثانى فيعرف بمسجد الرصد وكان أفضل من جامع الفيلة وقد أكمله عندما صار مخصصا لرصد الكواكب (١) وهو مسجد مندثر .

وتشمل أعمال الأفضل خارج مصر والقاهرة مسجد الغمرى بمدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية (٢) وقد أمر الأفضل ببنائه فى المحرم عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م على يد القاضى " أبوالفتح المسلم بن على بن الحسن متولى الحكم الشريف فى الغربية " كما تدل على ذلك لوحته التأسيسية التى لم يبق غيرها من المسجد الأصلى (٣) . كما ينسب اليه أيضا بناء جامع الجيزة (٤) .

وليس فى سجل إضافات وتجديدات الأفضل سوى ثلاثة مآذن بناها لجامع عمرو بن العاص هى المئذنة الكبيرة والمئذنة السعيدة والمئذنة المستجدة (٥) ، وتجديد آخر بمسجد ابن طولون سجله على محراب جصى به (٦) .

ورغم أن المأمون البطائحى قد ولى الوزارة ٤ أعوام فقط (شوال ٥١٥ هـ ـ ٤ رمضان ٥١٩ هـ (٧) ، الا أنه سجله المعمارى حافل بأعمال الانشاءات

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٢٧ .
(٢) د . سعاد ماهر : المحافظات ص ٩٤ ـ ٩٥
(٣) د . سعاد ماهر : مساجد مصر ص ٢٩١
(٤) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ص ٧٢ وان كان محقق الكتاب ينقل عن الخطط ان ـ جامع الجيزة بنى عام ٣٥٠ هـ زمن على بن عبدالله بن الاخشيد ولم يورد المقريزى فى الخطط ذكر لدور الافضل فيه ـ هامش ٤ . ولا أثر لهذا الجامع الان .
(٥) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ص ٧٢ .
(٦) Répertoire : Op; cit. Tome 8 , P.4.
(٧) د . حمدى المناوى : الوزارة ص ٣١٢ .

والتجديدات فبلغ ما انشأه فى وزارته وفى أيام الأفضل ٤١ مسجدا مع ما أمر بتجديده بعد وزارته بالقاهرة ومصر وأعمالها ما يناهز مائتى مسجد (١) .

ويأتى الجامع الأقمر فى طليعة منشآته الدينية فقد بدأ فى بنائه فى نفس العام الذى ولى فيه الوزارة واتمه عام ٥١٩ هـ (٢) وكان مكان الجامع دكاكين علافين (٣) ويقال أن المأمون اشترى له حمام شمول ودار النحاس بمصر وحبسهما على سدنته ووقود مصابيحه ومن يتولى أمره ويؤذن فيه (٤) وبلغت نفقاته مائتى ألف دينار (٥) . ولم تكن الخطبة تقام بهذا المسجد طوال العصر الفاطمى وانما جددت به خطبة على يد الأمير بلبغا السالمى أحد امراء الظاهر برقوق عام ٨٠١ هـ (٦) .

وجامع الأقمر هو أول مسجد يراعى اتجاه خط تحديد الطريق ولذلك جاءت واجهته منحرفة بالنسبة لاتجاهات واجهات الصحن (٧) .

وقد بنيت واجهته بالحجر الذى أستعمل فى القصور الفاطمية وبوابات بدر الجمالى ولعل ذلك جاء نتيجة الرغبة فى الاعتماد على صلابة الحجر وقد رتبه على

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ص ٩٢ .
(٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٩٠ اتفق المقريزى (اتعاظ ج ٣ ص ٧٧) وابن خلكان (ج ٤ ص ٣٨٦) وابن ميسر (ج ٢ ص ٦٢) وابوالمحاسن (ج ٥ ص ٢٢٩) على ان بانى الجامع الأقمر هو الوزير المأمون بينما يذكر ابن اياس ان الآمر هو المنشئ (ج ١ ص ٦٣) ويزيد القلقشندى ان الآمر بناه بوساطة وزيره المأمون البطائحى (ج ٣ ص ٣٦٥) وتثبت النصوص التأسيسية الذى أمر بعمل الجامع الوزير المأمون . انظر د . سعاد ماهر / مساجد مصر ص ٣٢٣ .
(٣) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٢
(٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٩٠ .
(٥) ابن اياس: المصدر السابق ج ١ ص ٦٣ .
(٦) القلقشندى : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٦٥
(٧) توفيق عبدالجواد : تاريخ العمارة القاهرة ١٩٦٩ م ج ٢ ص ٣٠٥ .

البقاء وتوفير المادة الملائمة للزخرفة المنحوتة بشتى أنواعها من نباتية وهندسية وكتابيه والتى ابدع الفنان فيها فجاءت آية من آيات الفن الجميل (١) وكانت الواجهة الحجرية تتكون من ثلاثة أقسام ضاع الأيمن منها (٢) .

وتبدو هذه المبالغة الزخرفية فى الواجهة كما لو كانت محاولة لاثارة إعجاب الناس وذلك كبديل للهيبة التى كانت تعطيها المبانى ذات النسب الضخمة التى ميزت مبانى الخلفاء الأقوياء إذ أن هذا المسجد مساحته الداخلية (٢٨ × ٣٤ ر١٧ م) تعادل نحو ٤٠٨٥ م٢ ليست جميعها مبنية اذ يتوسطها صحن أوسط مساحته (٣٦ ر٩٩ م٢) (٣) .

ومن المساجد التى أنشأها مسجد الكافورى فى البستان الكافورى بالقاهره أسسه عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م ومتولى عمارته وكيله ابو البركات محمد بن عثمان وكتب اسمه عليه وقد ظل قائما حتى شاهده المقريزى (٤) وينسب إليه أيضا بناء مسجد أمام باب الخوخة على يد وكيله وكان الصناع يعملون فيه ليلا ونهارا حتى أنه تصدع واحتيج الى تجديده (٥) .

---

(١) انظر Creswell(K.A.C.) : The Muslim Architecture of Egypt . Oxford 1952, Vol.I, Pl. 49, 65.

(٢) د . محمد عبدالعزيز مرزوق : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك الطبعه الثانيه القاهرة بدون تاريخ ص ٨٣ — ٩٢ .

(٣) د . كمال الدين سامح : العمارة الاسلاميه فى مصر القاهره ١٩٧٠ م شكل ٥٨

(٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤١٠ .

(٥) المصدر نفسه ص ٤١٢ .

ومن مبانيه خارج القاهرة مسجد أبى بكر الطرطوشى الذى أنشأ عام ٥١٦ هـ بظاهر الثغر على البحر وقد أمر المأمون قاضى الاسكندرية ابن حديد بنائه فى موضع يتخيره الفقيه وان يبالغ فى اتقانه (سرعة انجازه) وتكون النفقة عليه من مال ديوانه دون مال الدولة (١) وقد ضاعت معالم هذا المسجد الان (٢) .

وأنشأ المأمون فى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م مسجدا بالبهنسا لتقام فيه الخطبة وأقيم فيه خطيب وإمام وقومة ومؤذنون وأطلق لهم ماهى عادة أمثالهم (٣) — وقد زالت معالم هذا المسجد الان .

وفى شوال من عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م بلغ المأمون ان جزيرة قويسنا ومنية زفتى ليس فيهما جامع فتقدم المأمون الى بعض خواصة وخلع عليه فسار وبنى جامعا على شاطئ النيل بمنية زفتى وقرر فيه خطيبا واماما ومؤذنين (٤) .

ومن المساجد التى بنيت فى عهده مسجد الذخيرة بميدان القلعة الان — تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة عام ٥١٦ هـ الذى ولى القاهرة والحسبة من نفس العام واستعمل السخرة فى بناء المسجد حيث كان يقبض على الناس للعمل فيه بدون أجرة وكان الناس يحلفونه

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ص ٩٢ وكان الطرطوشى قد حضر من الاسكندرية الى القاهرة فى نفس العام ليقدم للمأمون كتابه سراج الملوك — اتعاظ ج ٣ ص ٨٨ — انظر ترجمته فى د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٣٣٠ — ٣٣٢ .

(٢) د . السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٢٢٢ — ٢٢٤ .

(٣) المقريزى : اتعاظ ج ٣ ص ٩٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ٨٨ .

ويقولون له لا بالله فعرف لذلك بمسجد لا بالله (١) .

وقد بنى أخو المأمون المعروف بالمؤتمن سلطان الملوك نظام الدين ابو تراب حيدره مسجدا بالاسكندرية عرف بجامع المؤتمن وكان واليا على الاسكندرية والأعمال البحرية منذ عام ٥١١ هـ وبنى هذا المسجد أثناء مقامه فى هذا الثغر (٢) .

اما التجديدات التى تمت فى وزارة الأمر فأهمها قيامه فى عام ٥١٦ هـ بتجديد مسجد القرافة التى بنته تغريد أم العزيز بالله وعمر بجانبه طاحونا للسبيل ليحمل عن الضعفاء كلفة الطحن . وظل الجامع على عمارته حتى أحترق عام ٥٦٤ هـ اثناء حريق الفسطاط (٣) .

وفى نفس العام أمر المأمون بتجديد المشاهد السبعة التى بين الجبل والقرافة وأولها مشهد السيدة زينب وأخرها مشهد السيدة أم كلثوم وإصلاح ماتهدم منها واثبات تاريخ ذلك التجديد على لوح من الرخام (٤) .

يضاف الى ذلك إكماله لعمارة مسجد الرصد الذى بدأه الأفضل وانشاء منبر بهذا المسجد (٥) وبنى الوزير ابو الفتح يانس الأرمنى الذى ولى

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤١١ وهو جزء من أرض مسجد الرفاعى الان ـ د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٣٠٧ .

(٢) د . جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٣ .

(٥) ابن منجب : الاشارة ص ٦٣ ـ ٦٤ .

الوزارة لعام واحد فقط (٥٢٦ هـ) [(١)] مسجدا بظاهر باب السعادة الا أنه توفى قبل إتمامه فكمله أولاده بعد وفاته [(٢)] .

ويعد جامع الوزير الصالح طلائع بن رزيك خير ختام لجوامع الوزراء بالقاهرة إذ بناه عام ٥٥٥ هـ [(٣)] وهو بحق قمة جوامع الوزراء من حيث المساحة حيث بلغت مساحته ٢٢ ١٥ م٢ [(٤)] وهو بذلك أكبر جوامع عصر سيادة الوزراء وتدل بقايا زخارفه بالواجهة وداخل المسجد بالاضافة إلى بابه الذى يعد أقدم باب نحاس بمصر [(٥)] على مدى ثراء هذا الوزير وتعاظم نفوذه حتى أنه أراد نقل رأس الحسين التى كانت بعسقلان خوفا من الصليبيين إلى هذا الجامع الا أن الخليفة الفائز بنصر الله لم يمكنه من ذلك حيث بنى المشهد المعروف بمشهد الحسين بجوار قصره ونقل الرأس اليه فى عام ٥٤٩ هـ ولم يكن بهذا الجامع خطبة حتى عام ٦٥٢ هـ [(٦)] / ١٢٥٤ م .

وإلى جانب هذا المسجد الفخم أنشأ الصالح طلائع مسجدا آخر بالقرافة إلى جوار جامع القرافة أو الأولياء وبجواره تربه ليدفن بها [(٧)] . ويذكر

---

(١) د . المناوى : الوزارة ص ٣١٢ .
(٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤١٢ .
(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية القاهرة ١٩٤٦ ج ١ ص ٩٩ .
(٤) د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٤٠٥ .
(٥) حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ص ٩٩ .
(٦) القلقشندى : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٦٦ . ويذكر المقريزى ان الصالح طلائع لما حضرته الوفاه ندم على بناء هذا المسجد حيث انه كان خارج باب زويلة ومن الممكن استغلالة من الناحية الحربية ضد بوابه القاهرة الجنوبية — الخطط ج ٢ ص ٢٩٣ .
(٧) ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

أبو صالح الأرمنى أن الصالح طلائع حمل إلى مسجده بالقرافة بعض الأعمدة من بيعة قبطية (١) .

وقد أجريت عدة إصلاحات فى الجامع العتيق بقوص بقى منها منبر خشبى يرجع الى عام ٥٥٠ هـ (٢) / ١١٥٥ م .

---

(١) أبوصالح الأرمنى : تاريخ الكنائس ص ٥٣ ــ ٥٤ .

(٢) د . سعاد ماهر : المحافظات ص ٣٢ .

المدارس السنية :

عمد الوزراء السنيون إلى انشاء المدارس السنية لاضعاف المذهب الشيعي وكان ذلك التدعيم للمذهب السني على حساب المذهب الشيعي هو السمة المميزة لعصر الوزراء العظام .

وقد بدأت المدارس السنية في الظهور بمدينة الاسكندرية حتى انتقلت الى حاضرة الخلافة في القاهرة على يد صلاح الدين الأيوبي .

ففي عام ٥٣٢ هـ أنشأ الوزير رضوان بن ولخشي وكان مالكي المذهب (١) مدرسة لتدريس المذهب المالكي قرر فيها الحافظ أبا الطاهر بن عوف شيخ المالكية بالثغر وكانت تقع بشارع المحجة (٢) .

أما المدرسة الثانية فقد أنشأها أبو الحسن علي بن السلار بالأسكندرية للحافظ أبي طاهر السلفي (٣) في عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م أي في خلافة الظافر الفاطمي (٤) وأثناء ولاية ابن السلار على الاسكندرية (٥) وعرفت بالسلفية .

---

(١) د . المناوي : الوزارة ص ٣٠٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، د . المناوي : المرجع السابق ص ١٠٧ — ١٠٨ ، وان كان د . الشيال : يرجع تاريخها الى عام ٥٣٣ هـ انظر د . الشيال : المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣) ابوشامه : الروضتين ج ١ ص ٩١ وكان كرديا شافعي المذهب د . المناوي: المرجع السابق ص ٣٠٣ .

(٤) د . جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص ٤٤ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٢١٩ .

وجاءت الطفرة فى بناء المدارس السنية على يد صلاح الدين الأيوبى وزير العاضر الذى أقبل على إنشاء المدارس السنية لمقاومة نفوذ المذهب الشيعى (١) ، فأنشأ عدة مدارس بمصر الفسطاط خصصت عند بداية تأسيسها لتدريس مذهب واحد (٢) .

فى أول المحرم عام ٥٦٦ هـ هدم صلاح الدين حبس المعونة بمصر وعمره مدرسة للشافعية وعرفت بالمدرسة الشريفية وهى أولى المدارس السنية بمصر الفسطاط (٣) .

وفى المحرم من نفس العام هدم صلاح الدين دار الغزل (٤) بمصر وحولها الى مدرسة للمالكية عرفت بدار الغزل ثم عرفت بالقمحية لأن معلومها كان يصرف للمدرسين والطلبة قمحاً (٥) .

---

(١) د. فريد شافعى : العماره العربية ص ٤٨ ٢

(٢) د . حسن الباشا : المدخل ص ١٥٦

(٣) ابوشامه : الروضتين ج ١ ص ١٩١ المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٣١٩

(٤) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ٣٨٥

(٥) القلقشندى: صبح الاعشى ج ٣ ٣٤٦ .

النصوص التاسيسيه :

تدل النصوص التأسيسية لمبانى العصر الفاطمى الاخير على تزايد نفوذ الوزراء وتضاءل نفوذ الخلفاء حيث احتلت أسماء والقاب الوزراء الصدارة بينما تراجع نصيب الخليفة منها وظهر أيضا فى هذه الكتابات أسماء لولاة أقاليم ومحتسبين وقضاه ما كان لها أن تظهر لولا تراخى قبضة الدولة المركزيه وتضاءل نفوذ الخليفه .

ففى النص التأسيسى لباب الفتوح بسور القاهره الشمالى والمؤرخ بالمحرم ٤٨٠هـ تشير الكتابات الكوفيه الى أن منشىء الاسوار هو الوزير الأجل بدر الجمالى الذى عددت القابه (١)

وفى النص التأسيسى لتجديدات بدر الجمالى بالجامع الطولونى (٢) يرد اسم الخليفه المستنصر فى سطر واحد بينما يجىء أمر البناء منسوبا إلى بدر الجمالى والدعاء له فى سطرين . فى النص التأسيسى لتجديد جامع العطارين لم يرد إسم المستنصر بالله وحازت ألقاب ونعوت بدر الجمالى كل اللوح الرخامى (٣)

وفى اللوح التأسيسى لتجديدات جامع إسنا العتيق يشار الى اسم المستنصر فى صيغه دعائية بينما يقترن أمر البناء ببدر الجمالى ويرد إسم القاضى على بن أحمد النضر الذى كان ناظرا للأحباس بالاعمال القوصية (٤) بينما

---

(١) Répertoire : op. cit. Tome 7, P. 238.

(٢) محمود عكوش : المرجع السابق لوحه ٦١٦ Répertoire: op.cit. P. 199.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص٢٢٧ ، د . الشيال : المرجع السابق ص٤٤ . Répertoire: Op.cit. P. 225.

(٤) د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص٢٧٤ — ٢٧٦ .

يخلو نص بناء المئذنة الذى كان باسم سارتكين المنسوب الى الجيوشى (بدر) من أى ذكر للمستنصر • (١)

وفى مشهد السيدة نفيسه الذى جدد عام ٤٨٢ هـ فى وزارة بدر الجمالى ورد اسم الأفضل ابنه معه على النص التأسيسى الخاص باعمال التجديد •(٢)

اما الجامع الغمرى بالمحلة الكبرى فليعريه إشارة إلى اسم الخليفـــــه" وإنما حوى فقط اسم الوزير والقاضى أبو الفتح المسلم بن على بن الحسن متولـــــى الحكم الشريف فى الغربيـــه •(٣)

ويأتى أمر انشاء الجامع الاقمر مقرونا باسم الآمر باحكام الله الذى ذكـــر ـ ألقابـــه والدعاء له فى ٢٨٧ حرفا بينما جاء ذكر المأمون والدعاء له فـــــــى ٣٧٨ حرفا •(٤)

وحتى عندما كان الحافظ لدين الله يحكم بدون وزير وأجرى تجديدات فى الجامع الطولونى سجلها نص تأسيسى فان نصيب قاضى القضاه سراج الديـــن ابو الثريا بن جعفر كان هو الأوفى منها •(٥)

---

(١) Répertoire : Op. cit. P. 202.

(٢) Ibid: P. 248.

(٣) د • سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٢٩١ •

(٤) د • سعاد ماهر : المرجع نفسه ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ •

Répertorie: Op. cit. Tome 8, PP. 146-81.

(٥) محمود عكوش : المرجع السابق ص ٩٠ •

Répertorie: Op. cit. Tome 9, PP. 175 -6.

ويبدو أليون أكثر اتساعا بين نصيب الخليفه فى الكتابات التأسيسيه ونصيب الوزراء فى النص التأسيسى لجامع الصالح طلائع بن رزيك الذى حازت القابه والدعاء له باعتباره منشىء هذا الجامع ٢٥٩ حرفا مقابل ١٠٢ حرفا للفائز بنصر الله .(١)

(١) حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ص ٩٩ Répertoire : Op. Cit, P.21.

تأثير المجاعـات على الفنون التطبيقيـــه

ليس الباحث هنا بصدد الحديث عن أثر كل مجاعة بمفردها على الفنون التطبيقية ، إذ أن المجاعة ،كحدث تاريخي ، ليست الاحداث عابرا ، محدود الاثر ، زمانيا ، على حركة الصناعات والفنون ،فتطور هذه الفنون أو تدهورها لم يكن ليحدث طفرة واحدة ، فضلا عن أن العوامل المؤثره على الفنون التطبيقية تعد بالأساس عوامل اقتصادية واجتماعية مستقره ومتميزه بالثبات النسبي ولذا فان النتائج التى تمخضت عنها المجاعات سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية هى التى أثرت بشكل مباشر على هذه الفنون فالتغيرات الكمية التى تنتج عن كل مجاعة كانت تتراكم لتتحول فى النهاية الى فوارق كيفية ، (١) بلغت ذروتها فى أعقاب الشدة المستنصرية التى كانت علامة فارقة فى تاريخ الخلافة الفاطمية وآية ذلك أننا يمكن أن نميز بين منتجات مرحلتين مختلفتين فى تاريخ الفنون الفاطميه أحداهما تشمل القرن ٤هـ والنصف الأول من القرن ٥هـ (١٠ ـ ١١ م) أى قبل الشده

---

(١) عن العلاقة بين التغيرات الكميه والكيفيه راجع :ـ
بليخانوف (ج) : تطور النظرة الواحدية إلى التاريخ ـ ترجمة محمد مستجير مصطفى ـ القاهره .١٩٦٩ ـ ص ١١٦ .

العظمى والثانية تمتد من النصف الثانى من القرن ٥هـ حتى سقوط خلافة الفاطميين فى القرن ٦هـ / ١٢م أى بعد الشدة المستنصرية ٠

وترتكز دراسة أثر نتائج المجاعات على الفنون التطبيقية بعد الشدة العظمى على مفهومين رئيسيين :—

١— ان ما خلفته المجتمعات البشرية من آثار ثابته ومنقولة كانت تعبيرا حضاريا عن حالة هذه المجتمعات ، اتخذ من طريق الصناعة والتشييد والفن سبيلا من سبله المتنوعه للافصاح عن نفسه ٠(١)

٢— ان منتجات الفنون التطبيقية فى معظمها سلع ذات طابع فنى سواءاً كانت للاستخدام الشخصى أو المنزلى ، كالخزف والزجاج والنسيج أو كانت سلعا ترفيه كالحلى والمعادن والبللور الصخرى ، وهى فى ذلك تخضع فى انتاجها وذوقها الفنى لطبيعة "الطلب" عليها ، وبديهى ان الطلب على هذه "السلع" يرتبط الى حد كبير بنظم توزيع الثروة التى تترك أثرها على منتجات العماره والفنون وتوضح فى الوقت نفسه المستويات المختلفه لمعيشة كل طبقة من طبقات الامه ٠(٢)

---

(١) د ٠ صلاح الدين سيد البحيرى : نحو منهج تحليلى وانسانى فى دراسة الاركيولوجيا — مقال بالمجلة العربيه للعلوم الانسانية — العدد الرابع المجلد الاول — الكويت ١٩٨١ — ص١٥ ٠

(٢) د ٠ فريد شافعى : العمارة العربيه ص ٢٢٣ ٠

وقد أوجدت نظم توزيع الثروة فى المجتمع المصرى بعده الشدة ، نمطين مختلفين من الطلب نتيجة لتغير موازين القوى الشرائية :ـ

١ـ نمط الطلب الأعلى

الذى يشمل القوى الشرائية الكبيره التى حاز افرادها القسط الأكبر من ثروات البلاد بعد الشدة العظمى • والقوى الاجتماعية صاحبة هذا النمط من الطلب تشمل رجال العسكر ، الذين كانوا يتولون الوزارة ومناصب ولاه الأقاليم ، كما أن الأجناد كانوا هم المقطعين الذين حازوا معظم قبالات الأراضى الزراعية ، وقد لعبت ثروات هذه الفئات وميولها الترفيه لتقليد الخلفاء أثرا بعيدا فى تشكيل نمط الطلب الترفى الذى ساد المجتمع بعد الشدة

ويضاف الى فئات العسكريين ، كبار التجار ، سواء عملوا فى تجارة السلع الغذائية أو ارتبطوا بازدهار تجارة العبور (الترانسيت) ويلحق بهذه القوى موظفى الدواوين الذين أفادوا من تراخى القبضة المركزية للدولة ، وخاصة الذين كانت أعمالهم تتعلق بأقاليم البلاد كالمساحين ومحصلى الضرائب • وقد تمتع الأقباط بمركز متميز بين الفئات الأخيرة ، لأن الدولة كانت تعول عليهم فى مسح الأراضى الزراعيه وتقدير الخراج •(١) ولا نجد وصفا لمركزهم المميز أبلغ تعبيرا أو أشمل

---

(١) سجل لنا المقريزى محاولة أحد الكتاب الاقباط فى عهد الحافظ لدين الله تقرير ضريبة اطيان على ضامن المعدية الذى أصر على تحصيل أجر تعديه الكاتب رغم أن ضامن المعدية لايملك اراضى زراعية ـ الخطط ج ١ ص ٤٠٥ •

مما أورده المقريزى عن حالهم فى عهد الحافظ لدين الله بعد أن ولى الدواوين الأخرم بن زكويا الذى أعاد " كتاب النصارى أوفر ما كانوا عليه وشرعوا فى التجبر وبالغوا فى اظهار الفخر وتظاهروا بالملابس العظيمة وركبوا البغلات الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضايقوا المسلمين فى أرزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاوقاف الشرعية واتخذوا العبيد والمماليك والجوارى من المسلمين ".(١) والحق أن أهل الذمة احتلوا طوال عصر الفاطميين مكانة بارزه سواء اشتغلوا بالتجارة أو خدموا فى دواوين الدولة ، ويمكن ترسم أثرهم على الفنون فى ظهور رموز مسيحية على بعض المنتجات الفنية .

٢ــ نمط الطلب الأدنى :ــ

ويشمل القوى الاجتماعية ذات المقدرة الشرائية الضعيفة ، التى يأتى الفلاحون فى مقدمتها باعتبار تأثرهم باضمحلال الزراعة وانتشار الأوبئة الفتاكة أثناء المجاعات التى نشرت الفقر بين صفوف الفلاحين ، فلم يعودوا بقادرين على الدخول فى تزايدات قبالة الأراضى ، وظلوا حتى نهاية العصر الفاطمى مجرد أجراء فى الأرض.

وإلى هذه القوى المحدودة الدخل ينتسب فقراء المدن الذين أرهقوا من جراء تزايد المكوس التى شملت جميع أوجه النشاط التجارى والصناعى.

وقد توجه " طلب " هذه القوى الشرائية المنخفضة نحو السلع الرخيصة التى تلبى احتياجاتهم المعيشيه الأساسية.

---

(١) المقريزى : اتعاظ ج ١ ص٤٠٦ .

وإزاء وجود هذين النمطين المتباينين من الطلب ، نشأ نمطان مقابلان من " العرض " يوفر كل منهما سلعا تستجيب لهذه القدرات الشرائية المتناقضة ورغم أن المنتجات أو السلع المرتفعه الثمن تميزت بذوق فنى رفيع ، الا أن الذوق الفنى لم يتخل عن المنتجات الرخيصة الثمن ، لأن منتجات العصر الفاطمى الأخير تميزت فى مجملها بطابع عام مميز كما سنرى على منتجات الخزف بشكل خاص.

تأثير المجاعات على منتجات الخزف والفخار :-

يعد الخزف والفخار أكثر منتجات الفنون التطبيقية تأثرا بحالة المجتمع وأبلغ تعبير عنها فى ذات الوقت ، ويرجع ذلك ليس فقط ، إلى قابليته للكسر بسهولة ، مما يجعل الطلب عليه فى تجدد مستمر ، بل وأيضا الى أن الخزف كان مادة شائعة الاستعمال بين كل طبقات المجتمع ، حتى أن الخزف يعد سجلا صادقا لحالة المجتمع المصرى قبل وبعد الشدة ، حافلا بالاشارات إلى مستويات المستهلكين المادية وذوقهم الفنى .

١ - الخزف ذو البريق المعدنى :-

وهو نوع من الخزف ابتكره الخزاف المسلم ربما ليكون بديلا عن الأوانى الذهبية والفضية التى حرم الإسلام إستعمالها .(١) وفى هذا النوع تستعمل الأكاسيد المعدنية للرسم على البطانة البيضاء المعتمة التى تكسى بها طينة الاناء ، وذلك بعد حرق الأوانى حرقا أوليا ثم تحرق بعد الرسم حرقا بطيئا جدا تحت درجة حرارة أقل من

---

(١) د. زكى محمد حسن : فنون الاسلام ـ القاهره ١٩٤٨ ـ ص ٢٥٩ .

الأولى وعندئذ تتحول الأكاسيد المعدنية باتحادها مع الدخان الى طبقة معدنية رقيقه جدا [(١)].

ولا شك أن المواد المستخدمه فى صناعة هذا النوع تضعه فى مصاف المنتجات المرتفعه الثمن التى تقبل على شرائها القوى الشرائية الأكبر فى المجتمع ، خاصة وأن هذا النوع كان يحرق فى الفرن ثلاث مرات [(٢)] قابلة للزيادة عند استخدام طلاءات مختلفة يلزم حرقها [(٣)].

وتظهر استجابة صناع أوانى الخزف ذى البريق المعدنى " لطلب " الاغنياء الجدد الترفى أول ما تظهر فى طريقة صناعة هذه الأوانى ، فمنتجات هذا النوع التى تنتسب الى قبل الشدة العظمى (٤ ــ ٥هـ / ١٠ ــ ١١م) تختلف عن منتجات بعد الشدة (٥ ــ ٦هـ) ١١ ــ ١٢م) التى تتميز بجمال اشكال أوانيها ورقه جدرانها [(٤)].

ومن الناحية الزخرفية ، ازدادت العناية بزخارف أوانى الخزف ذى البريق المعدنى بعد الشدة ، ويعزى أوليج جرابار Grabar ذلك التطور الذى حدث فى منتصف القرن ٥هـ/ ١١م الى الشدة العظمى عندما ظهر الى النور عدد

---

(١) ديماند (م.س) الفنون الاسلامية : القاهره ١٩٥٨ ــ ص١٧٥.

(٢) مرة لاكساب الطمى صلابة وثانية لتثبيت الطلاء الزجاجى والثالثه لتثبيت الاملاح المعدنيه ــ انظرا :ــ
جمال محرز : الخزف ذو البريق المعدنى فى مجموعه د. على ابراهيم بحث مستخرج من مجلة كلية الاداب ــ جامعة القاهره ــ المجلد السابع عدد يوليو ١٩٤٤ ــ ص٢.

(٣) د. حسن الباشا : المدخل الى الاثار الاسلامية ص ٣٧٥.

(٤) د. حسن الباشا (واخرون) : القاهره ص ٣١٥.

من التحف الفنية التى كانت حتى ذلك التاريخ محجوبة عن الأنظار ، نتيجة عمليات النهب التى جرت لخزائن المستنصر " ومن ثم فان الموضوعات الفنية التى كانت مقصورة على دوائر الخليفة والامراء أصبحت متاحة أمام البرجوازية الثريه الجديدة فى مدينة القاهرة وتحولت على أيديها الى فن مصرى جديد "[1] والواقع أن زخارف الخزف تميزت بعد الشدة بتصمياتها المركبة ودقتها سواء كانت رسوما تمثل الطيور والحيوانات وآدميين أوزخارف نباتية وكتابية وهندسية .

زخارف الخزف ذى البريق المعدنى قبل الشده :-

اعتمدت التصميمات الزخرفية فى القرن ٤ – ٥هـ / ١٠ – ١١م على رسم عنصر زخرفى رئيسى يملأ المسطح المراد زخرفته ، وهذه سمة عامة لمنتجات هذه الفترة التى ينسب جزء منها للفنان مسلم ومدرسته[2] وتمتاز هذه الرسوم بالبساطة ، وكلها تقريبا مجرد موضوعات زخرفية قصد منها ملأ فراغ الاناء بالرسوم ولم تخرج هذه الزخارف عن عناصر الزخرفة الإسلامية المعروفة .

ومن القطع التى زخرفت برسوم الحيوانات كموضوع زخرفى ، صحن من الخزف ذى البريق المعدنى محفوظ بمتحف الفن الاسلامى ببرلين[3] ملأ الفنان أرضيته برسم أرنب طويل الأذنين يخرج من فمه فرع نباتى يتشكل على هيئة أنصاف مراوح

---

(١) جرابار (أوليج) : الفنون العالمية والمحلية فى الاسلام (موضوع الفن فى العصر الفاطمى) – ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهره ١٩٧٠ – ج ١ ص ٢٤٩ .

(٢) مسلم بن الدهان أحد الخزافين الذين وردت توقيعاتهم على القطع الخزفيه الفاطمية وينسب انتاجه الى نهاية القرن ٤هـ وبداية القرن ٥هـ – أنظر د . محمود ابراهيم حسين : اعلام المصورين المسلمين واشهر اعمالهم القاهره ١٩٨٢ – ص ٤٨ .

(٣) Kleij(A.) Islamische Kermik, Berlin 1973, S.90.

نخيلية ، تختلط مع جسم الأرنب لتكون موضوعا زخرفيا واحدا . وتتضح فى رسم الأرنب نفس السمات التى ميزت رسم الحيوانات فى هذه الفترة من عدم مراعاة النسب التشريحيه والميل إلى رسم أجسام ممتلئه للحيوانات.(١)

ويشبه أسلوب رسم هذا الأرنب رسم لأرنب على صحن محفوظ بمتحف كلية الاثار جامعة القاهره (رقم السجل ١٩٣١) يتميز باستطالة الأذنين وامتلاء الجسم ، ويخرج من فمه فرع نباتى ينتهى بورقة ثلاثية ، ويحيط برسم الأرنب مناطق رسمت بها دوائر تتوسطها نقط داكنة (لوحه ٧٦) وكان رسم هذه المناطق شائعا فى الخزف ذى البريق المعدنى العباسى(٢) وقريب من ذلك التصميم ما نجده على كسرة من الخزف محفوظة بمتحف الفن الإسلامى ببرلين تمثل حصانا تخرج من فمه ورقه نباتية ثلاثية ويحيط برسم الحصان نفس المناطق التى تحوى الدوائر المنقوطه.(٣)

وتمتاز زخارف الخزف قبل الشدة بوضوح الرسم وفخامته والانصراف عن التفاصيل(٤) وتتضح هذه المميزات فى رسم لثور يتوسط صحن من الخزف ذى البريق المعدنى(٥) ، الا أن عدم اهتمام الفنان بالتفاصيل أو تمثل الواقعية فى رسمه لم يخف محاولته اظهار

---

(١) د . محمود ابراهيم : المرجع السابق ص ٥٠ .
(٢) د . زكى حسن : فنون الاسلام ص ١٦٤ ، شكل ١٨٨ .
(٣) Klein(A.), Op. cit. S. 92.
(٤) ديماند (م . س) : الفنون الاسلامية ص ٢١٧ .
(٥) د . حسن الباشا : فنون التصوير الاسلامى فى مصر ص ٦٨ ، شكل ١٧ .

القوة والضخامة على نسب أجزاء الحيوان الذى أحيط بافرع نباتية ملتويه تخرج منها اوراق ثلاثية وانصاف مراوح نخيلية • وهذا الصحن محفوظ بمتحف كلية الاثار بجامعة القاهره (رقم السجل ١٧١٥) ، لوحه (٧٧) وشبيه باسلوب رسم هذا الثور مانجده على كسره من الخزف [١] ذى البريق المعدنى من رسم لجزء من جسم حيوان يتسم بالقوة وضخامة النسب (لوحه ٧٨) •

ومن أعمال الخزف ذى البريق المعدنى التى ترجع إلى قبل الشدة المستنصرية صحن كان ضمن مجموعة د • على ابراهيم ، قوام الزخرفة فيه رسم فيل ضخم الجثة يحتل مساحة الصحن كلها تاركا فراغا بسيطا مزينا بأوراق نباتية من ثلاثة فصوص ويلاحظ أن الخزاف الذى وجد توقيعه على هذه القطعه مقرونا باسم مصر " عمل ابراهيم بمصر " [٢] جعل للفيل ذنبا طويلا وهو ما يجافى الواقع •

والرسوم التى تجمع أكثر من حيوان على الأوانى الخزفية التى ترجع إلى القرن ٤ ـ ٥هـ / ١٠ ـ ١١م قليلة ، ومن أمثلتها ، قدر من الخزف محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهره تتألف زخرفته من ثلاث مناطق رئيسيه وعريضه تفصل كلا منها عن التالية منطقة ضيقه فيها رسوم أنصاف مراوح نخيلية ، أما المناطق الرئيسية

---

(١) Butler(A.), Islamic Pottery. London 1926 Pl.IX-B.

(٢) جمال محرز : الخزف ذو البريق المعدنى ص ٥ • وقد وجد اسم ابراهيم هذا فوق قاع اناء عليه زخرفه نباتية بالبريق المعدنى ـ انظر : د • محمود ابراهيم المرجع السابق ص ٦٦ •

الثلاثـه فقوام الزخرفـه فى كل منها رسم حيوان ينقض على أرنب ليفترسـه وحول هـذا الرسم زخارف نباتية من فروع ووريقات.(١)

ولا يختلف الأمر كثيرا فيما يتعلق برسوم الطيور التى زخرفت بها أوانى الخزف ذى البريق المعدنى قبل الشدة العظمى ،فقد كان رسم الطائر يملأ معظم سطح الاناء محاطا بالزخارف النباتية او الكتابية • ومثلما نجد على كسرة من الخزف يتوسطها رسم لطائر يتدلى من منقاره فرع نباتى وتحيطه الأفرع النباتيه الحلزونيه(٢) وقد رسم الطائر بشكل تخطيطى لا يهتم بمحاكاة الطبيعة أو اظهار التفاصيل ، وقد رسمت عين الطائر على هيئة دائرة بداخلها نقطه داكنه (لوحه ٧٩).

وفى متحف المتروبليتان بنيويورك سلطانية من إنتاج الخزاف مسلم يزينها رسم بالبريق المعدنى الذهبى لنسر ناشر جناحيه فغطى فراغ الاناء(٣) ولنفس الفترة تنسب كسرة من الخزف عليها رسم بالبريق لطاووس(٤) تحيط به رسوم أوراق نباتيه ثلاثية الفصوص (لوحه ٨٠).

---

(١) د • زكى حسن : اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ـ القاهرة ١٩٥٦ س ١٢ شكل ٤٠ •

(٢) Butler (A.), Op. cit. Pl. IX . A.

(٣) ديماند (م• س) : المرجع السابق ص ٢١٧ •

(٤) Butler(A.), Op. cit. Pl. X - A.

وقد نجد فى بعض قطع الخزف التى تؤرخ بالقرن ٤ ـ ٥هـ/ ١٠ ـ ١١م تصميمات زخرفيه تجعل من رسم الطائر موضوعا أساسيا يتوسط الانية وتحيط به زخارف نباتيه كما فى صحن من الخزف محفوظ بمتحف الفن الاسلامى (١) بالقاهره ، يتوسطه رسم بالبريق لديك فى منقاره ورقة نباتية ثلاثية ، والديك محصور داخل دائره محاطة برسوم أشكال مراوح نصف نخيلية (لوحه ٨١) ورسم آخر على طبق لطاووس يمسك فى منقاره فرعا نباتيا ، ويضم الذيل كلمة بالخط الكوفى تصعب قراءتها ويحيط بالجامة التى تحصر رسم الطاووس كتابة كوفية وورقتان نباتيتان كبيرتان يتوسط كلا منهما ثقب بيضى الشكل (٢) • وحتى فى حالة رسم أكثر من طائر على الاناء ، فان كل طائر كان يرسم باعتباره موضوعا زخرفيا مستقلا محصورا داخل منطقة أو جامة مثلما نجد فى قدر محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهره (٣)

وقد وصلتنا من فترة ما قبل الشدة أوانى من الخزف ذى البريق المعدنى ، اتخذت من الرسوم النباتية موضوعا زخرفيا رئيسيا لها وأشهر هذه الأمثلة الثابتة التاريخ طبق محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهره يؤرخ بحوالى عام ٤٠٤هـ/١٠١٣م ، وهو يحمل إسم غبن أستاذ الأستاذين فى عصر الحاكم بأمر الله ، وتقوم زخارف هذا الطبق ذات البريق المعدنى الذهبى على أرضية بيضاء يتكون تصميمها العام من ثمانى مناطق متساوية تمتد من حافة الطبق نحو المركز وقوام زخارف هذه المناطق وحدتان تتكرران

---

(١) زكى حسن : فنون الاسلام ص ٣١٢ •

(٢) أحمد حمدى (وآخرون) معرض الفن الاسلامى فى مصر ـ القاهره ١٩٦٩ ـ ص ١٠٥ لوحة ٢٣ •

(٣) د • زكى حسن : أطلس الفنون ص ١٢ شكل ٤١ •

بالتبادل حول الطبق أربع مرات باختلاف ضئيل وتتألف إحدى الوحدتين من مراوح نخيلية في أوضاع متناظرة وتتكون الأخرى من شجرة محورة تخرج منها أفرع نباتية متماثلة.(١)

وتعد الزخارف النباتية التي رسمت على هذا الطبق معدومة النظير في الأواني المعاصرة سواء من حيث الدقة أو اتقان التصميم الزخرفي ، ولعل ذلك راجع الى أن هذا الطبق صنع لأحد كبار رجال الدولة.

وقد تميزت الرسوم النباتية المستخدمة كموضوع زخرفي رئيسي بكبر حجمها مثل الزخارف الحيوانية ورسوم الطيور ، ونجد ذلك في قدر محفوظ بمجموعة كلكيان في متحف فيكتوريا وألبرت بلندن ، حيث تحتل أشكال المراوح النخيلية منطقة عرضية متسعة من بدن القدر(٢) ويشبه ذلك القدر آخر محفوظ بمتحف الكويت الوطني(٣) قسمت زخارفه النباتية على أربعة أشرطة عرضية مزخرفة بأشكال مراوح نخيلية وأنصاف مراوح نخيلية بأحجام كبيرة تذكرنا بزخارف سامرا من الطراز الثالث (لوحه ٨٢).

ولم يهمل الفنان استخدام الزخارف الكتابية كموضوع رئيسي للزخرفة على أواني البريق المعدني قبل الشدة العظمى وتميزت الزخارف الكتابية أيضا بضخامة الحجم وعدم الاتقان كما أنها قد تكون غير مقروءة في بعض القطع.

---

(١) د. حسن الباشا (واخرون) القاهره ص٥٢٣ـ٥٢٤ ، شكل (٢٢) وعن أستاذ الأستاذين : أنظر : د. حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف ج ١ ص ٦٣.

(٢) Du Ry(C.) : Die Welt des Islam. West Germany 1970.S. 83.

(٣) جينكينز (مارلين) : الفن الإسلامي في متحف الكويت الوطني ـ لندن ـ ١٩٨٣ ص ٢٧.

ومن القطع التى وردت عليها كتابات صحن محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، قوام زخرفته رسم ثلاث مناطق لوزية الشكل تفصلها ثلاث مناطق أخرى على هيئة شرافات وتضم كل من هذه المناطق الست شريطا من كتابة كوفية على أرضية من الفروع والأوراق النباتية[1] .

وبنفس المتحف كسره[2] من الخزف عليها بقايا كتابة كوفيه بيد وأنها كانت تشكل الموضوع الزخرفى الرئيسى لصحن من الخزف ذى البريق المعدنى (لوحه ٨٣)

ومن أمثلة الزخارف الكتابية التى تتسم بعدم الدقة فى رسمها ، كتابة على صحن محفوظ بمتحف الكويت الوطنى[3] به كتابة تقرأ " بركة لصاحبه " (لوحه ٨٤) وأخرى على صحن محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ووسط الصحن رسم لاناء الى يساره زخرفة بالخط الكوفى تقرأ المن "[4] وكتابة تقرأ نعمة شاملة وبركة كاملة " على سلطانية كانت بمجموعة د . على ابراهيم وترجع الى القرن ٤هـ/ ١٠م[5]

ولم يكن الأمر أفضل من حال الزخارف السابقة فيما يتعلق باستخدام الرسوم الآدميه فى زخرفه أوانى البريق المعدنى قبل الشدة العظمى .

---

(١) د . زكى حسن : اطلس الفنون ص ١٥ شكل ٥١ .

(٢) Butler(A.), Op. cit. Pl. X-B.

(٣) جنكينز (مارلين) المرجع السابق ص ٢٦ .

(٤) Musée de I'Art Arabe du Caire : La Céramique Egyptinne de L'époque Musulman. Le Caire 1922. Pl.28.

(٥) د . جمال محرز : الخزف ذو البريق المعدنى شكل ٤ .

فقد اعتاد الخزافون فى تلك الفترة إستخدام رسم آدمى واحد يغطى الاناء بكامله على أرضية من زخارف نباتية أو زخرفة الدوائر المنقوطة ، ونرى ذلك فى عدة أمثلة يرجع صحن منها إلى القرن ٤هـ / ١٠م ومحفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهره ، يتوسطه رسم لراقصة لم تراعى فيه النسب التشريحية (١) ويتجلى عدم مراعاة النسب التشريحية بشكل أوضح فى كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى ، كانت تمثل قاع اناء يتوسطها رسم لرجل يكاد (٢) طول الذراعين فيه يماثل حجم الجسم بكامله (لوحه ٨٥) وفى متحف كلية الآثار بجامعة القاهره صحن من الخزف ذى البريق المعدنى يرجع إلى القرن ٤هـ/ ١٠م (رقم السجل ١٩٢٠) يتوسطه رسم بالبريق لعازف على آله تشبه العود ، تحيط به أوراق نباتية ثلاثية الفصوص ودوائر منقوطة ، ويظهر جليا عدم إهتمام الخزاف بالنسب التشريحية وخاصة فى رسم اليدين والوجه المرسوم بطريقة إصطلاحية ، فضلا عن أهمال إبراز التفاصيل فى ملابس العازف (لوحه ٨٦) .

وقريب شبيه بهذا الرسم ما نجده على صحن آخر محفوظ بمتحف كلية الاثار جامعة القاهره (رقم السجل ١٩٣٩) وان كان رسم الراقصة على هذا الصحن يتسم بقدر أكبر من الدقة وهو ما قد يرجح نسبته إلى القرن ٥هـ/ ١١م (لوحه ٨٧) .

وبشكل عام فان الرسوم الآدمية تميزت فى تلك الفترة بالجمود والبعد عن الطبيعة بل أن بعض هذه الرسوم كان يكتسب طابعا زخرفيا محضا ، كما فى صحن

---

(١) د . محمد مصطفى : متحف الفن الاسلامى - دليل موجز - القاهره ١٩٧٩ شكل ٦٤ .

(٢) Butler(A.), Op. cit. Pl. IX . F.

محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهره بوسطه رسم بالبريق لرجل يمسك في يديه كأسين في منظر شراب ، وقد زخرفت ملابسه بأوراق نباتية ضخمه وأفرع نباتيه ، ويبدو واضحا بعد الفنان عن محاكاة الطبيعه في الطريقة التخطيطية لرسم الوجه والرسم المشوه لأصابع اليدين .[1]

زخارف أواني الخزف ذي البريق المعدني بعد الشدة :

تميزت زخارف الخزف ذي البريق المعدني في تلك الفترة (٥ـ٦هـ / ١١ـ١٢م) بكثرة الموضوعات الزخرفية المستمدة من رسوم الآدميين والحيوانات[2] ، متأثرة في ذلك بالموضوعات الزخرفية التي كانت سائده في التحف التي أخرجت من خزائن المستنصر بالله أثناء الشدة العظمى وأصبحت الموضوعات الزخرفية تتسم بالتصميم المركب الذي يجمع بين أكثر من عنصر زخرفي ، يمزج بينهم الخزاف في وحدة فنية متكاملة شديدة التعقيد في بعض الأحيان .

وأتاح صغر حجم الوحدات الزخرفيه رسم أكثر من عنصر زخرفي ، وبديهي أن صغر حجم الزخارف وتعددها يعني زيادة العمل المبذول في رسم زخارف الآنية وزيادة كميه مادة البريق المستخدمه والمحصلة النهائية لذلك كله ارتفاع ثمن الآنية .

وفي هذه الفترة قل الأعتماد على العناصر النباتية كموضوع زخرفي رئيسي وابتعدت الزخارف النباتية عن طابع البساطة والضخامة وبعدت الشقة بينها وبين زخارف طرز

---

(١) احمد حمدى (وآخرون) معرض الفن الاسلامي ـ لوحه ٢٤ .
(٢) جرابار (اوليج) الفنون العالميه والمحليه ص ٣٤٩ .

سامرا ، التى كانت سائده فى زخارف الخزف قبل الشدة العظمى .

ودليل ذلك رسوم أنصاف مراوح نخيلية وعناصر نباتية أخرى مرسومه على أرضيه من البريق المعدنى ، تتسم بقدر كبير من الاتقان وبراعة التنسيق وجمال التصميم المتوازن نجدها على صحن محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهره .(١)

ومن أبدع أمثلة زخارف الخزف ذى البريق المعدنى التى تجمع بين رسوم النباتات والطيور ما نجده على صحن من الخزف (لوحه ٨٨) . فى مجموعة Cote فى ليون بفرنسا تتألف زخارفه من رسم شجرة دقيقه والفروع محورة عن الطبيعة وعليها رسوم ستة عشر طائرا فى أربعه صفوف وقد تطورت الزخرفة فى هذا الصحن ، فازدادت الدقة وصغر قياس الرسم بالنسبة للطيور وقلت الفروع والسيقان والوريقات النباتية التى ميزت زخارف ما قبل الشدة وترجع هذه القطعة إلى القرن ٦هـ/ ١٢م.(٢)

وثمه طبق اخر من الخزف ذى البريق المعدنى رسمت بوسطه نجمه سداسيه تحيط بها مناطق هندسية بكل منها رسم لطائر ، وينسب Lane هذه القطعه الى القرن ٦هـ / ١٢م لما اتسمت به من تعقيد فى تصميمها (٣)

ولحق التطور نحو الدقة والواقعية أيضا رسوم الحيوانات ومن امثلة ذلك كلاب الصيد التى التفت حول أشكال الجدائل التى تتوسط الاناء الذى غطيت أرضيته بالبريق المعدنى بينما تركت الرسوم محجوزه بدون بريق والاناء محفوظ بمتحف الفن

---

(١) د . زكى حسن : أطلس الفنون ص ١٥ شكل ٥٢ .

(٢) Koechlin(R.), Migeon(G.), Islamische Kunstwerke -Berlin 1928. Tafel XVIII.

(٣) Lane(A.), Early Islamic Pottery, London. 1953 Pl. 29 -A.

الاسلامى بالقاهره م[١] وبنفس المتحف صحن من الخزف يرجع الى القرن ٥ ـ ٦هـ/ ١١ ـ ١٢م يعتمد فى تصميمه على دائرتين متحدتى المركز ، الوسطى تضم رسم أرنب فى فمه ورقة نباتية محوره والدائرة الاخرى تضم رسما لخمسه ارانب تسير متتابعه وفى فم كل منها ورقه نباتية محوره[٢] ويلاحظ على رسوم هذا الصحن صغر حجم الحيوانات ودقة رسم الزخرفه النباتيه ٠

ولم تعد الزخارف الكتابيه تمثل موضوعا زخرفيا رئيسيا فى الخزف ذى البريق المعدنى الذى يرجع الى القرن ٥ ـ ٦هـ/ ١١ ـ ١٢م ، وقلت أحجام هذه الكتابات التى اتخذت من الخط الكوفى المورق نمطا سائدا فى زخارف هذه الفترة مثلما نرى على كسرة خزفيه محفوظه بمتحف الفن الاسلامى بالقاهره عليها كتابة متكرره تقرأ العز[٣] ٠ وتحولت الكتابات الدقيقة وغير المقروءة فى كثير من الأوانى إلى مجرد عناصر زخرفيه تستخدم فى تحديد المناطق الزخرفية وحواف الأوانى[٤] بعد أن كانت هذه الحواف تزخرف بزخارف بسيطة فى أوانى القرن ٤ ـ ٥هـ / ١٠ ـ ١١م مثل أسنان المنشار (لوحه ٧٦) والنقط (لوحه ٧٩) أو انصاف دوائر (لوحه ٨٤) ٠

أما الرسوم الآدمية فان تأثرها بمتحف الخلافة والاتجاه الترفى الذى ميز حياة الطبقات البرجوازية كان أبعد من أى نوع آخر من الزخرفه فازدادت العناية برسوم

---

(١) Musée de L'art Arabe du Caire , La Ceramique Pl.28.
(٢) د ٠ زكى حسن : الأطلس شكل ٥٨ ص ١٧ ٠
(٣) Museé de L'art Arabe du Caire, Op. cit. Pl. 29.
(٤) د ٠ زكى حسن : الاطلس شكل ٤٦ شكل ٥٥ ٠

الآدميين التى حاول الفنان فيها ابراز السمات الشخصية وراعى الدقة فى رسم تفاصيلها وخاصة رسم الوجه وأشكال العمامة والملابس مثلما نجد على كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى محفوظة بمتحف الكويت(١) وترجع إلى القرن ٥-٦هـ / ١١-١٢م (اللوحة ٨٩).

وإلى جانب محاكاة الطبيعة وصغر نسب رسم الآدميين الذى استدعى تعدد الأشخاص فى الاناء الواحد ، ظهرت الرسوم الآدمية فى النصف الأخير من العصر الفاطمى كمناظر تصويرية تمثل موضوعات بعينها ، فسجل أحد الاطباق لعبة التحطيب ، وهو محفوظ بمتحف الفن الاسلامى وقوام زخرفته المرسومة على أرضية من البريق المعدنى رسم لرجلين يرقصان ويتبارزان بالعصى ونلاحظ أن كلا من الرجلين بيد وعارى الرأس وأن أحدهما رسم رسما جانبيا بينما بيد والآخر فى وضعة ثلاثيه الأرباع (٢).

وقد انتشرت الرسوم التى تتعلق بحياه العسكريين والجند الذين أصبحوا يمثلون الحكام الفعليين للبلاد ونجد صدى سيطرتهم على صحن من الخزف رسم على أرضيته الملونة بالبريق المعدنى صورة فارس يمتطى صهوة جواده وفوق يده اليسرى طائر من الطيور الجارحة التى تستخدم فى الصيد (٣).

---

(١) جنكينز (مارلين) : الفن الاسلامى فى متحف الكويت ص ٥٠ .
(٢) د . حسن الباشا : المدخل ص ٦٨ شكل ١٠٣ .
(٣) د . زكى حسن : الاطلس شكل ٤٣ .

ويلاحظ أن كثرة رسوم العسكريين لم تكن ظاهرة قاصرة على الخزف ذي البريق المعدني إذ نجد صداها في الرسوم القليلة التي وصلتنا على الورق وترجع إلى العصر الفاطمي مثل قطعة من الورق عليها رسم بالحبر الاسود يمثل أميرا ومعه أحد قواده وفوق الرجلين شريط من كتابة كوفيه مزهرة نصها "عز واقبال للقائد أبي منـ" وهي محفوظه بمتحف الفن الاسلامي[1] ويمكن نسبتها إلى القرن ٥هـ/ ١١م.

وقد انعكس الوزن المتزايد لدور الأقباط بعد الشدة العظمى على منتجات الخزف الذي ينسب إلى القرن ٥-٦هـ / ١١-١٢م مثلما نجد في سلطانية من الخزف ذي البريق المعدني محفوظة في مجموعة كيلكيان عليها صورة قسيس يمسك مبخرة على هيئة مشكاة[2]. (لوحه ٩٠-٩١) وهي تحمل توقيع سعد الذي ينسب انتاجه إلى نهاية القرن ٥هـ والقرن ٦هـ (١١-١٢م)[3] كما أن هنالك قطع خزفيه عليها رسوم لرجال دين مسيحيين كما في كسرة من الخزف ذي البريق المعدني عليها رسم قسيس وحول رأسه هالة التقديس بداخلها شكل لصليب كما يشير القسيس بيده إلى علامة التثليث والقطعة ترجع إلى القرن ٥هـ/ ١١م[4].

---

(١) د. حسن الباشا : فنون التصوير ص ٦٤-٦٥ وإلى القرن ٥-٦هـ تنسب بعض الرسوم الفاطمية على الورق التي تمثل مناظر حراسة او معارك حربية تتصل جميعها بحياة العسكريين أنظر : محمود ابراهيم حسين : التصوير الاسلامي في مصر في العصر الفاطمي على الورق والجدران والخزف والعاج : رسالة ماجستير - كلية الاثار جامعه القاهره ١٩٧٥ ص ٢٨ ، لوحه ٦٧ شكل أ ، ب.

(٢) د. حسن الباشا : فنون التصوير الاسلامي ص ٧٨.

(٣) د. محمود ابراهيم حسين : أعلام المصورين ص ٦١.

(٤) د. سعاد ماهر : أثر الفنون التشكيلية الوطنية القديمة على فن القاهرة في العصر الفاطمي ، مقال ضمن أبحاث الندوه الدولية لتاريخ القاهره (مارس- أبريل ١٩٦٩) القاهرة ١٩٦٩ ج ٢ ص ٥٢٧ ، شكل ٩.

ب ـ فخار الفيوم المطلى :

وهو من المنتجات الرخيصة الثمن ، وفيه تزخرف البطانات بألوان متعددة على شكل أشرطة تلتقى فى مركز الأطباق ، أو تزخرف القدور طوليا ويشبع فى زخارف هذا النوع البقع المرشوشة أو المنثورة التى تغطى سطح الاناء وقد عثر على كسر وأوانى من هذا النوع فى منطقة الفيوم فعرف لذلك بخزف أو فخار الفيوم (١) وقد صنع هذا الخزف فى مصر منذ القرن ٣هـ/ ٩م تقليدا لخزف اسره تانج الصينيه (٢) ومن الصعب تأريخ القطع التى تزخرف بالبقع او الاشرطة نظرا لخلوها من العناصر الزخرفية الواضحة التى تساعد الباحث على نسبة التحفه إلى أقرب التواريخ احتمالا . ومن أمثله هذا النوع طبق صغير محفوظ بمتحف كلية الاثار (رقم السجل ١٤٤٥) به بقع من ألوان متعددة تغطى سطح الطبق بكامله (لوحه ٩٢) كما استخدم الخزفى بطانة بعض الأوانى لرسم بعض الزخارف إلى جانب تغطية سطح الاناء ببقع الالوان المتعددة ومن أمثله ذلك صحن محفوظ بمتحف كلية الاثار (رقم السجل ١٩٨١) يحوى زخارف محزوزة تشبه السائدة فى العصر الطولونى وبداية العصر الفاطمى (لوحه ٩٣) .

وقد أثر الاتجاه الفنى العام الذى ساد المنتجات الفنيه بعد الشده العظمى على هذا النوع من الفخار الرخيص حيث أبى ذوق الفنان المسلم الا أن يطبع هذه الأوانى بطابع فنون الخلافة الفاطمية استجابة لرغبات الناس فى حيازة أوانى قريبة الشبه من ماكان فى خزائن الخلفاء ، فتخلت هذه الأوانى الفخارية عن طابع التقليد الصينى وظهرت

---

(١) د . حسن الباشا وآخرون : القاهره ص ٣١٧ .
(٢) د . زكى حسن : أطلس شكل ٤، ٥، ٦ ص ٢. حكمت أسره تانج الصين حوالى ثلاثة قرون (٦١٨ ـ ٩٠٧م) أنظر فهمى هويدى : الإسلام فى الصين ـ عالم المعرفه ٤٢ ـ الكويت ١٩٨١ ص ٤٢ .

عليها الزخارف الكتابيه والهندسية كما فى قدر محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة [(١)] قوام زخرفته مناطق نجميه فى بعضها كلمتا "بركه شامله" بالخط الكوفى وفى البعض الآخر رسم وريده (لوحه ٩٤) ويتسم التصميم الزخرفى لهذه القطعة بنفس طابع الزخارف المركبة التى ساد تبعد الشدة العظمى ويمكن نسبة هذا القدر إلى القرن ٦هـ/ ١٢م على أساس مشابهة أشكاله النجميه للزخارف الخشبية المجمعة التى أخذت فى الظهور فى نهاية العصر الفاطمى [(٢)]

وهناك قطع خزفيه محفوظه بمتحف الفن الاسلامى بالقاهره تثبت اتجاه الخزافون فى العصر الفاطمى الى المزج بين الوان البريق المعدنى والألوان المستخدمة فى فخار الفيوم ليكسبوا هذه الأوانى الرخيصة ملامح أوانى الأغنياء المصنوعة من البريق، ومن أمثلة ذلك صحن قوام زخرفته زهره ذات ثمانية فصوص تتوسط المساحه ويحيط بها رسم أربع حيوانات متتابعة ويفصل كلا منها عن الآخر منطقة غير منتظمة الشكل.[(٣)]

ونفس المتحف صحن آخر [(٤)] تتضح فيه محاولة رسم زخارف البريق الشائعة من رسوم حيوانيه ونباتيه على أوانى فخار الفيوم.

---

(١) Mostafa (M.) Moslem Ceramics, Cairo 1956, P.1.

(٢) انظر : د. فريد شافعى مميزات الأخشاب المزخرفه فى الطرازين العباسى والفاطمى فى مصر . مجلة كلية الاداب – جامعه القاهره . المجلد السادس عشر – الجزء الاول – مايو ١٩٥٤ ص ٨٣.

(٣) د. زكى حسن : الأطلس ص ١٦ شكل ٥٦ ، فنون الاسلام ص ٣١٦ شكل ٢٤٧.

(٤) رقم السجل ٢٤٤٢٦.

جـ ـ الخزف المحزوز تحت الطلاء

وهو من انواع الخزف التى عملت فى مصر تقليدا للخزف الصينى الذى اشتهرت به أسرة سونج الصينية(١) ، وتحز الزخارف فى طين الاناء ثم تطلى بطلاء زجاجى من لون واحد وتبدو الزخارف أكثر دكنة من لون الاناء لترسب الطلاء فى حزوز هذه الزخارف.

وقد ظهر هذا النوع فى أواخر العصر الفاطمى القرن ٥ـ٦هـ/ ١١ـ١٢م لتلبيه حاجات الفقراء حيث أنه كان أقل نفقة من الخزف ذى البريق المعدنى(٢) ، ويدل أسلوبها الضعيف على اضمحلال صناعة الخزف بصفه عامه فى أواخر العصر الفاطمى(٣)

وقد اتسمت زخارف هذا النوع بالجمع بين اكثر من نوع من الزخرفه مثل الزخرفه الهندسية والجدائل النباتية(٤) ، وظهرت عليه فى بعض الأحيان الرسوم الآدميه ، وإن كانت الزخارف الحيوانية أكثر انتشارا على هذا النوع من رسوم الآدميين فنجد على كسره من الخزف محفوظه بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة(٥) ، رسما يمثل فيلا محزوزا تحت طلاء زجاجى من لون واحد .

وبعد الفقر الذى انتشر بين قطاع عريض من السكان فى الريف والمدن عاملا هاما فى صناعة هذا الخزف فى مصر منذ منتصف القرن ٥هـ أى بعد الشدة العظمى حيث

---

(١) د. زكى حسن : فنون الاسلام ص ٣١٨ حكمت اسرة سونج الصين من ٩٦٧ الى ١١٦٨م فهمى هويدى : الاسلام فى الصين ص ٥٢.

(٢) د. زكى حسن : كنوز الفاطميين ص ١٧٤.

(٣) د. حسن الباشا : فنون التصوير الاسلامى فى مصر ص ٧٨.

(٤) د. زكى حسن : الاطلس ص ١٩ شكل ٦٦.

(٥) رقم السجل : ٢١٨٧٠.

يلائم سعره الرخيص القدرات المالية لهذه الفئات.

د ـ الزجاج والبللور الصخري

لم تختلف زخرفة الزجاج في بداية العصر الفاطمي عن زخرفته في عصر الاخشيديين وان اخذت تتطور بعد ذلك تدريجيا لتحمل نفس طابع رسوم وزخارف العصر الفاطمي مع اختلاف الطرق الصناعية التي تستخدم في تزيين الزجاج (١).

وتجدر الاشارة إلى ظاهرتين هامتين في صناعة الزجاج في العصر الفاطمي ارتبطتا بالحالة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد قبل وبعد الشدة العظمى هما :

١ ـ أن البريق المعدني صار يستخدم في زخرفة الزجاج ، ومرت الزخارف المستخدمة في ذلك بنفس مراحل الخزف ذي البريق المعدني تقريبا فقبل الشدة كانت زخارف الزجاج ذي البريق المعدني بسيطة في تصميماتها وترسم في وحدات كبيرة تملأ سطح الآنية كرسوم الطائر الذي يحمل في منقاره ورقة نباتية ثلاثية (٢) ، والزخارف النباتية البسيطة التي تملأ سطح طبق محفوظ بمتحف الكويت الوطني (٣)، بل أن حواف أواني الزجاج المزخرف بالبريق المعدني كانت تحمل طابع زخرفة حواف الخزف في القرن ٤ / ٥ هـ كما نجد في حافة إناء زجاجي حيث زخرف بنقاط تشبه اسنان المنشار (٤). ومما يؤسف له أن القطع الكاملة التي يمكن أن تعطي فكرة عن زخرفة البريق المعدني في أواخر العصر الفاطمي قليلة ونادرة ومعظم الذي وصلنا عبارة عن قطع

---

(١) د. زكي حسن : فنون الاسلام ص ٥٨٧.

(٢) د. حسن الباشا : فنون التصوير ص ٧٨ وشكل ٢٠.

(٣) جنكينز (مارلين) الفن الاسلامي في متحف الكويت الوطني ص ٢٩.

(٤) Lamm(G.), Mittealterliche Gläser und Steinschnittarbeiten aus dem Nahen Osten, Band II, Berlin 1929.T.43.

صغيره .(١)

٢ـ ان خروج تحف المستنصر المصنوعة من البللور الصخرى وانتشار استخدام البللـــور الصخرى بين الأغنياء تبعا لذلك أدى إلى محاولة صناع الزجاج تقليد منتجـــات البللور فى أعمالهم . وتنسب هذه القطع فى مجموعها إلى النصف الثانى من القـــرن ٥هـ والقرن ٦هـ / ١١ـ١٢م . ولعل أشهر أمثلة الزجاج الذى صنع تقليـــــدا للبللور الصخرى الكؤوس الزجاجية التى تعرف باسم كؤوس القديسة هدويـــج وهى من زجاج سميك مزخرف بالقطع برسوم الطيور والحيوانات(٢) . وترجع هـــذه الأوانى إلى القرن ٦هـ/١٢م (لوحه ٩٥) . وهى محفوظة بمتحف أمستردام بهولنده وفى متحف برلين محبرة من الزجاج السميك الذى صنع تقليدا للبللور الصخرى وهـــى ترجع إلى القرن ٦هـ/١٢م(٣).

لقد ساعد تطور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التى نجمت عن المجاعات المتعاقبة على تزايد ثروات العسكريين والتجار . فاتجهوا إلى إستعمال أوانى البللور الصخـــرى التى لم يعد استعمالها قاصرا على الخلفاء وحدهم بل جمع الوزراء وعلية القوم أعدادا مـــن أوانى البللور التى اعتقدوا أن للشرب فيها فوائد(٤) . وإلى جانب ذلك العامل فقد ساعد

---

(١) ديماند : الفنون الاسلامية ص ٢٢٥.

(٢) Glück (H.) und Diz (E.) Op, cit. S. 433.

(٣) د. زكى حسن : اطلس ص ٢٥١ شكل ٧٤٠.

(٤) د. زكى حسن : فنون الاسلام ص ٥٩٢.

على ازدهار الصناعة البللور الصخرى ، انخفاض اسعار مادته الخام نتيجة لاعتماد مصر منذ زيارة ناصر خسرو على الأقل على البللور المستخرج بالقرب من بحر القلزم بعد أن كانت مصر تستورده من المغرب ويشير ناصر خسرو إلى ازدهار هذه الصناعة وقت زيارته لمصر[1].

ويتضح من الأمثله المؤرخة وهى ترجع إلى عصر العزيز وعصر الظاهر[2] أن زخارف القطع التى ترجع إلى النصف الأول من العصر الفاطمى تامة البروز وقطعها فى البدن ظاهرا بينما نرى فى التحف التى ترجع إلى نهاية العصر الفاطمى أن بروز الزخارف بسيط لا يكاد يفصلها تماما عن بدن التحفه أو أرضية الرسم[3] وربما كان تخلى الفنان عن الزخرفة البارزة فى نهاية العصر الفاطمى يرجع إلى محاولته تخفيض سعر القطع عن طريق تقليل الجهد المبذول فى زخرفتها خاصة وأن قدرات الخلفاء الأقوياء على الشراء كانت كبيره و مهما بلغت ثروات التجار وكبار العسكريين فانها لم تكن لتوازى ثروات خلفاء الفاطميين فى العصر الفاطمى الأول . ومن أمثلة قطع البللور الصخرى التى ترجع الى العصر الفاطمى أبريق محفوظ بمتحف اللوفر بباريس عليه رسم زخرفة من شجرة فيها مراوح نخيلية يحف بها من الجانبين رسم ببغاء[4] ويمكن أن ترجع

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) د . حسن الباشا : المدخل ص ٤٢٧ .

(٣) د . زكى حسن : فنون الاسلام ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥ ـ شكل ٤٨٨ .

(٤) Lamm(C.) Op. cit. T. 63.

إلـــى القرن ٥ هـ (لوحه ٩٦) . وإلى نفس الفترة ترجع قنينـــة يزينها رسم طائريـــن متقابلين يفصلهما رسوم فروع نباتية ومراوح نخيلية (١) (لوحه ٩٧) ، ويحتفظ متحـــف الكويت الوطنى بقنيـــنة صغيرة من البللور الصخرى قوام زخرفتها أشكال بارزة تمثــل مراوح نخيلية (لوحه ٩٨) وهى ترجع إلى مطلع القرن ٥هـ/ ١١م (٢)

ومن أمثله قطع البللور الصخرى التى صنعت فى نهاية العصر الفاطمى أبريق علـــى هيئة كمثرى ولكنه ذى فصوص وكان محفوظا بمتحف تاريخ الفن فى ڤينا بالنمسا (٣) ويلاحظ اختفاء الزخارف الفاطمية البارزة التى كانت تنفذ بالقطع فى التحف التى ترجع إلى العصـــر الفاطمى الأول (لوحه ٩٩) .

---

(١) Lamm(C.) Op. cit. T. 66.

(٢) جنكينز (مارلين) : الفن الاسلامى فى متحف الكويت ص ٦١ .

(٣) Glück(H.) and Diez(E.) op. cit. T.XXVIII.

هـ ـ النسيج :ـ

ازدهرت صناعة النسيج في العصر الفاطمي نتيجه لاهتمام الخلفاء بما كان متبعا في العالم الاسلامي من إهداء الخلع المنسوجة في مراسم التشريف والتكريم التي وصلت درجة عالية من التنظيم والاتقان[١] ورغم ما حل بالبلاد من حوادث أثناء الشدة العظمى التي وصلت بالبلاد الى أحط درجات الفقر الا أن ذلك لم يقض على صناعة المنسوجات نهائيا ٠[٢] إذ عادت مصانع الطراز[٣] تخرج انتاجها من المنسوجات بعد الشدة وإن لم تصلنا قطع من نسيج الطراز تحمل تاريخ إنتاج من فترة الشدة العظمى (٤٥٧ ـ ٤٦٤هـ)[٤] وهو ما يشير إلى توقف مصانع الطراز عن الإنتاج ونستطيع أن نجد صدى سيطرة الوزراء على الخلفاء في ما ورد من كتابات على أنسجة الطراز ، فطوال عصور الخلفاء الأقوياء (المعز والعزيز والحاكم) لم ترد أسماء الوزراء على نسيج الطراز باستثناء ما ذكرته المصادر التاريخية من أن يعقوب بن كلس كتب اسمه على الطراز في عهد العزيز بالله[٥] وهو ما لم يصلنا على قطع من المنسوجات وباستثناء قطعه نسيج من عهد الحاكم ورد عليها اسم أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمار سنة ٣٨٦هـ[٦]

---

(١) د ٠ حسن الباشا : المدخل ص ٣٤٧٠

(٢) د ٠ محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفه المنسوجه ص ٦٤٠

(٣) عن الطراز انظر : د ٠ حسن الباشا : المدخل ص ٣٤٧٠

(٤) راجع Répertoire : Tome 7.

(٥) د ٠ زكي حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٨٠

(٦) وعن أمين الدوله أنظر د ٠ حسن الباشا : الفنون والوظائف ج ١ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧

Répertoire, T. 6. P.20.

وهى الفتره التى كان الحاكم فيها صغير السن ولم ينفرد بالامور. والى جانب اسم الحاكم ظهر اسم ولى عهده عبد الرحمن بن الياس على قطعة من نسيج الطراز فى مجموعة Abemoyer مما عمل بطراز العامة بتنيس عام ٤١٠هـ.(١)

وقد بدأ ظهور اسماء الوزراء بشكل متكرر منذ عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الذى تعد خلافته والنصف الأول من خلافة المستنصر مرحله إنتقالية بين "الخليفة المطلق النفوذ" وعصر "الوزراء العظام"، وأقدم قطعه مؤرخة تحمل اسم الوزير الفاطمى على بن احمد الجرجرائى إلى جانب اسم الخليفة الظاهر نجده على قطعة نسيج من الكتان فى مجموعة Tono مؤرخه بعام ٤٢٥هـ ويلاحظ أن اسم الوزير جاء مسبوقا بعبارة مما أمر بعمله، أى أن أمر العمل صار منسوبا إلى الوزراء.(٢)

وبمتحف الفن الاسلامى ٤ قطع من نسيج الطراز يظهر عليها اسم الوزير على بن أحمد الجرجرائى الى جانب المستنصر بالله. وقطعه خامسه بمتحف المتروبليتان من عمل طراز العامه بتونه نصها مما أمر بعمله الوزير الأجل الكامل ... على بن أحمد فى طراز العامه بتونه.(٣) وقد تميزت كتابات الطراز فى عصر سيادة الوزراء العظام بأن معظم الكتابات صارت تشير إلى ألقاب الوزير الذى أمر بنسج قطع الطراز مثل الوزير الأفضل بن بدر الجمالى الذى وردت ألقابه "سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاه المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو القسم شاهنشاه" على قطعه من نسيج الطراز عليها اسم المستعلى بالله.(٤)

---

(١) Repertoire T.6.P.118.

وعن تنيس انظر د.محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفه المنسوجه ص ٢٢

وقد ظهر اسم عبد الرحمن بن الياس ايضا على المسكوكات انظر

Nicol(N.) El -Nabarawy(R.), Bacharach(J.) Cataloge of the Islamic Coiens, Glass Weights, Dies and Medals in Egyptian National library, CairoU.S.A. 1982. P. 58.

(٢) Répertoire, T. 7. P.2.

(٣) Ibid. PP. 64- 67.

(٤) Ibid . Tome 8, P. 49.

وكان سماح الخليفه بظهور اسم الوزير بالطراز تسليما بالأمر الواقع وهـو استيلاء الوزير على السلطة في البلاد[١] .

ويلاحظ على أقمشة النصف الأول من العصر الفاطمي أن الشريط الكتابي كـان يحتل الجزء الأكبر من مساحة الزخرفة المنسوجة[٢] مثلما نجد في قطعة باسم الحاكم بأمر الله وولى عهده محفوظه بمتحف الفن الاسلامي بالقاهره حيث كانت الزخرفة تتألف من شريطين كتابيين متعاكسين يحصران بينهما شريطا يشتمل على وحدة زخرفيـة متكرره تتألف من طائرين متقابلين بينهما شجرة[٣] ، ولعل ذلك كان تعبيرا عن أن كتابة اسم الخليفة كان هو الغاية من زخرفة الأقمشة التى كانت تمنح كهدايا يعتـز بها رعايا الخليفة طالما كانت تحمل اسمه الا أن أهمية الأشرطه الكتابية اخذت فـى التضاءل منذ النصف الثاني من القرن ٥هـ وتزايدت أعداد وأهميه الشرائط الزخرفيـة الأخرى ، ويمكن أن يعزى هذا التطور أيضا الى روح الترف التى سادت الجزء الأخيـر من حياة الخلافة ومن ناحيه أخرى إلى تضاءل نفوذ الخلفاء حتى أصبح كتابة اسمائهم على الطراز أمرا لا يعنى شيئا بالنسبة للذين يستعملون هذه المنسوجات وربما كـان ذلك محاوله من الوزراء وخاصة السنيون منهم لأجل القضاء على مركز الامام الشيعـى كما فعلوا ببناء المدارس السنية في أواخر الخلافه .

ومنذ القرن ٦هـ/ ١٢م أصبحت الزخارف المنسوجة بالحرير تغطى أكثر الأرضيـة الكتابيـه في الأقمشـه[٤] وأصبحت الأشرطه الكتابية مجرد شريط كتابي زخرفي غيـر

---

(١) د • زكى حسن : كنوز الفاطميين ص١١٨ •
(٢) د • محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفـه المنسوجه ص ١٠٢
(٣) د • حسن الباشا : فنون التصوير ص ٨٢ •
(٤) د • زكى حسن : كنوز الفاطميين ص ١١١ •

مقروء فى نهاية قطعه القماش ولا يحوى أى اشاره إلى الخليفه أو الوزير وكأنما حافظ النساج على وجود شريط كتابى حتى ولو كان لا يعنى شيئا ، وقد نجد بعض الأقمشة وقد خلت تماما من الأشرطه الكتابيه فى نهاية العصر الفاطمى فى القرن ٦هـ/١٢م (١).

و ـ صياغه الحلى :ـ

تدين صياغه الحلى بالفضل فى ازدهارها فى نهاية العصر الفاطمى لاكتناز العملات الذهبيه التى كانت يزداد قوة بعد كل مجاعة كما لاحظنا عند دراسة المسكوكات. ونلاحظ فى مجموعة النقود الفاطمية بدار الكتب المصرية المنشورة فى هذا البحث وجود بعض الدنانير المثقوبة مما يحمل على الظن أنها أستخدمت كحلى نظرا لجودة عيارها وترجع معظم الأمثلة التى وصلتنا من صياغة الحلى فى العصر الفاطمى الى الفترة مابين النصف الأخير من القرن الخامس الهجرى والنصف الأول من القرن السادس الهجرى (١١/١٢م)(٢).

أى بعد الشدة العظمى. ولا شك أن خروج تحف المستنصر وبيعها بثمن بخس كان من العوامل الهامة فى زيادة المكتنزات كما كان فى نفس الوقت حافزا لصناع الحلى وعليه القوم لاجل صياغه وحيازة حلى تماثل ما كان فى خزائن الخلفاء.

ومن الأمثله الرائعة لازدهار فن صياغة الحلى فى العصر الفاطمى مشبك صغير من الذهب محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهره وهو عباره عن قرص مستدير من الذهب وينسب إلى القرن ٥هـ/١١م وزخارف هذا القرص موزعه فى ثلاثة أقسام أفقية

---

(١) Kühnell(E.), Islamische Stoffe, Berlin 1927-T.12.

(٢) أنظر ما نشره : د. أحمد ممدوح حمدى فى : معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامى.

على سطحه ، الأوسط أعرضها وتشغله كتابة كوفية باللون الأبيض ومزخرفة باللون الأحمر . أما الأرضية التي تقوم عليها الكتابة فذات لون سنجابي ونص الكتابة الكوفيه على القرص " الله خير حفظا " أما القسم العلوي والقسم السفلي من القرص فيزخرف كلا منهما فرع نباتي مرسوم باللون الأحمر على أرضية خضراء [١] (لوحه ١٠٠) .

ومتحف الفن الاسلامي أيضا مشبك من الذهب على هيئة مثلث يصلح أيضا كدلاية مزخرف بالمنيا المتعددة الالوان ويفصل بين كل لون وآخر جدار رقيق من الذهب وفي وسط المثلث دائرة في شكل جامة تضم ما يشبه زهرة ذات أوراق أربع بيضاء اللون على أرضية خضراء وثلاث مراوح نخيلية على هيئة قلب بلون أحمر محاط بالأبيض وفي حوافه شريط زخارف متعرجة باللون الأزرق على خلفية بيضاء [٢] .

وقد ازدهرت صياغة المعادن بشكل عام تلبية لاتجاهات ترف الطبقات الغنية في المجتمع ، ويحتفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهره بشمعدان من البرونز يرجع تاريخه إلى القرن ٦هـ / ١٢م ، له ثلاثة أرجل فوقها قاعدة تزينها زخارف نباتية وكتابية بالخط الكوفي المورق تتضمن بعض عبارات الدعاء والتبرك وللتحفة قرص علوي تفصله عن القاعدة رقبة جزؤها الأوسط مسدس الجوانب وفوقه وتحته كرة لها سطح مضلع وفوق القرص العلوي كتابة كوفيه نصها "عمل بن المكي" [٣] .

---

(١) د . حسن الباشا (وآخرون): القاهره ص ٥٦٩ .
(٢) د . أحمد ممدوح حمدي : معرض الفن الاسلامي ص ٣٢ . (لوحه ١) .
(٣) د . زكي حسن : فنون الاسلام ص ٥١٩ .

ومن أجمل وأشهر التحف المعدنية الفاطمية عقاب من البرونز قائم عند مدخل مقبرة بيزا بايطاليا • عليه نقوش غاية في الدقة والابداع[1] • وعنق هذا العقاب وجناحاه مغطاه بريش مرسوم على هيئة تشبه فلوس السمك وجسمه مغطى بزخارف محفوره فيه تضم رسوما نباتية وهندسية وخطية ورسوم طيور وحيوانات وهو يعطى فكره واضحه عن مدى تقدم وازدهار صناعة الأوانى والتحف المعدنية فى نهاية العصر الفاطمى •

---

(١) ديماند : فنون الاسلام ص ١٥٢ •

الخاتمة

وبعد ، فذلك كان بحثا عن موضوع المجاعات التى حدثت فى العصر الفاطمى والعوامل التى كانت وراء حدوثها ، والنتائج المباشرة وغير المباشرة التى ترتبت عليها .

انتهيت فيه الى أن انخفاض الفيضان لم يكن سببا حقيقيا فى معظم هذه المجاعات ، وأن عوامل أخرى غير الجغرافيا كانت هى التى تدفع بالبلاد إلى حافة الفقر والمجاعة . وأهم هذه العوامل الاحتكار التجارى والإعراض عن طرح السلع الغذائية فى الأسواق حتى ترتفع أسعارها وكان ضعف أداة الحكم المركزية منذ خلافة الظاهر لاعزاز دين الله إيذانا بتعاظم تأثير هذا العامل خاصة وأن بعض رجال الدولة كانوا يقومون بالاتجار فى الغلال .

وقد أدى تكرار حوادث المجاعات إلى ضياع هيبة الخليفة رأس السلطة المركزية ، وبالمقابل تزايد الدور المؤثر لرجال الدواوين والعسكر ، وكانت كل مجاعة تقتطع جزءا من صلاحيات الخليفة حتى انتهى الأمر إلى تركز سلطات الحكم الحقيقية فى أيدى الوزراء العظام الذين أتوا إلى كرسى الوزارة من صفوف الجندية .

وانعكس اضطراب أداة الحكم على قوة الخلافة ، فخرجت أملاكها فى الشام والمغرب وصقلية والحجاز عن حوزتها أثناء المجاعات التى كان يصاحب انتهائها استعادة الخلافة لهذه الأملاك ، وظلت حركة المد والجزر هذه حتى أنهكت الخلافة وأصبحت مطمعا للغزاة الصليبيين والسلاجقه والأكراد الطامحين الذين

نجحوا فى إسقاطها دون أن يشهر سيف بوجههم .

وقد أدت المجاعات إلى تغيير صورة الحياة فى المجتمع المصرى بسبب موت الكثيرين بالأوبئة واضمحلال الريف وفقر سكانه الذين أصبحوا غير قادرين على التزايد لأجل الحصول على قبالات الأرض ، فتولى العسكريون هذه القبالات إضافة إلى الاقطاعات الممنوحة لهم .

وتزايدت ثروات التجار بسبب ارتفاع الأسعار أثناء المجاعات ، فأصبحوا أثرياء المجتمع .

ولم يقتصر الانحدار العمرانى على الريف بل امتد إلى الفسطاط والقاهرة التى أصبحت منذ الشدة المستنصرية مدينة مفتوحة يسكنها الناس بعد أن ظلت حصناً ملكياً منذ تأسيسها .

ومن الناحية المالية ، أثرت المجاعات والأوبئة على الحياة الزراعية ، وانعكس ذلك على انخفاض الخراج ، المصدر الرئيسى للايرادات ، واستمر مقدار الخراج فى التناقص منذ الشدة العظمى ، وبالمقابل زادت الضرائب على الأنشطة التجارية والصناعية ، كتعويض لانخفاض الخراج وكان ارتفاع أسعار السلع الغذائية وانخفاض أسعار ما عداها ، أبرز الملامح الثابتة المتكررة فى هذه المجاعات ، وحاولت الدولة فى عصر الخلفاء الأقوياء مواجهة ارتفاع الأسعار باتباع سياسة التسعير ، والقضاء على الوسطاء فى تجارة هذه السلع ، وقد حاولت ترسم الخط البيانى لمستوى معيشة بعض العاملين فى الدولة من خلال ما وصلنا عن

رواتبهم ٠

وإلى هذه المجاعات وما يصاحبها من أحداث يرجع سبب تحـــول مصر إلى التعامل النقدى على أساس معدنى الذهب والفضة ، إذ أدى ارتفاع الأسعار إلى إنهيار قيمة العملة الذهبية السائدة فى التعامل (الدنانيـــر) مما دفع القادرين إلى اكتنازها وكان انخفاض سعر صرف الدراهم بالنسبـــة للدينار تعبيرا عن اختفاء الذهب من التعامل ، فاضطر الحاكم إلى تقريـــر سعر لصرف الدراهم فتحولت مصر بذلك إلى قاعدة المعدنيين ومع توالى المجاعات وارتفاع الأسعار ازداد اتجاه وقدرة التجار على اكتناز الذهب حتى أصبحـــت الفضة هى النقد الرئيسى للبلاد ، وارتفع سعرها أمام الدينار رغم سوء عيارها ، ومعنى ذلك أن عصر الفضة بدأ فى عهد الفاطميين الذى لم يكن كلـــه عهد سيادة الذهب فى التعامل كما هو شائع فى الكتابات الحديثة ٠

وقد أدت الشدة المستنصرية إلى بلورة نفوذ الوزراء ، وانعكس ذلـــك على حركة التشييد والبناء التى اتسمت فى عصر سيطرة الخلفاء بكبر أحجـــام المبانى الدينية (المساجد والجوامع) التى تركزت فى مجال القاهرة ومصـــر ، بينما قلت مساحات هذه المبانى فى عهد الوزراء الذين كانوا هم رعـــاة الفن المعمارى فى أواخر العصر الفاطمى ٠ وكثرت انشاءات الوزراء فى الأقاليـم واعتنى السنيون منهم بانشاء المدارس السنية المذهب ، وإزاء ضعف مركز مصـــر الحربى وجه الوزراء جهودهم نحو تدعيم الانشاءات والعمائر الحربية ٠ وكانـــت معظم الأعمال المعمارية للوزراء عبارة عن تجديدات فى مبان قائمه ٠

وتظهر النصوص التأسيسيه التى ترجع الى ما بعد الشدة العظمى مدى ما تمتع به الوزراء من نفوذ وسلطان فى هذه الفترة حيث أحتلت ألقابهم معظم مساحة هذه الكتابات مقرونه بالإشارة إلى أن أعمال الانشاء أو الترميم كانت بأمر منهم.

وكان من أثر النتائج الاجتماعية التى نجمت عن المجاعات وخروج التحف والذخائر التى كانت فى خزائن المستنصر أن تركز طلب الأغنياء على تحف الترف التى أصبحت تحمل طابع الزخارف التى كانت على تحف المستنصر، ويمكن ترسم هذا الطابع الزخرفى فى المقارنة بين زخارف الخزف ذى البريق المعدنى الذى ينسب إلى ما قبل الشدة والخزف الذى ينسب إلى ما بعدها، وقد أدى الاتجاه الترفى فى الاستهلاك الى إنتشار استعمال البللور الصخرى وظهور نوع من الزجاج صنع تقليدا لأوانى البللور الصخرى، كما أن اكتناز الذهب الذى أشرنا اليه آنفا وجد متنفسا له فى صياغة الحلى التى أزدهرت فى القرن ٥ ــ ٦ هـ / ١١ ــ ١٢م.

ومن جهة أخرى أدى تزايد أعداد الفقراء فى الريف والمدن نتيجة لتوالى المجاعات إلى إزدهار نوع جديد من الخزف المزخرف بالحز تحت طلاء زجاجى من لون واحد وهو المعروف كتقليد لخزف أسرة سنج الصينى، وان حملت زخارفه نفس طابع الزخارف الفاطمية فى القرن ٥ ــ ٦ هـ / ١١ــ١٢م وهو نفس طابع زخارف تحف المستنصر، وظهرت هذه الزخارف أيضا على الأوانى الفخار التى صنعت تقليدا لخزف أسرة تانج الصينى والمعروف بفخار الفيوم.

أما زخارف وكتابات نسيج الطراز ، فقد أيدت ما أثبتته الدراسات التاريخيه من انهيار لسلطات الخليفة منذ عهد الظاهر وصعود نجم الوزراء الذين سجلوا ألقابهم وأسمائهم مسبوقة بأمر العمل على هذه المنسوجات التى لم تعد تحمل أسماء الخلفاء فى نهاية العصر الفاطمى .

الملاحق

(ملحق رقم ١) قياس النيل أثناء المجاعات

السنوات	حسب جدول كارتمير أصابع	حسب جدول كارتمير ذراع	حسب جدول أبي المحاسن أصابع	حسب جدول أبي المحاسن ذراع	حسب جدول ابن أيبك أصابع	حسب جدول ابن أيبك ذراع	حسب المصادر التاريخية أصابع	حسب المصادر التاريخية ذراع	المصدر
٨٧ هـ	٢٠	١٦	٢٠	١٦	٢٠	١٦			الجداول الثلاثة نقلا عن : أمين سامي : تقويم النيل ص ٤ـ ٢١
١٢٤ هـ	١٣	١٨	١٣	١٨	١٣	١٦			
١٤٧ هـ	١٩	١٤	١٩	١٤	١٩	١٤	١٦	١٢	ابن اياس ج ١ ص ٣١ .
١٩٠ هـ	٧	١٧	٧	١٧	٧	١٧			
٣٢٩ هـ	١٣	١٥	١٣	١٥	١٣	١٥			
٣٣٨ هـ	١٨	١٧	١٨	١٧	٢	١٦	١٤	١٥	ابن اياس ج ١ ص ٤٣ .
٣٤١ هـ	١٠	١٦	١٠	١٦	ـ	١٨	١٤	١٥	" " " "
٣٤٢ هـ	—	١٨	—	١٨	٦	١٦	١٤	١٥	" " " "
٣٤٣ هـ	٧	١٦	٧	١٦	٦	١٧	١٤	١٥	" " " "
٣٤٤ هـ	٦	١٧	٦	١٧	٧	١٦	١٤	١٥	" " " "
٣٤٥ هـ	٧	١٦	٧	١٦	١٧	١٦	١٤	١٥	" " " "
٣٤٦ هـ	١٩	١٦	١٩	١٦	٢٠	١٧	١٤	١٥	" " " "
٣٤٧ هـ	٢٠	١٧	٢٠	١٧	١٩	١٦	١٤	١٥	" " " "
٣٤٨ هـ	٢٠	١٧	٢٠	١٧	١٩	١٧	١٤	١٥	" " " "
٣٤٩ هـ	—	١٧	—	١٧	—	١٨	١٤	١٥	" " " "
٣٥٢ هـ	١٦	١٥	١٦	١٥	٤	١٥	٤	١٥	المقريزى : إغاثة الأمه ص ١١ .
٣٥٣ هـ	٤	١٥	٤	١٥	١٥	١٦	٤	١٥	" " " "
٣٥٤ هـ	١٥	١٦			١٩	١٤	أصابع	١٦	المقريزى : إغاثة ص ١٢ .
٣٥٥ هـ	١٩	١٤			١٩	١٢	"	١٤	" "

(تابع ملحق رقم ١)

السنوات	حسب جدول كارتمير		حسب جدول أبى المحاسن		حسب جدول ابن ايبك		حسب المصادر التاريخية		المصدر
	اصابع	ذراع	اصابع	ذراع	اصابع	ذراع	اصابع	ذراع	
٣٥٦ هـ	١٧	١٢			١٤	١٧	اصابع	١٢	المقريزى : اغاثة ص ١٢
٣٥٧ هـ	١٤	١٧			٩	١٧			
٣٥٨ هـ	٩	١٧			٢٠	١٦			
٣٥٩ هـ	١٩	١٧			٢١	١٧			
٣٦٠ هـ	٢١	١٧			٢١	١٧			
٣٨٧ هـ	٧	١٦			٧	١٦	واصابع	١٦	المقريزى : اغاثه الامه ص ١٣
٣٩٥ هـ	٣	١٦			٣	١٦	"	١٦	" " " ص ١٤
٣٩٦ هـ	١٦	١٦			١٦	١٦	واصابع	١٣	اغاثه ص ١٥
							—	١٥	" ص ١٦
							١٦	١٦ ونزل	الخطط ج ٢ ص ٢٨٦
٣٩٧ هـ	١٦	١٤			١٦	١٤	واصابع	١٣	اغاثه ص ١٤
٣٩٨ هـ	٩	١٤			٩	١٤	—	١٥	اغاثه ص ١٦ (انحط سريعا) .
٤٠٢ هـ	١٠	١٦			١٠	١٦			
٤٠٣ هـ	١٢	١٧			١٢	١٧			
٤٠٦ هـ	٢	١٦			٩	١٦	٢	١٩	المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١١٢
٤١٠ هـ	٨	١٩			٨	١٩			
٤١٤ هـ	١٤	١٤			١٤	١٤			نقص بعد أن أوفى ـ المسبحى ج ٤٠ ص ١٢ اتعاظ ج ٢ ص ٤ ـ ١٣٥
٤١٥ هـ	—	١٦			—	١٦	٨	١٦	حسب اتعاظ ج ٢ ص ١٧٢ ـ المسبحى يذكر ان النيل أوفى ج ٤٠ ص ٤٧

(تابع ملحق رقم ١)

السنوات	حسب جدول كارتمير		حسب جدول أبى المحاسن		حسب جدول ابن ايك		حسب المصادر التاريخيه		المصدر
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٤١٧ هـ	٧	١٦			٧	١٦			زيادة أدت الى غرق ـ اتعاظ ٢ ص ١٧٥ الخطط ج ١ ص ٣٥٥ .
٤٢٢ هـ	٦	١٧			٦	١٧			تأخرت الزيادة ٤ شهور اتعاظ ٢ ص ١٨٠ الخطط ج ١ ص ٣٥٥ .
٤٢٦ هـ	١٥	١٦			١٤	١٧			كثر الفأر ولاعلاقه بالفيضان اتعاظ ٢ ص ١٨٠ ـ الخطط ج ١ ص ٣٥٥ .
٤٤٤ هـ	٥	١٧			٥	١٧			يذكر المقريزى ان سبب ذلك نقص النيل .
٤٤٥ هـ		١٧				١٧			
٤٤٦ هـ	٤	١٧			١٤	١٥			
٤٤٧ هـ	٤	١٦			٤	١٧			
٤٤٨ هـ	١٣	١٧			١٣	١٧			
٤٥٥ هـ	١٢	١٧			١٢	١٩			
٤٥٦ هـ	١٣	١٦			٣	١٦			
٤٥٧ هـ	١٠	١٦			١٠	١٦			
٤٥٨ هـ	١٧	١٦			١٧	١٦			
٤٥٩ هـ	١٧	١٦			٧	١٦			
٤٦٠ هـ	٦	١٥			٦	١٥			
٤٦١ هـ	١٨	١٧			١٨	١٧			
٤٦٢ هـ		١٦				١٧			
٤٦٣ هـ	٣	١٧			٣	١٦			

(تابع ملحق رقم ١)

السنوات	حسب جدول كارتمير		حسب جدول أبي المحاسن		حسب جدول ابن ايبك		حسب المصادر التاريخية		المصدر
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
٤٦٤ هـ	١٠	١٦			١٠	١٦			
٤٦٥ هـ	٧	١٦			٧	١٦			
٤٦٦ هـ	٣	١٦			٩	١٥			
٤٦٧ هـ	٧	١٧			١٢	١٦			
٤٨٢ هـ	٩	١٦			١٥	١٧			
٤٩٠ هـ	١	١٧			٢١	١٦			
٤٩٣ هـ	١٥	١٨			١٥	١٥			
٤٩٧ هـ	١٣	١٧			١٣	١٧			
٥٢١ هـ		١٧			١٥	١٦			
٥٣٢ هـ	١٢	١٨			٣	١٧			
٥٣٣ هـ	٥	١٨			٥	١٨			
٥٣٦ هـ	١١	١٦			١١	١٦			
٥٣٧ هـ		١٨				١٨			
٥٣٨ هـ	٩	١٦			٤	١٨			
٥٥١ هـ	٨	١٧			٨	١٧			
٥٥٥ هـ	١٠	١٨			٧	١٨			

(ملحق رقم ٢) تطور سعر القمح أثناء المجاعات

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
٣٤٣هـ/٩٥٤م	٢ $\frac{1}{2}$ ويبه	٣٠,٤٢ كج	دينار	١٥	إغاثه الأمة ـ ص ١١	الويبه تساوى ١٢,١٦٨كج هنتس (فالتر) ـ الموازين والمكاييل ص ٨٠
٣٥٢هـ/٩٦٣م	٢ ويبه	٢٤,٣٣٦كج	دينار	١٥	إغاثه الأمة ص ١١	
٥٦ـ٣٥٧هـ/ ٦٦ـ ٩٦٨م	ويبه	١٢,١٦٨كج	دينار	١٥	إغاثه الأمة ص ١٢	
٣٥٨هـ/٩٦٩م	٩ أقداح	٦,٤٥١ كج	دينار	١٥	اتعاظ الحنفا ـ ج ٢ ص١٦٨	القدح يوازى $\frac{1}{48}$ من الاردب انظر هنتس : ص٥٨
٣٩٧هـ/١٠٠٦م	تليس	٩٧,٥ كج	دينار لاقيراط	١٤,٣٧٥	إغاثه الأمة ص ١٥	تسعير التليس يساوى ٩٧,٥كج هنتس(فالتر) : ص ٦٤
٣٩٧هـ/١٠٠٦م	تليس	٩٧,٥كج	٤ دنانير	١٣٦	إغاثه الأمة ص ١٦	
٣٩٨هـ/١٠٠٧م	تليس	٩٧,٥كج	٤ دنانير	٧٢	إتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٧٤	
جمادى الاخر ٤١٤هـ ١٠٢٣م	تليس	٩٧,٥ كج	دينار	١٦	المسبحى : ج ٤٠ ص١٢ ا ـ ١٣	
بعد جمادى الاخر ٤١٤هـ	تليس	٩٧,٥كج	دينارين	٣٢	المسبحى : ج ٤٠ ص١٢ ا ـ ١٣	
ربيع الاول ٤١٥هـ ١٠٢٤م	تليس	٩٧,٥كج	٣ دنانير	٤٨	المسبحى : ج ٤٠ ص ٣٢ اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢	
شوال ٤١٥هـ	تليس	٩٧,٥ كج	دينارين ثم ٣ دنانير	٣٢ ثم ٤٨	المسبحى : ج ٤٠ ص٦٧ـ٦٩ اتعاظ ج ٢ ص ١٦١ ـ ٢	غير ثمن التليس
١٣ ذى القعده ٤١٥هـ	تليس	٩٧,٥كج	٣ دنانير	٤٨	المسبحى : ج ٤٠ ص ٧٢	

(تابع ملحق رقم ٢)

التاريخ	الوزن / الوحدة: الوحدة	الوزن / الوحدة: بالكيلوجرام	السعر: بالدينار	السعر: بالدرهم	المصدر	ملاحظات
١٤ ذى القعدة ٤١٥هـ	تليس	٩٧,٥ كج	٣ دنانير	٤٨	المسبحى : ج ٤٠ ص٧٤	
١٦ ذى القعدة ٤١٥هـ	تليس	٩٧,٥ كج	دنيارين ونصف	٤٠	المسبحى ج ٤٠ ص٧٤ـ٧٥ اتعاظ ج ٢ ص١٦٥	تسعير
١٧ ذى القعدة ٤١٥هـ	تليس	٩٧,٥ كج	٣ دنانير وربع	٥٢	المسبحى : ج ٤٠ ص٧٥ اتعاظ ج ٢ ص١٦٦	
ذو الحجه ٤١٥هـ	تليس	٩٧,٥ كج	٤ $\frac{1}{3}$ دنانير	٦٩	المسبحى ج ٤٠ ص٨٦ اتعاظ ج ٢ ص١٦٩	
٤٤٦هـ/١٠٥٤م	تليس	٩٧,٥ كج	٨ دنانير	١٢٨	اتعاظ ج ٢ ص٢٢٦ الاشارة ص٤٣	فى اغاثه الامه عام ٤٤٧ هـ ص٢٠ ـ ٢١
٤٤٦هـ	تليس	٩٧,٥ كج	٣ دنانير	٤٨	اتعاظ ج ٢ ص٢٢٦	فى اغاثه الامه عام ٤٤٧هـ تسعير
٤٥٩هـ/١٠٦٦م	الأردب	٧٣,١٢٥ كج	٨٠ دنيارا	١٢٨	النجوم ج ٥ ص٧٩	الاردب يوازى ٧٣,١٢٥ كج هنتس(فالتر)؛ ص٥٨
٤٦١هـ/١٠٦٨م	الأردب	٧٣,١٢٥ كج	٨٠ دينارا	١٢٨	اتعاظ ج ٢ ص٢٩٧	اختفى القمح بعد ذلك .
٤٦١هـ	الأردب	٧٣,١٢٥ كج	٧٠ دينارا	١١٢٠	اتعاظ ج ٢ ص٢٩٩	حادث نهب قمح المشترى .
٤٦١هـ	الأردب	٧٣,١٢٥ كج	١٠٠ دينار	١٦٠٠	النجوم ج ٥ ص٨٣	
٤٦٤هـ/١٠٧١م	٩ أرطال	٣,٩٣٧٥ كج	دينار نزارى	١٦	اتعاظ ج ٢ ص٣٠٧	الرطل يساوى ٤٣٧,٥ جرما هنتس (فالتر) ص٧٦ .

(تابع ملحق رقم ٢)

التـــاريخ	الوزن / الوحدة		السـعـر		المصـــدر	ملاحظـــات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
٤٦٤هـ	٩ أرطال	٣,٩٣٧٥كج	مثقالين ثـم ثلاثة	٣٢ـ٤٨	اتعاظج ٢ ص٣٠٧	
٤٥٧ ـ ٤٦٤ هـ الشـدة	الأردب	٧٣,١٢٥كج	٧١ دينارا	١١٣٦	الكواكبالسيارة ـ ص١٧٧ .	
الشـــدة	الأردب	٧٣,١٢٥كج	٨٠ دينارا	١٢٨٠	اغاثه الامه ـ ص ٢٣ الخططج ١ص٣٣٧ـ عنالجوانى	أولا ثم أختفى .
الشـــدة	الأردب	٧٣,١٢٥كج	٨٠ ثم ١٢٠ دينارا	١٢٨٠ ـ ١٩٢٠	ابن اياس ـ ج ١ ص٦٠	
الشـــدة	الأردب	٧٣,١٢٥كج	١٠٠ دينار	١٦٠٠	النجوم ـ ج ٥ ص١٧	أولا ثم أختفى .
الشـــدة	الأردب	٧٣,١٢٥كج	٢٠٠ دينار	٣٢٠٠	راشد ـ ص٩٤ عن النويرى .	
الشـــدة	الأردب	٧٣,١٢٥كج	٢٠٠ دينار	٣٢٠٠	ابن ميسرج ٢ ص ٣٤	
٤٩٧هـ/١١٠٣م	الأردب	٧٣,١٢٥كج	٣٠ دينارا	٤٨٠	ابن اياس ج ١ ص٦٣	لمدة ٦ أشـــهر .
٤٩٧هـ	مائه أردب	٧٣١٢,٥كج	١٣٠ دينارا	٢٠٨٠	اغاثه الامه ص ٢٦	
٤٩٧هـ	مائه أردب	٧٣١٢,٥كج	٣٠ دينارا	٤٨٠	اغاثه الامه ص ٢٦	تســـعير .
٤٩٧هـ	الأردب	٧٣,١٢٥كج	دينـــار	١٦	اتعاظـج ٣ ص٦٦، ٦٧ هامش (٤)	سعر تداول بعد الشراء بالتسعير
٥٢١هـ/١١٢٧م	الأردب	٧٣,١٢٥كج	دينـــار	١٦	اتعاظ ج ٣ ص ١٣٣	
٥٣٣هـ/١١٣٨م	الأردب	٧٣,١٢٥كج	٣ دنانير	٤٨	اتعاظ ج ٣ ص١٦٨	
٥٣٣هـ	مائه أردب	٧٣١٢,٥كج	٤٠ دينارا	٦٤٠	اتعاظج ٣ ص١٦٨	غلال فاســدة .

(تابع ملحق رقم ٢)

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
[illegible]٥٣هـ/١١٤١م	الأردب	٧٣,١٢٥كج	٠	٩٠	ابن ميسر ج ٢ ص٨٥ اتعاظ ج ٣ ص١٧٦ ٠	
[illegible]٥٥هـ/١١٥٦م	الأردب	٧٣,١٢٥كج	٥ دنانير	٨٠	اغاثه الامه ـ ص٢٧	لم يذكر صراحه انه القمح ٠

(ملحق رقم ٣) تطور سعر الدقيق أثناء المجاعات

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلو جرام	بالدينار	بالدرهم		
٣٩ هـ	الحمله	١٣٥ كج	دينار ونصف	٥١	اغاثه الامه ص١٦	حمل الطحين في مصر يوازي ١٣٥كج – راجع هنتس الأوزان والمكاييل ص ٧ بعد ذلك
٣٩ هـ	الحمله	١٣٥ كج	٦ دنانير	٢٠٤	اغاثه الامه – ص ١٦	
٣٩ هـ	الحمله	١٣٥ كج	٦ دنانير	١٠٨	اتعاظ الحنفا –ج ٢ ص٧٤	
٤١ هـ	رطل	٤٣٧,٥ جرام		درهم	اتعاظ –ج ٢ ص١١٥	
جمادى الاخر ٤١٤ هـ	الحمله	١٣٥ كج	$2\frac{1}{4}$ دينار	٣٦	المسبحي ج ٤٠ ص١٢–١٣ اتعاظ ج ٢ ص١٣٥ .	
شوال ٤١٥ هـ	رطلين ونصف	١,٩٣٧٥ كج		درهم	المسبحي : ج ٤٠ ص٦٧–٦٩ اتعاظ –ج ٢ ص١٦١–١٦٢	
١٢ ذى القعدة ٤١٥ هـ	الحمله	١٣٥ كج	$4\frac{1}{2}$ دينار وقيراطين	٧٥	المسبحي : ج ٤٠ ص٧٢	
١٥ ذى القعدة ٤١٥ هـ	رطل ونصف	٦٥٦,٢٥ جرام		درهم	المسبحي : ج ٤٠ ص٧٤ .	
١٦ ذى القعدة ٤١٥ هـ	الحمله	١٣٥ كج	٤ دنانير	٦٤	المسبحي : ج ٤٠ ص٧٤–٧٥ اتعاظ ج ٢ ص١٦٥	تسعير
ذو الحجه ٤١٥هـ	الحمله	١٣٥ كج	٦ دنانير	٩٦	المسبحي : ج ٤٠ ص٨٦ اتعاظ ج ٢ ص١٦٩	
الشدة	٢٠ رطل	٨,٧٥ كج	٩٠٠ دينار	١٤٤٠٠	النجوم ج ٥ ص١٧	ثمن دار اشتراها قبل الشدة

(تابع ملحق رقم ٣)

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
الشدة ٤٦٢ هـ	تليس	٩٧,٥ كج	١٠٠٠ دينار	١٦٠٠٠	اغاثه الامه ص ٢٤	حادثه عقد المرأة والقرصة .
	الحمله	١٣٥ كج	٣٠٠ دينار	٤٨٠٠	ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٥٧	
٥٣٦ هـ	الحمله	١٣٥ كج		١٥٠	ابن ميسر ج ٢ ص ٨٥ اتعاظ ج ٣ ص ١٧٦ .	

(ملحق رقم ٤)   تطور سعر الخبز أثناء المجاعات

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
٣٥٨هـ	رطل	٤٣٧,٥ جرام		درهمين	الكامل ـ ج ٧ ص ٣١	
المحرم ٣٨٧ هـ	٤ أرطال	١,٧٥٠ كج		درهم	اغاثه الامه ـ ص ١٣	
					اتعاظ ج ٢ ص ٨	
٣٩٠ هـ	١٦ رطلا	٧,٠٠٠ كج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٢٥	
قبل ٣٩٦ هـ	١٠ أرطال	٤,٣٧٥ كج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٦٢	السعر العادى .
٣٩٦ هـ	٦ أرطال	٢,٦٢٥ كج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٦٢	
٣٩٧ هـ	١٢ رطلا	٥,٢٥٠ كج		درهم جديد	اغاثه الامه ص ١٥	تسعير
٣٩٧ هـ	٦ أرطال	٢,٦٢٥ كج		درهم	اغاثه الامه ص ١٦	
٣٩٧ هـ	٣ أرطال	١,٣١٢٥ كج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٦٩	
٣٩٨ هـ	٣ أرطال	١,٣١٢٥ كج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٧٤	خبز أسود
٩ رجب ٤١٤ هـ	٣ أرطال	١,٣١٢٥ كج		درهم	المسبحى : ج ٤٠ ص ١٥ـ١٦	
					اتعاظ ج ٢ ص ١٣٥	مبلول
جمادى الاخر	٤ أرطال	١,٧٥٠ كج		درهم (وثمن)	اتعاظ ج ٢ ص ١٣٥	اخطأ المقريزى فى (ثمن)
٤١٤ هـ					المسبحى ج ٤٠ ص ١٢ ـ ١٣	
ربيع الأول ٤١٥هـ	رطلين ونصف	١,٩٣٧٥ كج		درهم	المسبحى : ج ٤٠ ص ٣٢	
					اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢	
٤ رجب ٤١٥ هـ	٥ أرطال	٢,١٨٧٥ كج		درهم	المسبحى : ج ٤٠ ص ٤٧ـ٤٨	خشكار

(تابع ملحق رقم ٤)

التاريخ	الوزن / الوحدة: الوحدة	الوزن / الوحدة: بالكيلوجرام	السعر: بالدينار	السعر: بالدرهم	المصدر	ملاحظات
٤ رجب ٤١٥ هـ	٤ أرطال	١,٧٥ كج		درهم	المسبحى ج ٤٠ص٤٧ــ٤٨	حوارى .
٦ رجب ٤١٥ هـ	٥ أرطال	٢,١٨٧٥ كج		درهم	المسبحى ج ٤٠ ص٤٨	خبز الأفران .
بعد ٦ رجب ٤١٥ هـ	٣ أرطال	١,٣١٢٥ كج		درهم	المسبحى ج ٤٠ ص٤٨	كل الانواع عدا السميذ .
بعد ٦ رجب ٤١٥ هـ	رطلين ونصف	١,٩٣٧٥ كج		درهم	المسبحى ج ٤٠ ص٤٨	السميد .
شوال ٤١٥ هـ	رطلين	٨٧٥ ج		درهم	المسبحى ج ٤٠ ص٦٧ ــ ٦٩ اتعاظ ج ٢ ص١٦١ ــ ١٦٢	
١٣ ذى القعدة ٤١٥ هـ	رطلين	٨٧٥ج		درهم وربع	المسبحى ج ٤٠ ص٧٢	السميد .
١٣ ذى القعدة ٤١٥ هـ	رطلين	٨٧٥ج		درهم	المسبحى ج ٤٠ ص٧٢	خشكار .
١٥ ذى القعدة ٤١٥ هـ	رطلين	٨٧٥ج		درهم وربع	المسبحى ج ٤٠ ص٧٤	خبز أسود ..
١٦ ذى القعدة ٤١٥ هـ	رطلين ونصف	١,٩٣٧٥ كج		درهم	المسبحى :ج ٤٠ص٧٤ــ٧٥ اتعاظــج ٢ ص ١٦٥	تسعير .
١٧ ذى القعدة ٤١٥ هـ	رطلين	٨٧٥ج		درهم وربع	المسبحى :ج ٤٠ ص٧٥ اتعاظ ج ٢ ص ١٦٦	سميد .

(تابع ملحق رقم ٤)

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
١٧ ذى القعدة ٤١٥ هـ	رطلين	٨٧٥ج		درهم	المسبحى : ج ٤٠ ص ٧٥	حوارى .
ذو الحجه ٤١٥هـ	رطل وربع	٥٤٧ ج		درهم	المسبحى : ج ٤٠ ص٨٦ اتعاظ ج ٢ ص١٦٩ .	
ذو الحجه ٤١٥هـ	رطل	٤٣٧,٥ج		درهم	المسبحى : ج ٤٠ ص٨٨ اتعاظ ج ٢ ص ١٧٠ .	بعد هجوم العبيد .
٤هـ	٤ أرطال	١,٧٥ كج		درهم وثمن	اغاثه الامه ـ ص ١٨	فى أزمنة المساغب .
٤هـ	٥ـ١٠ أرطال	٢,١٨٧ ٤,٣٧٥ كج		درهم	اغاثه الامه ص ١٨ ـ ١٩	حادثة اليازورى .
٤٦٣ هـ	١٣ رطلا	٥,٦٨٧ كج	دينار	١٦	النجوم ـ ج ٥ ص١٥	وقت الحصار .
الشده المستنصريه	رغيف الخبز وزنه رطل	٤٣٧,٥ ج	١٤ دينارا أو درهما	١٤ أو ٢٢٤	ابن ميسر : ج ٢ ص٣٤	
" "	رغيف	٤٣٧,٥ ج	١٤ دينارا أو درهما	١٤ أو ٢٢٤	راشد ـ ص٩٤	نقلا عن النويرى .
" "	رغيف الخبز وزنه رطل	٤٣٧,٥ ج	١٤ دينارا	٢٢٤	الخططج ١ ص٣٣٧عن الجوانى	بيع الطرف فى زقاق القناديل .
" "	رغيف الخبز	٤٣٧,٥ ج	١٥ دينارا	٢٤٠	اغاثه الامه ص ٢٣ ابن اياس : ج ١ ص ٦٠	" " " " "
٥٣٦ هـ	٣ أرطال	١,٣١٢ كج		درهم	ابن ميسر : ج ٢ ص٨٥ اتعاظ ج ٣ ص١٧٦	

(ملحق رقم ٥) تطور أسعار الحيوانات واللحوم أثناء المجاعات

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
٣٩٧ هـ	رطل ونصف	٦٥٦,٢٥ ج		درهم	اغاثه الامه ص ١٦	لحم بقرى .
٣٩٧ هـ	رطل	٤٣٧,٥ ج		درهم	اغاثه الامه ص ١٦	لحم الضأن .
٣٩٧ هـ	رطلين	٨٧٥ ج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٦٩	تسعير .
٣٩٨ هـ	رطلين	٨٧٥ ج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٧٤	
٣٩٨ هـ	رطلين ونصف	١,٩٣٧٥ كج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٧٤	لحم بقرى .
٤١٠ هـ	٤ أواق	١٤٩,٧٦ ج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ١١٥	الأوقيه فى مصر تزن ٣٧,٥ ج هنتس : ص ١٩ .
شوال ٤١٥ هـ	رطل	٤٣٧,٥ ج		٣	المسبحى : ج ٤٠ ص ٦٧–٦٩ اتعاظ ج ٢ ص ١٦١–١٦٢	
شوال ٤١٥ هـ	رأس بقر		٥٠ دينارا	٨٠٠	الخطط ج ١ ص ٣٥٤	
١٣ ذى القعدة ٤١٥ هـ	٤ أواق	١٤٩,٧٦ ج		درهم	المسبحى : ج ٤٠ ص ٧٢	
٤٦١ هـ	البيضه		عشره قراريط	٧	اتعاظ ج ٢ ص ٢٩٦ .	
٤٦٤ هـ	أوقيه	٣٧,٤٤ ج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧	لحم .
٤٦٤ هـ	رطل	٤٣٧,٥ ج		درهمين	اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧	جلود البقر المطبوخة .

(تابع ملحق رقم ٥)

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
لشدة	البيضه		دينار	١٦	النجوم ج ٥ ص ١٧ .	
"	الكلب		٥ دنانير	٨٠	النجوم ج ٥ ص ١٦ .	
"	السنور		٣ دنانير	٤٨	النجوم ج ٥ ص ١٦ .	

(ملحق رقم ٦) **تطور سعر الأرز أثناء المجاعات**

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
٣٩٧ هـ	ويبه	١٢,١٦٨ كج	دينار	١٦	اغاثه الامه ص ١٦ .	
ربيع ٣٩٨ هـ	ويبه	١٢,١٦٨ كج	دينار	١٦	اتعاظ ج ٢ ص ٧٤ .	
٥٣٣ هـ	مائة أردب	٧٣,١٢٥ كج	١٠ دنانير	١٦٠	اتعاظ ج ٣ ص ١٦٨ .	فاسد .

(ملحق رقم ٧)　　تطور سعر الشعير أثناء المجاعات

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
٣٥٨ هـ	ويبه	١٢,١٦٨ كج	دينار وسدس	١٨	الكامل ج ٧ ص ٣١ .	
٣٩٧ هـ	١٠ ويبات	١٢١,٦٨ كج	دينار	١٦	اغاثه الامه ص ١٥	تسعير .
ربيع أول ٤١٥ هـ	٤ ويبات	٤٨,٦٧٢ كج	دينار	١٦	المسبحي : ج ٤٠ ص ٣٢ اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢ .	
شوال ٤١٥ هـ	تليس	٩٧,٥ كج	دينار	١٦	المسبحي : ج ٤٠ ص ٦٧ اتعاظ ج ٢ ص ١٦١ — ١٦٢ .	
بعد شوال ٤١٥ هـ	٦ ويبات	٧٣,٠٠٨ كج	دينار	١٦	المسبحي : ج ٤٠ ص ٦٧ اتعاظ ج ٢ ص ١٦١ — ١٦٢	
٥٣٦ هـ	الويبه	١٢,١٦٨ كج		٧	ابن ميسر : ج ٢ ص ٨٥ اتعاظ ج ٣ ص ١٧٦ .	

(ملحق رقم ٨) تطور أسعار الزيوت ــ الجبن ــ الخضروات ــ التبن ــ الماء ــ الحطب

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
٣٩٧ هـ	٨ أواق	٢٩٩,٥ ج		درهم	اغاثه الامه ص ١٦	زيت الأكل .
٣٩٧ هـ	رطل	٤٣٧,٥ ج		درهم	اغاثه الامه ص ١٦	فى اتعاظ ٣٩٨هـ ــ ج ٢ ص ٧٤
						زيت الوقود .
٣٩٧ هـ	عشرة أرطال	٤,٣٧٥ كج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٧٤	فى اتعاظ ٣٩٨هـ ــ
					اغاثه الامه ص ١٦	البصل .
٣٩٧ هـ	٨ أواق	٢٩٩,٥ ج		درهم	اتعاظ ج ٢ ص ٧٤	فى اتعاظ ٣٩٨هـ وأن ذكر الخبز
					اغاثه الامه ص ١٦	الجبن .
٣٩٧ هـ	١٠ حملات	٢٥٠٠ كج	دينار	١٦	اغاثه الامه ص ١٥	تسعير الحطب بأعتبار القيمةالتقريبيه للحمل فى غير الطحين ٢٥٠ كج هنتس : ص ٢٧
جمادى الاخر ٤١٤ هـ	حمل	٢٥٠ كج		٢٠	المسبحى : ج ٤٠ ص ١٢ ــ ١٣	التبن .
ربيع الاول ٤١٥ هـ	حمل	٢٥٠ كج	دينار	١٦	المسبحى : ج ٤٠ ص ٣٢	
					اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢ .	التبن .
٤١٥ هـ	راويه البغل			درهمان	المسبحى : ج ٤٠ ص ٦٩، ٧٣	
					الخطط : ج ١ ص ٣٥٤	الماء .
٤١٥ هـ	رواية الجمل			٣	الخطط ج ١ ص ٣٥٤	الماء .
٤٦١ هـ	راوية		دينار	١٦	اتعاظ ج ٢ ص ٢٩٦	الماء .
٤٦٢ هـ	البيضه			١٠	راشد ــ ص ٩٤	عن مختصر التواريخ للسلامى .

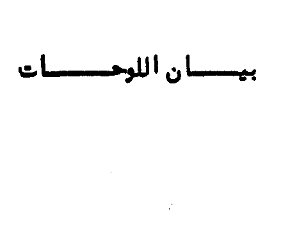
(تابع ملحق رقم ٨)

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
٤٦٣ هـ	الراوية		١٣ قيراطا	٩	النجوم ج ٥ ص ١٥	وقت الحصار الماء .
٤٦٤ هـ	أوقيه	٣٧,٤٤ ج		درهمان	اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧	زيت .
٥٣٦ هـ	رطل	٤٣٧,٥ ج		٣ ثم ٧	ابن ميسر ج ٢ ص ٨٥ اتعاظ ج ٣ ص ٧٦ .	زيت طيب .
٥٣٦ هـ	رطل	٤٣٧,٥ ج		١ $\frac{1}{2}$	ابن ميسر ج ٢ ص ٨٥ اتعاظ ج ٣ ص ١٧٦	زيت حار .
٥٣٦ هـ	رطل	٤٣٧,٥ ج		درهمان	ابن ميسر : ج ٢ ص ٨٥ اتعاظ ج ٣ ص ١٧٦	الجبن .
٥٣٦ هـ	رطل	٤٣٧,٥ ج		درهم	ابن ميسر ج ٢ ص ٨٥	قلقاس .
٥٣٦ هـ	رطلين	٨٧٥ ج		درهم	اتعاظ ج ٣ ص ١٧٦	"
الشدة	لوز			بوزن الدراهم	ابن الجوزى المنتظم ج ٥ ص ٢٥٧	لوز .
الشدة	سكر			بوزن الدراهم	ابن الجوزى المنتظم ج ٥ ص ٢٥٧	سكر .

(ملحق رقم ٩) تطور أسعار الأدوية وأغذيه المرضى

التاريخ	الوزن / الوحدة		السعر		المصدر	ملاحظات
	الوحدة	بالكيلوجرام	بالدينار	بالدرهم		
شوال ٤١٥ هـ	رمانه			٣	المسبحى : ج ٤٠ ص ٦٩	مائة حبة بدرهم
					اتعاظ ج ٢ ص ١٦٢	الخطط ج ٢ ص ٢٤ .
شوال ٤١٥ هـ	بطيخه برلس			٣٠	" " " "	
					" " " "	
شوال ٤١٥ هـ	أوقيه	٣٧,٤٤ ج		درهم	" " " "	
					" " " "	شراب .

بيان اللوحات



١ - بيان لوحات السكوكات

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
١	١٣٢٩	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤ر٢٢	٢٣	وجه: هامش خارجي : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون • هامش أوسط : على أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين هامش داخلي : لا اله الا الله محمد رسول الله • — ظهر: هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدين بمصر سنه ثمان وخمسين وثلثمائه • هامش أوسط : دعا الامام معد لتوحيد الاله الصمد هامش داخلي : المعز لدين الله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ١)) **تنشر صورته لأول مرة**
٢	١٣٣١	"	"	٤ر٠٢	٢٢½	مثل رقم ١ ((لوحه رقم ٢)) **تنشر صورته لأول مرة**
٣	١٣٣٢	"	"	٤ر٢٠	٢٢½	مثل رقم ١ ولكن التاريخ هو شعبان سنه ٣٥٩ هـ ((لوحه رقم ٣))
٤	١٣٣٤	"	"	٣ر٦٠	٢١	مثل رقم ٣ ولكن التاريخ بدون شهر ((لوحه رقم ٤)) **تنشر صورته لأول مرة**
٥	١٣٣٨	"	"	٤ر٠٥	٢٣	مثل رقم ٤ ولكن التاريخ هو المحرم سنه ٣٦٠ هـ ((لوحه رقم ٥))
٦	١٣٤٠	"	"	٣ر٩٩	٢١½	مثل رقم ٥ ولكن التاريخ هو سنه ٣٦١ هـ ((لوحه رقم ٦)) **تنشر صورته لأول مرة**
٧	١٣٤١	"	"	٤ر١٨	٢١½	مثل رقم ٦ ولكن التاريخ هو جمادى الأول سنه ٣٦١هـ • ((لوحه رقم ٧)) **تنشر صورته لأول مرة**
٨	١٣٤٢	"	"	٤ر١٥	٢١½	مثل رقم ٧ ((لوحه رقم ٨))
٩	١٣٤٥	"	"	٤ر٠٩	٢١	مثل رقم ٧ ولكن التاريخ جمادى الثانى سنه ٣٦٢ هـ • ((لوحه رقم ٩))

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
١٠	١٣٤٨	دار الكتب المصريه بالقاهرة	ذهب	٤ر٢١	٢٢	مثل رقم ٩ لكن التاريخ هو سنه ٣٦٣ هـ . ((لوحه رقم ١٠)) **تنشر صورته لأول مرة**
١١	١٣٤٩	"	"	٤ر١٥	٢٠½	مثل رقم ١٠ ((لوحه رقم ١١)) **تنشر صورته لأول مرة**
١٢	١٣٦٤	"	"	٤ر١٥	٢٣	وجه: هامش خارجي : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . هامش داخلي :لااله الا الله على خير صفوه الله . ظهر: هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنه سبع وستين وثلثمائه . هامش داخلي : الامام العزيز بالله امير المؤمنين عبد الله . ووليه . ((لوحه رقم ١٢)) **تنشر صورته لأول مرة**
١٣	١٣٧٨	"	"	٣ر٨١	٢٢	وجه: هامش خارجي :مثل رقم ١٢ . هامش داخلي :لااله الا الله محمد رسول الله على ولى الله . ظهر: هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنه ثلث وسبعين وثلثمائة . هامش داخلي : مثل رقم ١٢ . ((لوحه رقم ١٣)) **تنشر صورته لأول مرة**
١٤	١٣٧٩	"	"	٤ر٠٩	٢١½	مثل رقم ١٣ ولكن التاريخ هو سنه ٣٧٤ هـ . ((لوحه رقم ١٤)) **تنشر صورته لأول مرة**
١٥	١٣٨١	"	"	٤ر١٨	٢٣	مثل رقم ١٣ ولكن التاريخ هو سنه ٣٧٥ هـ . ((لوحه رقم ١٥)) **تنشر صورته لأول مرة**

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
١٦	١٤٠١	دار الكتب المصريه بالقاهره	ذهب	٤،١٧	٢٣	وجه: هامش خارجي : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. هامش داخلي : لااله الاالله وحده لا شريك له . مركز : محمد رسول الله علي ولي الله. ظهر: هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنه ثمان وثمانين وثلثمائة . هامش داخلي : الامام عبدالله ... المنصور ابو علي . مركز : الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ١٦)) تظهر صورته لأول مرة
١٧	١٤٠٢	"	"	٤،١٨	٢٢½	مثل رقم ١٦ لكن التاريخ هو سنه ٣٩٨ هـ . ((لوحه رقم ١٧)) تظهر صورته لأول مرة
١٨	١٤٠٩	"	"	٤،١١	٢١ ½	مثل رقم ١٦ لكن التاريخ هو سنه ٣٩٥ هـ . ((لوحه رقم ١٨)) تنشر صورته لأول مرة
١٩	١٤١٢	"	"	٤،٢١	٢٢½	مثل رقم ١٦ ولكن الهامش الخارجي للوجه زاد عليه " ولو كره " والهامش الداخلي للظهر فنصه : الامام عبدالله ووليه ابو علي المنصور والتاريخ هو سنه ٤٠٠ هـ. ((لوحه رقم ١٩)) تظهر صورته لأول مرة
٢٠	١٤١٦	"	"	٤،١٦	٢٣	مثل رقم ١٩ ولكن ينقص الهامش الداخلي للظهر كلمه "المنصور" أما التاريخ فهو سنه ٤٠٤ هـ . ((لوحه رقم ٢٠)) تظهر صورته لأول مرة
٢١	١٤١٧	"	"	٣،٩٥	٢١	وجه: هامش خارجي : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون . ظهر: هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنه خمسين وأربعمائة .

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
						هامش أوسط: وعلى أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين هامش داخلي: لا اله الا الله محمد رسول الله . هامش أوسط: دعا الامام معد لتوحيد الاله الصمد . هامش داخلي: المستنصر بالله أمير المؤمنين . ((لوحه رقم ٢١)) **تنشر صورته لاول مرة**
٢٢	١٤١٨	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤ر١٧	٢٢	وجه هامش : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . مركز : لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولى الله ظهر هامش: بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنه ست وأربعمائه . مركز : عبد الله ووليه الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وعبد الرحيم ولى عهد المسلمين ((لوحه رقم ٢٢)) **تنشر صورته لأول مرة**
٢٣	١٤١٩	"	"	٢٠ر٩	٢١½	مثل رقم ٢٢ ولكن التاريخ هو سنه ٤٠٨هـ ونصوص مركز الظهر: عبد الله ووليه الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وعبد الرحيم ولى عهد المسلمين ((لوحه رقم ٢٣)) **تنشر صورته لأول مرة**
٢٤	١٤٢٠	"	"	٤ر٠٨	٢٢	مثل رقم ٢٣ ولكن التاريخ هو سنه ٤٠٩ هـ . ((لوحه رقم ٢٤)) **تنشر صورته لأول مرة**
٢٥	١٤٤٧	"	"	٤ر١٧	٢١	وجه هامش خارجي : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ظهر هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنه أربع عشر وأربعمائه .

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
						هامش داخلى : لااله الا الله وحده لاشريك له • — هامش داخلى : الامام عبدالله ووليه على ابو الحسن • مركز : محمد رسول الله على ولى الله — مركز : الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ٢٥)) **تنشر صورته لاول مرة**
٢٦	١٤٤٨	دار الكتب المصريه بالقاهرة	ذهب	٤ر١٢	٢٢	مثل رقم ٢٥ ولكن التاريخ هو سنه ٤١٦ هـ• ((لوحه رقم ٢٦)) **تنشر صورته لاول مرة**
٢٧	١٤٤٩	"	"	٣ر٨٨	٢٣	مثل رقم ٢٦ • ((لوحه رقم ٢٧)) **تنشر صورته لاول مرة**
٢٨	١٤٨٥	"	"	٤ر٠٤	٢١½	وجه: هامش : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون • مركز : على لااله الا الله وحده لاشريك له محمد رسول الله ولى الله ظهر: هامش : بسم الله ضرب هذا الدين بطرابلس سنه ست وثلثين وأربعمائة • مركز : معد الامام ابو تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ٢٨)) **تنشر صورته لأول مرة**
٢٩	١٥١٠	"	"	٤ر٢٦	٢١½	وجه: هامش خارجى : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون • هامش أوسط : وعلى أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين هامش داخلى : لااله الاالله ظهر: هامش خارجى : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنه أربع وأربعين وأربعمائه • هامش أوسط : دعا الامام معد لتوحيد الاله الصمد • هامش داخلى : المستنصربالله

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
						محمد رسول الله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ٢٩)) تنشر صورته لأول مرة
٣٠	١٥١٥	دار الكتب المصرية بالقاهره	ذهب	٤ر٢٩	٢١	مثل رقم ٢٩ ولكن التاريخ هو سنه ٤٤٥هـ . ((لوحه رقم ٣٠)) تنشر صورته لأول مرة
٣١	١٥١٦	"	"	٣ر٥٢	٢٠	مثل رقم ٣٠ . ((لوحه رقم ٣١)) تنشر صورته لأول مرة
٣٢	١٥١٨	"	"	٤ر٢٥	٢١	مثل رقم ٣٠ ولكن التاريخ هو سنه ٤٤٦ هـ . ((لوحه رقم ٣٢)) تنشر صورته لأول مرة
٣٣	١٥٢٢	"	"	٤ر٢٣	٢١	مثل رقم ٣٠ ولكن التاريخ هو سنه ٤٤٧ هـ . ((لوحه رقم ٣٣)) تنشر صورته لأول مرة
٣٤	١٥٢٤	"	"	٣ر٩٦	٢٠½	مثل رقم ٣٣ . ((لوحه رقم ٣٤)) تنشر صورته لأول مرة
٣٥	١٥٣١	"	"	٤ر٢٨	٢١½	مثل رقم ٣٤ ولكن التاريخ هو سنه ٤٥٠ هـ . ((لوحه رقم ٣٥)) تنشر صورته لأول مرة
٣٦	١٥٣٢	"	"	٤ر١٨	٢٢	مثل رقم ٣٥ ولكن التاريخ هو سنه ٤٥١ هـ . ((لوحه رقم ٣٦)) تنشر صورته لأول مرة
٣٧	١٥٣٣	"	"	٤ر٢٠	٢١	مثل رقم ٣٥ ولكن التاريخ هو سنه ٤٥٢ هـ . ((لوحه رقم ٣٧)) تنشر صورته لأول مرة
٣٨	١٥٣٤	"	"	٤ر٢٨	٢١	مثل رقم ٣٧ . ((لوحه رقم ٣٨)) تنشر صورته لأول مرة
٣٩	١٥٣٧	"	"	٤ر٢٨	٢١½	مثل رقم ٣٧ ولكن التاريخ هو سنه ٤٥٣ هـ . ((لوحه رقم ٣٩)) تنشر صورته لأول مرة

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
٤٠	١٥٣٨	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤ر٢٣	٢١	مثل رقم ٣٩ . ((لوحه رقم ٤٠)) **تنشر صورته لأول مرة**
٤١	١٥٣٩	"	"	٤ر٢٣	٢١½	مثل رقم ٤٠ لكن التاريخ هو سنه ٤٥٤ هـ . ((لوحه رقم ٤١)) **تنشر صورته لأول مرة**
٤٢	١٥٤٠	"	"	٤ر٣٠	٢١½	مثل رقم ٤١ . ((لوحه رقم ٤٢)) **تنشر صورته لأول مرة**
٤٣	١٥٤١	"	"	٤ر٢٣	٢٢	مثل رقم ٤١ ولكن التاريخ هو سنه ٤٥٥ هـ. ((لوحه رقم ٤٣)) **تنشر صورته لأول مرة**
٤٤	١٥٤٣	"	"	٤ر١٩	٢٢½	مثل رقم ٤١ ولكن التاريخ هو سنه ٤٥٧ هـ. ((لوحه رقم ٤٤)) **تنشر صورته لأول مرة**
٤٥	١٥٤٤	"	"	٤ر١٨	٢١	مثل رقم ٤١ ولكن التاريخ هو سنه ٤٥٩ هـ . ((لوحه رقم ٤٥)) **تنشر صورته لأول مرة**
٤٦	١٥٤٥	"	"	٤ر٣٣	٢٢½	وجه: هامش: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـه ولوكره المشركون . مركز: علـى لااله الا الله وحده لاشريك له محمد رسول الله ولـى اللـه ظهر: هامش: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر بمصر سـنه ستين وأربعمائة . مركز: معـد عبد الله ووليه الامام ابو تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين . ((لوحه رقم ٤٦)) **تنشر صورته لأول مرة**
٤٧	١٥٤٦	"	"	٤ر٢٤	٢٠½	مثل رقم ٤١ لكن التاريخ هو سنه ٤٦١ هـ. ((لوحه رقم ٤٧)) **تنشر صورته لأول مرة**

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
٤٨	١٥٥٠	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤٫٢٣	٢١	مثل رقم ٤١ ولكن التاريخ هو سنه ٤٧٠ هـ . ((لوحه رقم ٤٨)) **تنشر صورته لأول مرة**
٤٩	١٥٦٦	"	"	٤٫٣٤	٢٢ ½	وجه: مثل رقم ٤٦ ظهر: هامش: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالاسكندرية سنه أحدى وثمانيه وأربعمائة . مركز: معد عبد الله ووليه الأمام ابو تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين عال ((لوحه رقم ٤٩)) **تنشر صورته لأول مرة**
٥٠	١٥٦٧	"	"	٤٫٠٥	٢٢	مثل رقم ٤٩ ولكن التاريخ هو سنه ٤٨١ هـ . ((لوحه رقم ٥٠)) **تنشر صورته لأول مرة**
٥١	١٥٦٨	"	"	٤٫٤٣	٢٠½	مثل رقم ٤٩ ولكن التاريخ هو سنه ٤٨٢ هـ . ((لوحه رقم ٥١)) **تنشر صورته لأول مرة**
٥٢	١٥٧٠	"	"	٤٫٢١	٢٢	مثل رقم ٥١ ولكن ضرب مصر . ((لوحه رقم ٥٢)) **تنشر صورته لأول مرة**
٥٣	١٥٧١	"	"	٤٫١٥	٢٠½	مثل رقم ٥١ . ((لوحه رقم ٥٣)) **تنشر صورته لأول مرة**
٥٤	١٦٠٢	"	"	٤٫٢٠	٢٢½	وجه: هامش خارجي : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون . هامش داخلي : لااله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله ظهر: هامش خارجي: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر بمصر سنه اثنين وتسعين وأربعمائة . هامش داخلي : ابو القاسم المستعلي بالله امير المؤمنين .

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
						مركز : عال غايه — مركز : الامام احمد ((لوحه رقم ٥٤)) **تنشر صورته لأول مرة**
٥٥	١٦٠٣	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤ر١١	٢١	مثل رقم ٥٤ ولكن التاريخ هو سنه ٤٩٣ هـ . ((لوحه رقم ٥٥)) **تنشر صورته لأول مرة**
٥٦	١٦١٣	"	"	٤ر٢٤	٢٢	وجه: مثل رقم ٥٤ ظهر: هامش خارجي : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر بمصر سنه خمسمائه هامش داخلي : ابوعلى الامر باحكام الله أمير المؤمنين . مركز : الامـام المنصـور ((لوحه رقم ٥٦))
٥٧	١٦١٤	"	"	٤ر٠٩	٢٢	مثل رقم ٥٦ ولكن التاريخ هو سنه ٥٠١ هـ . ((لوحه رقم ٥٧)) **تنشر صورته لأول مرة**
٥٨	١٦١٥	"	"	٤ر١١	٢٢	مثل رقم ٥٦ لكن التاريخ هو سنه ٥٠٢ هـ . ((لوحه رقم ٥٨)) **تنشر صورته لأول مرة**
٥٩	١٦١٦	"	"	٤ر٢٠	٢٢	مثل رقم ٥٨ لكن ضرب الاسكندرية . ((لوحه رقم ٥٩)) **تنشر صورته لأول مرة**
٦٠	١٦١١	"	"	٤ر٢٩	٢١ر٥	مثل رقم ٥٦ لكن التاريخ هو سنه ٥٠٣ هـ . ((لوحه رقم ٦٠)) **تنشر صورته لأول مرة**
٦١	١٦٢٠	"	"	٤ر١٣	٢٢	مثل رقم ٦٠ لكن ضرب الاسكندرية . ((لوحه رقم ٦١)) **تنشر صورته لأول مرة**

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
٦٢	١٦٥٨	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٣٫٤٣	٢١	مثل رقم ٥٦ لكن التاريخ هو سنه ٥١٦ هـ ٠ ((لوحه رقم ٦٢)) **تنشر صورته لأول مرة**
٦٣	١٦٥٩	"	"	٤٫٠١	٢٠½	مثل رقم ٦٢ ٠ ((لوحه رقم ٦٣)) **تنشر صورته لأول مرة**
٦٤	١٦٦٦	"	"	٣٫٧٦	٢٢	مثل رقم ٦٢ لكن التاريخ هو صنه ٥١٩ هـ ٠ ((لوحه رقم ٦٤)) **تنشر صورته لأول مرة**
٦٥	١٧٠٠	"	"	٤٫١٥	٢٠½	وجه: مثل رقم ٦٤ ظهر: هامش خارجي : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر بمصر سنه ست وثلثين وخمسمائة ٠ هامش داخلي : ابو الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤ منين ٠ مركز : الامام عبد المجيد ((لوحه رقم ٦٥)) **تنشر صورته لأول مرة**
٦٦	١٧٠١	"	"	٣٫٦٥	٢١	مثل رقم ٦٥ لكن التاريخ هو سنه ٥٣٩ هـ ٠ ((لوحه رقم ٦٦)) **تنشر صورته لأول مرة**
٦٧	١٧٠٢	"	"	٣٫٩٥	٢١	مثل رقم ٦٥ لكن التاريخ هو سنه ٥٤١ هـ ٠ ((لوحه رقم ٦٧)) **تنشر صورته لأول مرة**
٦٨	١٧٠٥	"	"	٤٫٧٢	٢١	وجه: هامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون ٠ ظهر: هامش: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدين بالاسكندرية سنه خمس وأربعين وخمسمائه ٠

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
						مركز: عال لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولى الله غايه مركز : عبد الله وولـيه اسمعيل ابو الامام الظافر بأمر الله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ٦٨))
٦٩	١٧١٢	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤ر٤٥	٢٠½	وجه هامش خارجى : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . هامش داخلى : لااله الا الله محمد رسول الله على ولى الله . مركز : عال غايه ظهر هامش خارجى : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر بالمعزية القاهرة سنه خمس وستين وخمسمائة . هامش داخلى : ابو محمد العاضد لدين الله امير المؤمنين . مركز : الله الامام عبد ((لوحه رقم ٦٩))
٧٠	٤٧٢١	"	"	٤ر٣٥	٢٣	وجه هامش: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . مركز : على لااله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله ولى الله ظهر هامش: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدين بالاسكندرية سنه احدى وثمانية واربعمائة. مركز : معد عبدالله ووليه الامام ابو تميم المستنصر بالله امير المؤمنين عال ((لوحه رقم ٧٠))

تنشر صورته لأول مرة

م	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
٧١	٤٧٣٢	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤ر١٨	٢١	مثل رقم ٢٩ لكن التاريخ هو سنه ٤٥٣ هـ . ((لوحه رقم ٧١)) **تنشر صورته لأول مرة**
٧٢	٤٧٤٠	"	"	٤ر١٨	٢١½	وجه هامش خارجي : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . هامش داخلي : لا اله الا الله محمد رسول الله على خير صفوه الله ظهر هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنه ثلث وسبعين وثلثمائه . هامش داخلي : عبدالله ووليه الامام العزيز بالله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ٧٢)) **تنشر صورته لأول مرة**
٧٣	٤٧٤٨	"	"	٤ر٠٧	٢٢½	مثل رقم ٧٢ لكن التاريخ هو سنه ٤٥٥ هـ . ((لوحه رقم ٧٣)) **تنشر صورته لأول مرة**
٧٤	٤٧٦١	"	"	٣ر٩٦	٢٣	مثل رقم ٧١ لكن التاريخ هو سنه ٤٧٩ هـ . ((لوحه رقم ٧٤)) **تنشر صورته لأول مرة**
٧٥	٤٧٦٢	"	"	٤ر٢٢	٢٢	مثل رقم ٥٤ لكن التاريخ هو سنه ٤٩١ هـ . ((لوحه رقم ٧٥)) **تنشر صورته لأول مرة**

(ب) بيان لوحات الفنون

((لوحه رقم ٧٦)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن (٤هـ/١٠م) محفوظ بمتحف كليه الآثار ـ جامعه القاهره . رقم السجل (١٩٣١) .

((لوحه رقم ٧٧)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن (٤ ـ ٥هـ/١٠ ـ ١١م) محفوظ بمتحف كليه الآثار جامعه القاهره . رقم السجل (١٧١٥) .

((لوحه رقم ٧٨)) : كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن (٤ ـ ٥هـ/١٠ ـ ١١م) عن :

Butler (A.), Islamic Pottery. Pl. IX- B.

((لوحه رقم ٧٩)) : كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن (٤ ـ ٥هـ/١٠ ـ ١١م) عن :

Butler (A.), Islamic Pottery Pl. IX - A.

((لوحه رقم ٨٠)) : كسره من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن (٤ ـ ٥هـ/١٠ ـ ١١م) عن :

Butler 5(A.), Islamic Pottery. Pl. XA.

((لوحه رقم ٨١)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن (٤ـ٥هـ/١٠ـ١١م) محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهره عن :

Koechlin (R.), Migeon (G.) , Islamische Kunstwerke, T. XVI.

((لوحه رقم ٨٢)) : قدر من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن (٤ـ٥هـ/١٠ـ١١م) محفوظ بمتحف الكويت الوطنى عن : جنكينز " مارلين " : الفن الاسلامى فى متحف الكويت الوطنى ص ٢٧

((لوحه رقم ٨٣)) : كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى : مصـر القـرن (٤ ـ ٥هـ/١٠ ـ ١١م) محفوظ بمتحف الفن الاسلامـى بالقاهرة عن :

Butler (A.), Islamic Pottery Pl. X - B.

((لوحه رقم ٨٤)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصـر القـرن (٤ـ٥هـ/١٠ـ١١م) محفوظ بمتحف الكويت الوطنى عن :
جنكينز " مارلين " . الفن الاسلامى فى متحف الكويت الوطنى . ص ٢٦ .

((لوحه رقم ٨٥)) : كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى : مصـر القـرن (٤ـ٥هـ/١٠ـ١١م) عن :

Butler , Islamic Pottery, Pl. IX . F.

((لوحه رقم ٨٦)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصـر القـرن (٤هـ /١٠م) محفوظ بمتحف كليه الاثار ـ جامعـه القاهرة رقـم السجل (١٩٣٠) .

((لوحه رقم ٨٧)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنـى : مصـر القـرن (٤هـ/١٠م) محفوظ بمتحف كليه الاثار ـ جامعه القاهرة رقم السجل (١٩٣٩) .

((لوحه رقم ٨٨)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصـر القـرن (٦هـ/١٢م) كانت فى مجموعه Cote فى ليون بفرنسـا عن :

Koechlin (R.) Migeon (G.) Islamische Kunstwerke, T. XVIII.

((لوحه رقم ٨٩)) : كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى : مصـر القـرن (٥ـ٦هـ/١١ـ١٢م) محفوظه بمتحف الكويت الوطنى عن :
جنكينز " مارلين "، الفن الاسلامى فى متحف الكويت . ص ٥٠

((لوحه رقم ٩١)) : صورة لجانب الصحن السابق .

((لوحه رقم ٩٢)) : طبق صغير من فخار الفيوم المطلى . بدايه العصر الفاطمى مصر محفوظ بمتحف كليه الاثار ـ جامعه القاهره رقم السجل (١٤٤٥) .

((لوحه رقم ٩٣)) : صحن من فخار الفيوم المطلى . بدايه العصر الفاطمى . مصر محفوظ بمتحف كليه الاثار ـ جامعه القاهره رقم السجل (١٩٨١)

((لوحه رقم ٩٤)) : قدر من الفخار الفيوم المطلى . مصر القرن (٦هـ/١٢م) . محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة عن :

Mostafa (M.), Moslem Ceramicsn P. 1.

((لوحه رقم ٩٥)) : أحد الكؤوس الزجاجية المعروفة باسم كؤوس القديسه هيدوج مصر القرن (٦هـ/١٢م) عن :

Gluck und Diez , Die Kunst des Islam. 5. 433.

((لوحه رقم ٩٦)) : ابريق من البللور الصخرى . مصر القرن (٥هـ/١١م) محفوظ بمتحف اللوفر بباريس عن :

Lamm, Mittesl terlicke Glaser und steinschnittorbeiten aus dem Nahen Osten Band II, T. 65.

((لوحه رقم ٩٧)) : قنينة من البللور الصخرى . مصر القرن (٥هـ/١١م) عن :

Lamm, Mittealterliche . T.66.

((لوحه رقم ٩٨)) : قنينة من البللور الصخرى . مصر القرن (٥هـ/١١م) . محفوظه بمتحف الكويت الوطنى عن :

جنكينز " مارلين " : الفن الاسلامى ص ٦١

((لوحه رقم ٩٩)) : ابريق على هيئه كمثرى من البللور الصخرى . مصر القرن (٦هـ/١٢م) كان محفوظا بمتحف تاريخ الفن فى فيينا بالنمسا عن :

Glack and Diez, Die Kunst, T. XXVIII.

((لوحه رقم ١٠٠)) : مشبك صغير من الذهب . مصر القرن (٥هـ/١١م) محفوظ بمتحف الفن الاسلامى ـ القاهره عن :

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد عبد الرازق (دكتور)

• دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة ـ القاهرة ١٩٧٤.

• البذل والبرطلة فى عصر سلاطين المماليك ـ الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٩.

- أحمد عزت عبد الكريم (دكتور)

الأرض والفلاح فى مصـــــر

مقال بكتاب الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور ـ الجمعيـــة المصرية للدراسـات التاريخية ـ القاهرة ١٩٧٤.

- أحمد فخرى (دكتـــور)

مصـــر الفرعونيـــــة

الطبعة الثالثة ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧١.

- أحمد فكرى (دكتور)

مساجد القاهرة ومدارسها جـ١ القاهرة ١٩٦٥.

جـ٢ القاهرة ١٩٦٩.

- أحمد مختار العبادى (دكتور).

فى التاريخ العباسى والفاطمى ـ الاسكندرية ١٩٨٢.

- ابن أبى أصيبعــه

عيون الانباء فى طبقات الاطبـــاء

شرح وتحقيق د. رضا نزار رضا ـ بيروت ١٩٦٥.

- أمين سامى باشا

تقويم النيل ـ الجزء الأول ـ المطبعة الاميرية

القاهرة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م

- الأب انستاس الكرملى

العقود العربية وعلم النميات ـ مطبعة الياس الحديثة ـ القاهرة

١٩٣٩م.

- أنصاف رياض موسى عبد الهادى

الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية فى مصر فى العصر الفاطمى

الثانى. رسالة ماجستير مخطوطه ـ كلية الآداب ـ جامعة المنيا

١٩٨٠.

- ابن اياس

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ـ الجزء الأول ـ القاهرة ١٣١١ هـ

- أيمن فؤاد سيد

نصوص ضائعه من أخبار مصر للمسبحى

مستخرج من حوليات اسلامية ـ المجلد ١٧ المعهد الفرنسى

للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨١.

- بليخانوف (ج.)

تطور النظرة الواحدية إلى التاريخ ترجمة محمد مستجير مصطفى

القاهرة ١٩٦٩.

- ابن تغرى بـــردى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصـــر والقاهرة ٠

الاجزاء ـ ١ ـ ٥ طبـع دار الكتب

- توينبى (أرنولـد)

مختصر دراسة التاريخ ٠

ترجمة : فؤاد محمد شبل جـ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمـــة

والنشر للقاهرة ١٩٦٦٠

- ابن تيميــه

الحسبة فى الاسلام ٠ المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٤٠٠هـ

- جارد نر (الن)

مصر الفراعنـــة

ترجمة د ٠ نجيب ميخائيل ابراهيم ـ مراجعة د ٠ عبد المنعم ابـــو

بكر ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣٠

- جرابار (اوليج)

الفنون العالمية والمحلية فى الاسلام (موضوع الفن فى العصر الفاطمى)

ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس ـ ابريل ١٩٦٩)

الجزء الأول ـ مطبعة دار الكتب ١٩٧٠٠

- جمال الدين الشيال (دكتور)

- مجموعة الوثائق الفاطمية ـ المجلد الأول ـ وثائق الخلافة وولايـــة العهد الوزارة ـ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهـرة ١٩٥٨.

- تاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الاسلامى
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٧م.

- جمال حمدان (دكتور)

- دراسات فى العالم العربى دار النهضة المصرية ١٩٥٨
- شخصية مصر دراسة فى عبقرية المكان ـ الجزء الأول
عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٨٠م.

- جمال محمد محرز (دكتور)

- الخزف الفاطمى ذو البريق المعدنى فى مجموعة الدكتور على ابراهيم باشا مستخرج من مجلة كلية الآداب ـ المجلد السابع ـ يوليـــو سنــة ١٩٤٤.

- منازل الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط.
أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس ـ ابريل ١٩٦٩)
مطبعــة دار الكتب ـ القاهرة ١٩٧٠.

- جنكينــز (مارلين)

الفن الإسلامى فى متحف الكويت الوطنى (مجموعة الصباح)
لنــدن ١٩٨٣.

- ابن الجوزى

المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم

الاجزاء (٧ ، ١٠)مطبعة دارة المعارف العثمانية بعاصمة

حيدر اباد الدكن (١٣٥٨هـ)

الأجزاء (٨ ، ٩) (١٣٥٩)٠

- حسن ابراهيم حسن (دكتور)

الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص

المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٣٢٠

- حسن ابراهيم حسن (وآخرون)

المجمل فى التاريخ المصرى القاهرة ١٩٤٢٠

- حسن الباشا (دكتور)

- الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ج ١ القاهرة ١٩٦٥
- فنون التصوير الاسلامى فى مصر ٠ القاهرة ١٩٧٣
- الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار القاهرة ١٩٧٨
- مدخل إلى الآثار الإسلامية القاهره ١٩٧٩

- حسن الباشا (وآخرون)

القاهرة تاريخها - فنونها - آثارها

القاهرة ١٩٧٠

- حسن حبشى

الحرب الصليبيه الأولى

دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٤٧٠

ـ حسن حسنى عبد الوهاب

ورقات عن الحضارة العربية بأفريقيه التونسيه

ـ ج ١ مكتبة المنار ـ تونس ١٩٦٤

ـ حسن سليمان محمود

الصليحيون فى اليمن وعلاقتهم بالفاطميين فى مصر

رسالة دكتوراه ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٥٢٠

ـ حسن عبد الوهاب

تاريخ المساجد الأثرية جزءان القاهرة ١٩٤٦٠

ـ ابن خلكان

وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد الجزء الأول ٠ مكتبة النهضة

المصرية ١٩٤٨٠

ـ ابن دقماق

الإنتصار لواسطه عقد الأمصار

الجزء الرابع المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٠٩هـ٠

ـ ديماند (م ٠ س)

الفنون الإسلامية

ترجمة أحمد محمد عيسى القاهرة ١٩٥٤٠

- الذهبـى

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعـــلام

دار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .

- راشد البراوى (دكتور)

حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين .

مكتبـه النهضـة المصرية ١٩٤٨.

- رمزى زكـى (دكتـــور)

مشكلـة التضخم فى مصـــر

الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠.

- ابن الزبيـــــر

كتاب الذخائر والتحف تحقيق د . محمد حميد الله الكويت ١٩٥٩.

- زكـى محمد حسن (دكتور)

• كنوز الفاطميين القاهرة ١٩٣٧.

• فنون الإســلام القاهرة ١٩٤٨.

• أطلس الفنون الزخرفية والتصوير الإسلامية القاهـــرة ١٩٥٦.

- ابن الزيــــات

الكواكب السيــارة فى ترتيـب الزيارة بغـداد ١٩٧٥.

- سعاد ماهر محمد (دكتور)

• محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى المجلس الاعلى للشئون الإسلامية • القاهرة ١٩٦٦٠

• مساجد مصر وأولياؤها الصالحون جـ١ القاهرة ١٩٧١٠

• أثر الفنون التشكيليه الوطنية القديمة على فن القاهرة فى العصر الفاطمى ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس ـ ابريل ١٩٦٩) الجزء الثانى دار الكتب ١٩٧١٠

- ابن سعيد الاندلسى

المغرب فى حلى المغرب
تحقيق د • زكى محمد حسن وآخرون • الجزء الأول من القسم الخاص بمصر مطبعه جامعة فؤاد الاول ١٩٥٣٠

- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) •

شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد السادس عشر القاهرة ١٩٦٩٠

- السيد الباز العرينى (دكتور)

الحسبة والمحتسبون فى مصر
المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثالث • العدد الثانى اكتوبر ١٩٥٠٠

- السيد عبد العزيز سالم (دكتور)

تاريخ الأسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى
الأسكندرية ١٩٨٢

- السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى

تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام بيروت ١٩٧٢

- سيده اسماعيل الكاشف (دكتوره)

• مصر فى عصر الاخشيديين الطبعة الثانية
دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٠

• الأرض والفلاح فى مصر الإسلامية ضمن كتاب الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور . الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٧٤ .

• مصر فى عصر الولاة الألف كتاب ٢٤١ القاهرة بدون تاريخ

- السيوطى

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة
ج ٢ ـ المطبعة الشرفية ـ القاهرة ١٣٢٧هـ

- أبو شامه

الروضتين فى أخبار الدولتين
جزءان . مطبعة وادى النيل القاهرة ١٢٨٧ ، الثانى ١٢٨٨ .

- أبو صالح الأرمنـــى
تاريـــخ الشيخ ابى صالح الأرمنـــــى
المطبعة المدرسية بأكسفـورد ١٨٩٥م.

- صلاح الدين البحيرى (دكتور).
• نحو منهج تحليلى وإنسانى فى دراسة الاركيولوجيـــا
المجلة العربية للعلوم الانسانية العدد الرابع ـ المجلد الاول الكويت
١٩٨١.
• عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهـرها فى الفنون.
حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت ـ الحولية الثالثة ١٩٨٢.

- صلاح الدين خودابخش
حـــضارة الإســلام
ترجمة د. على حسن الخربوطلى بيــروت ١٩٧١.

- صبحى لبيــب
التجارة الكارمية وتجارة مصرفى العصور الوسطـى
المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع العدد الثانى مايو سنة ١٩٥٢.

- ابن الصيرفـى
الإشارة إلى من نال الوزارة تحقيق عبد الله مخلص.
مجلة المعهد العلمى الفرنســـى للآثار الشرقية ـ المجلد ٢٥ القاهرة
١٩٢٤.

- ابن العبـرى: مختصـر تاريخ الدول بيروت ١٨٩٠م.

- عطية أحمد محمود القوصى (دكتور)
تجارة مصرفى البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسيــة
٦٥٦هـ.

رسالة دكتوراه ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٧٣م

ـ عطية مصطفى مشرفـه (دكتور)

نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٤٨

ـ عبد الرحمن زكي (دكتور)

• القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ القاهرة ١٩٦٦.

• الأزهـر وما حولـه من الآثـار القاهـرة ١٩٧٠.

• قلعـة صلاح الدين وما حولها من الآثار القاهرة ١٩٧٢.

ـ عبد الرحمن فهمي محمد (دكتور)

• مجموعة النقود العربيـة وعلم النميات (فجر السكة العربية)
طبع دار الكتب ١٩٦٥.

• إضافات جديدة في مسكوكات الفاطميين.
مستخرج من مجلة المجمع العلمي المصري ـ المجلد ٥٢ موسـم ١٩٧٠ / ١٩٧١.

• النقـود العربيـة ماضيها وحاضرها.
المكتبة الثقافيـة ١٠٣ القاهرة ١٩٦٤.

ـ عبد العزيز الدوري (دكتور)
مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربـي
دار الطليعـة بيـروت ١٩٦٩.

- عبد العزيز صالح (دكتور)
  - الشرق الأدنى القديم الجزء الأول مصر والعراق
    الطبعة الثانية الأنجلو المصرية ١٩٧٣.
  - الأرض والفلاح في مصر الفرعونية مقالة بكتاب الأرض والفلاح
    على مر العصور . المجلة المصرية للدراسات التاريخية ١٩٧٤.

- عبد المنعم ماجد (دكتور)
  - السجلات المستنصرية دار الفكر العربي — القاهرة ١٩٥٤
  - الحاكم بأمر الله — الخليفة المفترى عليه الأنجلو المصرية ١٩٥٩.
  - ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر دار المعارف بالاسكندرية
    ١٩٦٨.
  - نظم الفاطميين ورسومهم في مصر . الجزء الأول — الطبعة الثانية
    الأنجلو المصرية — ١٩٧٣.
  - امرأة مصرية تتزعم مظاهرة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى
    المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٤ القاهرة ١٩٧٧.

- عبد الله الشرقاوى
  تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ١٩٢٢.

- عبد المنعم رسلان (دكتور)
  الحضارة الاسلامية في صقلية وجنوب ايطاليا .
  دار تهامة — السعودية ١٩٨٠.

- علي بن حسين السليماني
العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك
القاهرة ١٩٧٣م.

- ابن العماد الحنبلي
شذرات الذهب في أخبار من ذهب
جـ ٣ ، ٤ مكتبة القدس . القاهرة ١٣٥٠هـ .

- عمر رضا كحالة
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة
٣ أجزاء دمشق ١٩٤٩.

- عمر طوسون
كتاب مالية مصر في عهد الفراعنة إلى الآن
الأسكندرية ١٩٣١.

- أبو الفدا
البداية والنهاية . الجزء الحادي عشر والثاني عشر
مطبعة السعادة مصر ١٩٣٩.

- فرانكفورت (هنري)
فجر الحضارة في الشرق الأدنى ترجمة ميخائيل خوري بيروت ١٩٦٥.

- فريد شافعي (دكتور)
. العمارة العربية في مصر الإسلامية — المجلد الأول عصر الولاة القاهرة
١٩٧٠.

• مميزات الاخشاب المزخرفة فى الطرازين العباسى والفاطمـــــى فى مصـر ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ٠ ـ المجلد السادس عشر ٠ الجزء الأول ١٩٥٤٠

ـ فهمى هويــدى

الاسلام فى الصيـن ٠ عالم المعرفـة العدد ٤٣ ٠ الكويـت ١٩٨١٠

ـ فييــت (جاستون)

• المراسلات فى مصر فى العصـور الوسطى ترجمة محمد وهبى ٠

• القاهـــرة مدينة للفن والتجارة ترجمة مصطفى العبادى بيـــروت ١٩٦٨٠

ـ قاسم عبده قاسم (دكتور)

اليهود فى مصر منذ الفتح العربى حتى الغزو العثمانى بيروت ١٩٨٠

ـ ابـن القلانســى

ذيـل تاريـخ دمشـق ٠

مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨٠

ـ القلقشنـــــدى

صبح الأعشـى فى صناعـة الأنشـــا

الجزء الأول طبع دار الكتب ١٩٢٢ الجزء الثالث والرابع المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩١٤ الجزء الثامن دار الكتب ١٩١٥٠

- كمال الدين سامح (دكتور) : العمارة الإسلامية فى مصر القاهرة ١٩٧٠م

- لومبـــار (موريس)
  الأسس النقدية للسيادة الاقتصادية ـ الذهب الاسلامى
  منذ القرن السابع إلى القرن الحادى عشر الميلادى
  ترجمة توفيق إسكندر • ضمن بحوث فى التاريخ الاقتصادى الجمعيـــة
  المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٦١•

- لويـــس (ارشيبالـد)
  القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ ـ ١١٠٠م)
  ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة محمد شفيق غربـــال
  مكتبـــة النهضة المصريـــة ١٩٦٠•

- لينبـول (ستانلـــى)
  سيـــرة القاهـــرة
  ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون النهضة المصرية ١٩٥٠•

- متـــز (ادم)
  الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى
  ترجمة محمد عبد الهادى ابوريده مطبعة لجنة التاليف والترجمـــة
  والنشـــر ١٩٤٠م•

- محســن خليـــل
  فى الفكر الاقتصادى العربـى الإسلامـــى
  بغداد ١٩٨٢•

- محمد حمدى المناوى (دكتور)
  - نهر النيل فى المكتبة العربية القاهرة ١٩٦٦.
  - الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى دار المعارف بمصر ١٩٧٠.

- محمد جمال الدين سرور (دكتور)
  - النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب دار الفكر العربى القاهرة ١٩٥٠
  - النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق الطبعة الثانية دار الفكر العربى القاهرة ١٩٥٩.
  - سياسة الفاطميين الخارجية دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٦٧
  - الدولة الفاطمية فى مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة فى عهدها دار الفكرى العربى القاهرة ١٩٧٠.

- محمد عبد الله عنان

  مصر الإسلاميه وتاريخ الخطط المصرية الطبعة الثانية مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٦٩.

- محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور)

  الزخرفة المنسوجة دار الكتب ١٩٤٢.

- محمد عبده الحجاجى

  قوص فى التاريخ الإسلامى القاهرة ١٩٨٢.

- محمد على الفرا (دكتور)

  مشكلة انتاج الغذاء فى الوطن العربى

  سلسلة عالم المعرفه العدد ٢١ الكويت ١٩٧٩.

- محمد عوض محمد

نهر النيل — الطبعة الرابعة — القاهرة ١٩٥٦

- محمد الغزالى

تحفة الخليل فى أخبار مصر والنيل

مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات العربية رقم ٦١١ تاريخ

ونسخة بمكتبة جامع الشيخ ابراهيم باشا الاسكندرية

- محمد ابو الفرج العش

مصر القاهرة على النقود العربية الإسلامية

ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس - ابريل ١٩٦٩)

القاهرة ١٩٧١.

- محمد مصطفى (دكتور)

متحف الفن الإسلامى (دليل موجز)

القاهرة ١٩٧٩.

- محمود ابراهيم حسين (دكتور)

• التصوير الإسلامى فى مصر فى العصر الفاطمى على الورق والجدران والخزف والعاج • رسالة ماجستير • كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٧٥ •

• أعلام المصورين المسلمين واشهر اعمالهم الفنية

مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٢.

- محمود عكوش

تاريخ ووصف الجامع الطولونى

القاهرة ١٩٢٧.

ـ المسبحى :

أخبار مصر الجزء الرابع • تحقيق أيمن فؤاد السيد ، تيـــارى بيانكى المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٧ •

ـ مصطفى العبادى ، (دكتور)

الأرض والفلاح فى مصـر الرومانيـه ،

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ، ١٩٧٤•

ـ المقريزى :

• الأوزان والأكيال الشرعيـة نشرة Rostochu 1800-Tychsen

• المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

جزءان طبعة جديدة بالاوفست مؤسسة الحلبى •

• اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا

الجزء الأول • تحقيق د • جمال الدين الشيـــــــال

دار الفكر العربـى ١٩٤٨•

الجزء الثانى تحقيق د • محمد حلمى محمد أحمـــــــد

القاهرة ١٩٧١•

الجزء الثالث : تحقيق د • محمد حلمى القاهرة ١٩٧٣•

• إغاثـة الأمـه بكشف الغمة ، دار الوليد ـ حمص•

• شذور العقـود فى ذكـر النقـــود

الطبعة الخامسة تحقيـق محمد السيد علـــى

بحر العلوم ـ العـــــــراق ١٩٦٧•

- ابن منقــذ

كتاب الاعتبـار تصحيـح هـ٠ تويـغ د رنبرغ

مطبعة بريـل ـ ليد ن ١٨٨٤٠

- ابن ميســر

أخبار مصر ج ٢ تصحيح هنرى ماسيــه

مطبعــة المعهد العلمى الفرنسى القاهــرة ١٩١٩٠

- مورلا بيــه (فرانيس) وكولينــز (جوزيــف)

صناعة الجوع و (خرافة الندرة) ترجمة أحمد حسان

سلسلة عالم المعرفــة العدد ٦٤ الكويت ١٩٨٣٠

- مؤلف مجهــول

إنسان العيون فى مشاهير سادس القــرون ٠

مخطوط بدار الكتب رقم ٩١٩ تاريخ تيمــور٠

- مؤلف مجهــول

شــرح اللمعه من أخبار المعز لدين الله وتسيير عساكــره إلى مصــر

مخطوط بمكتبه جامعة القاهــرة رقم ٢٤٠٢٢٠

- ناصــر خسرو علوى

سفر نامــة ترجمة وتعليق د ٠ يحيى الخشاب القاهرة ٩٤٥٠

- نبيلــة محمد أحمد جيـــرة

الخدمات الطبيــة فى مصـر الإسلامية من الفتح العربى حتى الفتــح العثمانــى رسالة لنيل درجة الماجستير ـ كلية الآداب ـ جامعــة الأسكندرية ١٩٨٢٠

- هنتس (ڤالتـــر)

المكاييـــل والأوزان الإسلاميـــة وما يعادلها فى النظام المترى
ترجمة عن الالمانية د٠ كامل العسلـى
منشورات الجامعة الاردنية ٠ عمـــان ١٩٧٠٠

- ويلسون (جـــون)

الحضـــارة المصرية ترجمة أحمد فخرى ١٩٥٥٠

ثانيا : المراجع الاجنبيه

- Ashtor (E.):

Les Metaux Précieux et La Balance des payement du proche - Orient A la Basse Epaque. Paris 1971.

- Balog (P.):

History of the Dirhem in Egypt from the Fatimid conquest until the collapse of the Mamluk Empire.

R N. Vle séric 1976.

- Berntäjes (B.),

Die Araber .

West Germany 1971.

- Brockelmann(C.),

History of the Islamic Peoples .

London 1980.

- Butler (A.J.),

Islamic Pottery.

London 1926.

- Casanova (P.),

Inventaire Sammair De la Colléction des Monnaies Musulmanes.

Paris 1896.

- Combe, Sauvaget (J.), Wiet (G.),

Répertoire Choronologique d'Epigraphie Arabe Tomes 6-9 Le Caire (1935-1937).

- Creswell (K.A.C.),

Moslem Architecture of Egypt.

Vol. I Oxford 1952.

- Du Ry (C.J.),

Die Welt des Islam.

Germany 1970.

- Ehrenkreutz (A.),

• Arabic Dinâre Struck by the crusaders

- Journal of economic and social History of orient.

Vol VII, Part II, 1964.

• The standard of fineness of western and eastern Dinars before the Crusades.

• Studies in the monetary history of the near east in the middle ages II.

- Glück (H.) Und Diz (E.),

Die Kunst des Islam.

Berlin 1925.

- Goitein (S.),

Studies in Islamic History and Institutions.

Leiden 1968.

- Grohmann (A;),

Arabic papyri in the Egyptian Liberary Vols. II, VI.

Cairo 1930, 1962.

- Hautecoeur (L.) et Wiet (G.)

Les Mosqueés du Caire.

2 Tomes Paris 1932.

- Hennequin (G.),

• Points de vue sur L'Histoire Monétaire de L'Egypte Musulmane au Moyen Agé . (AI 13, 1977).

- Islamic Coines.

Auction 32, 20 th October 1962 in Zuirch .

- Islamic Coines.

Auction 62, October 9th 1982.
Muzen Und Medullen A. G. Basel.

- Musée De L'art Arabe du Caire,

  La Ceramique Egyptienne de L'epoque Musulmane,

  Le Caire 1922.

- Newbigin (M.)

  The Mediterranean Lands.

  London 1933.

- Nicol (N.) ; El Nabarawy (R.) Bachorach (J.),

  Cataloge of the Islamic coins, Glass Weights, Dies and Medels in the Egyptian National Liberary, Cairo.

  U, S. A. 1982.

- Porteous (J.),

  Coins in History .

  London 1969.

- Rivoria (G.) ,

  Moslem Architecture.

  Oxford 1918.

- Wiet (G.),

  Stéles Funéraires

  Catalogue Général du Musée Aarabe du Caire, Tome 2, Le Caire 1930.

- Wüstenfeld (F.),

Geshichte der Fatimiden - Cholifen Nach Arabischen Quellen.

Aus dem 26 und 27 Bände der Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen.

Göttengen 1981.

- Ziya (Ahmed),

Catalogue of Aslamic Coins.

Costantinpole 1910.